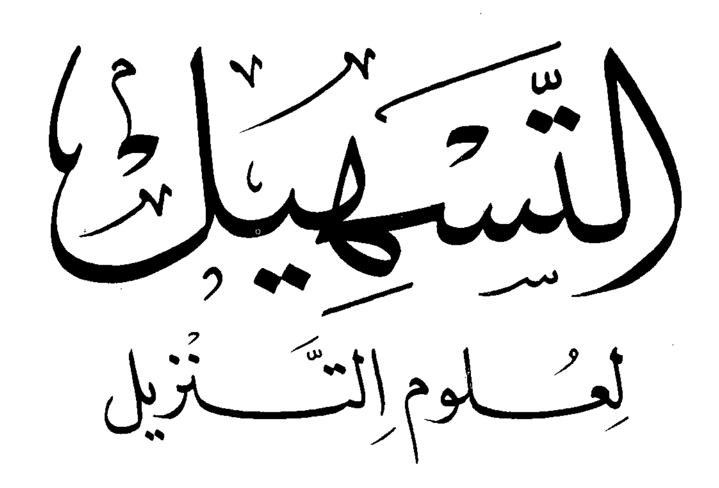


التسهيل لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة المفسر
أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي
المتوفى سنة ٧٤١ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته
محمد سالم هاشم

الجزء الأول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس: ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم العلاّمة، فريد دهره، ووحيد عصره، أبو عبد الله محمد المدعو بالقاسم بن أحمد بن محمد بن جزيّ الكلبي، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مأواه، بحرمة النبي الأوّاه:

الحمد لله العزيز الوهّاب، مالك الملوك وربّ الأرباب، هو الذي أنزل على عبده الكتاب، هدى وذكرى لأُولي الألباب، وأودعه من العلوم النافعة، والبراهين القاطعة: غاية الحكمة وفصل الخطاب؛ وخصّصه من الخصائص العليّة، واللطائف الخفيّة، والدلائل الجليّة، والأسرار الربّانيّة، العجب بكل عجب عجاب؛ وجعله في الطبقة العليا من البيان، حتى أعجز الإنسان والجان، واعترف علماء أرباب اللسان بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب؛ ويسّر حفظه في الصدور، وضمن حفظه من التبديل والتغيير، فلم يتغيّر ولا يتغيّر على طول الدهور وتوالي الأحقاب؛ وجعله قولاً فصلاً، وحكمًا عدلاً، وآية بادية، ومعجزة باقية: يشاهدها مَن شهد الوحي ومَن غاب؛ وتقوم بها الحجة للمؤمن الأوّاب، والحجة على الكافر المرتاب؛ وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام، وبيّن الحلال والحرام، وعلم من شعائر الإسلام، وصرف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر، والبشارة بالثواب، والنذارة بالعقاب، وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته، واصطفاهم من عباده، وأورثهم الجنة وحُسْن المآب. فسبحان مولانا الكريم الذي خصّنا بكتابه، وشرّفنا بخطابه، فيا له من نعمة سابغة، وحجة بالغة، أوزعنا الله الكريم القيام بواجب شكرها، وتوفية حقها، ومعرفة قدرها، وما توفيقي إلاّ بالله، هو ربّي لا إله إلاّ هو، عليه توكلت وإليه متاب. وصلاة الله وسلامه، وتحياته وبركاته وإكرامه، على مَن

دلّنا على الله، وبلغنا رسالة الله، وجاءنا بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم، وجاهد في الله حق الجهاد، وبذل جهده في الحرص على نجاة العباد، وعلّم ونصح وبيّن وأوضح حتى قامت الحجة، ولاحت المحجة، وتبيّن الرشد من الغيّ، وظهر طريق الحق والصواب، وانقشعت ظلمات الشك والارتياب، ذلك: سيدنا ومولانا محمد النبي الأمّيّ، القرشي الهاشمي، المختار من لباب اللباب، والمصطفى من أطهر الأنساب، وأشرف الأحساب، الذي أيّده الله بالمعجزات الظاهرة، والجنود القاهرة، والسيوف الباترة الغضاب، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة، وجعله قائدًا للغرّ المحجلين والوجوه الناضرة، فهو أوّل مَن يشفع يوم الحساب، وأوّل مَن يدخل الجنة ويقرع الباب، فصلّى الله عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين، خير أهل وأصحاب، صلاة زاكية نامية، لا يحصر مقدارها العدّ والحساب، ولا يبلغ إلى أدنى وصفها ألسنة البلغاء ولا أقلام الكتّاب.

أما بعد؛ فإنّ علم القرآن العظيم: هو أرفع العلوم قدرًا، وأجلّها خطرًا، وأعظمها أجْرًا، وأشرفها ذكرًا وأن الله أنعم عليّ بأن شغلني بخدمة القرآن، وتعلّمه وتعليمه، وشغفني بتفهّم معانيه وتحصيل علومه، فاطّلعت على ما صنّف العلماء رضي الله عنهم في تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف، المتباينة الأصناف، فمنهم مَن آثر الاختصار، ومنهم مَن طوّل حتى كثر الأسفار، ومنهم مَن تكلم في بعض فنون العلم دون بعض، ومنهم مَن اعتمد على نقل أقوال الناس، ومنهم مَن عوّل على النظر والتحقيق والتدقيق، وكل أحد سلك طريقًا نحّاه، وذهب مذهبًا ارتضاه، وكلاً وعد الله الحسنى، فرغبت في سلوك طريقهم، والانخراط في مساق فريقهم، وصنّفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكًا نافعًا، إذ جعلته وجيزًا جامعًا، قصدت به أربع مقاصد: تتضمن أربع فوائد: (الفائدة الأولى) جمع كثير من العلم، في كتاب صغير الحجم؛ تسهيلاً على الطالبين، وتقريبًا على الراغبين؛ فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها؛ ولقد أودعته من كل فنّ من فنون علم القرآن: اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه، من غير إفراط ولا تفريط. ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار، (الفائدة الثانية) ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلّما توجد في كتاب؛ لأنها من نبات صدري، وينابيع ذكري. ومما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر، (الفائدة الثالثة) إيضاح المشكلات، إما بحل العقد المقفلات، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات: وبيان المجملات، (الفائدة الرابعة) تحقيق أقوال المفسّرين، السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح. وذلك أن أقوال الناس على مراتب:

فمنها الصحيح الذي يعوّل عليه، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد. ثم إنّ هذا الاحتمال قد يكون متساويًا أو متفاوتًا، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيرًا، وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة، تعرف بها كل مرتبة وكل قول؛ فأدناها ما أصرّح بأنه خطأ أو باطل، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد، ثم ما أقول إن غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر ثم ما أقدّم غيره عليه إشعارًا بترجيح المتقدّم أو بالقول فيه: قيل كذا، قصدًا للخروج من عهدته، وأما إذا صرّحت باسم قائل القول؛ فإني أفعل ذلك لأحد أمرين: إما للخروج عن عهدته، وإما لنصرته إذا كان قائله ممّن يقتدى به، على أني لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلاً، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم، أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم، وأما إذا ذكرت شيئًا دون حكاية قوله عن أحد؛ فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه سواء كان من تلقاء نفسي، أو مما أختاره من كلام غيري، وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان؛ لم أذكره تنزيهًا للكتاب، وربما ذكرته تحذيرًا منه، وهذا الذي من الترجيح والتصحيح مبنيّ على القواعد العلمية، أو ما تقتضيه اللغة العربية، وسنذكر بعد هذا بابًا في موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله. وسمّيته (كتاب التسهيل: لعلوم التنزيل) وقدّمت في أوّله مقدّمتين: إحداهما في أبواب نافعة، وقواعد كلية جامعة؛ والأخرى فيما كثر دوره من اللغات الواقعة. وأنا أرغب إلى الله العظيم الكريم: أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملاً مبرورًا، وسعيًا مشكورًا، ووسيلة توصلني إلى جنات النعيم، وتنقذني من عذاب الجحيم، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

المقدمة الأولى: فيها اثنا عشر بابًا

الباب الأول: في نزول القرآن على رسول الله ﷺ من أوّل ما بعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفّاه الله، فكانت مدّة نزوله عليه عشرون سنة، وقيل كانت ثلاث وعشرين سنة على حسب الاختلاف في سنّه ﷺ يوم توفي، هل كان ابن ستّين سنة، أو ثلاث وستّين سنة؟ وكان ربما تنزل عليه سورة كاملة، وربما تنزل عليه آيات مفترقات، فيضمّ عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة، وأوّل ما نزل عليه من القرآن: صدر سورة العلق، ثم المدّثر والمزّمّل، وقيل أوّل ما نزل المدّثر وقيل فاتحة الكتاب، والأوّل هو الصحيح؛ لما ورد في الحديث الصحيح، عن عائشة في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه: جاءه الملك وهو بغار حراء، قال اقرأ، قال ما أنا بقارىء، قال فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال اقرأ، قلت ما أنا بقارىء، قال فأخذني فغطّني الثانية، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال اقرأ، قلت ما أنا بقارىء، قال فأخذني وغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن عَلَق اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَم الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَم عَلَّمَ الإِنْسَانَ ما لَمْ يَعْلَم﴾ [العلق: ١ـ ٥]. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فقال: «زمّلوني زمّلوني»، فزمّلوه حتى ذهب عنه ما يجد من الروع، وفي رواية من طريق جابر بن عبد الله: فقال رسول الله ﷺ: «زمّلوني» فأنزل الله تعالى ﴿يَا أيّها المُزّمّل﴾ [المزمّل: ١] وآخر ما نزل ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفَتْح﴾ [النصر: ١] وقيل آية الزنى التي في البقرة، وقيل الآية قبلها. وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ متفرّق في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته، فجمعه على ترتيب

نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنه لم يوجد. فلما قتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب؛ أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما بجمع القرآن: مخافة أن يذهب بموت القرّاء، فجمعه في صحف غير مرتب السور وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر، ثم عند عمر بعده، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين، وانتشرت في خلال ذلك صحف كتبت في الآفاق عن الصحابة، وكان بينها اختلاف، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفّان رضي الله عنهما، فجمع الناس على مصحف واحد خيفة من اختلافهم، فانتدب لذلك عثمان، وأمر زيد بن ثابت فجمعه، وجعل معه ثلاثة من قريش: عبد الله بن الزبير بن العوّام، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاصي بن أمية، وقال لهم إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إمامًا في هذا الجمع الأخير، وكان عثمان رضي الله عنه يتعهدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضي الله عنه منه نسخًا ووجّهها إلى الأمصار وأمر بما سواها أن تخرق أو تحرق «يُروَى بالحاء والخاء المنقوطة» فترتيب السور على ما هو الآن من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف، وقد قيل إنه من فعل رسول الله ﷺ، وذلك ضعيف تردّه الآثار الواردة في ذلك، وأما نقط القرآن وشكله فأوّل مَن فعل ذلك الحجّاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان وزاد الحجّاج تحزيبه وقيل أوّل مَن نقطه يحيىٰ بن يعمر وقيل أبو الأسود الدؤلي، وأما وضع الأعشار فيه فقيل إنّ الحجّاج فعل ذلك وقيل بل أمره به المأمون العباسي، وأما أسماؤه فهي أربعة: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر. وسائر ما يسمى صفات لا أسماء: كوصفه بالعظيم، والكريم، والمتين، والعزيز، والمجيد، وغير ذلك. فأما القرآن: فأصله مصدر قرأ، ثم أطلق على المقروء، وأما الفرقان: فمصدر أيضًا معناه التفرقة بين الحق والباطل، وأما الكتاب: فمصدر ثم أطلق على المكتوب، وأما الذكر: فسمى القرآن به لما فيه من ذكر الله أو من التذكير والمواعظ، ويجوز في السورة من القرآن الهمز، وترك الهمز لغة قريش، وأما الآية فأصلها العلامة ثم سُمّيت الجملة من القرآن به لأنها علامة على صدق النبي ﷺ.

الباب الثاني: في السورة المكية والمدنية. اعلم أنّ السور المكيّة هي التي نزلت بمكة ويعدّ منها كل ما نزل قبل الهجرة، وإن نزل بغير مكة، كما أنّ المدنية هي السورة التي نزلت بالمدينة ويعدّ منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة، وتنقسم السور ثلاثة أقسام: قسم مدنية باتفاق، وهي اثنان وعشرون سورة، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصفّ، والجمعة، والمنافقون، والتغابن،

والطلاق، والتحريم، وإذا جاء نصر الله. وقسم فيها خلاف، هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاثة عشر سورة: أمّ القرآن، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففون، والقدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، وأرأيت، والإخلاص، والمعوّذتين. وقسم مكية باتفاق، وهي سائر السور، وقد وقعت آيات مدنية في سور مكية، وكما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليل، مختلف في أكثره.

واعلم أنّ السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والردّ على المشركين، وفي قصص الأنبياء. وأنّ السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الردّ على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي ﷺ، وحيث ما ورد: يا أيها الذين آمنوا؛ فهو مدني، وأما: يا أيها الناس، فقد وقع في المكيّ والمدنيّ.

الباب الثالث: في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن، ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل. أما الجملة، فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ثم إنّ هذا المقصد يقتضي أمرين، لا بدّ منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله: أحدهما بيان العبادة التي دعى الخلق إليها، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتردّدهم إليها، فأما العبادة فتنقسم إلى نوعين، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال، وأما البواعث عليها فأمرين، وهما الترغيب والترهيب، وأما على التفصيل فاعلم أنّ معاني القرآن سبعة: وهي علم الربوبية، والنبوّة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد والقصص. فأما علم الربوبية: فمنه إثبات وجود الباري جلّ جلاله، والاستدلال عليه بمخلوقاته، فكل ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات، والاعتبار في خلقة الأرض والسمٰوات، والحيوان والنبات، والريح والأمطار، والشمس والقمر، والليل والنهار، وغير ذلك من الموجودات، فهو دليل على خالقه، ومنه إثبات الوحدانية، والردّ على المشركين، والتعريف بصفات الله: من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، وغير ذلك من أسمائه وصفاته، والتنزيه عمّا لا يليق به. وأما النبوّة: فإثبات نبوّة الأنبياء عليهم السلام على العموم، ونبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم على الخصوص، وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم، ووجود الملائكة الذين كان منهم وسائط بين الله وبينهم، والردّ على مَن كفر بشيء من ذلك، وينخرط في سلك هذا ما ورد في القرآن من تأنيس النبي ﷺ وكرامته والثناء عليه، وسائر الأنبياء ﷺ أجمعين. وأما المعاد فإثبات الحشر، وإقامة البراهين، والردّ على مَن خالف فيه، وذكر ما في الدار الآخرة من الجنة والنار، والحساب والميزان، وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال، ونحو ذلك. وأما الأحكام: فهي الأوامر والنواهي وتنقسم خمسة أنواع: واجب، ومندوب، وحرام، ومكروه، ومباح. ومنها ما يتعلق بالأبدان: كالصلاة والصيام، وما يتعلق بالأموال كالزكاة، وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص

والخوف والرجاء وغير ذلك. وأما الوعد: فمنه وعد بخير الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك، ومنه وعد بخير الآخرة وهو الأكثر كأوصاف الجنة ونعيمها. وأما الوعيد: فمنه تخويف بالعقاب في الدنيا، ومنه تخويف بالعقاب في الآخرة وهو الأكثر: كأوصاف جهنم وعذابها، وأوصاف القيامة وأهوالها، وتأمّل القرآن تجد الوعد مقرونًا بالوعيد، قد ذكر أحدهما على أثر ذكر الآخر، ليجمع بين الترغيب والترهيب، وليتبيّن أحدهما بالآخر، كما قيل:

فبضدّها تتبيّن الأشياء

وأما القصص: فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدّمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين. فإن قيل: ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن. فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أنه ربما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره في سورة أخرى، ففي كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى. الثاني أنه ذكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب، وفي مواضع على طريقة الإيجاز، لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين. الثالث أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فتعدّد ذكرها بتعدّد تلك المقاصد، فمن المقاصد بها إثبات نبوّة الأنبياء المتقدّمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك مَن كذبهم بأنواع من المهالك. ومنها إثبات النبوّة لمحمد ﷺ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلّم من أحد. وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾ [هود: ٤٩] ومنها إثبات الوحدانية. ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ﴿فما أغنت عنهم آلهتهم اللاّتي يدعون من دون الله من شيء﴾ [هود: ١٠١] ومنها الاعتبار في قدرة الله وشدّة عقابه لمَن كفر. ومنها تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له بالتأسّي بمَن تقدّم من الأنبياء: كقوله: ﴿وقد كذبت رسل من قبلك﴾ [الأنعام: ٣٤] ومنها تسليته عليه السلام ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله. ومنها تخويف الكفّار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفّار الذين من قبلهم، إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء. وردّهم على الكفّار وغير ذلك. فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة: ذكرت في مواضع كثيرة. ولكل مقام مقال.

الباب الرابع: في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن. اعلم أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنًّا من العلوم، وهي: التفسير، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصص، والتصوّف، وأصول الدين، وأصول الفقه: واللغة، والنحو، والبيان. فأما التفسير فهو المقصود بنفسه وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه أو تتعلق به أو تتفرع منه، ومعنى التفسير شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو

نجواه. واعلم أنّ التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه، ثم إنّ المختلف فيه على ثلاثة أنواع: الأوّل: اختلاف في العبارة، مع اتفاق في المعنى: فهذا عدّه كثير من المؤلفين خلافًا، وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه، وجعلناه نحن قولاً واحدًا، وعبّرنا عنه بأحد عبارات المتقدّمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها. الثاني اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العامّ التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه فهذا عدّه أيضًا كثير من المؤلّفين خلافًا، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأنّ كل قول منها مثال، وليس بكل المراد، ولم نعدّه نحن خلافًا: بل عبّرنا عنه بعبارة عامّة تدخل تلك تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود. الثالث: اختلاف المعنى؛ فهذا هو الذي عدّدناه خلافًا، ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب؛ فإن قيل: ما الفرق بين التفسير والتأويل؛ فالجواب أن في ذلك ثلاثة أقوال: الأوّل أنهما بمعنى واحد. الثاني: أن التفسير للفظ، والتأويل للمعنى. الثالث وهو الصواب: أنّ التفسير: هو الشرح، والتأويل: هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره وأما القراءات: فإنها بمنزلة الرواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته، ثم إن القراءات على قسمين: مشهورة. وشاذة. فالمشهورة: هي القراءات السبع وما جرى مجراها: كقراءة يعقوب. وابن محيصين. والشاذّة ما سوى ذلك. وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين: أحدهما أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب. والأخرى اقتداء بالمدينة شرّفها الله لأنها قراءة أهل المدينة. وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سُنّة. وذكرنا من سائر القراءة ما فيها فائدة في المعنى والإعراب وغير ذلك. دون ما لا فائدة فيه زائدة. واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها. وقد ألّفنا فيها كتبًا نفع الله بها. وأيضًا فإنا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه الضرورة وقد ذكرنا في هذه المقدّمات بابًا في قواعد أصول القراءات. وأما أحكام القرآن فهي ما ورد فيه من الأوامر والنواهي. والمسائل الفقهية. وقال بعض العلماء إن آيات الأحكام خمسمائة آية. وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها في مواضعها. وقد صنّف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة. ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها: تأليف إسماعيل القاضي وابن الحسن كباه ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس تأليف القاضي الإمام أبي بكر بن العربي والقاضي الحافظ ابن محمد بن عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس. وأما النسخ فهو يتعلق بالأحكام لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار ولا بدّ من معرفة ما وقع في القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم وهو ما لم ينسخ، وقد صنّف

الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة وأحسنها تأليف القاضي أبي بكر بن العربي. وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابًا في قواعد النسخ، وذكر ما تقرّر في القرآن من المنسوخ، وذكرنا سائره في مواضعه، وأما الحديث فيحتاج المفسّر إلى روايته وحفظه لوجهين: الأوّل أنّ كثيرًا من الآيات في القرآن نزلت في قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي ﷺ من الغزوات والنوازل والسؤالات، ولا بدّ من معرفة ذلك ليعلم فيمَن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى فإنّ الناسخ يبني على معرفة تاريخ النزول لأنّ المتأخّر ناسخ للمتقدّم. الثاني أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن فيجب معرفته لأن قوله عليه السلام مقدّم على أقوال الناس. وأما القصص فهي من جملة العلوم التي تضمنها القرآن فلا بدّ من تفسيره إلاّ أن الضروري منه ما يتوقف التفسير عليه. وما سوى ذلك زائد مستغنى عنه وقد أكثر بعض المفسّرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح. حتى أنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء عليهم السلام أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه. وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح. وأما التصرّف فله تعلّق بالقرآن. لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس. وتنوير القلوب. وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة. واجتناب الأخلاق الذميمة. وقد تكلمت المتصوّفة في تفسير القرآن. فمنهم مَن أحسن وأجاد. ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني. ووقف على حقيقة المراد. ومنهم مَن توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية. وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي كلامهم في التفسير في كتاب سمّاه «الحقائق» وقال بعض العلماء. بل هي البواطل. وإذا ما انتصفنا قلنا فيه حقائق وبواطل. وقد ذكرنا هذا في كتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية. دون ما يعترض أو يقدح فيه. وتكلمنا أيضًا على اثني عشر مقامًا من مقام التصوّف في مواضعها من القرآن: فتكلمنا على الشكر في أمّ القرآن، لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى. وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في البقرة: ﴿هدًى للمتّقين﴾ [البقرة: ٢]، وعلى الذكر في قوله فيها: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢]، وعلى الصبر في قوله تعالى: ﴿وبشّر الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٥]، وعلى التوحيد في قوله فيها: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ [البقرة: ١٦٣]، وعلى محبة الله في قوله فيها: ﴿والذين آمنوا أشدّ حبًا لله﴾ [البقرة: ١٦٥]، وعلى التوكّل في قوله في آل عمران: ﴿فإذا عزمت فتوكّل على الله﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وعلى المراقبة في قوله في النساء: ﴿إنّ الله كان عليكم رقيبًا﴾ [النساء: ١]، وعلى الخوف والرجاء في قوله في الأعراف: ﴿وادعوه خوفًا وطمعًا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وعلى التوبة في قوله في النور: ﴿وتوبوا إلى الله جميعًا﴾ [النور: ٣١]، وعلى الإخلاص في قوله في لم يكن:

﴿وما أُمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البيّنة: ٥]. وأما أصول الدين فيتعلق بالقرآن من طرفين: أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها. والردّ على أصناف الكفّار. والآخر: أنّ الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن وكل طائفة منهم تحتجّ لمذهبها بالقرآن وتردّ على مَن خالفها. وتزعم أنه خالف القرآن. ولا شك أن منهم المحقّ والمبطل. فمعرفة تفسير القرآن أن توصل في ذلك إلى التحقيق مع التشديد والتأييد من الله والتوفيق. وأما أصول الفقه فإنها من أدوات تفسير القرآن. على أنّ كثيرًا من المفسّرين لم يشتغلوا بها. وإنها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال. وما أحوج المفسّر إلى معرفة النص. والظاهر. والمجمل. والمبين. والعامّ. والخاصّ. والمطلق. والمقيد. وفحوى الخطاب. ولحن الخطاب. ودليل الخطاب. وشروط النسخ. ووجوه التعارض. وأسباب الخلاف. وغير ذلك من علم الأصول. وأما اللغة فلا بدّ للمفسّر من حفظ ما ورد في القرآن منها. وهي غريب القرآن وهي من فنون التفسير. وقد صنّف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة. وقد ذكرنا بعد هذه المقدّمة: مقدّمة في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن. لئلا نحتاج أن نذكرها حيث وقعت فيطول الكتاب بكثرة تكرارها. وأما النحو فلا بدّ للمفسّر من معرفته. فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان. والنحو ينقسم إلى قسمين: أحدهما عوامل الإعراب. وهي أحكام الكلام المركّب. والآخر التصرّف وهي أحكام الكلمات من قبل تركيبها. وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه من المشكل والمختلف. أو ما يفيد فهم المعنى. أو ما يختلف المعنى باختلافه ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدىء فإن ذلك يطول بغير فائدة كبيرة. وأما علم البيان: فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن. وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة. ونكت مستحسنة رائقة. وجعلنا في المقدّمات بابًا في أدوات البيان ليفهم به ما يرد منها مفرّقًا في مواضعه من القرآن.

الباب الخامس: في أسباب الخلاف بين المفسّرين. والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم. فأما أسباب الخلاف فهي اثني عشر: الأول اختلاف القرآن. الثاني اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات. الثالث اختلاف اللغويين في معنى الكلمة. الرابع اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر. الخامس احتمال العموم والخصوص. السادس احتمال الإطلاق أو التقييد. السابع احتمال الحقيقة أو المجاز. الثامن احتمال الإضمار أو الاستقلال. التاسع احتمال الكلمة زائدة. العاشر احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير. الحادي عشر احتمال أن يكون الحكم منسوخًا أو محكمًا. الثاني عشر اختلاف الرواية في التفسير عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وعن السلف رضي الله عنهم. وأما وجوه الترجيح فهي اثني عشر الأول تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دلّ موضع من القرآن على

المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال. الثاني حديث النبي ﷺ: فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عوّلنا عليه. لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح. الثالث أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسّرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه. الرابع أن يكون القول قول مَن يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة. وعبد الله بن عباس. لقول رسول الله ﷺ: «اللّهمَّ فقّهه في الدين وعلّمه التأويل». الخامس أن يدلّ على صحّة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق. السادس أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدلّ عليه ما قبله أو ما بعده. السابع أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه. الثامن تقديم الحقيقة على المجاز. فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين. وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالاً من الحقيقة ويسمى مجازًا راجحًا والحقيقة مرجوحة. وقد اختلف العلماء أيّهما يقدّم: فمذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة، لأنها الأصل ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح؛ لرجحانه. وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح. التاسع تقديم العمومي على الخصوصي؛ فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص. العاشر تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدلّ دليل على التقييد. الحادي عشر تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار. الثاني عشر حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير.

الباب السادس: في ذكر المفسّرين. اعلم أن السلف الصالح انقسموا إلى فرقتين: فمنهم مَن فسّر القرآن وتكلم في معانيه. وهم الأكثرون. ومنهم مَن توقف عن الكلام فيه احتياطًا لما ورد من التشديد في ذلك. فقد قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يفسّر من القرآن الآيات إلا بعد علمه إيّاهنّ من جبريل. وقال ﷺ: «مَن قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ». وتأوّل المفسّرون حديث عائشة رضي الله عنها بأنه في مغيبات القرآن التي لا تعلم إلاّ بتوقيف من الله تعالى. وتأوّل الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات؛ لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ونظر في أقوال العلماء المتقدّمين؛ فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه. واعلم أن المفسّرين على طبقات؛ فالطبقة الأولى: الصحابة رضي الله عنهم. وأكثرهم كلامًا في التفسير ابن عباس. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس. ويقول: كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق. وقال ابن عباس: ما عندي من تفسير القرآن فهو عن عليّ بن أبي طالب، ويتلوهما عبد الله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكلما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن. والطبقة الثانية: التابعون. وأحسنهم كلامًا في التفسير الحسن بن الحسن البصري،

وسعيد بن جبير ومجاهد مولى ابن عباس، وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود. ويتلوهم: عكرمة، وقتادة، والسدّي، والضحّاك بن مزاحم، وأبو صالح، وأبو العالية. ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف، وألّف الناس فيه: كالمفضل، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والبخاري، وعلي بن أبي طلحة، وغيرهم. ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع أقوال المفسّرين وأحسن النظر فيها. وممّن صنّف في التفسير أشياء: أبو بكر النقاش، والثعلبي، والماوردي. إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح. وقد استدرك الناس على بعضهم. وصنّف أبو محمد بن قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه وصنّف في معاني القرآن جماعة من النحويين: كأبي إسحق الزجّاج، وأبي علي الفارسي، وأبي جعفر النحّاس. وأما أهل المغرب والأندلس فصنّف القاضي منذر بن سعيد البلوطي كتابًا في غريب القرآن وتفسيره. ثم صنّف المقرىء أبو محمد مكّي بن أبي طالب كتاب الهداية في تفسير القرآن، وكتابًا في غريب القرآن، وكتابًا في ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتابًا في إعراب القرآن، إلى غير ذلك من تآليفه. فإنها نحو ثمانين تأليفًا: أكثرها في علوم القرآن والقراءات والتفسير وغير ذلك. وأما أبو عمرو الداني فتآليفه تنيف على مائة وعشرين، إلا أن أكثرها في القرآن، ولم يؤلف في التفسير إلا قليلاً. وأما أبو العباس المهدي فمتقن التآليف، حسن الترتيب، جامع لفنون علوم القرآن. ثم جاء القاضيان أبو بكر بن العربي وأبو محمد عبد الحق بن عطية، فأبدع كل واحد وأجمل، واحتفل وأكمل. فأما ابن العربي فصنّف كتاب «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن، فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل» إلا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه. وألّف في سائر علوم القرآن تآليفًا مفيدة. وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطّلع على تآليف من كان قبله فهذبها، ولخّصها. وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدّد النظر، محافظ على السُّنّة. ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير. فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطة في علمه، وقوّة في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق. ومما بأيدينا من تآليف أهل المشرق تفسير ابن القاسم الزمخشري فمسدّد النظر بارع في الإعراب متقن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرّهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدّر صفوه، وتمرّر حلوه، فخذ منه ما صفا ودع ما كدر. وأما القرنوي فكتابه مختصر، وفيه من التصوّف نكت بديعة. وأما ابن الخطيب فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري وزاد عليه إشباع في قواعد علم الكلام، ونمّقه بترتيب المسائل، وتدقيق النظر في بعض المواضع. وهو على الجملة كتاب كبير الجرم، ربما يحتاج إلى تلخيص، والله ينفع الجميع بخدمة كتابه، ويجزيهم أفضل ثوابه.

الباب السابع: في الناسخ والمنسوخ: النسخ في اللغة: هو الإزالة والنقل. ومعناه في

الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعد ما نزل. ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه: الأول نسخ اللفظ والمعنى كقوله: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم»، الثاني نسخ اللفظ دون المعنى كقوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة نكالاً من الله والله عزيز حكيم»، الثالث نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير وقع منه في القرآن على ما عدّ بعض العلماء مائتا موضع وثنتا عشرة مواضع منسوخة، إلا أنهم عدّوا التخصيص والتقييد نسخًا، والاستثناء نسخًا، وبين هذه الأشياء وبين النسخ: فروق معروفة، وسنتكلم عن ذلك في مواضعه. ونقدّم هنا ما جاء من نسخ مسالمة الكفّار والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم، بالأمر بقتالهم ليغني ذلك عن تكراره في مواضعه، فإنه وقع منه في القرآن مائة آية وأربع عشرة آية من أربع وخمسين آية، ففي البقرة ﴿وقولوا للناس حسنًا﴾ ﴿ولنا أعمالنا﴾ ﴿ولا تعتدوا﴾ أي لا تبدءوا بالقتال ﴿ولا تقاتلوهم﴾ ﴿قل قتال﴾ ﴿لا إكراه﴾. وفي آل عمران ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ ﴿منهم تقاة﴾. وفي النساء ﴿فأعرض عنهم﴾ في موضعين ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظًا﴾ ﴿لا تكلف إلا نفسك﴾ ﴿إلا الذين يصلون﴾. وفي المائدة ﴿ولا آمن﴾ ﴿عليك البلاغ﴾ ﴿عليكم أنفسكم﴾. وفي الأنعام ﴿لست عليكم بوكيل﴾ ﴿ثم ذرهم﴾ ﴿عليكم بحفيظ﴾ ﴿وأعرض﴾ ﴿عليهم حفيظًا﴾ ﴿ولا تسبوا﴾ قدرهم في موضعين ﴿يا قوم اعملوا﴾ ﴿قل انظروا﴾ ﴿لست منهم في شيء﴾. وفي الأعراف ﴿فأعرض﴾ ﴿وأملى لهم﴾. وفي الأنفال ﴿وإن استنصروكم﴾ يعني المجاهدين. وفي التوبة ﴿فاستقيموا لهم﴾. وفي يونس ﴿فانتظروا﴾ ﴿فقل لي عملي﴾ ﴿وإما نرينك﴾ ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ لما يقتضي من الإمهال ﴿أفأنت تكره﴾ ﴿فمَن اهتدى﴾ لأن معناه الإمهال ﴿واصبر﴾. وفي هود ﴿إنما أنت نذير﴾ أي تنذر ولا تجبر ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ ﴿انتظروا﴾. وفي الرعد ﴿عليك البلاغ﴾. وفي النحل ﴿إلا البلاغ﴾ ﴿عليك البلاغ﴾ ﴿وجادلهم﴾ ﴿واصبر﴾. وفي الإسراء ﴿ربكم أعلم بكم﴾ وفي مريم ﴿فأنذرهم﴾ ﴿فليمدد﴾ ﴿ولا تعجل﴾. وفي طه ﴿قل كل متربص﴾. وفي الحج ﴿وإن جادلوك﴾. وفي المؤمنين ﴿فذرهم﴾ ﴿ادفع﴾. وفي النور ﴿فإن تولوا﴾ ﴿وما على الرسول إلاّ البلاغ﴾. وفي النمل ﴿فمَن اهتدى﴾. وفي القصص ﴿لنا أعمالنا﴾. وفي العنكبوت ﴿أنا نذير﴾ لما يقتضي من عدم الإجبار. وفي الروم ﴿فاصبر﴾. وفي لقمان ﴿ومَن كفر﴾. ﴿وفي السجدة﴾ ﴿فانظروا﴾. وفي الأحزاب ﴿ودع أذاهم﴾. وفي سبأ ﴿قل لا تسألون﴾. وفي فاطر ﴿إن أنت إلا نذير﴾. وفي يس ﴿فلا يحزنك﴾. وفي الصّافّات ﴿فقول﴾ و﴿قول﴾ وما يليهما. في ص ﴿اصبر﴾ ﴿أنا نذير﴾. وفي الزّمر ﴿إنّ الله يحكم بينهم﴾ لما فيه من الإمهال ﴿فاعبدوا ما شئتم﴾ ﴿يا قوم اعملوا﴾ ﴿فمَن اهتدى﴾ ﴿أنت تحكم﴾ لأنّ فيه تفويضًا. وفي المؤمن ﴿فاصبر﴾ في موضعين. وفي السجدة ﴿ادفع﴾. وفي الشورى ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ ﴿لنا أعمالنا﴾ ﴿فإن أعرضوا﴾. وفي الزخرف

﴿فذرهم﴾ ﴿واصفح﴾. وفي الدخان ﴿فارتقب﴾. وفي الجاثية ﴿يغفروا﴾. وفي الأحقاف ﴿فاصبر﴾. وفي القتال ﴿فإمامنا﴾. وفي ق ﴿فاصبر﴾ ﴿وما أنت﴾. وفي الذاريات ﴿فقول﴾، وفي الطور ﴿قل تربصوا﴾ ﴿واصبر﴾ ﴿فذرهم﴾. وفي النجم ﴿فأعرض﴾. وفي القمر ﴿فقول﴾. وفي ن ﴿فاصبر﴾ ﴿سنستدرجهم﴾. وفي المعارج ﴿فاصبر﴾ ﴿فذرهم﴾. وفي المزّمل ﴿واهجرهم﴾ ﴿وذرني﴾. وفي المدّثر ﴿ذرني﴾. وفي الإنسان ﴿فاصبر﴾. وفي الطارق ﴿فمهّل الكافرين﴾. وفي الغاشية ﴿لست عليهم بمسيطر﴾. وفي الكافرين ﴿لكم دينكم﴾ نسخ ذلك كله: ﴿اقتلوا المشركين﴾ و﴿كتب عليكم القتال﴾.

الباب الثامن: في جوامع القراءة، وهو على نوعين: مشهورة، وشاذة، فالمشهورة القراءات السبع، وهو حرف نافع المدني، وابن كثير المكّي، وأبو عمر بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم، وابن حمزة والكسائي الكوفيين. ويجري مجراهم في الصحة والشهرة: يعقوب الحضري بن محيصن، ويزيد بن القعقاع. والشاذة ما سوى ذلك، وإنما سمّيت شاذة لعدم استقامتها في النقل، وقد تكون فصيحة اللفظ، أو قوية المعنى، ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاث شروط: موافقته لمصحف عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو في بعض اللغات، ونقله نقلاً متواترًا أو مستفيضًا.

واعلم أن اختلاف القرّاء على نوعين: أصول، وفرش الحروف. فأما الفرش: فهو ما لا يرجع إلى أصل مضطرد، ولا قانون كلّي، وهو على وجهين: اختلاف في القراءة باختلاف المعنى، وباتفاق المعنى. وأما الأصول: فالاختلاف فيها لا يغيّر المعنى. وهي ترجع إلى ثمان قواعد: الأولى: الهمزة، وهي في حروف المدّ الثلاث، ويُزاد فيها على المدّ الطبيعي بسبب الهمزة والتقاء الساكنين. الثانية: وأصله التحقيق ثم قد يحقّق على سبعة أوجه: إبدال واو أو ياء أو ألف وتسهيل بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف، وإسقاط. الثالثة: الإدغام، والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثلين، أو المتقاربين وفي كلمة، وفي كلمتين، وهو نوعان: إدغام كبير انفرد به أبو عمرو: وهو إدغام المتحرّك. وإدغام صغير لجميع القرّاء: وهو إدغام الساكن. الرابعة: الإمالة، وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة. والألف نحو الياء، والأصل الفتح، ويوجب الإمالة الكسرة والياء. الخامسة: الترقيق والتفخيم، والحروف على ثلاثة أقسام يفخم في كل حال، وهي حروف الاستعلاء السبعة؛ ومفخّم تارة ومرقّق أخرى وهي الراء واللام والألف فأما الراء فأصلها التفخيم وترقّق للكسر والياء، وأما اللام فأصلها الترقيق وتفخّم لحروف الإطباق، وأما الألف فهي تابعة للتفخيم والترقيق لما قبلها، والمرقّق على كل حال سائر الحروف. السادسة: الوقف، وهو على ثلاثة أنواع: سكون جائز في

الحركات الثلاثة، وروم في المضموم والمكسور، وإشمام في المضموم خاصة. السابعة: مراعاة الخط في الوقف. الثامنة: إثبات الياءات وحذفها.

الباب التاسع: في الوقف، وهي أربعة أنواع: وقف تامّ، وحسن، وكاف، وقبيح، وذلك بالنظر إلى الإعراب، والمعنى فإن كان الكلام مفتقرًا إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقرًا إليه كذلك: لم يجز إليه الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره، وبين كل ذي جواب وجوابه. وبين كل ذي موصول وصلته، وإن كان الكلام الأوّل مستقلاً يفهم دون الثاني؛ إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله، فالوقف على الأوّل كاف، وذلك في التوابع والفضلات: كالحال، والتمييز، والاستثناء وشبه ذلك إلا أنّ وصل المستثنى المتصل آكد من المنقطع ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة، وإن كان الكلام مستقلاً والثاني كذلك، فإن كانا في قصة واحدة فالوقف على الأوّل حسن، وإن كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تامّ. وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى، وكذلك اختلف الناس في كثير من الوقف من أقوالهم فيها: راجح، ومرجوح، وباطل، وقد يقف لبيان المراد وإن لم يتم الكلام.

تنبيه: هذا الذي ذكرنا من رعي الإعراب والمعنى في المواقف: استقرّ عليه العمل، وأخذ به شيوخ المقرئين، وكان الأوائل يراعون رؤوس الآيات فيقفون عندها لأنها في القرآن كالفقر في النثر والقوافي في الشعر، ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذي عن أُمّ سلمة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته يقول: «الحمد لله ربّ العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم ثم يقف».

الباب العاشر: في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان، أما الفصاحة فلها خمسة شروط: الأوّل: أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون ولا مما غلطت فيه العامّة، الثاني: أن تكون من الألفاظ المستعملة لا من الوحشية المستثقلة، الثالث: أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية له؛ لا قاصرة عنه، الرابع: أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد. الخامس: أن يكون الكلام سالمًا من الحشو الذي لا يحتاج إليه، وأما البلاغة فهي سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمقال من الإيجاز والإطناب، ومن التهويل والتعظيم والتحقير، ومن التصريح والكناية والإشارة وشبه ذلك، بحيث يهزّ النفوس ويؤثر في القلوب، ويقول السامع إلى المراد أو يكاد، وأما أدوات البيان: فهي صناعة البديع، وهو تزيين الكلام كما يزين العلم الثوب، وقد وجدنا في القرآن منها اثنين وعشرين نوعًا، ونبّهنا على كل نوع من المواضع التي وقع فيها من القرآن وقد ذكرنا هنا أسماءها ونبيّن معناه، الأوّل المجاز: وهو اللفظ المستعمل في غير مواضع له لعلاقة بينهما، وهو اثنا عشر نوعًا:

التشبيه، والاستعارة، والزيادة، والنقصان، وتشبيه المجاور باسم مجاوره، والملابس باسم ملابسه، والكل، وإطلاق اسم الكل على البعض، وعكسه، والتسمية باعتبار ما يستقبل، والتسمية باعتبار ما مضى، وفي هذا خلاف هل هو حقيقة أو مجاز، واتفق أهل علم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن لأنّ القرآن نزل بلسان العرب وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز، ولا وجه لمَن منعه؛ لأنّ الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى. الثاني الكناية: وهي العبارة عن الشيء فيما يلازمه من غير تصريح. الثالث الالتفات: وهو على ستة أنواع: خروج من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة، وخروج من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة، وخروج من الغيبة إلى التكلم أو الخطاب. الرابع التمديد: وهو ذكر شيء بعد اندراجه في لفظ عامّ متقدّم، والقصد بالتجديد تعظيم المجدّد ذكره أو تحقيره، أو رفع الاحتمال. الخامس الاعتراض: وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين: كالخبر والمخبر عنه، والصفة والموصوف، والمعطوف عليه، وإدخاله في أثناء كلام متصل. والقصد به تأكيد الكلام الذي أدرج فيه. السادس التجنيس: وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى، ثم الاتفاق قد يكون في الحروف والصيغة، أو في الحروف خاصّة، أو في أكثر الحروف لا في جميعها، أو في الخط لا في اللفظ، وهو تجنيس التصحيف. السابع الطباق: وهو ذكر الأشياء المتضادة كالسواد والبياض والحياة والموت، والليل والنهار، وشبه ذلك. الثامن المقابلة، وهو أن يجمع بين شيئين فصاعدًا ثم يقابلهما بأشياء أُخر. التاسع المشاكلة: وهي أن تذكر الشيء بلفظ آخر لوقوعه في صحبته. العاشر الترديد: وهو ردّ الكلام على آخره ويسمى في الشعر ردّ العجز على الصدر. الحادي عشر لزوم ما لا يلزم: وهو أن تلتزم قبل حروف الرويّ حرفًا آخر، وكذلك عند رؤوس الآيات. الثاني عشر القلب: وهو أن يكون الكلام يصلح ابتداء قراءته من أوّله وآخره نحو دعد أو تعكس كلماته فتقدّم المؤخر منها وتؤخّر المقدّم. الثالث عشر التقسيم: وهو أن تقسم المذكور إلى أنواعه أو أجزائه. الرابع عشر التتميم: وهو أن تزيد في الكلام ما يوضحه ويؤكده وإن كان مستقلاً دون هذه الزيادة. الخامس عشر التكرار: وهو أن تضع الظاهر موضع المضمر، فتكرّر الكلمة على وجه التعظيم أو التهويل، أو مدح المذكور أو ذمّه أو للبيان. السادس عشر التهكّم: وهو إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاء بالمخاطب أو بالخبر، كذلك البشارة في موضع النذارة. السابع عشر اللف والنشر وهو أن تلف في الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر متعلقات بها. وفيه طريقتان: أن تبدأ في ذكر المتعلقات بالأول، وأن تبدأ بالآخر. الثامن عشر الجمع: وهو أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبر واحد، وفي وصف واحد وشبه ذلك. التاسع عشر الترصيع: وهو أن تكون الألفاظ في آخر الكلام مستوفية الوزن، أو متقاربة مع الألفاظ التي في أوله. العشرون التسجيع: وهو أن يكون

كلمات الآي على رويّ واحد. الحادي والعشرون الاستطراد: وهو أن يتطرّق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل ما بينهما، ويكون الكلام الثاني هو المقصود: كخروج الشاعر من السبّ إلى المدح بمعنى يتعلق بالطرفين، مع أنه قصد المدح. الثاني والعشرون المبالغة: وقد تكون بصيغة الكلمة نحو صيغة فعال ومفعال وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف، فإن اشتدّت المبالغة فهو غلق وإغراب، وذلك مستكره عند أهل هذا الشأن.

الباب الحادي عشر: في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل، ويدل على ذاك عشرة أوجه: الأوّل فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين. الثاني نظمه العجيب وأسلوبه الغريب من قواطع آياته وفواصل كلماته. الثالث عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله. الرابع ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ولم يكن النبي ﷺ تعلم ذلك ولا قرأه في كتاب. الخامس ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة فوقعت على حسب ما قال. السادس ما فيه من التعريف بالباري جلّ جلاله، وذكر صفاته وأسمائه، وما يجوز عليه، وما يستحيل عليه، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة البراهين القاطعة، والحجج الواضحة، والردّ على أصناف الكفّار، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحي من العليم الخبير، ولا يشك عاقل في صدق مَن عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم. السابع ما شرع فيه من الأحكام وبيّن من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، ذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم. الثامن كونه محفوظًا عن الزيادة والنقصان، محروسًا عن التغيير والتبديل على طول الزمان، بخلاف سائر الكتب. التاسع تيسيره للحفظ وذلك معلوم بالمعاينة. العاشر كونه لا يملّه قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد، بخلاف سائر الكلام.

الباب الثاني عشر: في فضل القرآن. وإنما نذكر منه ما ورد في الحديث الصحيح، فمن ذلك ما ورد عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه». وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السَّفَرة الكرام البَرَرة والذي يقرؤه وينتفع به وهو عليه شاقّ فله أجران». وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة: ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة: لا ريح لها وطعمها طيب، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة: ريحها طيب وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة: ليس لها ريح وطعمها مرّ». وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «استذكروا القرآن فلهو أشدّ تفصيًا من صدور الرجال من النّعم بعقلها». وعن عثمان بن عفّان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

قال: «خيركم مَن تعلّم القرآن وعلّمه، فإنّ الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع آخرين». وعن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه، فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قطّ إلاّ اليوم فنزل منه مَلَك فقال: هذا مَلَك نزل إلى الأرض لم ينزل قطّ إلاّ اليوم فسلّم وقال أبشر بنورين أُوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة». وعن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: «اقرأوا البقرة فإنّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة». وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إنّ الشيطان يفرّ من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة». وعن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم». قلت: الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم. فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر». وعن النوّاس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران - وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهما بعد - قال: وإنهما غمامتان أو ظلّتان سوداوان بينهما شرف أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجّان عن صاحبهما». وعن أبي الدرداء أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَن حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عصم من الدجال». وعن أبي الدرداء أنّ رسول الله ﷺ قال: «سورة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن». وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم ترَ آيات أُنزلت عليّ لم يرَ مثلهنّ قطّ»: ﴿قل أعوذ بربّ الفلق﴾ [الفلق: ١]، ﴿وقل أعوذ بربّ الناس﴾ [الناس: ١].

المقدمة الثانية: في تفسير معاني اللغات

نذكر في هذه المقدّمة الكلمات التي يكثر دورها في القرآن، أو تقع في موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف، وإنما جمعناها في هذا الباب لثلاثة فوائد: أحدها تفسيرها للحفظ؛ فإنها وقعت في القرآن متفرّقة فجمعها أسهل لحفظها، والثانية ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير؛ لما أن تآليف القرآن جمعت فيها الأصول المطّردة والكثيرة الدور، والثالثة: الاقتصار فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن خوف التطويل بتكرارها، وربما نبّهنا على بعضها للحاجة إلى ذلك، ورتبناها في هذا الكتاب على حروف المعجم، فمَن لم يجد تفسير كلمة في موضعها من القرآن: فلينظر في هذا الباب، واعتبرنا في هذا الحروف: الحرف الذي يكون فاء الكلمة وهو الأصلي دون الحروف الزائدة في أوّل الكلمات.

حرف الهمزة: (آية) لها معنيان أحدهما علامة وبرهان والثاني آية من القرآن، وهي كلام متصل إلى الفاصلة، والفواصل هي رؤوس الآيات (أتى) بقصر الهمزة معناه جاء، ومضارعه يأتي، ومصدره إتيان، واسم الفاعل منه آت، واسم المفعول منه مأتى، ومنه قوله تعالى آتى بمدّ الهمزة معناه أعطى، ومضارعه يؤتى، واسم الفاعل مؤت، ومنه والمؤتون الزكاة (أبى) يأبى أي امتنع (أثر) الشيء بقيته وأمارته، وجمعه آثار والأثر أيضًا الحديث، وأثارة من علم بقية، وأثاروا الأرض حرثوها وأثر الرجل الشيء يؤثره فضله (إثم) ذنب، ومنه آثم وأثيم أي مذنب (أجر) ثواب وبمعنى الأجرة، ومنه استأجره وعلى أن تأجرني، وأما استجارك فأجره ويجركم من عذاب أليم، ومن يجيرني من الله، وهو يجير ولا يجار عليه: فذلك كله من الجوار بمعنى التأمين (آمن) إيمانًا أي صدق، والإيمان في اللغة

التصديق مطلقًا، وفي الشرع التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والمؤمن في الشرق المصدّق بهذه الأمور، والمؤمن اسم الله تعالى: أي المصدّق لنفسه وقيل إنه من الأمن: أي يؤمن أولياءه من عذابه، وأمن بقصر الهمزة وكسر الميم أمنًا وأمانة: ضدّ الخوف وأمن من الأمانة، وأمّن غيره من التأمين (أليم) مؤلم أي موجع ومنه تألمون (إمام) له أربعة معانٍ: القدوة والكتاب، والطريق، وجمع أمّ أي تابع، وهي للمتقين إمامًا (أمّة) لها أربعة معانٍ: الجماعة من الناس، والدين والحين، والإمام أي القدوة (أميّ) لا يقرأ ولا يكتب، ولذلك وصف العرب بالأميّين (أم) لها معنيان الوالدة، والأصل، وأمّ القرى مكة (أخرى) مؤنثة آخر وآخر (آل) له معنيان الأهل، ومنه آل لوط، والأتباع والجنود، ومنه آل فرعون (أمس) اليوم الذي قبل يومك والزمان الماضي (إناه) وقته وجمعه إنا ومنه آناء الليل (أمر) له معنيان: أحدهما طلب الفعل على الوجوب أو الندب أو الإباحة، وقد تأتي صفة الأمر لغير الطلب، والتهديد، والتعجيز، والتعجب، والخبر، والثاني بمعنى الشأن والصفة، وقد يراد به العذاب، ومنه جاء أمرنا (إسرائيل) هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام وهو والد الأسباط واليهود ذرّيتهم (إياب) رجوع ومنه مآب أي مرجع، ورجل أوّاب كثير الرجوع إلى الله، والتأويب التسبيح، يا جبال أوّبي (إفك) أشدّ الكذب، والأفاك: الكذاب، وأفك الرجل عن الشيء: أي صرف عنه، ومنه تؤفكون (أوى) الرجل إلى الموضع بالقصر، وآواه غيره بالمدّ، ومنه المأوى (أف) كلمة شر (آلاء الله) نعمه، ومنه آلاء ربكما (أسف) له معنيان: الحزن، والغضب، ومنه فلما آسفونا (أسوة) بكسر الهمزة وضمها قدوة (أسي) الرجل يأسى أسًا: أي حزن، ومنه فلا تأس، وكيف آسى (أذان) بالقصر إعلام بالشيء ومنه الأذان بالصلاة، والآذان بالمدّ: جمع أذن (إذن الله) بمعنى العلم والإرادة والإباحة، وأذنت بالشيء أعلمت به بكسر الذال، وآذنت به غيري بالمدّ (إصر) له معنيان، الذنب، والعهد (أيد) أي قوّة، ومنه أيّدناه، وبنيناها بأيد، والأيدي جمع يد، فهمزتها زائدة (أكل) بضم الهمزة اسم المأكول، ويجوز فيه ضم الهمزة وإسكانها، والأكل بضم الهمزة المصدر (أيلة) غيضة (أثاث) متاع البيت (أجاج) مرّ (أرائك) أسرّة واحدها أريكة (آنية) له معنيان أحدهما جمع إناء، ومنه آنية من فضة، وشديدة الحر، ومنه عين آنية، ووزن الأولى أفعلة، والثانية فاعلة ومذكرها آن (أحد) له معنيان واحد، ومنه (الله أحد) واسم جنس بمعنى إنسان (أيان) معناه متى (أنى) بمعنى كيف ومتى و(أين) للحصر (إن) المكسورة المخففة أربعة أنواع شرطية ونافية وزائدة ومخففة من الثقيلة (أن) المفتوحة المخففة أربعة أنواع مصدرية وزائدة ومخفّفة من الثقيلة وعبارة عن القول (إنما) نوعان ظرف زمان مستقبل ومعناها الشرط وقد تخلو عن الشرط ومجانبة (إذا) لها معنيان: ظرف زمان ماضي وسببية للتقليل (أو) العاطفة لها خمسة معانٍ: الشك، والإبهام، والإباحة، والتخيير، والناصبة

للفعل بمعنى إلى أو إلا (أم) استفهامية وقد يكون فيها معنى الإنكار والإضراب وتكون متصلة للمعادلة بن ما قبلها وما بعدها ومنفصلة مما قبلها (إما) المكسورة المشدّدة للتنويع، والشك والتخيير، وقد تكون مركبة من إن الشرطية وما الزائدة (إلا) المفتوحة المشدّدة أداة استثناء وتكون للإيجاب بعد غير الواجب، وتكون مركبة من إن الشرطية ولا النافية (أيّ) المشدّدة سبعة أنواع: شرطية، واستفهامية وموصولة، ومنادى، وصفة، وظرفية إذا أُضيفت إلى ظرف، ومصدرية إذا أُضيفت إلى مصدر (إي) المكسورة المخفّفة ومعناها التصديق (إلي) معناه انتهاء الغاية، وقيل تكون بمعنى مع (الهمزة) للاستفهام، والتقرير، والتوبيخ، والتسوية، وللمتكلم وأملية، وزائدة للبناء.

حرف الباء: (باري) خالق، ومنه البرية أي الخلق (بعث) له معنيان بعث الرسل وبعث الموتى من القبور (بسط) الله الرزق وسّعه ومعنى قبض وقدر الرزق: أي ضيّقه، ومن أسماء الله تعالى: القابض والباسط، وبسطة: زيادة (بشر) من البشارة وهي الإعلام بالخير قبل وروده، وقد يكون للشر إذا ذكر معها، ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف، ومنه المبشر والبشير، واستبشر بالشيء فرح به (بعد) له معنيان: ضدّ القرب والفعل منه بعد بضم العين، والهلاك والفعل منه بكسرها ومنه كما بعدت ثمود (بلاء) له معنيان: العذاب، والاختبار منه أيضًا ونبلوكم (برّ) له معنيان: الكرامة ومنه برّ الوالدين و: أن تبرّوهم، والتقرّي، والجمع لخصال الخير ومنه: البرّ من اتقى، ورجل بارّ وبرّ والجمع أبرار والبرّ من أسماء الله تعالى (بات) معروف ومصدره بيات وبيت الأمر دبره بالليل (بغتة) فجأة (بروج) جمع برج وهو الحصن، وبروج السماء منازل الشمس والقمر (بين) ظرف وبين يدي الشيء ما تقدّم قبله، والبين الفراق والاجتماع لأنه من الأضداد (بينات) براهين من المعجزة وغيرها ومبيّنة من البيان (يبيّن) من البيان وله معنيان: بين غير متعد، ومبين لغيره (بدا) يبدو بغير همز: ظهر، وأبديته: أظهرته، والبادي أيضًا من البداية، ومنه بادون في الأعراب (بدأ) بالهمزة من الابتداء ويقال بدأ الخلق وأبدأه، وقد جاء القرآن بالوجهين (بغى) له معنيان: العدوان على الناس، والحسد، والبغا بكسر الباء: الزنا، ومنه امرأة بغيّ أي زانية، وابتغاء الشيء وبغاه: أي طلبه (بث) الحديث وغيره نشره، والمبثوث: المنتشر، ومبثوثة متفرقة، والبثّ الحزن الشديد، ومنه أشكو بثّي (بوّأ) أنزل الرجل ومنه بوّأكم في الأرض، ولنبوّأنهم، ومبوأ (بوار) هلك، ومنه قومًا بورًا أي هلكى (باء). بالشيء رجع به، وقد يقال بمعنى اعترف (بأساء) الفقر والبؤس والعدّة والمحنة، والبائس: الفقير من البؤس، والبأس: القتال والشجاعة، والمكروه، وبأس الله عذابه وبئس كلمة ذمّ (برزخ) شيء بين شيئين، والبرزخ ما بين الموت والقيامة (بديع) له معنيان جميل، ومبدع أي خالق الشيء ابتداء (بسر) عبس ومنه: باسرة (بصير) من أبصر، يقال: أبصرته وبصرته، والبصائر

البراهين جمع بصيرة (برز) ظهر ومنه: بارزة وبارزون (بطش) أخذ بشدّة (بخس) نقص (بعل) له معنيان زوج المرأة وجمعه بعولة، والبعل أيضًا الرب، وقيل اسم صنم، ومنه: أتدعون بعلاً (بهجة) حسن، وبهيج حسن (مبلسون) جمع مبلس وهو البائس، وقيل الساكت الذي انقطعت حجته، وقيل الحزين النادم منه يبلس ومنه اشتق إبليس (بهت) انقطعت حجته (تبارك) من البركة، وهي الكثرة والنماء، وقيل تقدّس (بلى) جواب يقتضي إثبات الشيء (بل) معناها الإضراب عمّا قبلها (الباء) للإلصاق، ولنقل الفعل في التعدّي، وللقسم، وللتعليل، وللمصاحبة، وللاستعانة، وظرفية وزائدة.

حرف التاء: (تلا) يتلو: له معنيان: قرأ، واتبع (تقوى) مصدر مشتق من الوقاية فالتاء بدل من الواو: معناه الخوف والتزام طاعة الله وترك معاصيه، فهو جامع لكل خير (تاب) يتوب رجع توبة وتوبا فهو تائب، وتوّاب: كثير التوبة، وتوّاب: اسم الله تعالي: أي كثير التوبة على عباده، وتاب الله على العبد: ألهمه التوبة وقبل توبته (تباب) خسران، وتب: خسر (تبار) هلاك، ومنه متبر (أترفوا) أنعموا، والمترفون: المنعمون في الدنيا.

حرف الثاء: (ثمود) قبيلة من العرب الأقدمين (ثوى) في الموضع أقام فيه ومنه مثوى (ثبور) هلاك، ومنه دعوا هنالك ثبورًا أي صاحوا هلاكًا (ثمر) ما يؤكل مما تنبت الأرض ويقال بالفتح والضم (ثقفوا) أخذوا وظفر بهم، ومنه فإمّا تثقفنهم في الحرب (ثاقب) مضيء (ثم) بالفتح ظرف، وبالضم حرف عطف يقتضي الترتيب والمهلة، وقد يرد لغير الترتيب، كالتأكيد، وترتيب الأخبار.

حرف الجيم: (جعل) له أربعة معان: صير، وألقى، وخلق، وأنشأ يفعل كذا (جناح) الطائر: معروف وجناح الإنسان إبطه، ومنه: اضمم إليه جناحك، ولا جناح: لا إثم فمعناه الإباحة، وجنح للشيء مال إليه (لا جرم) لا بدّ (اجتبى) اختار (جدال) مخالفة ومخاصمة واحتجاج (تجأرون) تصيحون بالدعاء (جواري) جمع جارية وهي السفينة (أجرم) فهو مجرم، له معنيان: الكفر، والعصيان (جنة) الجنون، وقد جاء بمعني الملائكة (جانّ) له معنيان: الجن والحية الصغيرة (جنة) بالفتح البستان، وبالكسر الجنون، وبالضم الترس وما أشبهه مما يستتر به، ومنه استعير: أيمانهم جنة (جاثية) أي على ركبهم لا يستطيعون مما هم فيه وقوله جثيا جمع جاث (الجزر) الأرض التي لا نبات فيها (جاثمين) باركين على ركبهم (جبار) اسم الله تعالى له معنيان: قهار، ومتكبّر. وقد يكون من الجبر للكسير وشبهه، والجبار أيضًا الظالم (أجداث) قبور (جزى) له معنيان من الجزاء بالخير والشرّ وبمعني أغنى، ومنه: لا تجزي نفس. وأما أجزأ بالهمز فمعناه كفى (جرح) له معنيان من الجروح وبمعنى الكسب والعمل، ومنه جرحتم بالنهار. واجترحوا السيئات، ولذلك سمّيت

كلاب الصيد جوارح لأنها كواسب لأهلها (جنب) له معنيان من الجنابة وبمعنى البعد ومنه: عن جنب.

حرف الحاء: (حمد) هو الثناء سواء كان جزاء على نعمه أو ابتداء، والشكر إنما يكون جزاء، فالحمد من هذا الوجه أعمّ، والشكر باللسان والقلب والجوارح، ولا يكون الحمد إلاّ باللسان، فالشكر من هذا الوجه أعمّ (حميد) اسم الله تعالى أي بمعنى محمود (حكمة) عقل أو علم وقيل في الكتاب والحكمة هي السُنّة (حكيم) اسم الله من الحكمة ومن الحكم بين العباد، أو من إحكام الأمور وإتقانها (حليم) الحلم العقل وقد يقال بمعنى العفو، والأحلام العقول، والحليم من أسماء الله تعالى، قيل الذي لا يعجل بالعقوبة على مَن عصاه، وقيل معناه العفو عن الذنوب، والأحلام ما يرى في النوم (حبط) بطل وأحبطه الله أبطله (حنيف) مسلم وموحد الله، وقيل حاج، وقيل مختتن، والجمع حنفاء (محصنين ومحصنات) الإحصان له أربع معانٍ: الإسلام والحرّية، والعفاف، والتزوّج. وليحصنكم من بأسكم: بغيكم (حجة) بالضم: دليل وبرهان وحاجّ فلان فلانًا: جادله، وحجة عليه: بالحجة، والحج بالفتح والكسر: القصد، ومنه أخذ حج البيت، وحجة بالكسر سنة، وجمعها حجج (حطة) أي حط عنّا ذنوبنا وقيل كلمة بالعبرانية تفسيرها لا إله إلاّ الله (حضر) بالضاد من الحضور، ومنه محضرون، وشرب محتضر، وبالظاء: من المنع، ومنه: وما كان عطاء ربك محظورًا، و... المحتظر، وبالذال من الحذر وهو الخوف، ومنه: إنّ عذاب ربك كان محذورًا (... ه وحفظ الشيء حراسته، والحفيظ: اسم الله تعالى، قيل معناه العليم ... ن المهالك (حاق) بهم أي حلّ بهم (حبل) من الله ومن ال... رآن وأصله بالحبل المعروف (حسب) بكسر السين ظن، م... بالفتح من العدو ومضارعه بالضم ومنه الحساب والحسبا... رام، واحداها حسبانة (حساب) من الظن والعدد وبغير ح... ون من المحاسبة أن لا يحاسب عليه ومن التقدير أي بغي... افيًا (حسب) اسم الله تعالى، فيه أربعة أقوال: كافي، وعال... لله) أي كافيك (حزن) تأسف على ماضٍ أو حال الخوف تر... بكسر الزاي، وحزنه غيره، وأحزنه أيضًا (حصير) مجلس ... : حبس عنه، وحسير بالسين: كليل (حصيد) هو ما يحصد من ... م وحصيد، أي باقٍ وزاهد (حميم) له معنيان الصديق، والماء الحارّ (محيص ... جر) له أربعة معانٍ: الحرام، والعقل، ومنازل ثمود، وحجر الكعبة (حمل) بكسر الحاء: ما على ظهر الدابّة وغيرها، ويستعار للذنوب، وبالفتح ما في بطن المرأة وجمعه أحمال (إحسان) له ثلاث معانٍ: فعل الحسنات، والإنعام على

الناس، ومراقبة الله تعالى المشار إليها في قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» (حق) له أربعة معانٍ: الصدق، والعدل في الحكم، والشيء الثابت، والأمر الواجب والحق: اسم الله تعالى: أي الواجب الوجود (حاصب) أي ريح شديدة سميت بذلك لأنها ترمي بالحصباء أي الحصا، والحاصب أيضًا: الحجارة (حلية) حلي (حرج) ضيق أو مشقة (حول) له معنيان: العامّ، والحيلة، وحِولا بكسر الحاء: انتقالاً (حرث) الأرض مصدر ثم استعمل بمعنى الأرض والزرع والجنات (حس) بغير أَلِفٌ قتل ومنه: إذ تحسونهم، وأحس من الحس (حرم) بضمتين محرمون بالحج (حقب) بضمتين، وأحقاب جمع حقب، وهو مدّة من الدهر يقال إنه ثمانون سنة (حفّ) الشيء بالشيء أطاف به من جوانبه ومنه حففناهما بنخل، والملائكة حافين (حل) بالمكان يحلّ بالضم والكسر، وحلّ من إحرامه يحلّ بالكسر لا غير (حطام) فتات، والحطام ما تحطم من عيون الزرع اليابس.

حرف الخاء: (خلق) له معنيان: من الخلقة ومنه الخالق اسم الله وكذا الخلاّق. وخلق الرجل كذب ومنه تخلقون إفكًا، واختلاق: أي كذب (خلاق) نصيب (خير) ضدّ الشر، وله أربعة معانٍ: العمل الصالح والمال، والخيرة، والتفضيل بين شيئين (خلا) له معنيان: من الخلوة، وبمعنى ذهب ومنه: أمّة قد خلت (خطيئة) ذهب، وجمعه خطايا وخطيات، والفعل منه خطيء فهو خاطيء، وأما الخطأ بغير عمد فالفعل منه أخطأ (خاسئين) مطرودين من قولك خسئت الكلب ومنه: اخسؤوا فيها (خلف) بفتح الخاء وإسكان اللام، وله معنيان وراء، ومن خلف خلفه: بشر، فإذا خلفه بخير قيل بفتح اللام (خلاف) له معنيان من المخالفة، وبمعنى بعد، أو دون، ومنه: بمقعدهم خلاف رسول الله (خوّل) أعطى (خلة) بضم الخاء مودّة ومنه الخليل، وجمع أخلاء (خلال) له معنيان: وداد، ومنه: لا بيع فيه ولا خلال، وبمعنى بين، ومنه خلال الديار، وخلالكم (خرّ) يخرّ سقط على وجهه (خامدون) هالكون، وأصله من خمود النار (خطب) الخطب سبب الأمر والخطب أيضًا الأمر العظيم. وخطبة النساء بالكسر، وخطبة الخطيب بالضم (يخرصون) يكذبون، ومنه: يخرصون والخرص أيضًا التقدير وقيل: يخرصون منه: أي يقولون بالظن من غير تحقيق (خوّان) كثير الخيانة (مختال) من الخيلاء (مخمصة) من الخمص وهو الجوع (أخدان) جمع خدن وهو الخليل (خراج، وخرج) أي أجرة وعطية.

حرف الدال: (دين) له خمسة معانٍ: الملة، والعادة، والجزاء، والحساب، والقهر (دأب) له معنيان: عادة، وجدّ، وملازمة، ومنه: سبع سنين دأبًا: متتابعة للزراعة من قولك: دأبت على الشيء: دمت عليه (أدنى) له معنيان: أقرب من الدنو، وأقل فهو من الداني الحقير (دار السلام) الجنة (دوائر) صروف الدهر، وأحدها دائرة، ومنه دائرة السوء (دعاء) له خمسة معانٍ: الطلب من الله، والعبادة، ومنه: تدعون من دون الله، والتمنّي:

ولهم فيها ما يدّعون، والنداء: ادعوا شهداءكم، والدعوة إلى الشيء: ادع إلى سبيل ربك (دابة) كل ما يدبّ فيجمع جميع الحيوان (دحور) إبعاد، ومنه المدحور المطرود (دعّ) بتشديد العين، يدع: أي دفع بعنف، ومنه يدع اليتيم، ويدعون إلى نار جهنم دعًا (درأ) دفع، ومنه يدرؤون (مدرارًا) من درّ المطر إذا صب (داخرين) صاغرين (دكت) الأرض: أي دقت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض ومنه: جعله دكًا: أي مستويًا مع الأرض.

حرف الذال: (ذكر) له أربعة معانٍ: ضدّ النسيان، وذكر باللسان، والقرآن، ومنه: نزلنا الذكر، والشرف ومذكر مفعل من الذكر (ذنوب) بضم الذال: جمع ذنب، وبالفتح النصيب، ومنه ذنوبًا مثل ذنوب أصحابهم: أي نصيبًا من العذاب، والذنوب أيضًا: الدلو (ذبح) بكسر الذال: المذبوح، وبالفتح المصدر (ذرأ) خلق ونشر (ذلول) مذللة للعمل من الفلك ومنه: ذلّلناها لهم، ورجل ذلول: من الذلّ بالضم، وذللت قطوفها أدنيت (أذقان) جمع ذقن.

حرف الراء: (رب) له أربعة معانٍ: الإله، والسيد، والمالك الشيء، والمصلح للأمر (ريب) شك، ومنه: ارتابوا، ومريب، وريب المنون: حوادث الدهر (رجع) يستعمل متعديًا بمعنى ردّ وغير متعدٍّ، والمرجع اسم مصدر أو زمان أو مكان من الرجوع (رعي) له معنيان: من النظر، ومن رعي الغنم (روح) له أربعة معانٍ للنفس التي بها الحياة: يسألونك عن الروح، والوحي: ينزل الملائكة بالروح، وجبريل: نزل به الروح الأمين، وملك عظيم: تنزل الملائكة والروح، وروح بفتح الراء رائحة طيبة، والريحان: الرزق، وقيل الشجر المعروف (ركام) بعضه فوق بعض، ومنه مركوم، ويركمه (رجا) طمع وقد يستعمل في الخوف، ومنه لا يرجون لقاءنا (رجال) جمع رجل، وجمع راجل: أي غير راكب، ومنه: يأتوك رجالاً، ومثله بخيلك ورجلك (رفث) له معنيان: الجماع، والكلام بهذا المعنى (رجز) عذاب. والرجز فاهجر: فهي الأوثان والرجس بالسين: النجس حقيقة، أو مجازًا، وقد يستعمل بمعنى العذاب (رهب) خوف، ومنه: يرهبون (رؤوف) من الرأفة وهي الرحمة إلا أنّ الرأفة في دفع المكروه، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل، فهي أعمّ من الرأفة (مرضاة) مفعلة من الرضا (راسيات) ثابتات، ومنه: قيل للجبال: رواسي، ومنه: مرساها (راغدًا) أي كثيرًا (ربوة) مكان مرتفع (ربًا) هو في اللغة الزيادة، ومنه: ويربي الصدقات، وربت الأرض: انفتحت (أرحام) جمع رحم، وهو فرج المرأة ويستعمل أيضًا في القرابة (أرجئه) أخّره، ومنه: ترجى ويرجون، ويجوز فيه الهمز وتركه (رأى) من رؤية العين يتعدّى إلى واحد، ومن رؤية القلب بمعنى العلم: يتعدّى إلى مفعولين (تربص) انتظر (رفات) فتات (أرذل) العمر: الهرم، والأرذلون: من الرذالة (رقى) من الرقية بفتح القاف،

ومنه: وقيل من راق، ورقي في السلم بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل (أرداكم) أهلككم، والردى الهلاك، ومنه: تردين، وتردى (رجفة) زلزلة وشدّة.

حرف الزاي: (زبر) بضمتين كتب، والزبور كتاب داود عليه السلام (زخرف) زينة والزخرف أيضًا: الذهب (زكاة) له في اللغة معنيان: الزكاة، والطهارة، ثم استعمله الشرع في إعطاء المال، وهو من الزيادة، لأنه يبارك له فيه فيزيد، أو من الطهارة لأنه يطهره من الذنوب، وزكّيت الرجل: أثنيت عليه، وزكا هو مخفّفة أي صار زكيًا (زوج) له ثلاث معانٍ: الرجل، والمرأة، وقد يقال زوجة، والمعنى الصنف والنوع، ومنه: أزواج من نبات، ومن كل زوج كريم (زلّ) له معنيان: زلّ القدم عن الموضع، وفعل الزلل (زاغ) عن الشيء زيغًا مال عنه وأزاغه غيره: أماله (زلفى) قربى، وأزلفت: قربت، وزلفًا من الليل: ساعات (زعم) أي ادّعى، ولم يوافقه غيره، قال ابن عباس: زعم كناية عن كذب (زعيم) ضامن (تزجى) تسوق (زلزلة) الأرض: اهتزازها، وتستعمل بمعنى الشدّة والخوف، ومنه: زلزلوا (زجرة) واحدة: صيحة بمعنى نفخة الصور، والزجرة: الصيحة بشدّة وانتهار، وازدجر: من الزجر.

حرف السين: (أسباط) جمع سبط وهم ذرية يعقوب عليه السلام كان له اثني عشر ولدًا ذكرًا فأعقب كل واحد منهم عقبًا، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب (سبيل) هو الطريق، وجمعه سبل، ثم استعمل في طريق الخير والشر، وسبيل الله: الجهاد وابن السبيل، الضيف وقيل القريب (سوّى) بالتشديد له معنيان: من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء، وبمعنى أتقن وأحسن، ومنه فسوّاك فعدلك (سواء) بالفتح والهمز من التسوية بين الأشياء، وسواء الجحيم: وسطها، وسواء الصراط: قصد الطريق (سوى) بالكسر والضم مع ترك الهمزة استثناء، وقد يكون من التسوية (سفهاء) جمع سفيه وهو الناقص العقل، وأصل السفه: الحمق ولذلك قيل لمبذّر المال سفيه، وللكفّار والمنافقين: سفهاء (سلوى) طائر يشبه السماني، وكان ينزل على بني إسرائيل مع المنّ (سأل) له معنيان طلب الشيء، والاستفهام عنه، وسال بغير همز من المعنيين المذكورين، ومن السيل (سبحان) تنزيه، وسبحان الله: أي نزّهته عمّا لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفات الحدوث وجميع العيوب والنقائص (سار) يسير مشي ليلاً أو نهارًا (سرى) يسري مشى ليلاً، ويقال أيضًا: أسرى بألف (سخر) يسخر بالكسر في الماضي والفتح في المضارع: أي استهزأ، وسخر بالتشديد من التسخير (سخريًا) بضم السين من السخرة وهي تكليف الأعمال، وبالكسر من الاستهزاء (سلطان) له معنيان البرهان، والقوّة، ومنه لا ينفذون إلا بسلطان (سام) يسوم أي كلف الأمر وألزمه، ومنه يسومونكم سوء العذاب،

وأصله من سوم السلعة في البيع (سئم) يسأم: أي ملّ، ومنه: وهم لا يسامون (سنة) أي عادة (سلف) الأمر: أي تقدّم، وأسلفه الرجل: أي قدّمه، ومنه هنيئًا بما أسلفتم (سراء) فعلاء من السرور (سارع) إلى الشيء: بادر إليه (سوءة) عورة، والسوء ما يسوء بالفتح والضم، والسوآى فعلاء من السوء، وسيء بهم: فعل بهم السوء (سنة) بفتح السين: عامّ، ولامها محذوفة وجمعها سنون وقد تقال بمعنى الحفظ والجذب (سنة) بكسر السين ابتداء النوم وفاؤها واو محذوفة لأنها من الوسن (سلك) يسلك له معنيان أدخل ومنه اسلك يدك وسلكه ينابيع، ومنه سلوك الطريق (أسفار) جمع سفر بفتحتين، وجمع سفر وهو الكتاب (ساح) يسيح أي سار، ومنه فسيحوا في الأرض. والسائحون الصائمون (سوّل) بتشديد الواو: زين، ومنه: سوّلت لكم أنفسكم أمرًا (سرابيل) جمع سربال وهو القميص (سبأ) قبيلة من العرب (سموم) شدّة الحرّ (سلام) له ثلاثة معانٍ: التحية، والسلامة، والقول الحسن، ومنه: إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا (سلام) اسم الله تعالى معناه السلامة من كل نقص، فهو من أسماء التنزيه، وقيل سلم العباد من المهالك، وقيل ذو السلام على المؤمنين في الجنة (سلم) بفتحتين: انقياد وإلقاء باليد، وهو أيضًا بيع (سلم) بفتح السين وإسكان اللام صلح ومهادنة (سلم) بكسر السين وإسكان اللام ومعناه الإسلام، وبضم السين وفتح اللام مشدّدة: هو الذي يصعد فيه (أسلم) يسلم له ثلاث معانٍ: الدخول في الإسلام، والإخلاص لله، والانقياد، ومنه: فلما أسلما (سعى) يسعى، له ثلاث معانٍ: عمل عملاً، ومنه وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، ومشى، ومنه: فاسعوا إلى ذكر الله، وأسرع في مشيه، ومنه: رجل يسعى (سكن) يسكن له معنيان: من السكون ضدّ الحركة، ومن السكنى في الموضع (سكينة) وقار وطمأنينة (سائغ) سهل الشرب لا يغصّ من شربه (سابغات) دروع واسعات (أساطير) الأوّلين: ما كتبه المتقدّمون (مسيطر) أي مسلط، وأم هم المسيطرون: الأرباب (سندس) وإستبرق: ثياب حرير، قيل السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: صفيقه (سحقًا) بعدًا، ومنه مكان سحيق: أي بعيد (سعير) جهنم، وسعرت: أوقدت (سبب) وجمعه أسباب له خمسة معانٍ: الحبل، ومنه فليمدد بسبب إلى السماء، والاستعارة من الحبل في المودّة والقرابة، ومنه، وتقطعت بهم الأسباب، والطريق ومنه: فأتبع سببًا، والباب ومنه: أسباب السمٰوات، وسبب الأمر: موجبه.

حرف الشين: (شعر) بالأمر يشعر: أي علمه، والشعور: العلم من طريق الحسّ، ومنه: لا يشعرون (شهد) يشهد له معنيان: من الشهادة على الشيء، ومن الحضور، ومن الشهادة في سبيل الله (شكرًا) قد تقدّم في الحمد والشكر، والشكور: اسم الله المجازي لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب، وقيل المثنى على العباد (شرى) أي باع، وقد يكون بمعنى اشترى (شقاق) عداوة ومعاندة، ومنه: ومَن يشاقق الله (شهاب) كوكب، وقد يطلق

على شعلة النار (شجر) هو كل ما ينبت في الأرض، وشجر بينهم: أي اختلفوا فيه (شنآن) عداوة وشرّ، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها (شرع) الله الأمر: أي أمر به، والشريعة والشرعة: الملّة وشرعة الماء: في الدواب، شعائر الله: معالم دينه، واحدها شعيرة أو شعارة (شرك) له معنيان: من الإشراك، وهو أيضًا النصيب، ومنه أم لهم شرك في السمٰوات (شركاء) جمع شريك (مشحون) أي مملوء.

حرف الصاد: (صراط) هو في اللغة الطريق ثم استعمل في القرآن بمعنى الطريقة الدينية، وأصله بالسين ثم قلبت صادًا لحرف الإطباق بعدها، وفيه ثلاث لغات: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي (صلاة) إذا كانت من الله فمعناها رحمة، وإذا كانت من المخلوق فلها معنيين: الدعاء، والأفعال المعلومة (صوم) أصله في اللغة الإمساك مطلقًا، ثم استعمل شرعًا في الإمساك عن الطعام والشراب، وقد جاء بمعنى الصمت في قوله: إني نذرت للرحمن صومًا، لأنه إمساك عن الكلام (صدقة) يطلق على الزكاة الواجبة، وعلى التطوّع، ومنه إنّ المصدّقين والمصدّقات، وأما ﴿أئنك لمَن المصدّقين﴾ [الصافات: ٥٢] بالتخفيف فهو من التصديق (صدقة) بضم الدال صداق المرأة، ومنه: وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة. والصدق في القول: ضدّ الكذب، والصدق في الفعل صدق النيّة فيه، والصدق في القصد: العزم الصادق (صعد) يصعد: أي ارتفع، وأصعد بالألف يصعد بالضم: أي أبعد في الهروب، ومنه إذ تصعدون، صعيدًا طيبًا: أي ترابًا، والصعيد: وجه الأرض (صَدّ) له معنيان فالمتعدّي بمعنى منع غيره من شيء، ومصدره صدّ، ومضارعه بالضم، وغيره بمعنى أعرض ومصدره صدود (صار) له معنيان: من الانتقال ومنه: تصير الأمور، والمصير، وبمعنى ضم، ومضارعه يصوّر ومنه: فصرهنّ إليك (صاعقة) له ثلاثة معانٍ: الموت، وكل بلاء يصيب، وقطعة نار تنزل من شدّة الرعد والمطر، وجمعها صواعق (أصرّ) على الذنب يصرّ إصرارًا: دام عليه ولم يتب منه (صواع) مكيال وهو السقاية والصاع، وسواع بالسين اسم صنم (صابئين) قوم يعبدون الملائكة ويقولون إنها بنات الله، وقيل إنهم يرون تأثير الكواكب. وفيه لغتان: الهمز وتركه. من صبأ إلى الشيء: إذا مال إليه (تصطلون) تفتعلون من صبأ بالنار إذا تسخن بها والطاء بدل من التاء (اصطفى) أي اختار. وأصله من الصفي: أي اتخذه صفيًا (صغار) بفتح الصاد ذلّة. ومنه صاغرون. والصغير ضدّ الكبير (صدف) عن الشيء يصدف. أعرض عنه (صريخ) مغيث ومنه: ما أنا بمصرخكم (صلصال) طين يابس. فإذا مسّته النار فهو فخار (صرح) قصر وهو أيضًا البناء العالي.

حرف الضاد: (ضرب) له أربعة معانٍ: من الضرب باليد وشبهه. ومن ضرب الأمثال. ومن السفر. ومنه ضربتم في الأرض. ومن الالتزام. ومنه ضربت عليهم الذلّة. أي ألزموها، وضربنا على آذانهم: أي ألقينا عليهم النوم. و﴿ أفنضرب عنكم الذكر ﴾

[الزخرف: ٥] أي نمسك عنكم التذكير (ضاعف) الشيء: كثره. ويجوز فيه التشديد وضعف الشيء بكسر الضاد. مثلاه، وقيل مثله. والضعف أيضًا العذاب. والضعف بالضم ويجوز فيه الفتح (ضرّ) بفتح الضاد وضمها بمعنى واحد. وكذلك الضمير بالياء. ومنه لا يضركم كيدهم. والضرّ ما يصيب من المرض وشبهه (ضحى) أوّل النهار. والفعل منه أضحى. وأما ضحي بكسر الحاء. يضحى في المضارع. فمعناه برز للشمس وأصابه حرّها. ومنه لا تظمأ فيها ولا تضحى (ضيف) يقال للواحد والاثنين والجماعة (ضيق) بكسر الضاد مصدر. وبفتحها مع إسكان الياء: تخفيف من ضيق المشدّد: كميت وميت.

حرف الطاء: (طبع) ختم، والخاتم الطابع (طول) بفتح الطاء: فضل أو غنى (طائر) له معنيان: من الطيران ومن الطيرة (طوى) قيل اسم الوادي وقيل معناه مرتين، أي قدس الوادي مرتين (طهارة) له معنيان: الطهارة بالماء، ومنه: جنباً فاطّهروا، والماء الطهور وهو المطهر، والطهارة من القبائح والرذائل، ومنه: أُناس يتطهرون. (طيب) له معنيان: اللذيذ، والحلال (طوفان) السيل العظيم (طاغوت) أصنام وشياطين، ويكون مفردًا أو جمعًا، والطاغوت أيضًا: رؤوس النصارى على قول (طباق) بعضها على بعض، وطبقًا عن طبق: حالاً بعد حال (طور) جبل وهو الطور (طفق) يفعل كذا: أي جعل يفعله (طائفين) من الطواف، وطائف من الشيطان لمم وقرىء طيف.

حرف الظاء: (ظهر) الأمر: بدا، وأظهره غيره: أبداه، وظهير: معين (ظاهر) الرجل من امرأته، وتظاهر، وتظهر: أي قال لها: أنت عليّ كظهر أُمي، وهو الظاهر (ظهر) البيت أعلاه وظهرته أي ارتفعت عليه، ومنه: فما اسطاعوا أن يظهروه (ظلم) وقع في القرآن على ثلاثة معانٍ: الكفر، والمعاصي، وظلم الناس: أي التعدّي عليهم (ظنّ) له ثلاثة معانٍ: التحقيق، وغلبة أحد الاعتقادين، والتهمة (ظمىء) عطش (ظلال) جمع ظل، وظلل بالضم جمع ظلة وهي ما كان من فوقه وظل بالنهار بمنزلة بات بالليل.

حرف العين: (عاذ) بالله يعوذ أي استجار به ليدفع عنه ما يخاف، ويقال أيضًا استعاذ يستعيذ، ومنه عذت بربّي، ومعاذ الله (العالمين) جمع عالم، وهو عند المتكلمين: كل موجود سوى الله تعالى، وقيل العالمين: الإنس والجن والملائكة، فجمعه جمع العقلاء، وقيل الإنس خاصة، لقوله: ﴿ أتأتون الذكران من العالمين ﴾ [الشعراء: ١٦٥] (يعمهون) يتحيّرون في ضلالهم، والعمه: الحيرة (عدل) يعدل: ضدّ جار، وعدل عن الحق، عدولاً، وعدلت فلانًا بفلان: سوّيت بينهما، ومنه: أو عدل ذلك صيامًا (عزيز) اسم الله تعالى، معناه: الغالب، وعزّ: غلب، ومنه: وعزني في الخطاب، والغلبة ترجع إلى القوّة والقدرة، ومنه: فعززنا بثالث: أي قوّينا، وقيل العزيز القديم المثل (عفا) له أربعة معانٍ: عفا عن

الذنب: أي صفح عنه، وعفا: أسقط حقه، ومنه إلاّ أن يعفون أو يعفو الذي، وعفا القوم: كثروا، ومنه: حتى عفوا، وعفا المنزل: إذا درس (عفو) له ثلاث معانٍ، العفو عن الذنب، والإسقاط، والسهل من غير كلفة: ومنه: ماذا ينفقون قل العفو (عين) بكسر العين وإسكان الياء: وهو جمع عيناء (عنت) معناه الهلاك أو المشقة، ومنه: ولو شاء الله لأعنتكم: أي أهلككم، أو ضيق عليكم، والعنت أيضًا: الزنا، ومنه: ذلك لمن خشي العنت منكم. وأمّا عنت الوجوه: فليس من هذا، لأنّ لامه واو فهو من عنا يعنو إذا خضع (عاقب) له معنيان: من العقوبة على الذنب، ومن العقبى، ومنه: وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم: أي أصبتم عقبًا (أعجاز) نخل: أصولها، أعجز الشيء: إذا فات ولم يقدر عليه، ومنه: وما هم بمعجزين، وما كان الله ليعجزه من شيء، وأما معاجزين بالألف: فمعناه مسابقين (عال) يعيل عيلة: أي افتقر ومنه: ووجدك عائلاً، وعال يعول: عدل عن الحق، وعال يعول أيضًا: كثر عياله، والأشهر أن يقال في هذا المعنى أعال بالألف (عرج) يعرج بفتح الراء في الماضي، وضمها في المضارع صعد وارتقى ومنه المعارج، وعرج بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل: صار أعرج (عتبى) معناه الرضى، ومنه: فما هم من المعتبين، ولا هم يستعتبون، العتاب العدل (أعدّ) بالألف يسدّ الشيء: هيأه، وعدّ بغير الألف من العدد (عرش) سرير الملك، ومنه: ورفع أبويه على العرش، وأهكذا عرشك، وعرش الله فوق السماء، وتعرشون تبنون، وعلى عروشها سقوفها (عورة) أصل معناه الانكشاف فيما يكره كشفه، ولذلك قيل عورة الإنسان، عورات: أي أوقات انكشاف، وبيوتنا عورة: أي خالية معرّضة للسراق (عاقر) له معنيان: المرأة العقيم، واسم فاعل من عقر الحيوان (عبر) يعبر، له معنيان من عبارة الرؤيا ومنه: إن كنتم للرؤيا تعبرون، ومن الجواز على الموضع، ومنه: عابر سبيل (عموناً) جمع عم، وهو صفة على وزن فعل بكسر العين من العمى في البصر أو في البصيرة (علا) يعلو: تكبر، ومنه قولنا عالين، وعلا في الأرض، والعليّ اسم الله، والمتعالي، والأعلى: من العلوّ بمعنى الجلال والعظمة، وقيل بمعنى التنزيه عن عمّا لا يليق به (عزب) الشيء: غاب، ومنه: لا يعزب عن ربك: أي لا يخفى عنه (عصبة) جماعة من العشرة إلى الأربعين (علقة) واحدة العلق: وهو الدم (عاصف) ريح شديدة (عصف) ورق الزرع.

حرف الغين: (غشاوة) غطاء إمّا حقيقة أو مجاز (غمام) هو السحاب (غلف) جمع أغلف، وهو كل شيء جعلته في غلاف: أي قلوبنا محجوبة (غرفة) بضم الغين لها معنيان: المسكن المرتفع، والغرفة من الماء بالضم وبالفتح: المرة الواحدة (غادر) ترك، ومنه لم نغادر (غل) يغل: من الغلول، وهو الخيانة والأخذ من المغنم بغير حق، والغل الحقد (أغلال) جمع غل بالضم، وهو ما يجعل في العنق، ومنه مغلولة (غلا) يغلو من الغلوّ وهو

مجاوزة الحدّ والإفراط، ومنه لا تغلوا في دينكم أي لا تجاوزوا الحدّ (غائط) المكان المنخفض، ثم استعمل في حاجة الإنسان (غشي) الأمر يغشى بالكسر في الماضي والفتح في المضارع معناه غطى حسًّا ومعنىً، ومنه: والليل إذا يغشى؛ لأنه يغطي بظلامه، وينقل بالهمزة والتشديد، فيقال غشي وأغشى، ومن فوقهم غواش يعني ما يغشاهم من العذاب أو يصيبهم، ومنه: غاشية من عذاب الله، والغاشية أيضًا: القيامة؛ لأنها تغشى الخلق (غبر) له معنيان: ذهب وبقي، ومنه عجوزًا في الغابرين: أي في الهالكين أو في الباقين في العذاب (غرور) بضم الغين. وبفتحها: اسم فاعل مبالغة، ويراد به إبليس (غاض) الشيء: نقص، ومنه: وغيض الماء. وتغيض الأرحام. وغاظ بالظاء يغيظ من الغيظ (غور) غاير من غار الماء إذا أذهب (غرام) عذاب ومنه: إنّا لمغرمون، والمغرم: غرم المال ومنه: من مغرم مثقلون.

حرف الفاء: (فرقان) مفرّق بي الحق والباطل. ومنه: يجعل لكم فرقانًا: أي تفرقة. ولذلك سمي القرآن بالفرقان (فئة) جماعة من الناس (فصال) فطام من الرضاع (فضل) له معنيان: الإحسان، والربح في التجارة وغيرها. ومنه: يبتغون من فضل الله (فسق) أصله الخروج وتارة يرد بمعنى الكفر. وتارة بمعنى العصيان (فتنة) لها ثلاثة معانٍ: الكفر. والاختبار. والتعذيب (فاء) يفيء أي رجع (فلك) بضم الفاء: سفينة. ويستوي فيه المفرد والجمع (فلك) بفتحتين القطب الذي تدور به الكواكب (فزع) له معنيان: الخوف والإسراع. ومنه: إذا فزعوا فلا فوت (فرح) له معنيان: السرور والبطر (فاحشة) وفحشاء: هي كل ما يقبح ذكره من المعاصي (فرض) له معنيان: الوجوب. والتقدير (فتح) له معنيان فتح الأبواب. ومنه فتح البلاد وشبهها. والحكم ومنه: افتح بيننا وبين قومنا. ويقال للقاضي فاتح. واسم الله الفتاح: قيل الحاكم. وقيل خالق الفتح والنصر (انفضوا) تفرقوا (فطره) خلقه ابتداء. ومنه: فاطر السمٰوات والأرض. وفطرة الله: التي خلق الخلق عليها. وأفطر بالألف من الطعام (فطور) شقوق. ومنه انفطرت أي انشقّت. ويتفطرن (فج) طريق واسع وجمعه فجاج (فار التنور) يقال لكل شيء هاج وعلا حتى فاض. ومنه: وهي تفور. وقولهم فارت القدر (فوج) جماعة من الناس وجمعه أفواج (فاكهين) من التلذّذ بالفاكهة أو من الفكهة وهي السرور واللهو (فؤاد) هو القلب، وجمعه أفئدة (استفز) يستفز: أي استخف (فقه) فهم. ومنه: لا يفقهون. وما نفقه كثيرًا (في) حرف جر بمعنى الظرفية. وقد تكون للتعليل. وقد تكون بمعنى مع. وقيل بمعنى على (الفاء) لها ثلاثة أنواع: عاطفة. ورابطة. وناصبة للفعل بإضمار أن. ومعناها الترتيب والتعقيب والسبب.

حرف القاف: (قرآن) القرآن العزيز. ومصدره قرأ: أي تلا. ومنه إنّ علينا جمعه وقرانه (قنوت) له خمسة معانٍ: العبادة. والطاعة. والقيام في الصلاة. والدعاء. والسكوت

(قضاء) له سبعة معانٍ: الحكم، والأمر، والقدر السابق، وفعل الشيء، والفراغ منه، والموت، والإعلام بالشيء، ومنه: قضينا إليه ذلك الأمر (قدر) له خمسة معانٍ: من القدرة، ومن التقدير، ومن المقدار، ومن القدر، والقضاء، وبمعنى التضييق نحو: فقدر عليه رزقه، وقد يشدّ الفعل ويخفف. والقدر بفتح الدال وإسكانها القضاء والمقدار وبالفتح لا غير من القضاء (قام) له معنيان: من القيام على الرجلين، ومن القيام بالأمر بتقديره وإصلاحه، ومنه: ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾ [النساء: ٣٤]، وقام الأمر: ظهر واستقام، ومنه: الدين القيّم دين القيامة (أقام) له ثلاثة معانٍ: أقام الرجل غيره من القيام، ومن التقويم ومنه: جدارًا يريد أن ينقض فأقامه، وأقام في الموضع: سكن، ومنه مقيم أي دائم (قيوم) اسم الله تعالى وزنه فيعول وهو بناء مبالغة من القيام على الأمور: معناه مدبّر الخلائق في الدنيا وفي الآخرة ومنه: قائم على كل نفس: له معنيان: مصدر قام على اختلاف معانيه، وبمعنى قوام الأمر وملاكه، وقيم بغير ألف: جمع قيمة (قرض) سلف والفعل منه أقرض يقرض (أقسط) بألف: قسطًا: عدلاً في الحكم، ومنه يحب المقسطين، وقسط بغير ألف: جار، ومنه: وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا (مقاليد) فيه قولان: خزائن، ومفاتح (قدس) يقدس من التنزيه والطهارة، وقيل من التعظيم، والقدوس: اسم الله تعالى فعول من النزاهة عمّا لا يليق به (قال) يقول من القول، وقد يكون بمعنى الظن ومصدره قول، وقال يقيل: من القايلة، ومنه: أو هم قائلون، وأحسن مقيلاً (قفي) اتبع، وأصله من القفا، يقال أقفوته: إذا حبيت في أثره وقفيته بالتشديد: إذا سقت شيئًا في أثره، ومنه: وقفينا من بعده بالرّسل (قرن) جماعة من الناس، وجمعه قرون (قواعد) البيت: أساسه، واحدها قاعدة، والقواعد من النساء: واحدة قاعد، وهي العجوز (قربان) ما يتقرّب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها، وقربان أيضًا من القرابة (قلى) يقلي: أبغض، ومنه: وما قلى، ولعملكم من القالين (اقترف) اكتسب حسنة أو سيئة (قصص) له معنيان: من الحديث، ومن قصّ الأثر، ومنه: على آثارهما قصصا، وقصيه (قررت) به عينا، قرر بالكسر في الماضي والفتح في المضارع (قسطاس) ميزان (قتر) وقترة: غبار، وعبارة عن تغير الوجه، وقتور من التقتير (قارعة) داهية وأمر عظيم (قبس) شعلة نار (قنط) يئس من الخير (قرطاس) صحيفة وجمعه قراطيس.

حرف الكاف: (كافر) له معنيان: من الكفر وهو الجحود، وبمعنى الزرع، ومنه: أعجب الكفار نباته أي الزراع، وتكفير الذنوب غفرانها (كرّة) رجعة (كبر) بكسر الباء من السنّ يكبر بالفتح في المضارع، وكبر الأمر بالضم في المضارع والماضي، وكبر بضم الكاف وفتح الباء: جمع كبرى، وكبار بالضم والتشديد: كبير مبالغة، والكبر: التكبّر، وكبر الشيء بكسر الكاف وضمها: معظمه، والكبرياء: الملك والعظمة، والمتكبّر: اسم الله

تعالى من الكبرياء، وبمعنى العظمة (كفل) يكفل: أي ضم الصبي وحضنه، وأكفلنيها اجعلني كافلها (كفيل) نصيب (كلالة) هي أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد (كاد) قارب الأمر ولم يفعله فإذا نفى اقتضى الإثبات (كريم) من الكرم وهو الحسب والجلالة والفضل، وكريم: اسم الله تعالى، أي محسن (أكنه) أغطيه وأكنان جمع كن، وهو ما وقى من الحرّ والبرد (كهل) هو الذي انتهى شبابه (أكمام) الثمار والنخيل جمع كم وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها (أكب) الرجل على وجهه فهو مكب، وكبه غيره بغير ألف (كهف) غار (كيد) هو من المخلوق احتيال، ومن الله مشيئة أمر ينزل بالعبد من حيث لا يشعر (كسفًا) بفتح السين جمع كسفة، وهي القطعة من الشيء وبالسكون كذلك أو مفرد (كبتوا) أي أهلكوا: أي يكبتهم، ثم يهلكهم، أو يخذلهم (أكمه) هو الذي ولد أعمى (كان) على نوعين: تامّة بمعنى حضر أو حدث أو وقع، وهي ترفع الفاعل. وناقصة: ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضي ثبوت الخبر للمخبر عنه في زمانها، وقد تأتي بمعنى الدوام في مثل قوله: ﴿وكان الله غفورًا رحيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، ﴿وكان ربك قديرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، وشبه ذلك، وهو كثير في القرآن، ومعناه: لم يزل ولا يزال موصوفًا بذلك الوصف (كأنّ) معناها التشبيه (كي) معناها التعليل (كم) معناها التكثير، وهي خبرية واستفهامية (كأين) بمعنى كم، وهي عند سيبويه كاف التشبيه دخلت على أي (كلا) حرف ردع وزجر، وقيل إنها تكون للنفي: أي ليس الأمر كما ظننت، وقيل إنها استفتاح كلام بمعنى إلا (الكاف) بمعنى التشبيه وبمعنى التعليل، وقيل إنها تكون زائدة.

حرف اللام: (لبس) الأمر أي خلطه بفتح الباء في الماضي وكسرها في المستقبل (ألباب) عقول، وهو جمع لب (لبث) في المكان أقام فيه (لمز) يلمز: أي عاب الشيء (لؤلؤ) جوهر (لغو) الكلام: الباطل منه، والفحش، ولغو اليمين: ما لا يلزم (لها) بفتح الهاء من اللهو، ومضارعه يلهو، ولهى عن الشيء بالكسر والياء يلهى بالفتح. إذا أعرض عنه وألهاه الشيء. إذا أشغله، ومنه لا تلهكم أموالكم (لطيف) اسم الله تعالى، قيل معناه رقيق، وقيل خبير بخفيات الأمور (لدى ولدن) معناها عند (ليت) معناها التمنّي (لعل) معناها الترجّي في المحبوبات، والتوقع للمكروهات، وأشكل ذلك في حق الله تعالى، فقيل جاءت في القرآن على منهاج كلام العرب وبالنظر إلى المخاطب: أي ذلك مما يرتجى عندكم أي يتوقع، وقد يكون معناها التعليل، أو مقاربة الأمر فلا إشكال (لولا) لها معنيان: التمنّي، وامتناع شيء لامتناع غيره (لما) لها معنيان: النفي وهي الجازمة ووجود شيء لوجود غيره وأما «لما» بالتخفيف، فهي لام التأكيد دخلت على ما، وقال الكوفيون هي بمعنى إلا الموجبة بعد النفي (لا) ثلاثة أنواع: نافية، وناهية، وزائدة (اللام) خمسة أنواع: لام الجر، ولام كي، ولام الأمر، ولام التأكيد في القسم وغيره وهي المفتوحة، ثم إن لام

الجر لها ثلاثة معانٍ. الملك، والاستحقاق، والتعليل. وقد تأتي للتعدّي إذا ضعف العامل، وقد تأتي بمعنى عند، نحو أقم الصلاة لدلوك الشمس، ولام كي معناها التشبيه والتعليل، وقد تأتي بمعنى الصيرورة والعاقبة، نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا. وقد تأتي بمعنى أن المصدرية، ومنه: يريد الله ليبيّن لكم.

حرف الميم: (مرض) الجسد معروف، ومرض القلب: الشك في الإيمان، والبغض في الدين (المنّ) شبه العسل، والسلوى طائر، والمنّ أيضًا: الإنعام، والمنّ أيضًا: العطية، والمنّ أيضًا: القطع، ومنه أجر غير ممنون (أماني) جمع أمنية ولها ثلاثة معان: ما تتمناه النفس، والتلاوة، والكذب. وكذلك تمني، له هذه المعاني الثلاثة (ملأ) القوم: أشرفهم، وذوو الرأي منهم (مثل) بفتح الميم والمثلثة، لها أربعة معانٍ: الشبيه والنظير ومن المثل المضروب، وأصله من التشبيه، ومثل الشيء حاله وصفته، والمثل الكلام الذي يتمثل به، ومثل الشيء بكسر الميم شبهه (مرية) شك، ومنه: الممترين أي الشاكين، لا تمار: من المراء وهو الجدال (أملى) لهم: أمهلهم وزادهم (مهاد) فراش (مدّ): أي أملى، وقد تكون بمعنى زاد مثل أمدّ بألف من المداد (مضغة) قطعة لحم (إملاق) فقر (مرد) فهو مارد: من العتوّ والضلال (مكانة) بمعنى مكان أي من التمكين والعز، ومنه مكين (مواخر) فواعل من المخر يقال مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء (مجيد) من المجد وهو الكرم والشرف (مقت) هو الذمّ أو البغض على ما فعل من القبيح (معين) ماء كثير جارٍ وهو من قولك: معن الماء إذا كثر، وقيل: هو مشتق من العين، ووزنه مفعول، فالميم زائدة (مارج) مختلط والمارج لهب النار، من قولك مرج الشيء إذا اضطرب، وقيل من الاختلاط أي خلط نوعين من النار (مرج) البحرين، أي خلّى بينهما، وقيل خلطهما، وقيل فاض أحدهما في الآخر (مهل) فيه قولان: درديّ الزيت، وما أُذيب من النحاس (منون) له معنيان: الموت، والدهر (مس) له معنيان: اللمس باليد وغيره، والجنون (من) لها أربعة أنواع: شرطية، وموصولة، واستفهامية، ونكرة موصوفة (ما) إذا كانت اسمًا فلها ستة أنواع: شرطية، وموصولة، واستفهامية، وموصوفة، وصفة، وتعجبية، وإذا كانت حرفًا فلها خمسة أنواع: نافية ومصدرية وزائدة وكافية ومبهمة (من) لها ستة أنواع: لابتداء الغاية، ولجملة الغاية، وللتبعيض، ولبيان الجنس والتعليل، وزائدة (مهما) اسم شرط.

حرف النون: (نظر) له معنيان. من النظر، ومن الانتظار، فإذا كان من الانتظار تعدّى بغير حرف، ومن نظر العين يتعدّى بإلى، ومن نظر القلب يتعدّى في (أنظر) بالألف أخر، ومنه أنظرني، ومن المنظرين ونظرة إلى ميسرة (نضرة) بالضاد من التنعّم، ومنه وجوه يومئذ ناضرة: أي ناعمة، وأمّا إلى ربها ناظرة، فمن النظر (نعمة) بفتح النون من النعيم وبكسرها من الإنعام (أنعام) هي: الإبل، والبقر، والغنم. دون سائر البهائم ويجوز تذكيرها وتأنيثها،

ويقال لها أيضًا نعم، ونعم كلمة مدح، ويجوز فيها كسر النون وفتحها، وإسكان العين وكسرها (نعم) بفتح العين والنون كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها بالنفي أو الإثبات، بخلاف بلى: فإنها للإثبات خاصة، ويجوز في نعم فتح العين وكسرها (ندّ) هو المضاهي والمماثل والمعانت، وجمعه أنداد (أنذر) أعلم بالمكروه قبل وقوعه، ومنه: نذير، ومنذر، والمنذرين، وكيف كان نذير: أي إنذاري فهو مصدر، ومنه عذابي ونذر، والنذر بغير ألف ومنه نذر، ثم من نذر: فليوفوا نذورهم (نكال) له معنيان: العقوبة، والعبرة (نجى) بتشديد الجيم له معنيان: من النجاة ومن النجوة: وهو الموضع المرتفع ومنه ننجيك ببدنك على قول (نجوى) معناه كلام خفيّ، ومنه: ناجى، وقرّبناه نجيا، وقيل إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس في قوله: وإذ هم نجوى، وقد يجمع ذلك على حذف مضاف تقديره وإذ هم أصحاب نجوى (نسيان) له معنيان: الذهول، ومنه إن نسينا أو أخطأنا، والترك ومنه: نسوا الله فنسيهم (نسخ) له معنيان: الكتابة، ومنه نستنسخ ما كنتم تعملون، والإزالة، ومنه: ما ننسخ من آية أو ننسها (نصر) بالصاد المهملة معروف، وبالسين اسم صنم: ويعوق ونسرا، أو اسم طائر أيضًا (نشوز) بالزاي: له معنيان شرّ بين الرجل والمرأة، وارتفاع، ومنه أنشزوا أي قوموا من المكان (نزل) بضمتين رزق، وهو ما يطعم الضيف (نأى) بعد ومنه ينأون عنه (نكص) رجع إلى وراء (نفر) نفورًا عن الشيء ونفر ينفر بضم المضارع، ومنه نفرت الدابّة، ونفر ينفر بكسر المضارع نفيرًا: أتى، أسرع، وجد، ومنه: انفروا في سبيل الله (نبأ) خبر، ومنه اشتق النبيء بالهمز، وترك الهمز تخفيفًا، وقيل إنه عند مَن ترك مشتق من النبوّة، وهي الارتفاع (نطفة) أي نقطة من ماء، ومنه خلقكم من نطفة يعني من المني (أناب) إلى الشيء: رجع ومال إليه، ومنه: منيب (نفذ) ينفذ أي تمّ وانقطع (نهر) بفتح الهاء الوادي، ويجوز الإسكان. ﴿وأمّا السائل فلا تنهر﴾ [الضحى: ١٠] فهو من الانتهار، وهو الزجر (منير) من النور، وهو الضوء حسًا أو معنًى (نصب) بضمتين وبضم النون وإسكان الصاد وبفتح النون وإسكان الصاد بمعنى واحد، وهو حجر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده وجمعه أنصاب (نصب) بفتحتين تعب، ومسّني الشيطان بنصب: أي بلاء وشر (نقم) الشيء ينقمه أي كرهه وعابه (نضيد) أي منصوب بعضه إلى بعض (نكير) إنكار، ويقال نكر الشيء وأنكره (نسل) بمعنى أسرع ومنه: ينسلون، من النسلان وهو الإسراع في المشي مع قرب الخطا.

حرف الهاء: (الهدى) له معنيان: الإرشاد والبيان، ومن البيان: فأما ثمود فهديناهم، والإرشاد قد يكون إلى الطريق، وإلى الدين، وبمعنى التوفيق والإلهام (هدى) بفتح الهاء وإسكان الدال ما يهدى إلى الكعبة من البهائم (هاد) يهود: أي تاب، ومنه هدنا إليك، والذين هادوا: أي تهوّدوا أي صاروا يهودًا، وأصله من قولهم: هدنا إليك (هود) له

معنيان: اسم نبي عاد عليه السلام وبمعنى اليهود، ومنه كونوا هودًا (هوى) النفس: مقصور وهو ما تحبه وتميل إليه، والفعل منه: بكسر الواو في الماضي وفتحها في المضارع (والهواء) بالمدّ والهمز: ما بين السماء والأرض، وأفئدتهم هواء: أي متحرّقة لا تعي شيئًا (وهوى) يهوي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع: وقع من علو، ويقال أيضًا بمعنى الميل، ومنه: أفئدة من الناس تهوي إليهم (هاجر) خرج من بلاده، ومنه سمّى المهاجرون (هجر) من الهجران، ومنه الهجر أيضًا، وهو فحش الكلام، وقد يقال في هذا هجر بالألف (أهل) لغير الله به أي صيح، والإهلال: الصياح، وفي النيّة أي أُريد به غير الله (مهيمن) عليه شاهد، وقيل مؤتمن. اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم، وقيل الشهيد، وقيل الرقيب (هوان، هون) أي ذل (مهين) بضم الميم أي مفعل مشتق من الهوان: أي مذل، وأما مهين، بفتح الميم فمعناه: ضعيف أو ذليل.

حرف الواو: (وقود) النار بفتح الواو: ما توقد به من الحطب وشبهه، والوقود بالضم المصدر (وجه) له معنيان: الجارحة، والجهة. وأما وجه الله: ففي قوله ابتغاء وجه الله أي طلب رضاه، وفي قوله: كل شيء هالك إلاّ وجهه، ويبقى وجه ربك: قيل الوجه الذات، وقيل صفة كاليدين، وهو من المتشابه (وعد) يعد وعدًا بالخير، وقد يقال في الشر وأوعد بالألف يوعد وعيدًا بالشر لا غير (ودّ) يودّ له معنيان من المودّة والمحبة، وبمعنى تمنى: ودّوا لو تكفرون، والودّ بالضم: المحبة، وودّ: اسم صنم بضم الواو وفتحها (ودود) اسم الله تعالى أي محبّ لأوليائه وقيل محبوب (ويل) كلمة شر، وقيل إن الويل وادٍ في جهنم (وجب) له معنيان من وجوب الحق بمعنى سقط كقولهم وجب الحائط إذا سقط ومنه وجبت جنوبها (وسط) وأوسط له معنيان من التوسّط بين الشيئين، وبمعنى الخيار والأحسن (وسع) يسع سعة: من الاتّساع ضد الضيق، والسعة الغنى، والواسع اسم الله تعالى: أي واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة (واسع) جواد موسع غنيّ أي واسع الحال وهو ضدّ المقتر: وإنا لموسعون قيل أغنياء، وقيل قادرون، وإلا وسعها: طاقتها (ولّي) له معنيان: أدبر، وجعل واليًا، وتولّى له ثلاث معانٍ: أدبر، وأعرض بالبدن أو بالقلب، وصار واليًا، واتخذ وليًّا، ومنه: ومَن يتولّى الله ورسوله (وليّ) ناصر، والوليّ اسم الله، قيل ناصر، وقيل متولّي أمر الخلائق (مولى) له سبعة معانٍ: السيد والأعظم، والناصر، والوالي أي القريب، والمالك والمعتق، وبمعنى أولى، ومنه النار مولاكم (ولج) يلج أي دخل، ومنه: ما يلج في الأرض، وأولج: أدخل، ومنه: يولج الليل في النهار (وهن) يهن: ضعف، ومنه: وهن العظم، والوهن: الضعف (ورد) الماء يرده: إذا جاء إليه وأورده غيره، وأرسلوا واردهم، الذي يتقدّمهم إلى الماء فيسقى لهم (أوزعني) أي ألهمني ووفّقني (يوزعون) يدفعون (وليد) صبي والجمع ولدان (وجل) يوجل وجلا: خاف. ومنه: لا

توجل (أوجس) وجد في نفسه وأضمر (وارى) يواري: أي يستر ومنه يواري سوأة أخيه، وما ووري عنهما، وتواروا أي استتروا واستخفوا (وطأ) يطأ. له ثلاث معانٍ: جماع المرأة. ومن الوطيء بالأقدام. ومنه أرضًا لم تطؤها. والإهلاك. ومنه: لم تعلموهم أن تطؤهم (وقر) بفتح الواو وهو الصمم والثقل في الأُذن. والوقر بكسر الواو: الحمل. ومنه: فالحاملات وقرًا (ودق) هو المطر (واصب) أي دائم (وكيل) كفيل بالأمر. وقيل: كافٍ (وزر) بفتحتين أي ملجأ (وزير) أي معين. وأصله من الوزر بمعنى الثقل. لأنّ الوزير يحمل عن الملك أثقاله (وسوس) الشيطان إلى الإنسان: ألقى في نفسه. والوسواس: الشيطان (أوحى) يوحي وحيًا، له ثلاث معانٍ: كلام الملك من الله للأنبياء. ومنه قيل للقرآن وحي. وبمعنى الإلهام، ومنه: أوحى ربك إلى النحل، وبمعنى الإشارة. ومنه: فأوحى إليهم أن سبّحوا: أي أشار (وعى) العلم يعي: حفظه. ومنه: أُذن واعية، وأوعى بالألف: يوعى جمع المال في وعاء. ومنه: جمع فأوعى.

حرف الياء: (يمين) له أربعة معانٍ: اليد اليمين، وبمعنى القوّة، وبمعنى الحلف. وأيمن أي إلى الجهة اليمين (يسير) له معنيان قليل، ومنه: كيل يسير، وهين، ومنه: ذلك على الله يسير، واليسر: ضدّ العسر (يئس) أي انقطع رجاؤه، ومنه: لا تيئسوا من روح الله، وإنه ليؤس وأما: أفلم ييئس الذين آمنوا: فمعناه ألم يعلم (يم) هو البحر (ميسر) هو القمار في النرد والشطرنج وغير ذلك. وهو مأخوذ من يسر لي كذا إذا وجب. واليسر بفتح الياء والسين: الرجل الذي يشتغل بالميسر. وجمعه أيسار. وميسر العرب أنهم كانوا لهم عشرة قداح وهم الأزلام لكل واحد منها نصيب معلوم من ناقة ينحرونها. وبعضها لا نصيب له. ويجزؤنها عشرة أجزاء ثم يدخلون الأزلام في خريطة ويضعونها على يد عدل. ثم يدخل يده فيها فيخرج باسم رجل قدحًا. فمَن خرج له قدح له نصيب: أخذ ذلك النصيب. ومَن خرج له قدح لا نصيب له: غرم ثمن الناقة كلها (ينبوع) أي عين من ماء والجمع ينابيع.

الكلام على الاستعاذة

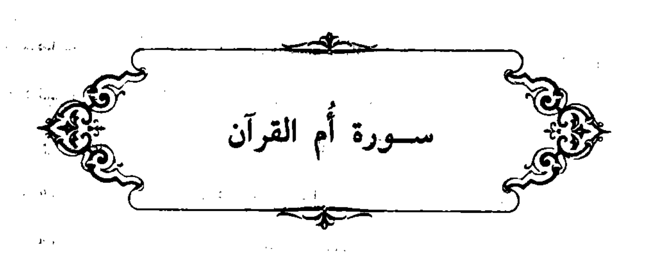
في عشرة فوائد: من فنون مختلفة: (الأولى) لفظ التعوّذ على خمسة أوجه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو المروي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم والمختار عند القرّاء. وأعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم، وأعوذ بالله القويّ من الشيطان الغويّ. وأعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد. وهي محدثة: وأعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. وهو مرويّ عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم. (الثانية) يؤمر القارىء بالاستعاذة قبل القراءة. سواء ابتدأ أوّل سورة أو جزء سورة على الندب. (الثالثة) يجهر بالاستعاذة عند الجمهور وهو المختار. ورُوِيَ الإخفاء عن حمزة ونافع. (الرابعة) لا يتعوّذ في الصلاة عند مالك. ويتعوّذ في أوّل ركعة عند الشافعي وأبي حنيفة. وفي كل ركعة عند قوم. فحجة مالك عمل أهل المدينة وحجة قول غيره: قول الله تعالى: ﴿فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل: ٩٨] وذلك يعمّ الصلاة وغيرها. (الخامسة) إنما جاء أعوذ بالمضارع دون الماضي؛ لأنّ معنى الاستعاذة لا يتعلق إلاّ بالمستقبل لأنها كالدعاء وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده مشاكلة للأمر به في قوله: ﴿فاستعذ﴾ [النحل: ٩٨]. (السادسة) الشيطان: يحتمل أن يراد به الجنس فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين، أو العهد فتكون الاستعاذة من إبليس. وهو من شطن إذا بعد؛ فالنون أصلية والياء زائدة. وزنه فيعال. وقيل من شاط إذا هاج؛ فالنون زائدة. والياء أصلية ووزنه فعلان. وإن سمّيت به لم ينصرف على الثاني لزيادة الألف والنون، وانصرف على الأوّل. (السابعة) الرجيم فعيل بمعنى مفعول، ويحتمل معنيين: أن يكون بمعنى لعين وطريد. وهذا يناسب إبليس لقوله: ﴿وجعلناها رجومًا للشياطين﴾ [الملك: ٥] والأوّل أظهر. (الثامنة) مَن استعاذ بالله صادقًا أعاذه؛

فعليك بالصدق؛ ألا ترى امرأة عمران لما أعاذت مريم وذرّيتها عصمها الله. ففي الحديث الصحيح أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهلّ صارخًا إلاّ ابن مريم وأمه. (التاسعة) الشيطان عدوّ. وحذّر الله منه إذ لا مطمع في زوال علّة عداوته. وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم. فيأمره أوّلاً بالكفر ويشكّكه في الإيمان؛ فإن قدر عليه؛ وإلاّ أمره بالمعاصي. فإن أطاعه وإلا ثبطه عن الطاعة. فإن سلم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب. (العاشرة) القواطع عن الله أربعة: الشيطان، والنفس، والدنيا، والخلق. فعلاج الشيطان: الاستعاذة والمخالفة له، وعلاج النفس: القهر، وعلاج الدنيا: بالزهد، وعلاج الخلق: بالانقباض والعزلة.

الكلام على البسملة

فيه عشر فوائد: (الأولى) ليست البسملة عند مالك آية من الفاتحة ولا من غيرها، إلاّ في النمل خاصة، وهي عند الشافعي آية من الفاتحة، وعند ابن عباس آية من أوّل كل سورة، فحجّة مالك ما ورد في الحديث الصحيح: أنّ رسول الله ﷺ قال: «أنزلت عليّ سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها»، ثم قال: «الحمد لله ربّ العالمين» فبدأ بها دون البسملة، وما ورد في الحديث الصحيح «إن الله يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: يقول العبد الحمد لله ربّ العالمين» فبدأ بها دون البسملة: وحجّة الشافعي ما ورد في الحديث أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين». وحجة ابن عباس ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف. (الثانية) إذا ابتدأت أوّل سورة بسملت؛ إلاّ براءة. وسنذكر علّة سقوطها من براءة في موضعه، وإذا ابتدأت جزء سورة فأنت مخيّر بين البسملة وتركها عند أبي عمرو الداني، وتترك البسملة عند غيره، وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى، فاختلف القرّاء في البسملة وتركها. (الثالثة) لا يبسمل في الصلاة عند مالك، ويبسمل عند الشافعي جهرًا في الجهر، وسرًّا في السرّ، وعند أبي حنيفة سرًّا في الجهر والسرّ فحجة مالك من وجهين: أحدهما أنه ليست عنده آية في الفاتحة حسبما ذكرنا، والآخر ما ورد في الحديث الصحيح عن أنس أنه قال: (صلّيت عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله ربّ العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أوّل الفاتحة ولا في آخرها). وحجة الشافعي من وجهين: أحدهما أنّ البسملة عنده آية من الفاتحة، والأخرى ما ورد في الحديث من قراءتها حسبما ذكرنا. (الرابعة)

كانوا يكتبون باسمك اللّهمّ حتى نزلت بسم الله مجراها فكتبوا بسم الله، حتى نزلت أو ادعوا الرحمن فكتبوا بسم الله الرحمن، حتى نزل إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبوها، وحذفت الألف في بسم الله لكثرة الاستعمال. (الخامسة) الباء في بسم الله: متعلقة باسم محذوف عند البصريين والتقدير: ابتداء كائن بسم الله؛ فموضعها رفع، وعند الكوفيين تتعلق بفعل تقديره أبدأ أو أتلو فموضعها نصب وينبغي أن يقدّر متأخرًا لوجهين: أحدهما: إفادة الحصر والاختصاص، والأخرى: تقديم اسم الله اعتناء كما قدّم في بسم الله مجراها. (السادسة) الاسم مشتق من السموّ عند البصريين فلامه واو محذوفة، وعند الكوفيين مشتق من السمة وهي العلامة، ففاؤه محذوفة، ودليل البصريين التصغير والتكبير؛ لأنهما يردّان الكلمات إلى أصولها، وقول الكوفيين أظهر في المعنى، لأنّ الاسم علامة على المسمى. (السابعة) قولك الله اسم مرتجل جامد «والألف واللام فيه لازمة لا للتعريف، وقيل إنه مشتق من التألّه وهو التعبّد، وقيل من الولهان: وهي الحيرة لتحير العقول في شأنه، وقيل أصله إله من غير ألف ولام، ثم حذفت الهمزة من أوّله على غير قياس، ثم أدخلت الألف واللام عليه، وقيل أصله الإله بالألف واللام ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام كما نقلت إلى الأرض وشبهه، فاجتمع لامان، فأدغمت إحداهما في الأخرى، وفخم للتعظيم؛ إلا إذا كان قبله كسرة. (الثامنة) الرحمن الرحيم صفتان من الرحم ومعناهما الإحسان فهي صفة فعل وقيل إرادة الإحسان، فهي صفة ذات. (التاسعة) الرحمن الرحيم على ما رُوِيَ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أنّ الرحمن في الدنيا والرحيم في الآخرة، وقيل الرحمن عامّ في رحمة المؤمنين والكافرين لقوله: ﴿وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] فالرحمن أعمّ وأبلغ، وقيل الرحمن. أبلغ لوقوعه بعده، على طريقة الارتقاء إلى الأعلى. (العاشرة) إنما قدّم الرحمن لوجهين: اختصاصه بالله، وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات. انتهى والله أعلم.



سـورة أم القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

بِسْـمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

وتسمى سورة الحمد لله، وفاتحة الكتاب، والواقية، والشافية، والسبع المثاني. وفيها عشرون فائدة، سوى ما تقدّم في اللغات من تفسير ألفاظها، واختلف هل هي مكية أو مدنية؟ ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات إلاّ أن الشافعي يعدّ البسملة آية منها، والمالكي يسقطها ويعدّ أنعمت عليهم آية. (الفائدة الأولى) قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة عند مالك والشافعي، خلافًا لأبي حنيفة وحجتهما قوله صلّى الله عليه وآله وسلم للذي علّمه الصلاة: «اقرأ ما تيسّر من القرآن». (الفائدة الثانية) اختلف هل أوّل الفاتحة على إضمار القول تعليمًا للعباد: أي قولوا الحمد لله، أو هو ابتداء كلام الله، ولا بدّ من إضمار القول في ﴿**إيّاك نَعْبُدُ**﴾ وما بعده. (الفائدة الثالثة) الحمد أعمّ من الشكر؛ لأنّ الشكر لا يكون إلا جزاء على نعمة، والحمد يكون جزاء كالشكر، ويكون ثناء ابتداء كما أنّ الشكر قد يكون أعمّ من الحمد، لأنّ الحمد باللسان؛ والشكر باللسان والقلب، والجوارح. فإذا فهمت عموم

الحمد: علمت أنّ قولك ﴿الحمدُ للّه﴾ يقتضي الثناء عليه لما هو من الجلال والعظمة والوحدانية والعزّة والإفضال والعلم والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات، ويتضمن معاني أسمائه الحسنى التسعة والتسعين، ويقتضي شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى جميع خلقه في الآخرة والأولى، فيا لها من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات، واتفق دون عدّة عقول الخلائق، ويكفيك أنّ الله جعلها أوّل كتابه وآخر دعوى أهل الجنة. (الفائدة الرابعة) الشكر باللسان هو الثناء على المنعم والتحدّث بالنعم، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «التحدّث بالنعم شكر» والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة. والعلم بأنها من الله وحده، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد، واعلم أنّ النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام: نعم دنيوية: كالعافية، والمال. ونعم دينية: كالعلم والتقوى. ونعم أخروية: وهي جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير. والناس في الشكر على مقامين: منهم مَن يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة، ومنهم مَن يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم، والشكر على ثلاث درجات: فدرجات العوامّ الشكر على النّعم، ودرجة الخواص الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم، قال رجل لإبراهيم بن أدهم[١]: الفقراء إذا منعوا شكروا. وإذا أعطوا آثروا. ومن فضيلة الشكر أنه من صفات الحق، ومن صفات الخلق فإنّ من أسماء الله: الشاكر، والشكور، وقد فسّرتهما في اللغة. (الفائدة الخامسة) قولنا: ﴿الحَمْدُ لله ربّ العالمين﴾ أفضل عند المحقّقين من لا إله إلا الله لوجهين: أحدهما: ما خرّجه النسائي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَن قال لا إله إلاّ الله كتب له عشرون حسنة، ومَن قال: ﴿الحَمْدُ لله ربّ العالمين﴾ كتب له ثلاثون حسنة»، والثاني: أنّ التوحيد الذي يقتضيه لا إله إلاّ الله حاصل في قولك: ﴿ربّ العالمين﴾ وزادت بقولك: ﴿الحَمْدُ لله﴾، وفيه من المعاني ما قدّمنا، وأما قول رسول الله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيّون من قبلي لا إله إلاّ الله» فإنما ذلك للتوحيد الذي يقتضيه، وقد شاركتها ﴿الحَمْدُ لله ربّ العالمين﴾ وزادت عليها، وهذا المؤمن يقولها لطلب الثواب، وأما لمَن دخل في الإسلام فيتعين عليه لا إله إلاّ الله. (الفائدة السادسة) الربّ وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم، ومعانيه أربعة: الإله، والسيد، والمالك، والمصلح. وكلّها في ربّ العالمين، إلاّ أن الأرجح معنى الإله: لاختصاصه لله تعالى، كما أنّ الأرجح في

(١) كذا بالأصل، ولعلّ هنا سقطا تقديره: «من أفضل الناس؟ قال» فتدبّر اهـ مصحّحه.

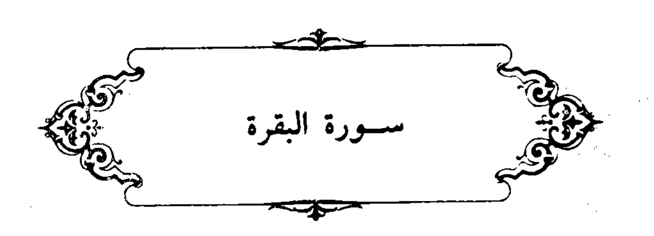
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾

العالمين أن يراد به كل موجود سوى الله تعالى، فيعمّ جميع المخلوقات. (الفائدة السابعة) ﴿ملك﴾ قراءة الجماعة بغير ألف من الملك، وقرأ عاصم والكسائي بالألف والتقدير على هذا: مالك مجيء يوم الدين، أو مالك الأمر يوم الدين، وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه. الأول: أنّ الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله، وأما الملك فهو سيد الناس، والثاني: قوله: ﴿ولَهُ المُلْكُ يومَ ينفخ في الصور﴾ [الأنعام: ٧٣]. والثالث: أنها لا تقتضي حذفًا، والأخرى تقتضيه؛ لأنّ تقديرها مالك الأمر، أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل. وأمّا قراءة الجماعة فإضافة ملك إلى يوم الدين فهي على طريقة الاتّساع، وأجرى الظرف مجرى المفعول به، والمعنى على الظرفية: أي الملك في يوم الدين، ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين، فيكون فيه حذف. وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وقد قرىء ملك بوجوه كثيرة إلاّ أنها شاذة. (الفائدة الثامنة) الرحمن، الرحيم، مالك: صفات، فإن قيل: كيف جرّ مالك ومالك صفة للمعرفة، وإضافة اسم الفاعل غير محضة. فالجواب إنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، وأما هذا فهو مستمر دائمًا فإضافته محضة. (الفائدة التاسعة) هو يوم القيامة ويصلح هنا في معاني الدين والحساب والجزاء والقهر، ومنه إنا لمدينون. (الفائدة العاشرة) ﴿إياك﴾ في الموضعين مفعول بالفعل الذي بعده، وإنما قدّم ليفيد الحصر فإنّ تقديم المعمولات يقتضي الحصر، فاقتضى قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أن يعبد الله وحده لا شريك له، واقتضى قوله: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اعترافًا بالعجز والفقر وأنّا لا نستعين إلاّ بالله وحده. (الفائدة الحادية عشرة) ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا، وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية، وأنّ الحق بين ذلك. (الفائدة الثانية عشرة) ﴿اهْدِنَا﴾: دعاء بالهدى. فإن قيل كيف يطلب المؤمنون الهدي وهو حاصل لهم؟ فالجواب أنّ ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت، أو الزيادة منه فإنّ الارتقاء في المقامات لا نهاية له. (الفائدة الثالثة عشرة) قدّم الحمد والثناء على الدعاء لأنّ تلك السُّنّة في الدعاء وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقرب للإجابة. وكذلك قدّم الرحمن على ملك يوم الدين لأن رحمة الله سبقت غضبه، وكذلك قدّم إياك نعبد على إياك نستعين لأن تقديم الوسيلة قبل طلب

الحاجة. (الفائدة الرابعة عشرة) ذكر الله تعالى في أوّل هذه السورة على طريق الغيبة، ثم على الخطاب في إياك نعبد وما بعده، وذلك يسمى الالتفات، وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرّب منه فصار من أهل الحضور فناداه. (الفائدة الخامسة عشرة) ﴿**الصراط**﴾ في اللغة الطريق المحسوس الذي يمشي ثم استعير للطريق الذي يكون الإنسان عليها من الخير والشر، ومعنى المستقيم القويم الذي لا عوج فيه، فالصراط المستقيم الإسلام، وقيل القرآن، والمعنيان متقاربان، لأن القرآن يضمن شرائع الإسلام وكلاهما مروي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وقرىء الصراط بالصاد والسين وبين الصاد والزاي، وقد قيل إنه قرىء بزاي خالصة، والأصل فيه السين، وإنما أبدلوا منها صادًا لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق، وأما الزاي فلموافقة الطاء في الجهر. (الفائدة السادسة عشر) ﴿**الذينَ أنعَمْتَ عليهم**﴾: قال ابن عباس: هم النبيّون والصدّيقون والشهداء والصالحون. وقيل المؤمنون، وقيل الصحابة، وقيل قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا، والأوّل أرجح لعمومه، ولقوله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين. (الفائدة السابعة عشرة) إعراب غير المغضوب بدل، ويبعد النعت لأنّ إضافته غير مخصوصة وهو قد جرى عن معرفة وقرىء بالنصب على الاستثناء أو الحال. (الفائدة الثامنة عشرة) إسناد نعمة عليهم إلى الله، والغضب لما لم يُسَمّ فاعله على وجه التأدّب: كقوله: ﴿وإذا مَرِضْتُ فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٨٠]، وعليهم أوّل في موضع نصب، والثاني في موضع رفع. (الفائدة التاسعة عشرة) المغضوب عليهم اليهود، والضالّين: النصارى، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما، وقد روى ذلك عن النبي ﷺ، وقيل ذلك عامّ في كل مغضوب عليه، وكل ضالّ، والأول أرجح لأربعة أوجه: روايته عن النبي ﷺ، وجلالة قائله، وذكر ولا في قوله ولا الضالّين دليل على تغاير الطائفتين وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن: كقوله: ﴿فباؤوا بغضب﴾ [البقرة: ٩٠]، والضلال صفة النصارى لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى ابن مريم عليه السلام، ولقول الله فيه: ﴿قد ضلّوا من قَبل وأضلّوا كثيرًا وضلّوا عن سَواء السّبيل﴾ [المائدة: ٧٧]. (الفائدة العشرون) هذه السورة جمعت معاني القرآن العظيم كله فكأنها نسخة مختصرة منه فتأملها بعد تحصيل الباب السادس من المقدّمة الأولى تعلم ذلك في الألوهية حاصلاً في قوله: ﴿**الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم**﴾، والدار الآخرة: في قوله: ﴿**مالك يوم الدين**﴾، والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي: في قوله: ﴿**إياك نعبد**﴾، والشريعة كلها في قوله:

﴿**الصراط المستقيم**﴾، والأنبياء وغيرهم في قوله الذين ﴿**أنعمت عليهم**﴾، وذكر طوائف الكفار في قوله: ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالّين**﴾.

خاتمة: أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة للدعاء الذي فيها، وقولك آمين اسم فعل معناه اللّهمّ استجب، وقيل هو من أسماء الله ويجوز فيه مدّ الهمزة وقصرها أو لا يجوز تشديد الميم، وليؤمن في الصلاة. المأموم والفذّ والإمام إذا أسرّ، واختلفوا إذا جهر.



سورة البقرة

مدنية إلاّ آية ٢٨١ فنزلت بمنى في حجة الوداع
وآياتها مائتان وست وثمانون وهي أول سورة نزلت بالمدينة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيم

﴿الم﴾ اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل حروف السور، وهي: المص، والر، والمر، وكهيعص، وطه، وطسم، وطس، ويس، وص، وحم، وحم عسق، ون. فقال قوم لا تفسر لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلاّ الله، قال أبو بكر الصدّيق: لله في كل كتاب سرّ، وسرّه في القرآن فواتح السور، وقال قوم تفسر، ثم اختلفوا فيها، فقيل هي أسماء السور، وقيل أسماء الله، وقيل: أشياء أقسم الله بها، وقيل هي حروف مقطعة من كلمات: فالألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومثل ذلك في سائرها، وورد في الحديث أن بني إسرائيل فهموا أنها تدل بحروف أبجد على السنين التي تبقى هذه الأمة، وسمع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم منهم ذلك فلم ينكره، وقد جمع أبو القاسم السهيلي عددها على ذلك بعد أن أسقط المتكرّر فبلغت تسعمائة وثلاثة، وإعراب هذه الحروف يختلف بالاختلاف في معناها فيتصوّر أن تكون في

موضع رفع أو نصب أو خفض. فالرفع على أنها مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر، والنصب على أنها مفعول بفعل مضمر، والخفض على قول مَن جعلها مقسمًا بها كقولك: الله لأفعلن ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ هو هنا القرآن، وقيل التوراة والإنجيل، وقيل اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذي يدلّ عليه سياق الكلام ويشهد له مواضع من القرآن والمقصود منها إثبات أن القرآن من عند الله كقوله: ﴿تنزيل الكِتَاب لا رَيبَ فيه من ربّ العَالَمِين﴾ يعني القرآن باتفاق، وخبر ذلك: لا ريب فيه، وقيل خبره الكتاب فعلى هذا ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ﴾ جملة مستقلة فيوقف عليه ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك أنه من عند الله في نفس الأمر في اعتقاد أهل الحق، ولم يعتبر أهل الباطل، وخبر لا ريب: فيه، فيوقف عليه، وقيل خبرها محذوف فيوقف على ﴿لاَ رَيْبَ﴾ والأول أرجح لتعيّنه في قوله: ﴿لاَ رَيْبَ﴾ في مواضع أُخَر، فإن قيل: فهلاّ قدّم قوله فيه على الريب كقوله: ﴿لا فيها غول﴾؟ فالجواب: أنه إنما قصد نفي الريب عنه. ولو قدّم فيه: لكان إشارة إلى أن ثمّ كتاب آخر فيه ريب، كما أن ﴿لا فِيهَا غول﴾ إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول، وهذا المعنى يبعد قصده فلا يقدّم الخبر ﴿هُدًى﴾ هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتّقين، ولو كان بمعنى البيان لعمّ كقوله: ﴿هُدًى للنّاس﴾ وإعرابه خبر ابتداء أو مبتدأ وخبره فيه، عندما يقف على لا ريب، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإسارة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مفتعلين من التقوى، وقد تقدّم معناه في الكتاب، فنتكلم عن التقوى في ثلاثة فصول.

الأوّل: في فضائلها المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة: الهدى كقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والنصرة، لقوله: ﴿إنَّ اللَّهَ معَ الذِينَ اتقوا﴾ والولاية لقوله: ﴿اللَّه وليّ المُتّقين﴾ والمحبة لقوله: ﴿إنّ اللَّهَ يحبّ المتّقين﴾ والمغفرة لقوله: ﴿إن تتّقوا اللَّهَ يجعل لكم فرقانًا﴾ والمخرج من الغمّ والرزق من حيث لا يحتسب لقوله: ﴿ومَن يَتّقِ اللَّهَ يَجعل لَهُ مَخرَجًا﴾ الآية وتيسير الأمور لقوله: ﴿ومَنْ يَتّق اللَّهَ يَجْعَل له من أَمْرِهِ يُسرا﴾ [الطلاق: ٤] وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله: ﴿ومَن يَتّق اللَّهَ يكفّر عنه سَيِّئاته ويُعظّم له أَجرا﴾ وتقبل الأعمال لقوله: ﴿إنّما يَتقَبّل اللَّهُ من المتّقين﴾ والفلاح لقوله: ﴿واتّقوا اللَّهَ لعلّكم تفلحون﴾ والبشرى لقوله: ﴿لهم البُشْرَى في الحَيَاةِ الدّنيا وفي الآخِرَة﴾ ودخول الجنة لقوله: ﴿إنّ للمتّقين عِنْدَ رَبّهِم جنّات النّعيم﴾ والنجاة من النار لقوله: ﴿ثم نُنجي الذين اتّقوا﴾.

الفصل الثاني: البواعث على التقوى عشرة: خوف العقاب الأُخروي، وخوف الدنيوي، ورجاء الثواب الدنيوي، ورجاء الثواب الأُخروي، وخوف الحساب، والحياء من

﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾

نظر الله، وهو مقام المراقبة، والشكر على نعمه بطاعته، والعلم لقوله: **﴿إنّما يَخْشَى اللَّهُ من عِبَادِهِ العلماء﴾** وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهيبة، وصدق المحبة لقول القائل:

تعصى الإله وأنت تظهر حبّه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحبّ لمَن يحبّ مطيع

ولله درّ القائل:

قالت وقد سألت عن حال عاشقها ... لله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان يظن الموت من ظمإ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

الفصل الثالث: درجات التقوى خمس: أن يتّقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام، وأن يتّقي المعاصي والحرمات وهو مقام التوبة، وأن يتّقي الشبهات، وهو مقام الورع، وأن يتّقي المباحات وهو مقام الزهد، وأن يتّقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة **﴿الذِينَ يُؤْمِنُون بالغَيبِ﴾** فيه قولان يؤمنون بالأمور المغيبات كالآخرة وغيرها فالغيب على هذا بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر كعدل، وإما تخفيفًا في فعيل: كميت، والآخر يؤمنون في حال غيبهم أي باطنًا وظاهرًا، وبالغيب على القول الأوّل: يتعلق بيؤمنون وعلى الثاني في موضع الحال، ويجوز في الذين أن يكون خفضًا على النعت أو نصبًا على إضمار فعل أو رفعًا على أنه خبر مبتدأ **﴿ويُقِيمُونَ الصَّلاة﴾** إقامتها: علمها من قولك: قامت السوق، وشبه ذلك والكمال المحافظة عليها في أوقاتها بالإخلاص لله في فعلها، وتوفية شروطها، وأركانها، وفضائلها، وسُننها، وحصور القلب الخشوع فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض والإكثار من النوافل **﴿ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾** فيه ثلاثة أقوال: الزكاة لاقترانها مع الصلاة، والثاني أنه التطوّع، والثالث العموم، وهو الأرجح؛ لأنه لا دليل على التخصيص، **﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾** هل هم المذكورون قبل فيكون من عطف الصفات أو غيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب فيكون عطفًا للمغايرة أو مبتدأ وخبره الجملة بعد **﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾** القرآن **﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾** التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبي جهل، فإن كان الذين للجنس: فلفظها عامّ يراد به الخصوص، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم، وقد اختلف فيهم؛ فقيل المراد من قتل ببدر من كفّار قريش، وقيل المراد حيي بن أخطب وكعب بن

كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى

الأشرف اليهوديان ﴿**سَوَاءٌ**﴾ خبر إن و﴿**أَنْذَرْتَهم**﴾ فاعل به لأنه في تقدير المصدر، وسواء مبتدأ، وأنذرتهم خبره أو العكس وهو أحسن، و﴿**لا يُؤْمِنُونَ**﴾ على هذه الوجوه: استئنافًا للبيان، أو للتأكيد، أو خبر بعد خبر أو تكون الجملة اعتراضًا، ولا يؤمنون الخبر، والهمزة في ءأنذرتهم لمعنى التسوية قد انسلخت من معنى الاستفهام ﴿**خَتَمَ**﴾الآية تعليل لعدم إيمانهم، وهو عبارة عن إضلالهم، فهو مجاز وقيل حقيقة وأن القلب كالكفّ ينقبض مع زيادة الضلال أصبعًا أصبعًا حتى يختم عليه، والأوّل أبرع، و﴿**عَلَى سَمْعِهِمْ**﴾ معطوف على قلوبهم، فيوقف عليه، وقيل الوقف على قلوبهم، والسمع راجع إلى ما بعده، والأوّل أرجح لقوله: ﴿**وخَتَمَ على سَمْعِهِ وقَلْبِهِ**﴾ ﴿**غَشَاوَةٌ**﴾ مجاز باتفاق، وفيه دليل على وقوع المجاز في القرآن خلافًا لمَن منعه، ووحّد السمع لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع ﴿**ومِنَ النَّاسِ**﴾ أصل الناس أُناس لأنه مشتق من الإنس وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفًا ﴿**مَنْ يَقُولُ**﴾ إن كان اللام في الناس للجنس فمن موصوفة وإن جعلتها للعهد فمن موصولة وأفرد الضمير في يقول رعيًا للفظ ومن ﴿**ومَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**﴾ هم المنافقين وكانوا جماعة من الأوس والخزرج رأسهم عبد الله بن أُبيّ ابن سلول يُظهرون الإسلام ويسرّون الكفر، ويسمى الآن من كذلك: زنديقًا، وهم في الآخرة مخلّدون في النار، وأما في الدنيا إن لم تقم عليهم بيّنة فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان، فمذهب مالك: القتل، دون الاستتابة، ومذهب الشافعي الاستتابة وترك القتل، فإن قيل: كيف جاء قولهم: ﴿**آمَنَّا**﴾ جملة فعلية ﴿**ومَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ جملة اسمية فهلاّ طابقتها؟ فالجواب: أن قولهم ﴿**وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ أبلغ وآكد في نفي الإيمان عنهم مَن لو قال ما آمنوا، فإن قيل: لِمَ جاء قولهم آمنّا مقيّدًا بالله واليوم الآخر، وما هم بمؤمنين مطلقًا؟ فالجواب أنه يحتمل وجهين: التقييد؛ فتركه لدلالة الأوّل عليه، والإطلاق، وهو أعمّ في سلبهم من الإيمان.

﴿**يُخادعون**﴾ أي يفعلون فعل المخادع، ويرومون الخدع بإظهار خلاف ما يسرّون، وقيل معناه يخدعون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، والأول أظهر ﴿**وما يَخْدَعُونَ إلاّ أَنْفُسَهُمْ**﴾ أي وِبال فعلهم راجع عليهم، وقرىء وما يخدعون بفتح الياء من غير ألف من

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى

خدع وهو أبلغ في المعنى، لأنه يقال خادع إذا رام الخداع، وخدع إذا تمّ له ﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ حذف معموله أي لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم.

﴿**في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾ يحتمل أن يكون حقيقة، وهو الألم الذي يجدونه من الخوف وغيره، وأن يكون مجازًا بمعنى الشك أو الحسد ﴿**فَزَادَهُمُ**﴾ يحتمل الدعاء والخبر ﴿**يَكْذِبُونَ**﴾ بالتشديد أي يكذبون الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم وقرىء بالتخفيف أي يكذبون في قولهم آمنّا ﴿**لاَ تُفْسِدُوا**﴾ أي بالكفر والنميمة وإيقاع الشرّ وغير ذلك ﴿**إنما نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ يحتمل أن يكون جحود الكفر لقولهم آمنّا، أو اعتقاد أمنهم على إصلاح ﴿**كَمَا آمَنَ النَّاسُ**﴾ أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، والكاف يحتمل أن تكون للتشبيه أو للتعليل وما يحتمل أن تكون كافّة كما هي وربما أن تكون مصدرية ﴿**أَنُؤْمِنُ**﴾ إنكار منهم وتقبيح ﴿**هُمُ السُّفَهَاءُ**﴾ ردّ عليهم عليهم وإناطة السّفه بهم، وكذلك هم المفسدون، وجاء بالألف واللام ليفيد حصر السّفه والفساد فيهم، وأكده بإن وبألاّ التي تقتضي الاستئناف وتنبيه المخاطب ﴿**قَالُوا آمَنَّا**﴾ كذبوا خوفًا من المؤمنين ﴿**خَلَوْا إلى شَيَاطِينِهِمْ**﴾ هم رؤساء الكفر، وقيل شياطين الجن، وهو بعيد وتعدّى خلا بإلى ضمن معنى مشوا وذهبوا أو ركنوا، وقيل إلى بمعنى مع، أو بمعنى الباء وجه قولهم ﴿**إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُون**﴾ بجملة اسمية مبالغة وتأكيد بخلاف قولهم آمنّا فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم.

﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ**﴾ فيه ثلاثة أقوال: تسمية للعقوبة باسم الذنب: كقوله: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ [آل عمران: ٥٤] وقيل يملي لهم بدليل قوله: ﴿**ويمدّهم**﴾ وقبل يفعل بهم في الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزأ بهم كما جاء في سورة الحديد ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ [الحديد: ١٣] الآية ﴿**وَيَمُدُّهُمْ**﴾ يزيدهم، وقيل يملي لهم، وقد ذكروا يعمهون ﴿**اشتروا الضلالة**﴾ عبارة عن تركهم الهدى مع تمكّنهم منه ووقوعهم في الضلالة فهو مجاز

ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ

بديع ﴿فَمَا رَبِحَت تِجَارَتُهُمْ﴾ ترشيح للمجاز، لما ذكر الشر ذكر ما يتبعه من الربح والخسران وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضًا لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ في هذا الشراء أو على الإطلاق وقال الزمخشري نفى الربح في قوله: فما ربحت، ونفى سلامة رأس المال في قوله: وما كانوا مهتدين ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ إن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه وإن كان المثل بمعنى التشبيه فالكاف زائدة ﴿اسْتَوْقَدَ﴾ أي أوقد وقيل طلب الوقود على الأصل في استفعل ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ إن تعدّى فما حوله مفعول به، وإن لم يتعدّ فما زائدة أو ظرفية ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي أذهبه، وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت النار وذهب الله بنورهم: جملة مستأنفة والضمير عائد على المنافقين، فعلى هذا يكون ﴿الَّذِي﴾ على بابه من الإفراد، والأرجح أنه أُعيد ضمير الجماعة لأنه لم يقصد بالذي: واحد بعينه إنما المقصود التشبيه بمَن استوقد نارًا سواء كان واحدًا أو جماعة، ثم أُعيد بالجمع ليطابق المشبه، لأنهم جماعة، فإن قيل: ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أن منفعتهم في الدنيا بدعوى الإيمان شبيه بالنور، وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده، والثاني: أن استخفاء كفرهم كالنور، وفضيحتهم كالظلمة، والثالث: أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر، فإيمانه نور، وكفره بعده ظلمة، ويرجح هذا قوله: ﴿ذلك بأنهم آمَنُوا ثم كَفَرُوا﴾ فإن قيل: لِمَ قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِم﴾ ولم يقل: أذهب الله نورهم، مشاكلة لقوله: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ فالجواب: أن إذهاب النور أبلغ لأنه إذهاب للقليل والكثير، بخلاف الضوء فإنه يطلق على الكثير ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يحتمل أن يراد به المنافقون، والمستوقد المشبه بهم، وهذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم، وليس المراد فقد الحواس ﴿فَهُمْ لا يَرجِعُون﴾ إن أُريد به المنافقون: فمعناه لا يرجعون إلى الهدى، وإن أُريد به أصحاب النار: فمعناه أنهم متحيرون في الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون إلى الطريق ﴿أَو كَصَيِّبٍ﴾ عطف على الذي استوقد، والتقدير: أو كصاحب صيّب أو للتنويع لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين، والصيب: المطر، وأصله صيوب، ووزنه فعيل، وهو مشتق من قولك صاب يصوب، وفي قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ إشارة إلى قوته وشدّة انصبابه، قال ابن مسعود: إن رجلين من المنافقين هربا إلى

ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

المشركين، فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك، فعزما على الإيمان ورجعا إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وحسن إسلامهما فضرب الله ما أنزل فيهما مثلاً للمنافقين، وقيل المعنى تشبيه المنافقين في حيرتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم بمَن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق، فضلّ عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه، وهذا التشبيه على الجملة، وقيل: إن التشبيه على التفصيل، فالمطر مثل للقرآن أو الإسلام والظلمات مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين والرعد مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة، فإن قيل: لِمَ قال رعد وبرق بالإفراد ولم يجمعه كما جمع ظلمات؟ فالجواب أن الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع، ويحتمل أن يكونا اسمين وجمعهما لأنهما في الأصل مصدران **﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ في آذَانِهِم مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾** أي من أجل الصواعق قال ابن مسعود: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. فهو على هذا حقيقة في المنافقين، والصواعق على هذا ما يكرهون من القرآن والموت هو ما يتخوّفونه فهما مجازان وقيل لأنه راجع لأصحاب المطر المشبّه بهم فهو حقيقة فيهم والصواعق على هذا حقيقة وهي التي تكون من المطر من شدّة الرعد ونزول قطعة نار والموت أيضًا حقيقة وقيل إنه راجع للمنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمَن جعل أصابعه في آذانه من شدّة الخوف من المطر والرعد، فإن قيل: لِمَ قال أصابعهم ولم يقل أناملهم والأنامل هي التي تجعل في الآذان؟ فالجواب أن ذكر الأصابع أبلغ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعها مع أن الذي يجعل في الآذان السبّابة خاصة **﴿واللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾** أي لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر على عقابهم **﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾** إن رجع إلى أصحاب المطر وهم الذين شبّه بهم المنافقين: فهو بيِّن في المعنى، وإن رجع إلى المنافقين: فهو تشبيه بمَن أصابه البرق على وجهين: أحدهما: تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضيء البرق، وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدّم، والآخر: يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم.

﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من

﴿شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا﴾

الإيمان ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق، وإن رجع إلى المنافقين: فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان: ثبتوا على كفرهم، وقيل إن المعنى كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا هذا دين مبارك؛ فهذا مثل الضوء، وإذا أصابتهم شدّة أو مصيبة عابوا الدين وسخطوا: فهذا مثل الظلمة، فإن قيل: لِمَ قال مع الإضاءة كلما، ومع الظلام إذا؟ فالجواب أنهم لما كانوا حراصًا على المشي ذكر معه كلما، لأنها تقتضي التكرار والكثرة ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ الآية: إن رجع إلى أصحاب المطر: فالمعنى لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق، وإن رجع إلى المنافقين: فالمعنى لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة، وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم والباء للتعدية كما هي في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الآية لما قدّم اختلاف الناس في الدين وذكر ثلاث طوائف: المؤمنين، والكافرين والمنافقين: أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله وجاء بالدعوة عامّة للجميع لأنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث إلى جميع الناس ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ يدخل فيه الإيمان به سبحانه وتوحيده وطاعته، فالأمر بالإيمان به لمَن كان جاحدًا، والأمر بالتوحيد لمَن كان مشركًا، والأمر بالطاعة لمَن كان مؤمنًا ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يتعلق بخلقكم: أي خلقكم لتتّقوه كقوله: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ لِيَعْبُدُون﴾ [الذاريات: ٥٦] أو بفعل مقدّر من معنى الكلام أي دعوتكم إلى عبادة الله لعلّكم تتّقون، وهذا أحسن. وقيل يتعلق بقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾ وهذا ضعيف، وإن كانت لعلّ للترجّي فتأويله أنه في حق المخلوقين جريًا على عادة كلام العرب، وإن كانت للمقاربة أو للتعليل فلا إشكال، والأظهر فيها أنها لمقاربة الأمر نحو عسى، فإذا قالها الله: فمعناها أطماع العباد، وهكذا القول فيها حيث ما وردت في كلام الله تعالى ﴿الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفراش فهو مجاز وكذلك السماء بناء ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ من للتبعيض أو لبيان الجنس، لأنّ الثمرات هو المأكول من الفواكه وغيرها والباء في به سببية، أو كقولك كتبت بالقلم لأنّ الماء سبب في خروج الثمرات بقدرة الله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾ لا ناهية أو نافية، وانتصب الفعل بإضمار أن بعد الفاء في جواب اعبدوا والأول أظهر

﴿أَندَادًا﴾ يراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله جلّ وعلا ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أي وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين، وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق، ويتعلق قوله بلا تجعلوا بما تقدّم من البراهين، ويحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾ والأوّل أظهر.

فوائد ثلاث:

الأولى: هذه الآية ضمنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقين «أحدهما» إقامة البراهين بخلقتهم وخلقة السمٰوات والأرض والمطر والسمٰوات «والآخر» ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام فذكر أوّلاً ربوبيته لهم، ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم لأنّ الخالق يستحق أن يُعبَد، ثم ذكر ما أنعم الله به عليهم من جعل الأرض فراشًا والسماء بناءً، ومن إنزال المطر، وإخراج الثمرات، لأنّ المنعم يستحق أن يُعبَد ويُشكَر، وانظر قوله: جعل لكم. ورزقًا لكم: يدلّك على ذلك لتخصيصه ذلك بهم في ملاطفة وخطاب بديع.

الثانية: المقصود الأعظم من هذه الآية: الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه لقوله في آخرها: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾، وذلك هو الذي يترجم عنه بقولنا: لا إله إلاّ الله، فيقتضي ذلك الأمر بالدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد، وقول لا إله إلاّ الله تكون في القرآن ذكر المخلوقات، والتنبيه على الاعتبار في الأرض والسمٰوات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار، وذلك أنها تدلّ بالعقل على عشرة أمور: وهي: أنّ الله موجود، لأنّ الصنعة دليل على الصانع لا محالة، وأنه واحد لا شريك له، لأنه لا خالق إلاّ هو ﴿أَفَمَنْ يَخْلق كمَن لا يَخلق﴾ [النحل: ١٧] وأنه حيّ قدير عالم مُريد، لأنّ هذه الصفات الأربع من شروط الصانع، إذ لا تصدر صنعة عمّن عدم صفة منها، وأنه قديم لأنه صانع للمحدثات، فيستحيل أن يكون مثلها في الحدوث، وأنه باقٍ لأنّ ما ثبت قدمه استحال عدمه، وأنه حكيم، لأنّ آثار حكمته ظاهرة في إتقانه للمخلوقات وتدبيره للملكوت، وأنه رحيم، لأن في كل ما خلق منافع لبني آدم سخّر لهم ما في السمٰوات وما في الأرض وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على وجوده تعالى وعلى وحدانيته، فإن قيل لِمَ قصر الخطاب بقوله: ﴿لعلّكم تتقون﴾ على المخاطبين دون الذين من قبلهم، مع أنه أمر الجميع بالتقوى؟ فالجواب: أنه لم يقصره عليهم ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ، والمراد الجميع، فإن قيل: هلاّ قال لعلكم تعبدون مناسبة لقوله اعبدوا؟ فالجواب أنّ التقوى غاية العبادة وكمالها فكان قوله

﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

لعلّكم تتقون أبلغ وأوقع في النفوس **﴿وإن كُنتُم في رَيبٍ﴾** الآية إثبات لنبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بإقامة الدليل على أنّ القرآن جاء به من عند الله فلما قدّم إثبات الألوهية أعقبها بإثبات النبوّة، فإن قيل: كيف قال: **﴿إن كُنتُم في رَيبٍ﴾**، ومعلوم أنهم كانوا في ريب وفي تكذيب؟ فالجواب أنه ذكر حرف إن إشارة إلى أن الريب بعيد عند العقلاء في مثل هذا الأمر الساطع البرهان، فلذلك وضع حرف التوقّع والاحتمال في الأمر الواقع ليعد وقوع الريب وقبحه عند العقلاء وكما قال تعالى: **﴿لا رَيبَ فِيهِ﴾** **﴿على عَبْدِنا﴾** هو النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، والعبودية على وجهين: عامّة، وهي التي بمعنى الملك، وخاصّة وهي التي يراد بها التشريف والتخصيص، وهي من أوصاف أشراف العباد ولله درّ القائل:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

﴿فأتُوا بِسُورَةٍ﴾ أمر يراد به التعجيز **﴿مِن مِثلِهِ﴾** الضمير عائد على ما أنزلنا وهو القرآن، ومن لبيان الجنس، وقيل يعود على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فمن على هذا: لابتداء الغاية من بشر مثله، والأول أرجح لتعيينه في يونس وهود، وبمعنى مثله في فصاحته وفيما تضمنه من العلوم والحِكَم العجيبة والبراهين الواضحة **﴿شُهَداءَكُم﴾** آلهتكم أو أعوانكم أو مَن يشهد لكم **﴿مِّن دُونِ اللّهِ﴾** أي غير الله، وقيل هو من الدين الحقير فهو مقلوب اللفظ **﴿وَلَن تَفعَلُوا﴾** اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة، وهو إخبار ظهير مصداقه في الوجود إن لم يقدر أحد أن يأتي بمثل القرآن مع فصاحة العرب في زمان نزوله وتصرّفهم في الكلام وحرصهم على التكذيب، وفي الإخبار بذلك معجزة أخرى وقد اختلف في عجز الخلق عنه على قولين: أحدهما أنه ليس في قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح، والثاني أنه كان في قدرتهم وصرفوا عنه، والإعجاز حاصل على الوجهين وقد بيّنا سائر وجوه إعجازه في المقدّمة **﴿فاتّقُوا النّارَ﴾** أي فآمنوا لتنجوا من النار، وعبّر باللازم عن ملازمه لأن ذكر النار أبلغ في التفخيم والتهويل والتخويف **﴿وَقُودُهَا﴾** حطبها **﴿الحِجَارَةُ﴾** قال ابن مسعود: هي حجارة الكبريت لسرعة اتّقادها وشدّة حرّها وقبح رائحتها، وقيل الحجارة المعبودة، وقيل الحجارة على الإطلاق **﴿أُعِدّتْ﴾** دليل على أنها قد خلقت، وهو مذهب الجماعة وأهل السُّنّة، خلافًا لمَن قال إنها تخلق يوم القيامة، وكذلك

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا

الجنّة ﴿وبَشِّر﴾ يحتمل أن تكون خطابًا للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أو خطابًا لكل أحد ورجّح الزمخشري هذا لأنه أفخم ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه خلافًا لمَن قال: الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل، وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال خلافًا للمرجئة ﴿**تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ أي تحت أشجارها وتحت مبانيها، وهي أنهار الماء واللبن والخمر والعسل وهكذا تفسيره وقع، ورُوِيَ أن أنهار الجنة تجري في غير أُخدود ﴿**مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا**﴾ من الأولى للغاية أو للتبعيض أو لبيان الجنس ومن الثانية لبيان الجنس ﴿**مِن قَبْلُ**﴾ أي في الدنيا بدليل قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦] في الدنيا فإن ثمر الجنة أجناس ثمر الدنيا وإن كانت خيرًا منها في المطعم والمنظر ﴿**وأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**﴾ أي يشبه ثمر الدنيا في جنسه، وقيل يشبه بعضه بعضًا في المنظر ويختلف في المطعم، والضمير المجرور يعود على المرزوق الذي يدلّ عليه المعنى ﴿**مُطَهَّرَةٌ**﴾ من الحيض وأقذار النساء وسائر الأقذار التي تختصّ بالنساء كالبول وغيره، ويحتمل أن يريد طهارة الطيب وطيب الأخلاق.

﴿**لاَ يَسْتَحْيِ**﴾ تأوّل قوم: أن معناه لا يترك لأنهم زعموا أنّ الحياء مستحيل على الله لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع في أمر، وليس كذلك وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يُعاب، ويردّ عليهم قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الله حييٌّ كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردّهما صُفرًا» ﴿**أَن يَضْرِبَ**﴾ سبب الآية أنه لما ذكر في القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عابَ الكفّار على ذلك، وقيل المثلين المتقدّمين في المنافقين تكلموا في ذلك فنزلت الآية ردًّا عليهم ﴿**مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً**﴾ إعراب بعوضة مفعول بيضرب، ومثلاً حال، أو مثلاً مفعول وبعوضة بدل منه أو عطف بيان، أو هما مفعولان بيضرب لأنها على هذا المعنى تتعدّى إلى مفعولين، وما صفة للنكرة أو زائدة ﴿**فَمَا فَوْقَهَا**﴾ في الكبر، وقيل في الصغر، والأول أصح ﴿**فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ما شاء ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة: وضرب أمثال، وبيان للناس، ولأنّ الصادق جاء بها من عند الله ﴿**مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ**﴾ لفظه الاستفهام، ومعناه الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب، وفي

﴿مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ﴾

إعراب ماذا وجهان: أن تكون ما مبتدأ وذا خبره وهي موصولة، وأن تكون كلمة مركبة في موضع نصب على المفعول بأراد، ومثلاً منصوب على الحال أو التمييز ﴿**يُضِلُّ بِهِ**﴾ من كلام الله جوابًا للذين قالوا ماذا أراد الله بهذا مثلاً، وهو أيضًا تفسير لما أراد الله يضرب المثل من الهدى والضلال ﴿**عَهْدَ اللَّهِ**﴾ مطلق في العهود وكذلك ما بعده من القطع والفساد، ويحتمل أن يُشار بنقض عهد الله إلى اليهود لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم في الإيمان بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ويشار بقطع ما أمر الله به بأن يوصل إلى قريش لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين، ويشار بالفساد في الأرض إلى المنافقين لأن الفساد من أفعالهم حسبما تقدّم في وصفهم ﴿**مِيثَاقِهِ**﴾ الضمير للعهد أو لله تعالى ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ**﴾ موضعها الاستفهام، ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ ﴿**وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا**﴾ أي معدومين أي في أصلاب الآباء أو نطفًا في الأرحام ﴿**فَأَحْيَاكُمْ**﴾ أي أخرجكم إلى الدنيا ﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**﴾ الموت المعروف ﴿**ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾ بالبعث ﴿**ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ للجزاء، وقيل الحياة الأولى حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد، وقيل في الحياة الثانية إنها في القبور، والراجح القول الأول لتعيينة في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحْيِيكُم﴾ [الحج: ٦٦].

فوائد ثلاثة: الأولى: هذه الآية في معرض الردّ على الكفّار وإقامة البرهان على بطلان قولهم، فإن قيل إنما يصحّ الاحتجاج عليهم بما يعترفون به، فكيف يحتجّ عليهم بالبعث وهم منكرون له؟ فالجواب أنهم ألزموا من ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت ثبوت البعث، لأن القدرة صالحة لذلك كله. الثانية: قوله: ﴿**وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا**﴾ في موضع الحال، فإن قيل: كيف جاز ترك قد وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال فالجواب أنه قد جاء بعد الماضي مستقبل والمراد مجموع الكلام كأنه يقول وحالهم هذه فلذلك لم تلزم قد. الثالثة: عطف ﴿**فَأَحْيَاكُمْ**﴾ بالفاء لأنّ الحياة أثر العدم ولا تراخي بينهما، وعطف ﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُم**﴾ و﴿**ثُمَّ يُحْيِيكُم**﴾ بثم للتراخي الذي بينهما ﴿**خَلَقَ لَكُم مَّا في**

ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا

الأَرْضِ﴾ دليل على إباحة الانتفاع بما في الأرض **﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾** أي قصد لها والسماء هنا جنس ولأجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة **﴿فَسَوَّاهنّ﴾** أي أتقن خلقهنّ: كقوله: ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]، وقيل جعلهنّ سواء.

فائدة: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض، وقوله: ﴿والأرض بعد ذلك دحّاها﴾ [النازعات: ٣٠] ظاهره خلاف ذلك، والجواب من وجهين: أحدهما أنّ الأرض خلقت قبل السماء، ودحيت بعد ذلك فلا تعارض، والآخر تكون ثم لترتيب الأخبار **﴿للمَلائِكَةِ﴾** جمع ملك واختلف في وزنه فقيل فعل فالميم أصلية، ووزن ملائكة على هذا مفاعلة وقيل هي من الألوكة وهي الرسالة فوزنه مفعل ووزنه مألك ثم حذفت الهمزة ووزن ملائكة على هذا مفاعلة، ثم قلبت وأخّرت الهمزة فصار مفاعلة وذلك بعد **﴿خَلِيفَةً﴾** هو آدم عليه السلام: لأن الله استخلفه في الأرض، وقيل ذرّيته لأنّ بعضهم يخلف بعضًا، والأوّل أرجح، ولو أراد الثاني لقال خلفاء **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾** الآية: سؤال محض لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله مَن يعصيه وليس فيه اعتراض؛ لأن الملائكة مُنزّهون عنه وإنما علموا أنّ بني آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك، وقيل كان في الأرض جنّ فأفسدوا، فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم، فقاس الملائكة بني آدم عليهم **﴿ونَحْنُ نُسَبِّحُ﴾** اعتراف والتزام للتسبيح لا افتخار **﴿بِحَمْدِكَ﴾** أي حامدين لك والتقدير نسبّح متلبّسين بحمدك، فهو في موضع الحال **﴿ونُقَدِّسُ لَكَ﴾** يحتمل أن تكون الكاف مفعولاً ودخلت عليها اللام كقولك ضربت لزيدًا، وأن يكون المفعول محذوفًا أي نقدّسك على معنى ننزّهك أو نعظّمك، وتكون اللام في لك للتعليل أي لأجلك، أو يكون لتقدير نقدّس أنفسنا أي نطهّرها لك **﴿مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾** أي ما يكون في بني آدم س الأنبياء والأولياء وغير ذلك من المصالح والحكمة **﴿الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾** أي أسماء بني آدم وأسماء أجناس الأشياء لتسمية القمر والشجر وغير ذلك **﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾** أي عرض المسمّيات، وبين أشخاص بني آدم وأجناس الأشياء **﴿أنبِئُونِي﴾** أمر على وجه التعجيز **﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** أي في قولكم إن الخليفة

﴿عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾

يفسد في الأرض ويسفك الدماء وقيل إن كنتم صادقين في جواب السؤال والمعرفة بالأسماء **﴿لاَ عِلْمَ لَنَا﴾** اعتراف.

﴿أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي أنبىء الملائكة بأسماء ذرّيتك أو بأسماء أجناس الأشياء **﴿اسْجُدُوا لآدَمَ﴾** السجود على وجه التحية وقيل عبادة لله، وآدم كالقبلة **﴿فَسَجَدُوا﴾** رُوِيَ أنّ من أوّل مَن سجد إسرافيل، ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ **﴿إلاَّ إبليسَ﴾** استثناء متصل عند مَن قال إنه كان ملكًا، ومنقطع عند مَن قال كان من الجنّ **﴿اسْتَكْبَرَ﴾** لقوله أنا خير منه **﴿وكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾** قيل كفر بإبايته من السجود وذلك بناء على أن المعصية كفر والأظهر أنه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم، وليس كفره كفر جحود لاعترافه بالربوبية **﴿وزَوْجُكَ﴾** هي حوّاء خلقها الله من ضلع آدم، ويقال زوجة، وزوج هنا أفصح **﴿الجَنَّةَ﴾** هي جنة الخلد عند الجماعة وعند أهل السُّنّة، خلافًا لمَن قال هي غيرها **﴿لاَ تَقْرَبَا﴾** النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى، وإنما نهى عن القرب سدًّا للذريعة فهذا أصل في سدّ الذّرائع **﴿الشَّجَرَةَ﴾** قيل هي شجرة العنب، وقيل شجرة التين، وقيل الحنطة، وذلك مفتقر إلى نقل صحيح واللفظ مبهم **﴿فتَكُونَا﴾** عطف على تقربا، أو نصب بإضمار أن بعد الفاء في جواب النهي **﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾** مُتعدٍّ من أزلّ القدم، وأزالهما بالألف من الزوال **﴿عَنْهَا﴾** الضمير عائد على الجنة، أو على الشجرة فتكون عن سببية على هذا.

فائدة: اختلفوا في أكل آدم من الشجرة فالأظهر أنه كان على وجه النسيان؛ لقوله تعالى: **﴿فَنَسِيَ ولم نَجِد لَهُ عَزْمًا﴾** [طه: ١١٥] وقيل سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها، وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تُسْكِر وقيل أكل عمدًا وهي معصية صغرى، وهذا عند مَن أجاز على الأنبياء الصغائر وقيل تأوّل آدم أنّ النهي كان عن شجرة معيّنة فأكل من غيرها من جنسها، وقيل لما حلف له إبليس صدّقه لأنه ظنّ أنه لا يحلف أحد كذبًا **﴿اهْبِطُوا﴾**

إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ

خطاب لآدم وزَوجه وإبليس بدليل بعضكم لبعض عدوّ ﴿**مُسْتَقَرٌّ**﴾ موضع استقرار وهو في مدّة الحياة، وقيل في بطن الأرض بعد الموت ﴿**وَمَتَاعٌ**﴾ ما يتمتع به ﴿**إِلَى حِينٍ**﴾ إلى الموت ﴿**فَتَلَقَّى**﴾ أي أخذ وقيل على قراءة الجماعة، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات، فتلقى على هذا من اللقاء ﴿**كَلِمَاتٍ**﴾ هي قوله: ﴿رَبّنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنا وإن لَم تَغْفِر لَنا وتَرْحَمنا لَنَكونَنّ من الخاسرين﴾ [الأعراف: ٢٣]، بدليل ورودها في الأعراف، وقيل غير ذلك ﴿**اهْبِطُوا**﴾ كرّر لِيُناط به ما بعده، ويحتمل أن يكون أحد الهبوطين من السماء، والآخر من الجنة، وأن يكون هذا الثاني لذرّيّة آدم لقوله: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم**﴾ إن شرطية وما زائدة للتأكيد، والهدى هنا: يراد به كتاب الله ورسالته ﴿**فَمَن تَبِعَ**﴾ شرط، وهو جواب الشرط الأوّل، وقيل فلا خوف جواب الشرطين.

﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ لمّا قدّم دعوة الناس عمومًا وذكر مبدأهم: دعا بني إسرائيل خصوصًا وهم اليهود، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب سيقول السفهاء، فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتخويف، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم، وذكر العقوبات التي عاقبهم بها فذكر من النّعم عليهم عشرة أشياء، وهي: ﴿وإذْ نَجّيناكم مِن آلِ فِرعَوْن﴾، ﴿وإذْ فَرَقْنَا بِكُم البَحْرَ﴾، ﴿ثُمّ بَعَثْنَاكم مِنْ بعد مَوْتكم﴾، ﴿وظَلّلنا عَلَيْكم الغَمَامَ وأنْزَلْنا عليكم المَنّ والسَّلْوَى﴾، ﴿وعفَوْنَا عَنكم﴾، ﴿وتَابَ عَلَيكم﴾، ﴿ونَغْفِر لكم خَطَايَاكُم﴾، ﴿وآتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ والفُرْقَان لعلّكم تَهْتَدُون﴾، ﴿فَانْفَجَرَت مِنْه اثْنَتَا عشرة عَيْنًا﴾. وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وعَصَيْنَا﴾، ﴿ثُمّ اتّخذْتم العِجْلَ﴾، ﴿فَقَالُوا أرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾، ﴿وبَدّل الّذِينَ ظَلَمُوا﴾، ﴿ولَنْ نَصْبِرَ على طَعَام وَاحِدٍ﴾، ﴿ويُحرّفُونه﴾، ﴿وتَوَلّيْتم من بعد ذلك﴾، ﴿وقَسَتْ قُلُوبُكم﴾، ﴿وكُفْرهم بِآيات اللَّهِ﴾، ﴿وقَتْلهم الأنبياءَ بغيرِ حقٍّ﴾. وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء: ﴿ضُرِبَت عليهم الذلّة والمَسْكَنة وبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾، ﴿ويُعطُوا الجِزيَة﴾، ﴿واقْتُلُوا أنْفُسكم﴾، ﴿وكُونُوا قِرَدَةً﴾، ﴿وأَنْزَلْنا عَلَيْهم رجْزًا من السَّماءِ﴾، ﴿وأخَذَتْكُم الصَّاعِقَةَ﴾، ﴿وجَعَلْنا قُلُوبُهم قاسِيَةً﴾، ﴿وحَرّمْنَا عليهم طَيّباتٍ أُحِلّت لَهُم﴾،

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا﴾

وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدّمين، وخوطب المعاصرون لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنهم مُتّبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبّخ المعاندين صلّى الله عليه وآله وسلّم بتوبيخات أُخر، وهي: كتمانهم أمر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم مع معرفتهم به، ﴿ويُحرّفون الكَلِمَ﴾، ﴿ويقولونَ هُوَ مِن عِندِ اللَّهِ﴾، ﴿وتَقْتُلون أنفُسَكُم﴾، ﴿وتُخرِجون فَرِيقًا منكم من دِيارِكم﴾، وحِرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتّباعهم للسحر، وقولهم نحن أبناء الله، وقولهم يد الله مغلولة ﴿نِعْمَتِيَ﴾ اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع، ومعناه عامّ في جميع النّعم التي على بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم أو اختصّهم به كالمنّ والسلوى، وللمفسّرين فيه أقوال تحمل على أنها أمثلة، واللفظ يعمّ النّعم جميعًا ﴿بِعَهْدِي﴾ مطلق في كل ما أخذ عليهم من العهود وقيل الإيمان بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وذلك قويّ لأنه مقصود الكلام ﴿بِعَهْدِكُم﴾ دخول الجنة ﴿وإيايَ﴾ مفعول بفعل مضمر مؤخر لانفصال الضمير، وليفيد الحصر يفسّره فارهبون، ولا يصحّ أن يعمل فيه فارهبون؛ لأنه قد أخذ معموله، وكذلك إياي فاتقون ﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي مصدّقًا للتوراة، وتصديق القرآن للتوراة وغيرها، وتصديق محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم للأنبياء والمتقدمين له ثلاث معانٍ: أحدها أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم في الإخبار به، والآخر أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أخبر أنهم أنبياء وأنزل عليهم الكتب، فهو مصدق لهم أي شاهد بصدقهم، والثالث أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك ﴿وَلاَ تكونوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ الضمير عائد على القرآن وهذا نهي عن المسابقة إلى الكفر به، ولا يقتضي إباحة الكفر في ثاني حال؛ لأن هذا مفهوم معطل؛ بل يقتضي الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به لما يجدون من ذكره، ولما يعرفون من علامته، ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً: الاشتراء هنا استعارة في الاستبدال: كقوله: ﴿اشْتَروا الضَّلالَةَ بالهُدَى﴾، والآيات هنا هي الإيمان بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، والثمن القليل ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رياستهم وأخذ الرشا على تغيير أمر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وغير ذلك، وقيل كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك، واحتجّ الحنفية بهذه الآية على منع الإجارة على تعليم القرآن ﴿الحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ الحق هنا يزاد به نبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم

ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ

والباطل الكفر به، وقيل الحق التوراة، والباطل ما زادوا فيها **﴿وتَكْتُمُوا﴾** معطوف على النهي، أو منصوب بإضمار أن في جواب النهي، والواو بمعنى الجمع، والأوّل أرجح، لأنّ العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين، بخلاف النصب بالواو، فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين لا النهي عن كل واحد على انفراده **﴿وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** أي تعلمون أنه حق **﴿الصَّلاةَ وآتوا الزَّكَاةَ﴾** يراد بها صلاة المسلمين وزكاتهم فهو يقتضي الأمر بالدخول في الإسلام **﴿وارْكَعُوا﴾** خصّص الركوع بعد ذكر الصلاة لأنّ صلاة اليهود بلا ركوع فكأنه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع، وقيل اركعوا للخضوع والانقياد **﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾** مع المسلمين فيقتضي ذلك الأمر بالدخول في دينهم، وقيل الأمر بالصلاة مع الجماعة **﴿أَتَأْمُرُونَ﴾** تقريع وتوبيخ لليهود **﴿بِالْبِرِّ﴾** عامّ في أنواعه؛ فوبخهم على أمر الناس وتركهم له، وقيل كان الأحبار يأمرون مَن نصحوه في السرّ باتّباع محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولا يتبعونه، وقال ابن عباس: بل كانوا يأمرون باتّباع التوراة، ويخالفون في جحدهم منها صفة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم **﴿تَنسَوْنَ﴾** أي تتركون، وهذا تقريع **﴿تَتْلُونَ الكِتَابَ﴾** حجة عليهم **﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾** توبيخ.

﴿واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاَةِ﴾ قيل معناه استعينوا بها على مصائب الدنيا، وقد رُوِيَ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا حزّ به أمر فزع إلى الصلاة ونعى إلى ابن عباس أخوه فقام إلى الصلاة فصلّى ركعتين وقرأ الآية، وقيل استعينوا بهما على طلب الآخرة، وقيل الصبر هنا الصوم، وقيل الصلاة هنا الدعاء **﴿وإنَّهَا﴾** الضمير عائد على العبادة التي تضمنها الصبر والصلاة أو على الاستعانة أو على الصلاة **﴿لَكَبِيرَةٌ﴾** أي شاقّة صعبة **﴿يظُنُّونَ﴾** هنا يتيقنون **﴿عَلَى العَالَمِينَ﴾** أي أهل زمانهم وقيل تفضيل من وجه ما هو كثرة الأنبياء وغير ذلك **﴿لاَ تَجْزِي﴾** لا تُغني وشيئًا مفعول به أو صفة لمصدر محذوف، والجملة في موضع الصفة، وحذف الضمير أي فيه **﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنهَا شَفَاعَةٌ﴾** ليس نفي الشفاعة مطلقًا

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

فإنّ مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد أنه لا يشفع أحد إلاّ بعد أن يأذن الله له لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَه إلاّ بِإذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إلاَّ مِن بَعد إذنِه﴾ [يونس: ٣]، ولقوله: ﴿وَلاَ تَنْفَع الشَّفَاعَةُ إلاّ لمَن أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]، وانظر ما ورد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يستأذن في الشفاعة فيقال له: اشفع تشفع. فكلّ ما ورد في القرآن من نفي الشفاعة مطلقًا يحمل على هذا لأنّ المطلق يحمل على المقيد، فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعة ﴿عَدْلٌ﴾ هنا فدية ﴿وَلاَ هُمْ يُنْصَرونَ﴾ جمع لأن النفس المذكورة يراد بها نفوس ﴿وَإذْ نَجَّيْنَاكُم﴾ تقديره اذكروا إذ نجّيناكم أي نجّينا آباءكم، وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم منهم لأنهم ذرّيتهم وعلى دينهم ومُتّبعون لهم، فحكمهم كحكمهم وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النّعم لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء، ومن ذكر مساويهم لأنّ ذرّيتهم راضون بها ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ المراد من فرعون وآله، وحذف لدلالة المعنى، وآل فرعون هم جنوده وأشياعه وآل دينه لا قرابته خاصّة، ويقال إنّ اسمه الوليد بن مصعب، وهو من ذرّية عمليق، ويقال فرعون لكل من ولِيَ مصر، وأصل آل: أهل، ثم أُبدلت من الهاء همزة وأُبدل من الهمزة ألف.

فائدة: كل ما ذكره في هذه الصور من الأخبار معجزات للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ لأنه أخبر بها من غير تعلّم ﴿يَسومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي يلزمونهم به، وهو استعارة من السوم في البيع وفسّر سوء العذاب بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ ولذلك لم يعطفه هنا، وأما حيث عطفه في سورة إبراهيم فيحتمل أن يراد بسوء العذاب غير ذلك بل فيكون عطف مغايرة أو أراد به ذلك، وعطف لاختلاف اللفظة، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بني إسرائيل[1] وقيل إنّ آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذرّيته ملوكًا وأنبياء فحسدوهم على ذلك، ورُوِيَ أنه وكّل بالنساء رجالاً يحفظون

---

(١) كذا بالأصل ولعلّ هنا سقطة وهي: «أنه رأى في منامه كأن نارًا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل» ـ كما في تفسير الخطيب اهـ مصححه.

عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ

من تحمّل منهنّ، وقيل بل وكّل على ذلك القوابل، ولأجل هذا قيل معنى يستحيون يفتشون الحياة ضدّ الموت.

﴿فَرَقْنَا بِكُمُ البَحْرَ﴾ فصلناه وجعلناه فرقًا اثني عشر طريقًا على عدد الأسباط والباء سببية أو للمصاحبة، والبحر المذكور هنا: هو بحر القلزم **﴿وإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾** هي شهر ذي القعدة وعشر ذي الحجة وإنما خصّ الليالي بالذكر لأنّ العام بها والأيام تابعة لها، والمراد أربعين ليلة بأيامها **﴿اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ﴾** اتخذتموه إلهًا، فحذف لدلالة المعنى **﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾** أي بعد غيبته في الطور **﴿الكِتَابَ﴾** هنا التوراة **﴿والفُرْقَانَ﴾** أي المفرّق بين الحق والباطل، وهو صفة للتوراة، عطف عليها لاختلاف اللفظ، وقيل الفرقان هنا فرق البحر، وقيل آتينا موسى التوراة وآتينا محمدًا الفرقان. وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه **﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾** أي يقتل بعضكم بعضًا كقوله: ﴿سَلِّموا عَلَى أَنْفُسِكم﴾ [النور: ٦١]، ورُوِيَ أنّ مَن لم يعبد العجل قتل من غده ورُوِيَ أنّ الظلام ألقى عليهم فقتل بعضهم بعضًا حتى بلغ القتلى سبعون ألفًا فعفى الله عنهم وإنما خصّ هنا اسم البلد لأن فيه توبيخًا للذين عبدوا العجل كأنه يقول كيف عبدتم غير الذي براكم، ومعنى الباري: الخالق **﴿فَتَابَ عَلَيْكُم﴾** قبله محذوف لدلالة الكلام عليه، وهو فحوى الخطاب أي ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم **﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾** تعدّى باللام لأنه تضمن معنى الانقياد **﴿جهْرَةً﴾** عيانًا **﴿الصَّاعِقَةُ﴾** الموت وكانوا سبعين وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور فسمعوا كلام الله ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا لسوء أدبهم، وجراءتهم على الله، **﴿وظَلَّلْنَا﴾** أي جعلنا الغمام فوقهم كالظلّه يقيهم حرّ الشمس، وكان ذلك في التّيه، وكذا أنزل عليه فيه المنّ والسلوى تقدّم في اللغات.

وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ

﴿كُلُوا﴾ معمول لقول محذوف ﴿هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس، وقيل أريحاء، وقيل قريب من بيت المقدس ﴿فَكُلُوا﴾ جاء هنا بالفاء التي للترتيب، لأن الأكل بعد الدخول، وجاء في الأعراف بالواو بعد قوله اسكنوا، لأنّ الدخول لا يتأتّى معه السجود، وقيل متواضعين ﴿حِطَّةٌ﴾ تقدّم في اللغات ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ أي نزيدهم أجرًا إلى المغفرة ﴿فَبَدَّلَ﴾ رُوِيَ أنه قالوا: حنطة، ورُوِيَ: حبة في شعرة ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني المذكورين، وضع الظاهر موضع المضمر لقصد ذمّهم بالظلم، وكرّره زيادة في تقبيح أمرهم ﴿رِجْزًا﴾ رُوِيَ أنهم أصابهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفًا ﴿اسْتَسْقَىٰ﴾ طلب السقيا لما عطشوا في التيه ﴿الْحَجَرَ﴾ كان مربعًا ذراعًا في ذراع: تفجر من كل جهة ثلاث عيون، ورُوِيَ أنّ آدم كان أهبطه من الجنة، وقيل هو جنس غير معين، وذلك أبلغ في الإعجاز ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ قبله محذوف تقديره: فضربه فانفجرت ﴿مشربهم﴾ أي موضع شربهم وكانوا اثني عشر سبطًا لكل سبط عين ﴿كُلُوا﴾ أي من المنّ والسلوى، واشربوا من الماء المذكور ﴿فُومِهَا﴾ هي الثوم، وقيل الحنطة ﴿أَدْنَىٰ﴾ من الدنيء الحقير وقيل أصله أدون، ثم قلب بتأخير عينه وتقديم لامه ﴿مِصْرًا﴾ قيل البلد المعروف وصرف لسكون وسطه، وقيل هو غير معين فهو نكرة لما رُوِيَ أنهم نزلوا بالشام. والأول أرجح لقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاها بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩] يعني مصر ﴿ضُرِبَتْ﴾ أي قضى عليهم بها، وألزموها وجعله الزمخشري استعارة من ضرب القبّة لأنها تعلو الإنسان وتحيط به ﴿الْمَسْكَنَةُ﴾ الناقة، وقيل الجزية ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى ضرب الذلّة والمسكنة والغضب، والباء للتعليل ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾

وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ

الآيات المتلوات أو العلامات ﴿**بِغَيْرِ الحَقِّ**﴾ معلوم أنه لا يقتل نبي إلاّ بغير حق، وذلك أفصح.

فائدة: قال هنا بغير الحق بالتعريف باللام للعهد، لأنه قد تقررت الموجبات لقتل النفس، وقال في الموضع الآخر من آل عمران: ﴿**بِغَيْرِ حق**﴾ بالتنكير لاستغراق النفي. لأن تلك نزلت في المعاصرين لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿**ذَلِكَ بِمَا عَصَوا**﴾ يحتمل أن يكون تأكيدًا للأول، وتكون الإشارة بذلك إلى القتل والكفر، والباء للتعليل. أي اجترؤا على الكفر وقتل الأنبياء لما انهمكوا في العصيان والعدوان ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا**﴾ الآية. قال ابن عباس نسختها ﴿**ومَن يَبْتَغِ غير الإسلام دينًا فلَن يقبل منه**﴾ [آل عمران: ٨٥] وقيل معناها أن هؤلاء الطوائف مَن آمن منهم إيمانًا صحيحًا فله أجره، فيكون في حق المؤمنين الثبات إلى الموت، وفي حق غيرهم الدخول في الإسلام، فلا نسخ، وقيل إنها فيمن كان قبل بعث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فلا نسخ ﴿**مَن آمَنَ**﴾ مبتدأ خبره فلهم أجْرهم والجملة خبر إن أومن آمن بدل، ﴿**فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ**﴾ خبر إن ﴿**وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ**﴾ لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم إن لم تأخذوها وقع عليكم ﴿**بِقُوَّةٍ**﴾ جدّ في العلم بالتوراة أو العمل بها ﴿**اعْتَدَوْا مِنكُمْ في السَّبْتِ**﴾ اصطادوا فيه الحوت وكان محرّمًا عليهم ﴿**كُونُوا قِرَدَةً**﴾ عبارة عن مسخهم وخاسئين صفة أو خبر ثانٍ، ومعناه مبعدين كما يخسأ الكلب ﴿**فَجَعَلْنَاهَا**﴾ الضمير للفعلة وهي المسخ ﴿**نَكَالاً**﴾ أي عقوبة لما تقدّم من ذنوبهم وما تأخر، وقيل عبرة لمَن تقدّم ومَن تأخّر ﴿**أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً**﴾ قصتها أن رجلاً من بني إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادّعى على قوم أنهم قتلوه

﴿يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾

فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها ففعلوا فقام وأخبر بمَن قتله ثم عاد ميتًا ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ جفاء وقلّة أدب، وتكذيب.

﴿فَارِضٌ﴾ مُسِنّة ﴿بِكْرٌ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾ متوسطة ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي بين ما ذكر ولذلك قال ذلك مع الإشارة إلى شيئين ﴿صَفْرَاءُ﴾ من الصفرة المفروقة، وقيل سوداء وهو بعيد والظاهر صفراء وكلها وقيل القرن والظلف فقط، وهو بعيد ﴿فَاقِعٌ﴾ شديد الصفرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ لحُسْن لونها، وقيل لسمنها ومنظرها كله ﴿لاَ ذَلُولٌ﴾ غير مذلّلة للعمل ﴿تُثِيرُ الأَرْضَ﴾ أي تحرثها وهو داخل تحت النفي على الأصح ﴿ولا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ لا يسقى عليها ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العمل أو من العيوب ﴿لاَشِيَةَ﴾ لا لمعة غير الصفرة، وهو من وشى ففاؤه واو محذوفة كعدة ﴿الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ العامل في الضرب جئت بالحق، وقيل العامل فيه مضمر تقديره الآن تذبحوها، والأول أظهر فإن كان قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾: هكذا؛ فهذا تصديق وإن كان غير ذلك فالمعنى الحق المبيّن ﴿وَمَا كَادُوا﴾ لعصيانهم وكثرة سؤالهم أو لغلاء البقرة فقد جاء بأنها كانت ليتيم وأنهم اشتروها بوزنها ذهبًا أو لقلّة وجود تلك الصفة، فقد رُوِيَ أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة أجزأت عنهم، ولكنهم شدّدوا فشدّد عليهم ﴿وإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هو أوّل قصة البقرة فمرتبته التقديم ﴿إِنَ اللَّهَ يَأْمُركم﴾ قال الزمخشري: إنما أخّر لتعدّد توبيخهم لقصتين وهما ترك المسارعة إلى الأمر، وقتل النفس ولو قدّم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد ﴿فادَّارَأْتُمْ﴾ أي اختلفتم وهو من المداراة أي المدافعة ﴿مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القتيل ومن قتلة ﴿اضْرِبُوهُ﴾ القتيل أو قريبه ﴿بِبَعْضِهَا﴾ مطلقًا، وقيل الفخذ وقيل اللسان، وقيل الذنب ﴿كذلك﴾ إشارة إلى حياة القتيل واستدلال بها على الإحياء للبعث، وقبله محذوف لا بدّ منه تقديره ففعلوا ذلك فقام القتيل.

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا

فائدة: استدلّ المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول فلان قتلني، وهو ضعيف لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة، وقصته معجزة للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلا يتأتّى أن يكذب المقتول، بخلاف غيره، واستدلّوا أيضًا بها على أن القاتل لا يرث ولا دليل فيها على ذلك ﴿**قَسَتْ قُلُوبُكُم**﴾ خطابًا لبني إسرائيل ﴿**مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ**﴾ أي بعد إحياء القتيل وما جرى في القصة من العجائب، وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعدما رأوا تلك الآيات ﴿**أَو أَشَدُّ**﴾ عطف على موضع الكاف أو خبر ابتداء أي هي أشدّ، وأوهنا إما للإيهام أو للتخيير: كأن مَن عَلِم حالها مخيّر بين أن يشبهها بالحجارة، أو بما هو أشدّ قسوة كالحديد، أو التفضيل أي فهم أقسى مع أن فعل القسوة ينبني منه أفعل لكون أشدّ أدلّ على فرط القسوة ﴿**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ**﴾ الآية: تفضيل الحجارة على قلوبهم ﴿**يهبط**﴾ أي يتردّى من علو إلى أسفل والخشية عبارة عن انقيادها، وقيل حقيقة وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ**﴾ خطاب للمؤمنين ﴿**أَن يُؤْمِنُوا**﴾ يعني اليهود وتعدّى باللام لما تضمن معنى الانقياد ﴿**فَرِيقٌ مِّنْهُمْ**﴾ السبعون الذي يسمع كلام الله على الطور ثم حرّفوه، وقيل بنو إسرائيل حرّفوا التوراة ﴿**مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ بيان لقبح حالهم ﴿**قَالُوا آمَنَّا**﴾ قالها رجل ادّعى الإسلام من اليهود وقيل قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا إلى أخبارهم ﴿**أَتُحَدِّثُونَهُم**﴾ توبيخ ﴿**بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**﴾ فيه ثلاثة أوجه بما حكم عليهم من العقوبات وبما في كتبهم من ذكر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وبما فتح الله عليهم من الفتح والإنعام، وكل وجه حجة عليهم، ولذلك قالوا: ﴿**لِيُحَاجُوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ**﴾ قيل في الآخرة وقيل أي في حكم ربكم وما أنزل في كتابه، فعنده بمعنى حكمه ﴿**أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ من بقية كلامهم توبيخًا لقولهم: ﴿**أَوَلا يَعْلَمُونَ**﴾ الآية من كلام الله ردًّا عليهم وفضيحة لهم ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ**﴾ أي الذين لا يقرؤون ولا يكتبون فهم ﴿**لاَ يَعْلَمُونَ الكِتَابَ**﴾ والمراد قوم

يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةًۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانًا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ

من اليهود وقيل من المجوس وهذا غير صحيح، لأنّ الكلام كله من اليهود **﴿إلاّ أَمَانِيَّ﴾** تلاوة بغير فهم، أو أكاذيب، وما تتمناه النفوس **﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾** تحقيق لافترائهم **﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾** عرض الدنيا من الرياسة والرشوة وغير ذلك يكسبون من الدنيا أو هي الذنوب **﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾** أربعين يومًا عدد عبادتهم العجل وقيل سبعة أيام **﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾** الآية: تقرير يقتضي إبطال **﴿بَلَى﴾** تحقيق لطول مكثهم في النار ولقولهم ما لا يعلمون **﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾** الآية: في الكفار لأنها ردّ على اليهود، ولقوله بعدها: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** فلا حجة نيها لمَن قال بتخليد العصاة في النار.

﴿لاَ تَعْبُدُونَ إلاّ اللّهَ﴾ جواب لقسم يدل عليه الميثاق، وقيل خبر بمعنى النهي، ويرجّحه قراءة لا يعبدون وقيل الأصل بأن لا تعبدوا ثم حذفت الباء وأن **﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾** يتعلق بإحسان، أو بمحذوف تقديره أحسنوا، ووكد بإحسانًا **﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾** القرابة **﴿الْيَتَامَى﴾** جمع يتيم: وهو مَن فقد والده قبل البلوغ، واليتيم من سائر الحيوان. مَن فقد أمّه، وجاء الترتيب في هذه الآية بتقديم الأهم، فقدّم الوالدين لحقّهما الأعظم، ثم القرابة لأن فيها أجر الإحسان وصلة الرحم، ثم اليتامى لقلّة حيلتهم، ثم المساكين **﴿لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾** لا يسفك بعضكم دم بعض، وإعرابه مثل لا تعبدون **﴿وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾** لا يخرج بعضكم بعضًا **﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾** بالميثاق واعترفتم بلزومه **﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾** بأخذ الميثاق عليكم **﴿هَؤُلاَءِ﴾** منصوب على التخصيص بفعل مضمر، وقيل هؤلاء مبتدأ وخبره أنتم

تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا

وتقتلون حالاً لازمة تمّ بها المعنى ﴿**تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ**﴾ كانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير: حلفاء الخزرج، وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه، ويتّقيه من موضعه إذا ظفر به ﴿**تَظَاهَرُونَ**﴾ أي تتفاوتون ﴿**تُفَادُوهُمْ**﴾ قرىء بالألف وحذفها والمعنى واحد. وكذلك أسارى بالألف وحذفها جمع أسير ﴿**وَهُوَ مُحَرَّمٌ**﴾ الضمير للإخراج من ديارهم وهو مبتدأ وخبره محرّم ﴿**وإِخْرَاجُهُمْ**﴾ بدل والضمير للأمر والشأن، وإخراجهم: مبتدأ، ومحرّم خبره، والجملة خبر الضمير ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ**﴾ فداؤهم الأسارى موافقة لما في كتبهم ﴿**وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾ القتل والإخراج من الديار مخالفة لما في كتبهم ﴿**خِزْيٌ**﴾ الجزية أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم، أو مطلق ﴿**وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ**﴾ أي جئنا من بعده بالرُّسُل، وهو مأخوذ من القفا أي جاء بالثاني في قفا الأول ﴿**الْبَيِّنَاتِ**﴾ المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك ﴿**روح القدس**﴾ جبريل، وقيل الإنجيل، وقيل الاسم الذي يكنّى به الموتى، والأول أرجح لقوله: ﴿**قُلْ نزله رُوحُ القُدس**﴾ ولقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لحسّان: اللّهمَّ أيّده بروح القدس ﴿**تَقْتُلُونَ**﴾ جاء مضارعًا مبالغة لأنه أيّد استحضاره في النفوس أو لأنهم حاولوا قتل محمد ﷺ لولا أنّ الله عصمه ﴿**غُلْفٌ**﴾ جمع أغلف: أي عليها غلاف وهو الغشاء فلا تفقهه ﴿**بَلْ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ**﴾ ردًا عليهم، وبيان أن عدم فقههم بسبب كفرهم ﴿**فَقَلِيلاً**﴾ أي إيمانًا قليلاً ﴿**مَّا يُؤْمِنُونَ**﴾ ما زائدة، ويجوز أن تكون القلّة بمعنى العدم أو على أصلها لأن مَن دخل منهم في الإسلام قليل، أو لأنهم آمنوا ببعض الرُّسُل وكفروا ببعض.

جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ

﴿**كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ هو القرآن ﴿**مُصَدِّقٌ**﴾ تقدّم أن له ثلاثة معانٍ ﴿**يَسْتَفْتِحُونَ**﴾ أي ينتصرون على المشركين، إذا قاتلوهم قالوا اللّهمَّ انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان، ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظلّ زمان نبي يخرج فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، وقيل يستفتحون: أي يعرفون الناس النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، والسين على هذا للمبالغة كما في استعجب واستسخر، وعلى الأول للطلب ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا**﴾ القرآن والإسلام ومحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال المبرّد: كفروا جوابًا لما الأولى والثانية، وأعيدت الثانية لطول الكلام، ولقصد التأكيد، وقال الزجّاج: كفروا جوابًا لما الثانية، وحذف جواب الأولى للاستغناء عنه لذلك، وقال الفرّاء جواب لما الأولى فلما، وجواب الثانية كفر ﴿**عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ أي عليهم يعني اليهود، ووضع الظاهر موضع المضمر ليدلّ أن اللعنة بسبب كفرهم، واللام للعهد أو للجنس، فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفّار ﴿**بِئْسَمَا**﴾ فاعل ليس مضمر وما مفسّرة له وإن يكفروا هو المذموم وقال الفرّاء: بئسما مركب كحبك وقال الكاسي ما مصدرية أي اشتراكهم فهي فاعله ﴿**اشْتَرَوْا**﴾ هنا بمعنى باعوا ﴿**أَن يَكْفُرُوا**﴾ في موضع خبر ابتداء أو مبتدأ كاسم المذموم في بئس أو مفعول من أجلة أو بدل من الضمير في به ﴿**بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ**﴾ القرآن أو التوراة لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿**أَن يُنَزِّلَ**﴾ في موضع مفعول من أجله ﴿**مِن فَضْلِهِ**﴾ القرآن والرسالة ﴿**مَن يَشَاءُ**﴾ يعني محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، والمعنى أنهم إنما كفروا حسدًا لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم لما تفضل الله عليه بالرسالة ﴿**بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ**﴾ لعبادتهم العجل، أو لقولهم عزير ابن الله، أو لغير ذلك من قبائحهم ﴿**بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ**﴾ القرآن ﴿**بِمَا وَرَاءَهُ**﴾ أي بما بعده وهو القرآن ﴿**فَلِمَ تَقْتُلُونَ**﴾ ردًّا عليهم فيما ادّعوا من الإيمان بالتوراة، وتكذيب لهم، وذكر الماضي بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته فكأنه دائم لما رضي هؤلاء به ﴿**إِن كُنتُم**

ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ

مُؤمنين﴾ شرطية بمعنى القدح في إيمانهم وجوابها يدلّ عليه ما قبل، أو نافية فيوقف قبلها والأوّل أظهر **﴿بالبَيِّنَات﴾** يعني المعجزات: كالعصا، وفلق البحر، وغير ذلك **﴿اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ﴾** ذكر هنا على وجه ألزم لهم، والإبطال بقولهم: نؤمن بما أنزل علينا، وكذلك رفع الطور، وذكر قبل هذا على وجه تعداد النِّعَم لقوله: **﴿ثُم عَفَوْنَا عَنْكُم﴾**، **﴿ولَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكم ورَحْمَتِه﴾** وعطفه بثم في الموضعين إشارة إلى قبح ما فعلوه من ذلك **﴿مِن بَعْدِهِ﴾** الضمير لموسى عليه السلام: أي من بعد غيبته في مناجاة الله على جبل الطور **﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾** أي سمعنا قولك وعصينا أمرك، ويحتمل أن يكونوا قالوه بلسان المقال، أو بلسان الحال **﴿وأُشْرِبُوا﴾** عبارة عن تمكّن حب العجل من قلوبهم، فهو مجاز تشبيهًا بشرب الماء أو بشرب الصبغ في الصواب وفي الكلام محذوف أي أُشربوا حبّ العجل وقيل إن موسى برد العجل بالمِبرَد ورمى برادته في الماء فشربوه، فالشرب على هذا حقيقة ويردّ هذا قوله في قلوبهم **﴿بِكُفْرِهِم﴾** الباء سببية للتعليل، أو بمعنى المصاحبة **﴿يَأْمُرُكُم﴾** إسناد الأمر إلى إيمانهم، فهو مجاز على وجه التهكّم، فهو كقولك أصلاتك تأمرك كذلك إضافة الإيمان إليهم **﴿إِن كُنْتُم﴾** شرط أو نفي.

﴿فتمنّوا الموت﴾ بالقلب أو اللسان أو باللسان خاصة، وهذا أمر على وجه التعجيز والتبكيت، لأنه مَن علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها ورُوِيَ أنهم لو تمنّوا الموت لماتوا، وقيل إن ذلك معجزة للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم دامت طول حياته **﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾** إن قيل: لِمَ قال في هذه السورة: **﴿وَلَن يَتَمَنّوه﴾**، وفي سورة الجمعة: **﴿ولا يَتَمَنَّوْنَه﴾** [الجمعة: ٧] فنفى هنا بلن، وفي الجمعة بلا، فقال أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير، الجواب أنه لما كان الشرط في المغفرة مستقبلاً وهو قوله إن كانت لكم الدار الآخرة خالصة جاءت جوابه بلن التي تخلص الفعل للاستقبال، ولما كان الشرط في الجمعة حالاً، وهو قوله: ﴿إن زَعَمْتُم أنّكم أولِيَاء لله﴾ [الجمعة: ٦] جاء جوابه بلا: التي تدخل على الحال،

ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ

أو تدخل على المستقبل ﴿**بِمَا قَدَّمَتْ**﴾ أي لسبب ذنوبهم وكفرهم ﴿**عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ تهديد لهم ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يكون عطفًا على ما قبله فيوصل به، والمعنى أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا، فحمل على المعنى كأنه قال أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وخصّ الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبّهم للحياة الدنيا، والآخر أن يكون من الذين أشركوا ابتداء كلام فيوقف على ما قبله، والمعنى: من الذين أشركوا قوم ﴿**يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾ فحذف الموصوف، وقيل أراد به المجوس، لأنهم يقولون لملوكهم عش ألف سنة، والأوّل أظهر؛ لأنّ الكلام إنما هو في اليهود، وعلى الثاني يخرج الكلام عنهم ﴿**وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ**﴾ الآية: فيها وجهان: أحدهما أن يكون هو عائد على أحدهم، وأن يعمر فاعل لمزحزحه، والآخر أن يكون هو للتعمير وأن يعمر بدل ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لجبريل**﴾ الآية: سببها أنّ اليهود قالوا للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، جبريل عدوّنا لأنه ملك الشدائد والعذاب. فلذلك لا نؤمن به، ولو جاءك ميكائيل لآمنّا بك؛ لأنه ملك الأمطار والرحمة ﴿**فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ**﴾ فيه وجهان: الأوّل فإنّ الله نزل جبريل، والآخر فإنّ جبريل نزل القرآن، وهذا أظهر، لأنّ قوله ﴿**مصدّقًا لما بين يديه**﴾: من أوصاف القرآن والمعنى الردّ على اليهود بأحد وجهين: أحدهما مَن كان عدوًّا لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديه لأنه نزله على قلبك فهو مستحق للمحبة، ويؤكد هذا قوله: ﴿**وهدًى وبشرى**﴾، والثاني مَن كان عدوًّا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزله على قلبك، فكان هذا تعليل لعداوتهم لجبريل ﴿**وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ**﴾ ذكرا بعد الملائكة تجديدًا للتشريف والتعظيم ﴿**أَوَ كُلَّمَا**﴾ الواو للعطف، قال الأخفش زائدة ﴿**نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم**﴾ نزلت في مالك بن الصيف اليهودي وكان قد قال: والله ما أخذ علينا عهد أن نؤمن بمحمد رسول يعني محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم.

مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ

﴿كِتَابَ اللهِ﴾ يعني القرآن أو التوراة لما فيها من ذكر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أو المتقدّمين **﴿مَا تَتْلُو﴾** هو من القراءة أو الاتباع **﴿عَلَى مُلْكِ﴾** أي في ملك أو عهد ملك سليمان **﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾** تبرئة له مما نسبوه إليه، وذلك أنّ سليمان عليه السلام دفن السحر ليذهبه فأخرجوه بعد موته، ونسبوه إليه، وقالت اليهود إنما كان سليمان ساحرًا، وقيل إنّ الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهّان، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنه، فلما مات قالوا ذلك علم سليمان **﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾** بتعليم السحر وبالعمل به أو بنسبته إلى سليمان عليه السلام **﴿وَمَا أُنزِلَ﴾** نفي أو عطف على السحر عليهما، إلاّ أنّ ذلك يردّه آخر الآية، وإن كانت معطوفة بمعنى الذي فالمعنى أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر ابتلاء من الله لعباده أو ليعرف فيحذر، وقرىء الملكين «بكسر اللام» وقال الحسن: هما علجان، فعلى هذا يتعين أن تكون ما غير نافية **﴿بِبَابِلَ﴾** موضع معروف **﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾** اسمان علمان بدل من الملكين أو عطف بيان **﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾** أي محنة، وذلك تحذير من السحر **﴿فَلاَ تَكْفُرْ﴾** أي بتعليم السحر، ومن هنا أخذ مالك أنّ الساحر يقتل كفرًا **﴿يُفَرِّقُونَ﴾** زوال العصمة أو المنع من الوطء **﴿يَضُرُّهُمْ﴾** أي في الآخرة **﴿عَلِمُوا﴾** أن اليهود والشياطين: أي اشتغلوا به، وذكر الشرى، لأنهم كانوا يعطون الأجرة عليه **﴿شَرَوْا﴾** هنا بمعنى باعوا **﴿لَمَثُوبَةٌ﴾** من الثواب وهو جواب لو أنهم وإنما جاء جوابها بجملة اسمية وعدل عن الفعلية لما في ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره وقيل الجواب محذوف أي لأثيبوا **﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** في الموضعين نفي لعلمهم **﴿لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا﴾** كان المسلمون يقولون للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يا رسول الله راعنا، وذلك من المراعاة

كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم

أي راقبنا وأَنْظِرْنا، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذاية للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وربما كانوا يقولونها على معنى النداء، فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون وقصده اليهود، فالنهي سدًا للذريعة، وأمروا أن يقولوا انظرنا لخلوه عن ذلك الاحتمال المذموم، فهو من النظر والانتظار، وقيل: إنما نهى الله المسلمين عنها لما فيها من الجفاء وقلّة التوقير **﴿واسْمَعُوا﴾** عطف على قولوا لا على معمولها والمعنى الأمر بالطاعة والانقياد **﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** جنس يعمّ نوعين أهل الكتاب والمشركين من العرب، ولذلك فسّره بهما، ومعنى الآية أنهم لا يحبون أن ينزل الله خيرًا على المسلمين **﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾** من للتبعيض، وقيل زائدة لتقدّم النفي في قوله ما يودّ **﴿بِرَحْمَتِهِ﴾** قيل القرآن وقيل النبوّة وللعموم أولى، ومعنى الآية: الردّ على مَن كره الخير للمسلمين **﴿مَا نَنسَخْ﴾** نزل حكمه ولفظه أو أحدهما، وقرىء بضم النون: أي نأمر بنسخه **﴿أَوْ نُنسِهَا﴾** من النسيان، وهو ضدّ الذكر: أي ينساها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بإذن الله كقوله: **﴿سَنُقرِئُكَ فَلا تَنسَى إلاّ مَا شاءَ اللهُ﴾** [الأعلى: ٦] أو بمعنى الترك: أي نتركها غير منزلة: أي غير منسوخة، وقرىء بالهمز بمعنى التأخير: أي نؤخر إنزالها أو نسخها **﴿بِخَيْرٍ﴾** في خفّة العمل، أو في الثواب **﴿قَدِيرٌ﴾** استدلال على جواز النسخ لأنه من المقدورات، خلافًا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله، وهو جائز عقلاً، وواقع شرعًا فكما نسخت شريعتهم ما قبلها، نسخها ما بعدها **﴿تَسْأَلُوا رَسُولَكُم﴾** أي تطلبوا الآيات، ويحتمل السؤال عن العلم، والأوّل أرجح لما بعده، فإنه شبّهه بسؤالهم موسى، وهو قولهم له: أرنا الله جهرة.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي تمنّوا، ونزلت الآية في حييّ بن أخطب وأُمية بن ياسر وأشباههما من اليهود الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين، ويطمعون أن يردّوهم

مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٠﴾ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي

عن الإسلام ﴿حَسَدًا﴾ مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال، والعامل فيه ما قبله، فيجب وصله معه، وقيل هو مصدر، والعامل فيه محذوف تقديره يحسدونكم حسدًا، فعلى هذا يوقف على ما قبله، والأوّل أظهر وأرجح ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ يتعلق بحسدًا وقيل بيودّ ﴿فَاعْفُوا﴾ منسوخ بالسيف ﴿بِأَمْرِهِ﴾ يعني إباحة قتالهم أو وصول آجالهم ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾ الآية: أي قالت اليهود لن يدخل الجنة: إلاّ مَن كان يهوديًا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلاّ مَن كان نصرانيًا ﴿هُودًا﴾ يعني اليهود وهذه الكلمة جمع هايد أو مصدر وصف به وقال الفرّاء: حذفت منه يا هودًا على غير قياس ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ أكاذيبهم أو ما يتمنونه ﴿هَاتُوا﴾ أمر على وجه التعجيز، والردّ عليهم، وهو من: هاتي، يهاتي، ولم ينطق به، وقيل أصله: آتوا، وأبدل من الهمزة هاء ﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما نفوا: أي يدخلها مَن ليس يهوديًا، ولا نصرانيًا.

﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي دخل في الإسلام وأخلص، وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية: سببها: اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة قدمت كل طائفة الأخرى ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ﴾ تقبيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب ﴿الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم ﴿مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ لفظه الاستفهام ومعناه: لا أحد أظلم منه حيث وقع: قريش منعت الكعبة، أو النصارى منعوا بيت المقدس أو على العموم ﴿خَائِفِينَ﴾ في حق قريش، لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا يحج بعد هذا العام مشرك»، وفي حق النصارى ضربهم عند بيت المقدس أو الجزية ﴿خِزْيٌ﴾ في

ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ

حق قريش غلبتهم وفتح مكة، وفي حق النصارى: فتح بيت المقدس أو الجزية ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا**﴾ في الحديث الصحيح أنهم صلّوا ليلة في سفر إلى غير القِبلة بسبب الظلمة فنزلت، وقيل هي في نفل المسافر حيث ما توجهت به دابّته، وقيل هي راجعة إلى ما قبلها: أي إن منعتم من مساجد الله فصلّوا حيث كنتم، وقيل إنها احتجاج على مَن أنكر تحويل القِبلة، فهي كقوله بعد هذا: ﴿قُلْ لِلَّهِ المشرق والمغرب﴾ [البقرة: ١٤٢] الآية. والقول الأوّل هو الصحيح، ويؤخذ منه أن مَن أخطأ القِبلة، فلا تجب عليه الإعادة وهو مذهب مالك ﴿**وَجْهُ اللهِ**﴾ المراد به هنا رضاه كقوله: ﴿ابْتِغَاء وَجْهَ الله﴾ [البقرة: ٢٧٢] أي رضاه، وقيل معناه الجهة التي وجّهه إليها، وأما قوله: ﴿كلُّ شيءٍ هالِكٍ إلاّ وجهه﴾ [القصص: ٨٨] ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمان: ٢٧] فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف، ويردّ علمه إلى الله، وقال الأصوليين: هو عبارة عن الذات أو عن الوجود، وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ**﴾ قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقالت الصابئون وبعض العرب: الملائكة بنات الله ﴿**سُبْحَانَهُ**﴾ تنزيه لهم عن قولهم: ﴿**بَلْ لَّهُ**﴾الآية ردّ عليهم لأنّ الكل ملكه، والعبودية تنافي النبوّة ﴿**قَانِتُونَ**﴾ أي طائعون منقادون.

﴿**بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ**﴾ أي مخترعها وخالقها ابتداء ﴿**وَإِذَا قَضَى أَمْرًا**﴾ أي قدّره وأمضاه، قال ابن عطية يتّحد في الآية المعنيان، فعلى مذهب أهل السُنّة قدر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد، قلت: لا يكون قضى هنا بمعنى قدّر، لأن القدر قديم، وإذا تقتضي الحدوث والاستقبال وذلك يناقض القدم، وإنما قضى هنا بمعنى أمضى أو فعل أو وجد كقوله: ﴿فقضاهنّ سبع سمٰوات﴾ [فصّلت: ١٢]، وقد قيل إنه بمعنى حَتم الأمر، وبمعنى حكم، والأمر هنا بمعنى الشيء، وهو واحد الأمور، وليس بمصدر أمر يأمر ﴿**فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ قال الأصوليون: هذا عبارة عن تعوّد قدرة الله تعالى وليس بقول حقيقي لأنه إن كان قول كن خطابًا للشيء في حال عدمه لم يصح، لأن المعدوم لم يخاطب وإن كان خطابًا في حال وجوده لأنه قد كان، وتحصيل الحاصل غير

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ﴾

مطلوب وحمله المفسّرون على حقيقته، وأجابوا عن ذلك بأربعة أجوبة: أحدها: أن الشيء الذي يقول له كن فيكون هو موجود في علم الله وإنما يقول له كن ليخرجه إلى العيان لنا، والثاني: أن قوله كن لا يتقدّم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه قاله الطبري، والثالث: أنّ ذلك خطابًا لمَن كان موجودًا على حاله فيأمر بأن يكون على حالة أخرى: كإحياء الموتى، ومسخ الكفّار وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصّص والرابع: أن معنى يقول له: يقول من أجله، فلا يلزم خطابه: والأوّل أحسن هذه الأجوبة، وقال ابن عطية تلخيص المعتقد في هذه الآية: أن الله عزّ وجلّ لم يزل آمرًا للمعدومات بشرط وجودها، فكلّ ما في الآية مما يقتضي الاستقبال، فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن، فيكون رفع على الاستئناء، قال سيبويه: معناه فهو يكون، قال غيره: يكون عطف على يقول، واختاره الطبري، وقال ابن عطية: وهو فاسد من جهة المعنى، ويقتضي أن القول مع التكوين والوجود، وفي هذا نظر **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾** هم هنا وفي الموضع الأول كفّار العرب على الأصح، وقيل هم اليهود والنصارى **﴿لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾** لولا هنا عرض، والمعنى أنهم قالوا: لن نؤمن حتى يكلمنا الله **﴿أَو تَأْتِينَا آيَةٌ﴾** أي دلالة من المعجزات كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا وما بعده **﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾** يعني اليهود والنصارى على القول بأن الذين لا يعلمون كفّار العرب، وأما على القول بأن الذين لا يعلمون اليهود والنصارى، فالذين من قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين **﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾** الضمير للذين لا يعلمون، وللذين من قبلهم، وتشابه قلوبهم في الكفر أو في طلب ما لا يصحّ أن يطلب، وهو كقولهم لولا يكلمنا الله **﴿قد بَيَّنَّا الآياتِ﴾** أخبر تعالى أنه قد بيّن الآيات لعنادهم **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾** خطابًا للنبي ﷺ، والمراد بالحق التوحيد، وكل ما جاءت به الشريعة **﴿بَشِيرًا ونَذِيرًا﴾** تبشّر المؤمنين بالجنة، وتنذر الكافرين بالنار، وهذا معنى حديث وقع **﴿وَلاَ تَسْأَلْ﴾** بالجزم نهي، وسببها أن النبي ﷺ سأل عن حال آبائه في الآخرة فنزلت، وقيل إن ذلك على معنى التهويل كقولك: لا تسأل عن فلان لشدّة حاله، وقرأ غير نافع بضم التاء واللام: أي لا تسأل في القيامة عن ذنوبهم.

إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى

﴿مِلَّتهمْ﴾ ذكرها مفردة وإن كانت ملّتين؛ لأنهما متفقتان في الكفر، فكأنهما ملّة واحدة ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ لا ما عليه اليهود والنصارى، والمعنى: أن الذي أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقي لأنه هدى من عند الله بخلاف ما يدّعيه اليهود والنصارى ﴿ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ جمع هوى، ويعني به ما هم عليه من الأديان الفاسدة والأقوال المضلّة؛ لأنهم اتّبعوها بغير حجة بل بهوى النفوس والضمير لليهود والنصارى، والخطاب لمحمد ﷺ، ومن علم الله أنه لا يتبع أهواءهم، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك، فهو على معنى الفرض والتقدير، ويحتمل أن يكون خطابًا له ﷺ، والمراد غيره ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني المسلمين، والكتاب على هذا: القرآن، وقيل هم من أسلم من بني إسرائيل، والكتاب على هذا التوراة، ويحتمل العموم، ويكون الكتاب اسم جنس ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾ أي يقرؤونه كما يجب من التدبّر له والعمل به، وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والأولى أظهر، فإن التلاوة وإن كانت تقال بمعنى القراءة، وبمعنى الاتباع فإنه أظهر في معنى القراءة لا سيما إذا كانت تلاوة الكتاب، ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال، ويكون الخبر أولئك يؤمنون، وهذا أرجح، لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان، أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممّن لم يؤمن.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية: تقدّم الكلام على نظيرتها ﴿وإذ ابْتَلَى﴾ أي اختبر، فالعامل في إذ فعل مضمر تقديره اذكر، وقوله ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ قيل: مناسك الحج، وقيل: خصال الفطرة العشرة، وهي: المضمضة، والاستنشاق، والسّواك، وقصّ الشارب، وإعفاء اللحية، وقصّ الأظافر، ونتف الإبطين، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء، وقيل هي ثلاثون خصلة: عشرة ذكرت في براءة من قوله: ﴿التَّائِبُون العَابِدُون﴾ [التوبة: ١١٢]، وعشرة في الأحزاب من قوله: ﴿إِنّ المُسْلِمين والمُسْلِمَات﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وعشرة في

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ

المعارج من قوله: ﴿إلاّ المُصَلّين﴾ [المعارج: ٢٢] ﴿**فَأَتَمَّهُنَّ**﴾ أي عمل بهنّ ﴿**ومِن ذُرِّيَّتِي**﴾ استفهام أو رغبة ﴿**عَهْدِي**﴾ الإمامة ﴿**البَيْتَ**﴾ الكعبة ﴿**مَثَابَةً**﴾ اسم مكان من قولك ثاب إذا رجع، لأن الناس يرجعون إليه عامًا بعد عامٌ ﴿**واتَّخِذُوا**﴾ بالفتح إخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام، وبالكسر إخبار لهذه الأمّة، وافق قول عمر رضي الله عنه: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلّى، وقيل أمر لإبراهيم وشيعته، وقيل لبني إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله: اذكروا نعمتي، وهذا بعيد ﴿**مِنْ مَّقَامِ إبْرَاهِيمَ**﴾ هو الحجر الذي صعد به حين بناء الكعبة، وقيل المسجد الحرام ﴿**وعهدنا**﴾ عبارة عن الأمر والوصية ﴿**طَهِّرَا بَيْتِيَ**﴾ عبارة عن بنيانه بنية خالصة كقوله: أُسِّس على التقوى وقيل المعنى طهّراه عن عبادة الأصنام ﴿**لِلطَّائِفِينَ**﴾ هم الذين يطوفون بالكعبة وقيل الغرباء القادمون على مكة والأوّل أظهر ﴿**والْعَاكِفِينَ**﴾ هم المعتكفون في المسجد وقيل المصلّون وقيل المجاورون من الغرباء، وقيل أهل مكة، والعكوف في اللغة اللزوم ﴿**بَلَدًا**﴾ يعني مكة ﴿**آمِنًا**﴾ أي مما يصيب غيره من الخسف والعذاب، وقيل آمنًا من إغارة الناس على أهله لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض، وكانوا لا يتعرّضون لأهل مكة، وهذا أرجح لقوله: أوَ لم نمكّن لهم حرمًا آمنًا ويتخطّف الناس من حولهم، فإن قيل: لِمَ قال في البقرة ﴿**بَلَدًا آمِنًا**﴾ فعرّف في إبراهيم، ونكر في البقرة؟ أُجيب عن ذلك بثلاثة أجوبة «الجواب الأول» قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير، وهو أنه تقدّم في البقرة ذكر البيت في قوله: ﴿**القواعد من البيت**﴾، وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه، فلم يحتج إلى تعريف، بخلاف آية إبراهيم، فإنها لم يتقدّم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به، فذكره بلام التعريف «الجواب الثاني» قاله السهيلي وهو أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم لأنها مكيّة فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التي للحضور: كقولك: هذا الرجل، وهو حاضر، بخلاف آية البقرة، فإنها مدنية، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور، وفي هذا نظر؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة «الجواب الثالث» قاله بعض المشارقة أنه

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ

قال هذا بلد آمنًا قبل أن يكون بلدًا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلدًا آمنًا وقال هذا البلد بعد ما صار بلدًا وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين ﴿مَنْ آمَنَ﴾ بدل بعض من كل ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي قال الله وأرزق مَن كفر لأنّ الله يرزق في الدنيا المؤمن والكافر ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ على حذف القول أي يقولان ذلك ﴿وأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ علمنا موضع الحج وقيل العبادات ﴿فِيهِمْ﴾ أي في ذرّيّتنا ﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾هو محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولذلك قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنا دعوة أبي إبراهيم» والضمير المجرور لذرّيّة إبراهيم وإسماعيل وهم العرب الذين من نسل عدنان، وأما الذين من قحطان فاختلف هل هم من ذرّيّة إسماعيل أم لا ﴿آيَاتِكَ﴾ هنا القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا هي السُّنّة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهّرهم من الكفر والذنوب ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ منصوب على التشبيه بالمفعول به، وقيل الأصل في نفسه ثم حذف الجار فانتصب وقيل تمييز.

﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ أي بالكلمة والملّة ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بالرفع عطف على إبراهيم، فهو مُوصٍ، وقرىء بالنصب عطفًا على نبيّه فهو موصى ﴿أَمْ كُنتُمْ﴾ أم هنا منقطعة معناها الاستفهام والإنكار، وإسماعيل كان عمّه، والعمّ يسمى أبا ﴿وَقَالُوا كُونُوا﴾ أي قالت اليهود كونوا هودًا وقالت النصارى كونوا نصارى ﴿بَلْ مِلَّةَ﴾ منصوب بإضمار فعل ﴿لا نُفَرِّقُ﴾ أي

وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ

لا نؤمن بالبعض دون البعض، وهذا برهان، لأن كل مَن أتى بالمعجزة فهو نبيّ، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض ﴿**فَسَيَكْفِيكَهُمُ**﴾ وعد ظهر مصداقه فقتل بني قريظة وأجلى بني النضير وغير ذلك ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ**﴾ أي دينه وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره، ونصبه على الإغراء وعلى المصدر من المعاني المتقدمة أو بدل من ملّة إبراهيم ﴿**كَتَمَ شَهَادَةً**﴾ من الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية ﴿**مِنَ اللَّهِ**﴾ يتعلق بكتم أو كأن المعنى شهادة تخلصت له من الله ﴿**سَيَقُولُ**﴾ ظاهره الإعلام يقولهم قبل وقوعه، إلا أن ابن عباس قال نزلت بعد قولهم ﴿**السُّفَهَاءُ**﴾ هنا اليهود أو المشركون أو المنافقون ﴿**مَا وَلاَّهُمْ**﴾ أي ما ولّى المسلمين ﴿**عَنْ قِبْلَتِهِمْ**﴾ الأولى وهي بيت المقدس إلى الكعبة ﴿**لِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ**﴾الآية: ردًّا عليهم لأنّ الله يحكم ما يريد، ويولي عباده حيث شاء، لأنّ الجهات كلها له ﴿**وَكَذَلِكَ**﴾بعدما هديناكم ﴿**جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ أي خيارًا ﴿**شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ أي تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم ﴿**عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ أي بأعمالكم، قال عليه الصلاة والسلام أقول كما قال أخي عيسى: وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم الآية، فإن قيل: لِمَ قدّم المجرور في قوله: ﴿**عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ وأخّره في قوله ﴿**شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾؟ فالجواب: أنّ تقديم المعمولات يفيد الحصر، فقدّم المجرور في قوله: عليكم شهيدًا؛ لاختصاص شهادة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بأمّته ولم يقدّمه في قوله شهداء على

﴿الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ﴾

الناس لأنه لم يقصد الحصر ﴿الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الكعبة، وهو قول ابن عباس. والآخر: هو بيت المقدس، وهو قول قتادة وعطاء والسدّي. وهذا مع ظاهر قوله: كنت عليها؛ لأنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يصلّي إلى بيت المقدس، ثم انصرف عنه إلى الكعبة، وأما قول ابن عباس: فتأويله بوجهين: الأوّل: أنّ كنت بمعنى أنت، ولثاني: قيل إن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم صلّى إلى الكعبة قبل بيت المقدس، وإعراب التي كنت عليها مفعول يجعلنا، أو صفة للقبلة، ومعنى الآية على القولين: اختبار وفتنة للناس بأمر القِبلَة، وأما على قول قتادة فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب لأنهم كانوا يعظمون الكعبة، أو فتنة لمَن أنكر تحويلها، وتقديره على هذا: ما جعلنا صرف القِبلة، أمّا على قول ابن عباس: فإن الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ، فأنكروا صرف القِبلة، أو فتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القِبلة ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي العلم الذي تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر في الوجود ما علمه الله ﴿ينقلب على عقبيه﴾ عبارة عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيه بمَن رجع يمشي إلى وراء ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ إن مخفّفة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهي التحوّل عن القِبلة ﴿إِيمَانَكُمْ﴾ قيل صلاتكم إلى بيت المقدس واستدلّ به مَن قال إن الأعمال من الإيمان، وقيل معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القِبلة ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ كان النبي ﷺ يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾ جهة ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ خبر يتضمن النهي ووحّدت قِبلتهم، وإن كانت جهتين لاتحادهم في البطلان ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأنّ اليهود لعنهم الله يستقبلون المغرب والنصارى المشرق ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي يعرفون القرآن أو النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أو أمر القِبلة ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ

ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

أَبْنَاءَهُمْ﴾ مبالغة في وصف المعرفة، وقال عبد الله بن سلام معرفتي بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أشدّ من معرفتي بابني لأنّ ابني قد يمكن فيه الشك **﴿وَلِكُلّ﴾** أي لكل أحد أو لكل طائفة **﴿وِجْهَةٌ﴾** أي جهة، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان، وقيل إنه مصدر، وثبت فيه الواو على غير قياس **﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾** أي موليها وجهه، وقرىء مولاها أي ولاّه الله إليها، والمعنى أن الله جعل لكل أمّة قِبلة **﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيرَاتِ﴾** أي بادروا إلى الأعمال الصالحات **﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾** أي يبعثكم من قبوركم **﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾** الأمر كرر للتأكيد أو ليناط به ما بعده **﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾** الآية: معناها أنّ الصلاة إلى الكعبة تدفع حجة المعترضين من الناس، فإن أُريد اليهود فحجتهم أنهم يجدون في كتبهم أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يتحوّل إلى الكعبة فلما صلّى إليها لم تبقَ لهم حجة على المسلمين، وإن أُريد قريش فحجتهم أنهم قالوا قِبلة آبائه أولى به **﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** أي مَن يتكلم بغير حجة ويعترض التحوّل إلى الكعبة، والاستثناء متّصل؛ لأنه استثناء من عموم الناس. ويحتمل الانقطاع على أن يكون استثناء ممّن له حجة، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة **﴿وَلأُتِمَّ﴾** متعلق بمحذوف أي فعلت ذلك لأتمّ، أو معطوف على لئلا يكون **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾** متعلق بقوله لأُتمّ، أو بقوله فاذكروني، والأوّل أظهر **﴿فاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾** قال سعيد بن المسيب: معناه اذكروني بالطاعة: أذكركم بالثواب، وقيل اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك، وقد أكثر المفسّرون، ولا سيما المتصوّفة في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معاني مخصوصة، ولا دليل على التخصيص، وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما يرويه عن ربه: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني

فإن ذكرني في نفسه: ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ: ذكرته في ملأ خير منهم. والذكر ثلاثة أنواع: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وبهما معًا، واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال: كالصلاة وغيرها؛ فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى.

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه (الأول) النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله». وسُئِلَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «ذكر الله»، قيل الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: «لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفّار حتى ينقطع سيفه ويختضب دمًا: لكان الذاكر أفضل منه. (الوجه الثاني) أنّ الله تعالى حيث ما أمر بالذكر، أو أثنى على الذكر: اشترط فيه الكثرة، فقال: اذكروا الله ذكرًا كثيرًا، والذاكرين الله كثيرًا، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال. (الوجه الثالث) أن للذكر مزية هي له خاصة وليست لغيره: وهي الحضور في الحضرة العليّة، والوصول إلى القرب بالذي عبّر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية، فإن الله تعالى يقول: أنا جليس مَن ذكرني، ويقول: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني.

وللناس في المقصد بالذكر مقامان: فمقصد العامّة اكتساب الأجور، ومقصد الخاصّة القرب والحضور وما بين المقامين بون بعيد فكم بين مَن يأخذ أجْره وهو من وراء حجاب، وبين مَن يقرب حتى يكون من خواصّ الأحباب.

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة: فمنها التهليل، والتسبيح، والتكبير، والحمد، والحوقلة، والحسبلة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى، والصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، والاستغفار، وغير ذلك. ولكل ذكر خاصيته وثمرته. وأما التهليل: فثمرته التوحيد: أعني التوحيد الخاصّ فإن التوحيد العامّ حاصل لكل مؤمن، وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال، وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفّار وشبه ذلك: فثمرتها ثلاث مقامات، وهي الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة. فإن المحسن محبوب لا محالة. وأما الحوقلة والحسبلة: فثمرتهما التوكّل على الله والتفويض إلى الله، والثقة بالله: وأما الأسماء التي معناها الاطّلاع والإدراك

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ﴾

كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك: فثمرتها المراقبة. وأما الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: فثمرتها شدّة المحبة فيه، والمحافظة على اتّباع سُنّته، وأما الاستغفار: فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدّمة.

ثم إن ثمرة الذكر التي تجمع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد وهو قولنا: الله، الله. فهذا هو الغاية وإليه المنتهى ﴿**اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ أي بمعونته ﴿**وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ**﴾ قيل إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر، وكانوا أربعة عشر رجلاً لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم فنزلت الآية مبيّنة لمنزلة الشهداء عند الله وتسلية لأقاربهم، ولا يخصّها نزولها فيهم بل حكمها على العموم في الشهداء ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم**﴾ أي نختبركم، وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فمعناه أن يظهر في الوجود ما في علمه لتقوم الحجة على العبد وليس كاختبار الناس بعضهم بعضًا، لأن الله يعلم ما كان وما يكون والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين، وقيل لكفّار قريش، والأول أظهر لقوله بعد هذا وبشّر الصابرين ﴿**بِشَيءٍ مِّنَ الخَوْفِ**﴾ من الأعداء ﴿**وَالجُوعِ**﴾ بالجدب ﴿**ونَقْص مِّنَ الأَمْوَالِ**﴾ بالخسارة ﴿**والأَنْفُسِ والثَّمَرَاتِ**﴾ بالجوائح، وقيل ذلك كله بسبب الجهاد ﴿**إِنَّا لِلَّهِ**﴾ اللام للملك والمالك يفعل في ملكه ما يشاء ﴿**رَاجِعُونَ**﴾ تذكروا الآخرة لتهون عليهم مصائب الدنيا، وفي الحديث الصحيح: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «مَن أصابته مصيبة فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللّهمَّ أجِرْني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها أخلف الله له خيرًا مما أصابه». قالت أُمّ سلمة فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك فأبدلني الله به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فائدة: ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعًا، وذلك لعظمة موقعه في الدين. قال بعض العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجْره، لقوله تعالى: ﴿إنما يُوفّي الصَّابِرُون أجْرَهم بغَيْرِ حِساب﴾ [الزمر: ١٠]. وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة: أوّلها المحبة، قال:

رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟

﴿واللَّهُ يُحبُّ الصَّابِرين﴾ [آل عمران: ١٤٦] والثاني: النصر قال: ﴿إنَ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] والثالث: غرفات الجنة، قال: ﴿يُجزونَ الغُرفة بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥] والرابع الأجْر الجزيل قال: ﴿إنما يُوفَى الصَّابِرُون أجْرَهم بِغَيْرِ حِساب﴾ [الزمر: ١٠] والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية، ففيها البشارة، قال: ﴿وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ والصلاة والرحمة والهداية ﴿أُولَئِكَ عَلَيهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾ والصابرون على أربعة أوجه: صبر على البلاء، وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع. وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر، وعدم الطغيان، وعدم التكبّر بها. وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها. وصبر عن المعاصي بكفّ النفس عنها، وفوق الصبر التسليم وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهرًا، وترك الكراهة باطنًا وفوق التسليم الرضا بالقضاء، وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة، وكل ما يفعل المحبوب محبوب ﴿إنَّ الصَّفَا والمَرْوَةَ﴾ جبلان صغيران بمكة ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي معالم دينه واحدها شعيرة أو شعارة ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إباحة للسّعي بين الصفا والمروة والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي، وإنما جاء بلفظ يقتضي الإباحة لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهم، لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنم يقال له أساف، وعلى المروة صنم يقال له نائلة، فخافوا أن يكون السعي بينهما تعظيمًا للصنمين، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك، ثم إن السعي بينهما للسُّنّة، قالت عائشة رضي الله عنها «سنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم السّعي بين الصفا والمروة، وليس لأحد تركه»، وقيل إن الوجوب يؤخذ من قوله: ﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ وهذا ضعيف لأنّ شعائر الله: منها واجبة، ومنها مندوبة، وقد قيل إن السعي مندوب ﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصله يتطوّف ثم أدغمت التاء في الطاء وهذا الطواف يراد به السعي سبعة أشواط ﴿وَمَن تطوّع﴾ عامًّا في أفعال البرّ، وخاصة في الوجوب من السُّنّة أو معنى التطوّع بحج بعد حج الفريضة ﴿إن الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ أمر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فِي الكِتَابِ﴾ التوارة هنا ﴿اللاَّعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون، وقيل المخلوقات إلاّ الثقلين، وقيل البهائم لما يصيبهم من الجدب لذنوب الكاتمين للحق ﴿وبَيَّنُوا﴾ أي شرط في

فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ

توبتهم أن يبيّنوا لأنهم كتموا ﴿**والنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ هم المؤمنون فهو عموم يراد به الخصوص لأنّ المؤمنين هم الذين يعتدّ بلعنهم للكافرين، وقيل يلعنهم جميع الناس ﴿**خَالِدِينَ فِيها**﴾ أي في اللعنة، وقيل في النار ﴿**ولاَ هُمْ يُنظَرُونَ**﴾ من أنظَر إذا أخّر، أي لا يؤخّرون عن العذاب ولا يمهلون أو من نظر لقوله: ﴿ ولا يَنظُرُ إليهِم﴾ [آل عمران: ٧٧] إلاّ أن يتعدّى بإلى ﴿**وإلهُكُم إلهٌ واحِدٌ**﴾ الواحد له ثلاثة معانٍ كلها صحيحة في حق الله تعالى: أحدها: أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد، والآخر أنه لا شريك له، والثالث أنه لا يتبعض ولا ينقسم، وقد فسّر المراد به هنا في قوله: ﴿**لا إله إلاّ هو**﴾، واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات الأولى توحيد عامّة المسلمين وهو الذي يعصم النفس من الهلك في الدنيا، وينجي من الخلود في النار في الآخرة وهو نفي الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد. الدرجة الثانية: توحيد الخاصّة، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن، وإنما مقام الخاص في التوحيد يُغني في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكّل عليه وحده واطّراح جميع الخلق، فلا يرجو إلاّ الله، ولا يخاف أحدًا سواه إذ ليس يرى فاعلاً إلاّ إيّاه ويرى جميع الخلق في قبضة القهر ليس بيدهم شيء من الأمر، فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب، والدرجة الثالثة ألاّ يرى في الوجود إلاّ الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها عنده معدومة، وهذا الذي تسمّيه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه، وعن توحيده: أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله ﴿**إنّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ**﴾ الآية ذكر فيها ثمانية أصناف من المخلوقات تنبيهًا على ما فيها من العِبَر والاستدلال على التوحيد المذكور قبلها في قوله: ﴿**وإلهُكُمْ إلهٌ وَاحِدٌ**﴾ ﴿**وَاختِلاَفِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ**﴾ أي اختلاف وصفهما من الضياء والظلام والطول والقصر، وقيل إن أحدهما يخلف الآخر ﴿**بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ**﴾ من التجارة وغيرها ﴿**وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ**﴾ إرسالها من جهات مختلفة، وهي الجهات الأربع، وما

ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ

بينهما وبصفات مختلفة فمنها ملقّحة بالشجر، وعقيم، وصر، وللنصر، وللهلاك ﴿**وَالَّذِينَ آمنوا أشدّ حُبًّا للّهِ**﴾ اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين: إحداهما المحبة العامّة التي لا يخلو منها كل مؤمن، وهي واجبة، والأخرى المحبة الخاصة التي ينفرد بها العلماء الربّانيون، والأولياء والأصفياء، وهي أعلى المقامات، وغاية المطلوبات، فإن سائر مقامات الصالحين: كالخوف، والرجاء، والتوكّل، وغير ذلك فهي مبنية على حظوظ النفس، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه وأن الراجي إنما يرجو منفعة نفسه؛ بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة، واعلم أنّ سبب محبة الله معرفته فتقوى المحبة على قدر قوّة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة، فإنّ الموجب للمحبة إحدى أمرين، وكلاهما إذا اجتمع في شخص من خلق الله تعالى كان في غاية الكمال. الموجب الأوّل الحُسْن والجمال، والآخر الإحسان والإجمال، فأما الجمال فهو محبوب بالطبع، فإن الإنسان بالضرورة يحبّ كل ما يستحسن، والإجمال مثل جمال الله في حكمته البالغة وصنائعه البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، التي تروق العقول وتهيج القلوب، وإنما يدرك جمال الله تعالى بالبصائر، لا بالأبصار، وأما الإحسان فقد جبلت القلوب على حبّ مَن أحسن إليها، وإحسان الله إلى عباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر، وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها، ويكفيك أنه يُحسِن إلى المُطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو في الحقيقة منه، وهو المستحق للمحبة وحده. واعلم أنّ محبة الله إذا تمكّنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجدّ في طاعته والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته والتلذّذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات، وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كل مَن يحبّه الله وإيثاره على كلّ مَن سواه، قال الحارث المحاسبي: المحبة تسليمك إلى المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ثم موافقته سرًّا وجهرًا ثم علمك بتقصيرك في حبه ﴿**وَلَوْ يَرَى**﴾ من رؤية العين والذين ظلموا مفعول، وجواب لو محذوف وهو العامل في أن التقدير لو يرى الذين ظلموا لعلمت أنّ القوّة لله أو لعلموا أنّ القوّة لله، والقويّ بالياء، وهو على هذه القراءة من رؤيا القلب، والذين ظلموا فاعل، وأن القوّة مفعول يرى، وجواب لو محذوف والتقدير لو يرى

ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ

الذين ظلموا أن القوّة لله لندموا، ولاستعظموا ما حلّ بهم **﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾** بدل من إذ يرون، أو استئناف والعامل فيه محذوف وتقديره اذكر **﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾** هم الآلهة أو الشياطين أو الرؤساء من الكفّار والعموم أولى **﴿الأَسْبَابُ﴾** هنا الوصلات من الأرحام والمودّات **﴿أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾** أي سيادتهم وقيل حسنتهم إذا لم تقبل منهم أو ما عملوا لآلهتهم **﴿كُلُوا﴾** أمر محمول على الإباحة **﴿حَلالاً﴾** حال مما في الأرض أو مفعول بكلوا أو صفة لمفعول محذوف أي سيئًا حلالاً **﴿طَيِّبًا﴾** يحتمل أن يريد الحلال **﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾** ما يأمر به، وأصله من خطوات الشيء وقال المنذر بن سعيد يحتمل أن يكون من الخطيئة ثم سهلت همزته وقرىء بضم الطاء وإسكانها وهي لغتان **﴿بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾** المعاصي **﴿وَأَن تَقُولُوا﴾** الإشراك وتحريم الحلال كالبحيرة وغير ذلك **﴿أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾** رَدًّا على قولهم: بل نتبع الآية في كفّار الحرب وقيل في اليهود أنهم يتبعونهم ولو كانوا **﴿لا يَعْقِلُونَ﴾** فدخلت همزة الإنكار على واو الحال **﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** الآية: في معناها قولان: الأوّل تشبيه الذين كفروا بالبهائم لقلّة فهمهم وعدم استجابتهم لمَن يدعوهم، ولا بدّ في هذا من محذوف، وفيه وجهان: أحدهما أن يكون المحذوف أوّل الآية والتقدير مثل داعي الذين كفروا إلى الإيمان **﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾** أي يصيح **﴿بِمَا لاَ يَسْمَعُ﴾** وهي البهائم التي لا تسمع **﴿إلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً﴾** ولا يعقل معنى، والآخر أن يكون المحذوف بعد ذلك والتقدير مثل الذين كفروا كمثل مدعوّ الذي ينعق ويكون دعاء ونداء على الوجهين مفعولا يسمع والنعيق: هو زجر الغنم، والصياح عليها، فعلى هذا القول شبّه الكفّار بالغنم وداعيهم بالذي يزجرها وهو يصيح عليها، الثاني: تشبيه الذين كفروا في دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمَن ينعق بما لا يسمع لأنّ الأصنام لا تسمع شيئًا، ويكون دعاء ونداء على هذا

فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ

منعطف: أي أن الداعي يتعب نفسه بالدعاء أو النداء لمَن لم يسمعه من غير فائدة، فعلى هذا شبّه الكفّار بالنعق ﴿صُمٌّ﴾ وما بعده راجع إلى الكفّار وذلك غير التأويل الأوّل ورفعوا على إضمار مبتدأ ﴿واشْكُرُوا﴾ الآية: دليل على وجوب الشكر لقوله: ﴿إن كُنتُمْ إيّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿المَيْتَةَ﴾ ما مات حتف أنفه، وهو عموم خصّ منه الحوت والجراد، وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت، ومنعه أبو حنيفة، ومنع مالك الجراد حتى تسبب في بيوتها بقطع عضو منها أو وضعها في الماء وغير ذلك، وأجازه عبد الحكم دون ذلك ﴿والدَّمَ﴾ يريد المسفوح لتقييده بذلك في سورة الأنعام، ولا خلاف في إباحة ما خالط اللحم من الدم ﴿ولَحْمَ الخِنْزِيرِ﴾ هو حرام سواء ذُكّيَ أو لم يُذَكَّ، وكذلك شحمه بإجماع، وإنما خصّ اللحم بالذّكر، لأنه الغالب في الأكل ولأن الشحم تابع له، وكذلك مَن حلف أن لا يأكل لحمًا فأكل شحمًا حنث بخلاف العكس ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ﴾ أي صِيحَ لأنهم كانوا يصيحون باسم مَن ذبح له ثم استعمل في النيّة في الذبح ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ الأصنام وشبهها ﴿اضْطُرَّ﴾ بالجوع أو بالإكراه، وهو مشتق من الضرورة ووزنه افتعل وأبدل من التاء طاء ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ﴾ قيل باغٍ على المسلمين، وعادٍ عليهم، ولذلك لم يرخص مالك في رواية عنه للعاصي بسفره أن يأكل لحم الميتة، والمشهور عنه الترخيص له، وقيل غير باغٍ باستعمالها من غير إضرار، وقيل باغٍ أي متزايد على إمساك رمقه ولهذا لم يُجز الشافعي للمضطر أن يشبع من الميتة قال مالك بل يشبع ويتزوّد ﴿فَلاَ إثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع للحرج، ويجب على المضطر أكل الميتة لئلا يقتل نفسه بالجوع وإنما تدلّ الآية على الإباحة لا على الوجوب. وقد اختلف هل يُباح له ميتة بني آدم أم لا، فمنعه مالك وأجازه الشافعي لعموم الآية ﴿إنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إلاَّ النَّارَ﴾ أي أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبّب، وقيل يأكلون النار في جهنم حقيقة ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن غضبه عليهم، وقيل لا يكلمهم بما يحبّون ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يثني عليهم ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ تعجب

ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة، وقيل إنها استفهام، وأصبرهم بمعنى صبرهم، وهذا بعيد، وإنما حَمَلَ قائلَهُ عليه اعتقادُه أن التعجّب مستحيل على الله لأنه استعظام خفي سببه، وذلك لا يلزم فإنه في حق الله غير خفي السبب **﴿ذَلِكَ﴾** إشارة إلى العذاب ورفعه بالابتداء أو بفعل مضمر **﴿بأن الله﴾** الباء سببية **﴿نَزَّلَ الكِتَابَ﴾** القرآن هنا **﴿بِالْحَقِّ﴾** أي بالواجب، أو بالإخبار الحق أي الصادق، والباء فيه سببية أو للمصاحبة **﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾** اليهود والنصارى، والكتاب على هذا التوراة والإنجيل، وقيل الذين اختلفوا العرب، والكتاب على هذا القرآن ويحتمل جنس الكتاب في الموضعين **﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾** أي بعيد من الحق والاستقامة **﴿لَيسَ الْبِرَّ﴾** الآية: خطاب لأهل الكتاب لأن المغرب قِبلَة اليهود، والمشرق قِبلَة النصارى: أي إنما البِرَّ التوجّه إلى الكعبة، وقيل خطاب للمؤمنين أي ليس البِرَّ الصلاة خاصّة، بل البِرَّ جميع الأشياء المذكورة بعد هذا **﴿ولَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ﴾** لا يصحّ أن يكون خبرًا عن البِرّ فتأويله: لكن صاحب البِرّ مَن آمن أو لكن البرّ برّ مَن آمن أو يكون البرّ مصدرًا وصف به **﴿وآتى الْمَالَ﴾** صدقة التطوّع، وليست بالزكاة لقوله بعد ذلك: وآتى الزكاة **﴿عَلَى حُبِّهِ﴾** الضمير عائد على المال لقوله: ﴿ويُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِم﴾ [الحشر: ٩] الآية وهو الراجح من طريق المعنى. وعود الضمير على الأقرب وهو على هذا تتميم وهو من أدوات البيان، وقيل يعود على مصدر آتى، وقيل على الله **﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾** وما بعده ترتيب بتقديم الأهم فالأهم، والأفضل لأنّ الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف مَن بعدهم. ثم اليتامى لصغرهم وحاجتهم ثم المساكين للحاجة خاصّة، وابن السبيل الغريب، وقيل الضعيف، والسائلين وإن كانوا غير محتاجين، وفي الرقاب عتقها **﴿والْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾** أي العهد مع الله ومع الناس **﴿والصَّابِرِينَ﴾** نصب بإضمار فعل **﴿فِي البَأْسَاءِ﴾** الفقر **﴿وَالضَّرَّاءِ﴾** المرض **﴿وحِينَ البَأْسِ﴾** القتال **﴿صَدَقُوا﴾** في القول والفعل والعزيمة.

ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أي شرع لكم، وليس بمعنى فرض، لأنّ وليّ المقتول مُخيّر بين القصاص والديّة والعفو، وقيل بمعنى فرض أي فرض على القاتل الانقياد على القصاص، وعلى وليّ المقتول أن لا يتعدّاه إلى غيره كفعل الجهلة وعلى الحاكم التمكين من القصاص ﴿الحُرُّ بالحُرِّ والعَبْدُ بالعَبْدِ والأُنْثى بِالأُنْثى﴾ ظاهره اعتبار التساوي بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية، ولا يقتل حرّ بعبد، ولا ذكر بأنثى إلاّ أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأُنثى، وزاد قوم أن يعطي أولياءها حينئذ نصف الديّة لأولياء الرجل المقتصر منه خلاف لمالك وللشافعي وأبو حنيفة، وأما قتل الحرّ بالعبد فهو مذهب أبي حنيفة خلافًا لمالك والشافعي، فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة بشيء من ظاهر الآية لا في الذكورية ولا في الحرية لأنها عنده منسوخة، وأخذ مالك بظاهرها في الحرية كما في الذكورية وتأويلها عنده أن قوله الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد عموم يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأُنثى بالأُنثى، والأُنثى بالذكر، والذكر بالأُنثى، ثم كرّر قوله: الأُنثى بالأُنثى: تأكيدًا للتجديد، لأنّ بعض العرب إذا قتل منهم أُنثى قتلوا بها ذكرًا تكبّرًا وعدوانًا، وقد يتوجّه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحرّ بالعبد من السُّنّة، وهو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يقتل حرّ بعبد، والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم قوله النفس بالنفس على أن هذا ضعيف، لأنه إخبار عن حكم بني إسرائيل ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ الآية: فيها تأويلان: أحدهما أن المعنى مَن قتل منفي عنه فعليه أداء الديّة بإحسان، وعلى أولياء المقتول اتّباعه بها على وفاء فعلى هذا من كناية عن القاتل وأخوه هو المقتول أو وليّه، وعفى من العفو عن القصاص، وأصله أن يتعدّى بعن، وإنما تعدّى هنا باللام لأنه كقولك تجاوزت لفلان عن ذنبه، وعلى الثاني أن مَن أعطيته الديّة فعليه اتّباع المعروف، وعلى القاتل أداء بإحسان، فعلى هذا من كناية عن أولياء المقتول، وأخوه هو القاتل أو عاقلته، وعفي بمعنى يسّر: كقوله خذ العفو أي ما تيسّر، ولا إشكال في تعدّي عفي باللام على هذا المعنى ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ﴾ إشارة إلى جواز أخذ الديّة لأن بني إسرائيل لم يكن عندهم ديّة، وإنما هو القصاص ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ أي قتل قاتل وليّه بعد أن أخذ منه الديّة ﴿عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ القصاص منه وقيل عذاب الآخرة ﴿ولَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ بمعنى قولهم القتل أبقى

حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ

للقتل أي أن القصاص يردع الناس عن القتل، وقيل المعنى أن القصاص أقلّ قتلاً، لأنه قتل واحد بواحد، بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتتال قبيلتي القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة ﴿**الوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ**﴾ كانت فرضًا قبل الميراث ثم نسخها آية الميراث مع قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا وصيّة لوارث» وبقيت الوصية مندوبة لمَن لا يرث من الأقربين، وقيل معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض، فلا تعارض بينها وبين المواريث، ولا نسخ، والأوّل أشهر ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾ أي فرض، والقصد بقوله: ﴿**كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ وبقوله: ﴿**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**﴾ تسهيل الصيام على المسلمين، وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة جميلة، والذي كتب على الذين من قبلنا الصيام مطلقًا، وقيل كتب على الذين من قبلنا رمضان فبدّلوه ﴿**أَيَّامًا**﴾ منصوب بالصيام أو بمحذوف، ويبعد انتصابه بتتّقون ﴿**فَمَن كَانَ مِنكُم مَرِيضًا**﴾ الآية: إباحة للفطر مع المرض والسفر، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك، وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى فحوى الخطاب، والتقدير: فمَن كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر فعليه عدّة من أيام أُخر، ولم يفعل الظاهرية بهذا المحذوف فرأوا أنّ صيام المسافر والمريض لا يصحّ، وأوجبوا عليه عدّة من أيام أُخر، وإن صام في رمضان، وهذا منهم جهل بكلام العرب، وليس في الآية ما يقتضي تحديد السفر، وبذلك قال الظاهرية، وحدّه في مشهور مذهب مالك أربعة برد ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ**﴾ قيل يطيقونه من غير مشقة فيفطرون ويكفرون. ثم نسخ جواز الإفطار بقوله: ﴿**فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾، وقيل يطيقونه بمشقّة كالشيخ الهَرِم، فيجوز له الفطر فلا نسخ على هذا ﴿فَمَن تطوّع﴾ أي صام ولم يأخذ بالفطر والكفّارة، وذلك على القول بالنسخ، وقيل تطوّع بالزيادة في مقدار الإطعام، وذلك على القول بعدم النسخ ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ**﴾ مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر أو بدل من الصيام ﴿**أُنْزِلَ**

رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ

﴿فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ قال ابن عباس أُنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان، ثم نزل به جبريل على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بطول عشرين سنة، وقيل المعنى أنزل في شأنه القرآن: كقولك أنزل القرآن في فلان وقيل المعنى ابتدأ فيه إنزال القرآن **﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى﴾** أي أن القرآن هدًى للناس، ثم هو مع ذلك من مبيّنات الهدى، وذلك أن الهدى على نوعين: مطلق وموصوف بالبيّنات، فالهدى الأوّل هنا على الإطلاق، وقوله من البيّنات والهدى: أي وهو من الهدى المبيّن، فهو من عطف الصفات كقولك فلان عالم وجليل من العلماء **﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾** أي كان حاضرًا غير مسافر والشهر منصوب على الظرفية، واليُسْر والعُسْر على الإطلاق، وقيل اليُسْر: الفطر في السفر، والعُسْر الصوم فيه **﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾** متعلق بمحذوف تقديره شرع أو عطف على اليُسْر **﴿العِدَّةَ﴾** الأيام التي أفطر فيها **﴿وَلِتُكَبِّرُوا﴾** التكبير يوم العيد أو مطلقًا **﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾** مقيد بمشيئة الله، وموافقة القدر، وهذا جواب مَن قال كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة **﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾** أي امتثال ما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعة **﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾** الآية: كان الأكل والجماع محرّمًا بعد النوم في ليل رمضان، فجرت لذلك قصة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ولصرمة بن مالك، فأحلّهما الله تخفيفًا على عباده **﴿الرَّفَثُ﴾** هنا الجماع، وإنما تعدّى بإلى لأنه في معنى الإفضاء **﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾** تشبيه بالثياب، لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر، وهذا تعليل للإباحة **﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾** أي تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان **﴿فَتَابَ عَلَيْكُم وعَفَا عَنكُمْ﴾** أي غفر ما وقعتم فيه من ذلك، وقيل رفع عنكم ذلك الحكم **﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾** إباحة **﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾** قيل الولد يبتغي بالجماع، وقيل الرخصة في الأكل والجماع لمَن نام في ليل رمضان بعد منعه **﴿مِنَ**

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

﴿الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض لا للأسود؛ لأنّ الفجر ليس له سواد، والخيط هنا استعارة: يراد بالخيط الأبيض بياض الفجر، وبالخيط الأسود: سواد الليل، ورُوِيَ أن قوله: **﴿مِنَ الفَجْرِ﴾** نزل بعد ذلك بيانًا لهذا المعنى، لأنّ بعضهم جعل خيطًا أبيض وخيطًا أسود تحت وسادته، وأكل حتى تبيّن له، فقال لها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنما هو بياض النهار وسواد الليل» **﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾** أي إلى أوّل الليل، وهو غروب الشمس فمَن أفطر قبل ذلك فعليه القضاء والكفّارة ومَن شكّ هل غربت أم لا فأفطر، فعليه القضاء والكفّارة أيضًا وقيل القضاء فقط، وقالت عائشة رضي الله عنها: **﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾** يقتضي المنع من الوصال، وقد جاء ذلك في الحديث **﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ﴾** تحريم للمباشرة حين الاعتكاف، قال الجمهور: المباشرة هنا الجماع فلما دونه. وقيل الجماع فقط **﴿فِي المَسَاجِدِ﴾** دليل على جواز الاعتكاف في كل مسجد؛ خلافًا لمَن قال لا اعتكاف إلاّ في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، وبيت المقدس: وفيه أيضًا دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلاّ في المساجد لا في غيرها خلافًا لمَن أجازه في غيرها من مفهوم الآية **﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾** أحكامه التي أمر بالوقوف عندها **﴿فَلاَ تَقْرَبُوها﴾** أي لا تقربوا مخالفتها، واستدلّ بعضهم به على سدّ الذرائع لأنّ المقصود النهي عن المخالفة للمحدود لقوله: **﴿تِلْكَ حُدُود الله فلا تعتدوها﴾** [البقرة: ٢٢٩]، ثم نهى هنا عن مقاربة المخالفة سدًّا للذريعة **﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم﴾** أي لا يأكل بعضكم مال بعض **﴿بِالبَاطِلِ﴾** كالقمار، والغصب، وجحد الحقوق وغير ذلك **﴿وَتُدْلُوا﴾** عطف على تأكلوا، أو نصب بإضمار أن وهو من أدلى الرجل بحجته إذا قام بها، والمعنى نهى عن أن يحتجّ بحجّة باطلة، ليصل بها إلى أكل مال الناس، وقيل نهى عن رشوة الحكّام بأموال للوصول إلى أكل أموال الناس فالباء على الأوّل سببية، وعلى الثاني للإلصاق **﴿بالإثم﴾** الباء سببية أو للمصاحبة، والإثم على القول الأول في تدلوا: إقامة الحجة الباطلة كشهادة الزور، والأيمان الكاذبة، وعلى القول الثاني الرشوة **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾** سببها أنهم سألوا عن الهلال، وما فائدته ومخالفته لحال الشمس، والهلال ليلتان من أوّل الشهر، وقيل ثلاث، ثم يقال له قمر **﴿مَوَاقِيتُ﴾** جمع ميقات لمحل الديون

ﭐلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ

والأكرية والقضاء والعدد وغير ذلك، ثم ذكر الحج اهتمامًا بذكره وإن كان قد دخل في المواقيت للناس ﴿**وليس البرُّ**﴾ الآية: كان قوم إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، وإنما يدخلون من ظهورها، ويقولون لا يحول بيننا وبين السماء شيء فنزلت الآية إعلامًا بأن ذلك ليس من البِرّ، وإنما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لأنه كان عندهم من تمام الحج، وقيل المعنى ليس البرّ أن تسألوا عن الأهلّة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه فتأتون الأمور على غير ما يجب، فعلى هذا البيوت وأبوابها وظهورها استعارة: يراد بالبيوت المسائل، وبظهورها السؤال عمّا لا يفيد، وأبوابها السؤال عمّا يحتاج إليه ﴿**البرَّ مَن اتقى**﴾ تأويله مثل البرّ مَن آمن ﴿**الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ**﴾ كان القتال غير مباح في أول الإسلام، ثم أمر بقتال الكفّار الذين يقاتلون المسلمين دون مَن لم يقاتل، وذلك مقتضى هذه الآية ثم أمر بقتال جميع الكفّار في قوله: ﴿قَاتِلُوا الْمُشرِكِينَ كَافَّة﴾ [التوبة: ٣٦] ﴿**اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**﴾ [النساء: ٨٩] فهذه الآية منسوخة، وقيل إنها محكمة وأنّ المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم، والأوّل أرجح وأشهر ﴿**وَلاَ تَعْتَدُوا**﴾ أي بقتال مَن لم يقاتلكم على القول الأول، وبقتال النساء والصبيان على القول الثاني ﴿**وأَخرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخرَجُوكُمْ**﴾ أي من مكة، لأنّ قريشًا أخرجوا منها المسلمين ﴿**والفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ**﴾ أي فتنة المؤمن عن دينه أشدّ عليه من قتله، وقيل كفر الكفّار. أشدّ من قتل المؤمنين لهم في الجهاد ﴿**عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ**﴾ منسوخ بقوله: ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم﴾ [النساء: ٨٩]، وهذا يقوّي نسخ الذين يقاتلونكم ﴿**فَإِنِ انْتَهَوْا**﴾ عن الكفر فأسلموا بدليل قوله: ﴿**غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ وإنما يغفر للكافر إذا أسلم ﴿**لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ أي لا يبقى دين كفر.

﴿**الشَّهرُ الحَرَامُ**﴾ الآية: نزلت لما صدّ الكفّار النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عن

﴿بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾

دخول مكة للعمرة عام الحديبية في شهر ذي الحجة، فدخلها في العام الذي بعده في شهر ذي القعدة أي الشهر الحرام الذي دخلتم فيه مكة بالشهر الحرام الذي صددتم فيه عن دخولها **﴿والحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾** أي حرمة الشهر والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر، والبلد حين صددتم عنها **﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾** تسمية للعقوبة باسم الذنب أي قاتلوا مَن قاتلكم، ولا تبالوا بحرمة مَن صدّكم عن دخول مكة **﴿تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾** قال أبو أيوب الأنصاري: المعنى لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد، وقيل لا تتركوا النفقة في الجهاد خوف العيلة وقيل لا تقنطوا من التوبة وقيل لا تقتحموا المهالك، والباء في بأيديكم زائدة، وقيل التقدير: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم **﴿وأَتِمُّوا الحَجَّ والعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾** أي أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما قال ابن عباس إنما مهمًّا إكمال المناسك وقال عليّ إتمامهما: **أن تحرم** بهما ما دارك، ولا حجة فيه لمَن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام لا بالابتداء **﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾** المشهور في اللغة أحصره المرض بالألف، وحصره العدوّ وقيل بالعكس، وقيل هما بمعنى واحد، فقال مالك أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة، فأوجب عليه الهدى ولم يوجبه على مَن حصره العدوّ، وقال الشافعي وأشهب يجب الهدى على مَن حصره العدو، وعمل الآية على ذلك، واستدلاً بنحر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الهدى بالحديبية، وقال أبو حنيفة يجب الهدى على المحصر بعدوّ وبمرض **﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾** أي فعليكم ما اسْتَيْسَرَ من الهدى وذلك شاة **﴿ولاَ تَحلِقُوا رُؤُوسَكُمْ﴾** خطابًا للمحصر وغيره **﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾** الآية: نزلت في كعب بن عجرة حين رآه النبي ﷺ فقال له: «لعلّك يؤذيك هوام رأسك: احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام وأطعم ستة مساكين أو انسك بشاة»، فمعنى الآية أن مَن كان في الحج واضطره مرض أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نُسْك حسبما تفسّر في الحديث، وقاسَ الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التي يمنع الحاجّ منها إلاّ الصيد، والوطء، وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس، ولا بدّ في الآية من مضمر لا ينتقل الكلام عنه، وهو المسمّى فحوى الخطاب، وتقديرها: فمَن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه فحلق رأسه

﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى﴾

فعليه فدية ﴿فإذا أمِنتُم﴾ أي من المرض على قول مالك، ومن العدوّ على قول غيره، والمعنى: إذا كنتم بحال أمن سواء تقدّم مرض أو خوف عدوّ أو لم يتقدّم ﴿فَمَنْ تَمتَّعَ بالعُمْرَةِ إلى الحَجِّ﴾ التمتّع عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان في أشهر الحج، ثم يحج من عامه، فهو قد تمتّع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة، وقال عبد الله بن الزبير: التمتّع هو أن يحصر عن الحج بعدوّ حتى يفوته الحج، فيعتمر عمرة يتحلّل بها من إحرامه، ثم يحجّ من قابل قضاء لحجته، فهو قد تمتع بفعل الممنوعات من الحج في وقت تحلّله بالعمرة إلى الحج القابل، وقيل التمتّع هو قران الحج والعمرة ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ﴾ شاة ﴿ثَلاثَةِ أيّامٍ فِي الحَجِّ﴾ وقتها من إحرامه إلى يوم عرفة فإن فاته صام أيام التشريق ﴿إذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى بلادكم أو في الطريق ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ فائدته أن السبع تُصام بعد الثلاثة فتكون عشرة، ورفع لئلا يتوهّم أن السبعة بدل من الثلاثة، وقيل هو مثل الفذلكة وهو قول الناس بعد الأعداد فذلك كذا، وقيل كاملة في الثواب ﴿لِمَن لَمْ يَكُنْ أهْلُهُ حَاضِرِي المَسْجِدِ الحرامِ﴾ يعني غير أهل مكة وذي طوى بإجماع، وقيل أهل الحرام كله، وقيل مَن كان دون الميقات، وقوله ذلك. إشارة إلى الهدي أو الصيام: أي إنما يجب الهدي أو الصيام بدلاً منه على الغرباء لا على أهل مكة، وقيل ذلك إشارة إلى التمتّع ﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ التقدير أشهر الحج أشهر، أو الحج في أشهر وهي شوّال، وذو القعدة، وذو الحجة، وقيل العشر الأول منه، وينبني على ذلك أن مَن أخّر طواف الإفاضة إلى آخر ذي الحجة: فعليه دم على القول بالعشر الأول، ولا دم عليه على القول بجميع الشهر، واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر، فأجازه مالك على كراهة، ولم يجزه الشافعي وداود لتعيين هذا الاسم كذلك؛ فكأنها كوقت الصلاة ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ﴾ أي ألزم بالحج نفسه ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ﴾ الرفث: الجماع، وقيل الفحش من الكلام، والفسوق: المعاصي، والجدال: المراء مطلقًا، وقيل المجادلة في مواقيت الحج، وقيل النسيء الذي كانت العرب تفعله ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ قيل احملوا زادًا في السفر، وقيل تزوّدوا للآخرة بالتقوى، وهو الأرجح لما بعده ﴿فَضْلاً مِن رَبِّكُمْ﴾ التجارة في أيام الحج أباحها الله تعالى، وقرأ ابن

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن

عباس: فضلاً من ربكم في مواسم الحج ﴿**أَفَضْتُم**﴾ اندفعتم جملة واحدة ﴿**مِن عَرَفَاتٍ**﴾ اسم علم للموقف والتنوين فيه في مقابلة النون في جمع المذكر لا تنوين صرف، فإن فيه التعريف والتأنيث ﴿**المَشْعَرِ الحَرَامِ**﴾ المزدلفة والوقوف بها سُنّة ﴿**كَمَا هَدَاكُمْ**﴾ الكاف للتعليل ﴿**وإن كُنتُم**﴾ إن مخفّفة من الثقيلة، ولذلك جاء اللام في خبرها ﴿**مِّن قَبْلِهِ**﴾ أي من قبل الهدي ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**﴾ فيه قولان أحدهما أنه أمر للجنس وهم قريش ومَن تبعهم كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم، ويقفون بعرفة مع سائر الناس؛ لأنها حلّ، ويقولون نحن أهل الحرم لا نقف إلاّ بالحرم، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس ويفيضوا منها، وقد كان النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقًا من الله تعالى له، والقول الثاني أنها خطاب لجميع الناس، ومعناها: أفيضوا من المزدلفة إلى منى فثَمّ على هذا القول على بابها من الترتيب، وأما على القول الأول فليست للترتيب، بل للعطف خاصة، قال الزمخشري هي كقولك أحسن إلى الناس، ثم لا تُحسِن إلى غير كريم، فإن معناها التفاوت بين ما قبلها وما بعدها وأن ما بعدها أوكد ﴿**قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ**﴾ فرغتم من أعمال الحج ﴿**كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ**﴾ لأن الإنسان كثيرًا ما يذكر آباءه، وقيل كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرة عند الجمرة، فأمروا بذكر الله عوضًا من ذلك ﴿**آتِنَا فِي الدُّنْيَا**﴾ كان الكفّار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ﴿**حَسَنَةً**﴾ قيل العمل الصالح وقيل المرأة الصالحة ﴿**وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً**﴾ الجنة ﴿**نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا**﴾ يحتمل أن تكون من سببية أي لهم نصيب من الحسنات التي اكتسبوها، والنصيب على هذا الثواب ﴿**سَرِيعُ الحِسَابِ**﴾ فيه وجهان: أحدهما أن يُراد به سرعة مجيء يوم

﴿تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى﴾

القيامة، لأن الله لا يحتاج إلى عدّة ولا فكرة، وقيل لعليّ رضي الله عنه: كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال كما يرزقهم على كثرتهم **﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾** ثلاثة بعد يوم النحر، وهي أيام التشريق، والذكر فيها: التكبير في أدبار الصلوات، وعند الجمار وغير ذلك **﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾** أي انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق **﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾** إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار، وأما المتعجّل فقيل يترك رمي جمار اليوم، وقيل يقدّمها في اليوم الثاني **﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾** في الموضعين، قيل إنه إباحة للتعجّل والتأخّر، وقيل إنه إخبار عن غفران الإثم وهو الذنب للحاجّ، سواء تعجّل أو تأخّر **﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾** أما على القول بأن معنى فلا إثم عليه: الإباحة، فالمعنى أن الإباحة في التعجّل والتأخّر لمَن اتقى أن يأثم فيهما، فقد أُبيح له ذلك من غير إثم، وأما على القول بأن معنى فلا إثم عليه: إخبار بغفران الذنوب، فالمعنى أن الغفران إنما هو لمَن اتقى الله في حجّه، كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَن حجّ هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق: خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» فاللام متعلقة إمّا بالغفران أو بالإباحة المفهومين من الآية **﴿مَن يُعْجِبُكَ﴾** الآية: قيل نزلت في الأخنس بن شريق، فإنه أظهر الإسلام، ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعًا، وقيل في المنافقين، وقيل عامّة في كل مَن كان على هذه الصفة **﴿فِي الْحَيَاةِ﴾** متعلق بقوله يعجبك: أي يعجبك ما يقول في أمر الدنيا، ويحتمل أن يتعلق بيعجبك **﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ﴾** أي يقول الله أعلم إنه لصادق **﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾** شديد الخصومة **﴿تَوَلَّى﴾** أدبر بجسده أو أعرض بقلبه، وقيل صار واليًا **﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾** على القول بأنها في الأخنس، فإهلاك الحرث حرقه الزرع، وإهلاك النسل قتله الدواب، وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغته في الفساد، وعبّر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل، لأنهما قوام معيشة ابن آدم، فإنّ الحرث هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل **﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾** المعنى أنه لا يطيع من أمره بالتقوى تكبّرًا وطغيانًا والباء يحتمل أن تكون سببية أو بمعنى مع.

ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ

وقال الزمخشري: هي كقولك: أخذ الأمير الناس بكذا: أي ألزمهم إياه، فالمعنى حملته العزّة على الإثم **﴿مَن يَشْري نَفْسَهُ﴾** أي يبيعها، قيل نزلت في صهيب وقيل على العموم وبيع النفس في الهجرة أو الجهاد، وقيل في تغيير المنكر، وأنّ الذي قبلها فيمن غير عليه فلم ينزجر **﴿السِّلْم﴾** بفتح السين المسالمة، والمراد بها هنا عقد الذمّة بالجزية، والأمر على هذا لأهل الكتاب وخوطبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدّمة، وقيل هو الإسلام، وكذلك هو بكسر السين، فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام، وقيل إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظّموا البيت كما كانوا فالمعنى على هذا: ادخلوا في الإسلام، واتركوا سواه، ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى الأمر بالثبوت عليه والدخول في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي **﴿كَافَّةً﴾** عموم في المخاطبين أو في شرائع الإسلام **﴿فاعْلَمُوا أنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** تهديد لمَن زلّ بعد البيان **﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾** أي ينتظرون **﴿يَأْتِيَهُمُ اللّهُ﴾** تأويله عند المتأوّلين: يأتيهم عذاب الله في الآخرة، أو أمره في الدنيا، وهي عند السلف الصالح من المتشابه يحب الإيمان بها من غير تكييف ويحتمل أن لا تكون من المتشابه؛ لأنّ قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم كقولهم: لولا يكلّمنا الله **﴿فِي ظُلَلٍ﴾** جمع ظلة وهي ما علاك من فوق، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال وإن كان لله فهو من المتشابه **﴿الغَمَام﴾** السحاب **﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾** فرغ منه، وذلك كناية عن وقوع العذاب **﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** على وجه التوبيخ لهم، وإقامة الحجة عليهم **﴿مِّنْ آيَةٍ﴾** معجزات موسى، أو الدلالات على نبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم **﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾** وعيد **﴿وَيَسْخَرُونَ﴾** كفّار قريش سخروا من فقراء المسلمين كبلال وصهيب **﴿والَّذِينَ اتَّقَوْا﴾** هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم **﴿فَوْقَهُمْ﴾** أي أحسن حالاً منهم، ويحتمل فوقية المكان، لأنّ الجنة في السماء **﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾** إن أراد في الآخرة، فمن كناية عن المؤمنين، والمعنى ردّ على الكفّار أي إن رزق الله الكفّار في الدنيا، فإن المؤمنين يرزقون في الآخرة وإن أراد في الدنيا فيحتمل أن يكون

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾

من كناية عن المؤمنين أي سيرزقهم، ففيه وعدلهم، وأن تكون كناية عن الكافرين أي أنّ رزقهم في الدنيا بمشيئة الله لا على وجه الكرامة لهم **﴿بِغَيْرِ حِسابٍ﴾** إن كان للمؤمنين فيحتمل أن يريد بغير تضييق ومن حيث لا يحتسبون أو لا يحاسبون عليه وإن كان للكفار فمن غير تضييق **﴿أمَّةً واحِدَةً﴾** أي متفقين في الدين، وقيل كفّارًا في زمن نوح عليه السلام، وقيل مؤمنين ما بين آدم ونوح، أو مَن كان مع نوح في السفينة وعلى ذلك يقدر: فاختلفوا بعد اتفاقهم، ويدلّ عليه **﴿أُمّةً وَاحِدَةً﴾** فاختلفوا **﴿الكِتَابَ﴾** هنا جنس أو في كل نبيّ وكتابه **﴿وَمَا اختَلَفَ فِيهِ إلاّ الّذِينَ أوتُوهُ﴾** الضمير المجرور يعود على الكتاب، أو على الضمير المجرور المتقدّم، وقال الزمخشري: يعود على الحق، وأما الضمير في أُوتوه، فيعود على الكتاب، والمعنى تقبيح الاختلاف بين الذين أُوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البيّنات **﴿بَغْيًا﴾** أي حسدًا أو عدوانًا، وهو مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال **﴿فَهَدَى اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا﴾** يعني أمّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم **﴿لَمّا اختَلَفُوا فِيهِ﴾** أي للحق لما اختلفوا فيه فما بمعنى الذي وقبلها مضاف محذوف، والضمير في اختلفوا لجميع الناس، يريد اختلافهم في الأديان، فهدى الله المؤمنين لدين الحق، وتقدير الكلام: فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق، ومن في قوله من الحق لبيان الجنس أي جنس ما وقع فيه الخلاف **﴿بِإذْنِهِ﴾** قيل بعلمه، وقيل بأمره **﴿أَمْ حَسِبْتُم﴾** خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم، والأمر بالصبر على الشدائد **﴿ولَمّا يَأْتِكُم﴾** أي لا تدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب مَن كان قبلكم **﴿مَّثَلُ الّذِينَ﴾** أي حالهم وعبر عنه بالمثل لأنه في شدّته يضرب به المثل **﴿وَزُلْزِلُوا﴾** بالتخويف والشدائد **﴿ألا إنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾** يحتمل أن يكون جوابًا للذين قالوا متى نصر الله، وأن يكون إخبارًا مستأنفًا، وقيل إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه متى نصر الله.

وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ

﴿**فَلِلْوَالِدَيْنِ والأقْرَبِينَ**﴾ إن أُريد بالنفقة الزكاة، فذلك منسوخ والصواب أن المراد التطوّع فلا نسخ، وقدّم في الترتيب الأهم فالأهم، وورد السؤال على المنفق، والجواب عن مصرفه لأنه كان المقصود بالسؤال، وقد حصل الجواب عن المنفق في قوله من خير ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ**﴾ إن كان على الأعيان فنسخه وما كان المؤمنون لينفروا كافّة، فصار القتال فرض كفاية، وإن كان على الكفاية فلا نسخ ﴿**كُرْهٌ**﴾ مصدر ذكر للمبالغة أو اسم مفعول كالخبز بمعنى المخبوز ﴿**وَعَسَى أن تَكْرَهُوا**﴾ حضّ على القتال ﴿**الشَّهْرِ الْحَرَام**﴾ جنس وهو أربعة أشهر: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ﴿**قِتَالٍ فِيهِ**﴾ بدل من الشهر وهو مقصود السؤال ﴿**قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ**﴾ أي ممنوع ثم نسخه: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وذلك بعيد فإن حيث وجدتموهم: عموم في الأمكنة لا في الأزمنة، ويظهر أن ناسخه وقاتلوا المشركين كافّة بعد ذكر الأشهر الحرم، فكان التقدير: قاتلوا فيها، ويدلّ عليه: فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم، ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال في الشهر الحرام: أي إباحته حسبما استقر في الشرع، فلا تكون الآية منسوخة، بل ناسخة لما كان في أوّل الإسلام من تحريم القتال في الأشهر الحرم ﴿**وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ ابتداء، وما بعده معطوف عليه، وأكبر عند الله: خبر الجميع، أي أن هذه الأفعال القبيحة التي فعلها الكفّار: أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام الذي عيّر به الكفّار المسلمين سرية عبد الله بن جحش، حين قاتل في أوّل يوم من رجب، وقد قيل إنه ظن أنه آخر يوم من جمادى ﴿**والمَسْجِدِ**﴾ عطف على سبيل الله ﴿**حَتَّى يَرُدُّوكُم**﴾ قال الزمخشري حتى هنا للتعليل ﴿**فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾ ذهب مالك على أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد، سواء رجع إلى الإسلام، أو مات على الارتداد، ومن ذلك انتقاض وضوئه، وبطلان صومه، وذهب الشافعي إلى أنه لا يحبط إلاّ إن مات كافرًا؛ لقوله: فيمت وهو كافر،

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ﴾

وأجاب المالكية بقوله حبطت أعمالهم جزاء على الردّة، وقوله: **﴿أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** جزاء على الموت على الكفر، وفي ذلك نظر **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** الآية: نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه **﴿الخَمْرِ﴾** كل مُسكِر من العنب وغيره **﴿والمَيْسِرِ﴾** القمار، وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجزور، ثم يدخل في ذلك النّرد والشطرنج وغيرهما، ورُوِيَ أن السائل عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه **﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾** نص في التحريم وأنهما من الكبائر، لأن الإثم حرام لقوله: ﴿قل إنما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم﴾ [الأعراف: ٣٣]، خلافًا لمَن قال إنما حرّمتها آية المائدة لا هذه الآية **﴿ومَنَافِعُ﴾** في الخمر التلذّذ والطرب، وفي القمار الاكتساب به ولا يدلّ ذكر المنافع على الإباحة قال ابن عباس: المنافع قبل التحريم، والإثم بعده **﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ﴾** تغليبًا للإثم على المنفعة، وذلك أيضًا بيان للتحريم **﴿قُلِ العَفْوَ﴾** أي السهل من غير مشقة، وقراءة الجماعة بالنصب بإضمار فعل مشاكلة للسؤال، على أن يكون ما مبتدأ، وذا خبره **﴿تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ﴾** أي في أمرهما **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى﴾** كانوا قد تجنبوا اليتامى تورّعًا، فنزلت إباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم، فإن قيل: لِمَ جاء ويسألونك بالواو ثلاث مرات، وبغير واو ثلاث مرات قبلها؟ فالجواب أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأول وقع في أوقات مفترقة فلم يأتِ بحرف عطف وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو لأنها كانت متناسقة **﴿واللَّهُ يَعْلَمُ﴾** تحذير من الفساد، وهو أكل أموال اليتامى **﴿لأَعْنَتَكُمْ﴾** لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم قال ابن عباس لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى **﴿وَلاَ تَنْكِحُوا﴾** أي لا تتزوّجوا، والنكاح مشترك بين الوطىء والعقد **﴿المُشْرِكَاتِ﴾** عباد الأوثان من العرب، فلا تتناول اليهود ولا النصارى المُباح نكاحهنّ في المائدة، فلا تعارض بين الموضعين، ولا نسخ، خلافًا لمَن قال آية المائدة نسخت هذه، ولمَن قال هذه نسخت آية

وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ

المائدة فمنع نكاح الكتابيات، ونزول الآية بسبب مرثد الغنوي أراد أن يتزوّج امرأة مشركة **﴿وَلأَمَةٌ مُّؤمِنَةٌ﴾** أي أمة لله حرّة كانت أو مملوكة وقيل أمة مملوكة خير من حرّة مشركة **﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾** في الجمال والمال وغير ذلك **﴿وَلاَ تُنْكِحُوا المُشْرِكِينَ﴾** أي لا تزوّجوهم نساءكم. وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوّج مسلمة، سواء كان كتابيًا أو غيره، واستدلّ المالكية على وجوب الولاية في النكاح بقوله: **﴿وَلاَ تُنْكِحُوا المُشرِكِينَ﴾** لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال **﴿وَلَعَبْدٌ﴾** أي عبد الله، وقيل مملوك **﴿أُولَئِكَ﴾** المشركات والمشركون **﴿يَدْعُونَ إلى النَّارِ﴾** إلى الكفر الموجب إلى النار **﴿بِإِذْنِهِ﴾** أي بإرادته أو علمه **﴿وَيَسْئَلُونَكَ﴾** سأل عن ذلك عباد بن بشر وأسيد بن حضير قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ألا نجامع النساء في المحيض، خلافًا لليهود **﴿هُوَ أَذًى﴾** مستقذر، وهذا تعليل لتحريم الجماع في المحيض **﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾** اجتنبوا جماعهنّ، وقد فسّر ذلك الحديث بقوله: لتشدّ عليها إزارها، وشأنك بأعلاها **﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾** أي ينقطع عنهنّ الدم **﴿فَإذا تَطَهَّرْنَ﴾** أي اغتسلن بالماء، وتعلق الحكم بالآية الأخيرة عند مالك والشافعي، فلا يجوز عندهما وطء حتى تغتسل وبالغاية الأولى عند أبي حنيفة فأجاز الوطء عند انقطاع الدم وقبل الغسل، وقرىء حتى يطهرن بالتشديد، ومعنى هذه الآية بالماء، فتكون الغايتان بمعنى واحد، وذلك حجة لمالك **﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾** قبل المرأة **﴿التَّوَّابِينَ﴾** من الذنوب **﴿المُتَطَهِّرِينَ﴾** بالماء أو من الذنوب **﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾** أي موضع حرث، وذلك تشبيه للجماع في إلقاء النطفة وانتظار الولد: بالحرث في إلقاء البذر وانتظار الزرع **﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾** أي كيف شئتم من الهيئات أو مَن شئتم، لا أين شئتم لأنه يوهم الإتيان في الدبر، وقد افترى مَن نسب جوازه إلى مالك وقد تبرأ هو من ذلك وقال: إنما الحرث في موضع الزرع **﴿وقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ﴾** أي الأعمال الصالحة **﴿عُرْضَةً لأَيْمَانِكُم﴾** أي لا تكثروا الحلف بالله فتبدلوا

﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾

اسمه، وأن تبرّوا على هذا علّة النهي، فهو مفعول من أجله: أي نهيتم عن كثرة الحلف كي تبرّوا، وقيل المعنى لا تحلفوا على أن تبرّوا وتتّقوا، وافعلوا البرّ والتقوى دون يمين، فأن تبرّوا على هذا هو المحلوف عليه، والعُرضة على هذين القولين لقولك: فلان عُرضة لفلان إذا أكثر التعرّض له، وقيل عرضة ما منع، من قولك عرض له أمر حال بينه وبين كذا، أي لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البرّ والتقوى، ومن ذلك يمين أبي بكر الصدّيق أن لا ينفق على مسطح، فأن تبرّوا على هذا: علّة لامتناعهم فهو مفعول من أجله أو مفعول بعرضة، لأنها بمعنى مانع ﴿بِاللَّغْوِ﴾ الساقط وهو عند مالك قولك نعم والله، ولا والله، الجاري على اللسان من غير قصد وفاقًا للشافعي، وقيل أن يحلف على الشيء بظنه على ما حلف عليه، ثم يظهر خلافه وفاقًا لأبي حنيفة، وقال ابن عباس: اللغو الحلف حين الغضب، وقيل اللغو اليمين على المعصية، والمؤاخذة العقاب أو وجوب الكفّارة ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي قصدت فهو على خلاف اللغو، وقال ابن عباس: هو اليمين الغموس، وذلك أن يحلف على الكذب متعمّدًا، وهو حرام إجماعًا، وليس فيه كفّارة عند مالك خلافًا للشافعي ﴿يُولون من نسائهم﴾ يحلفون على ترك وطئهنّ وإنما تعدّى بمَن، لأنه تضمن معنى البعد منهنّ، ويدخل في عموم قوله الذين: كل حالف حرًا كان أو عبدًا، إلاّ أنّ مالك جعل مدّة إيلاء العبد شهرين، خلافًا للشافعي، ويدخل في إطلاق الإيلاء اليمين بكل ما يلزم عنه حكم، خلافًا للشافعي في قصر الإيلاء على الحلف بالله، ووجهه أنها اليمين الشرعية، ولا يكون موليًا عند مالك والشافعي، إلاّ إذا حلف على مدّة أكثر من أربعة أشهر، وعند أبي حنيفة أربعة أشهر فصاعدًا، فإذا انقضت الأربعة الأشهر: وقف المولى عند مالك والشافعي، فإما فاء وإلاّ طلّق، فإن أبى الطلاق: طلّق عليه الحاكم، وقال أبو حنيفة: إذا انقضت الأربعة الأشهر: وقع الطلاق دون توقيف، ولفظ الآية يحتمل القولين ﴿فَإِن فَاءُوا﴾ رجعوا إلى الوطىء وكفروا عن اليمين ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي يغفر ما في الأيمان من إضرار المرأة ﴿عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ العزيمة على قول مالك التطليق أو الإباية فيطلق عليه الحاكم، وعند أبي حنيفة ترك الفيء حتى تنقضي الأربعة الأشهر، والطلاق في الإيلاء رجعيّ عند مالك بائن عند الشافعي وأبي حنيفة ﴿والمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ بيان للعدّة، وهو عموم

بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ

مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى: ﴿وأولات الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهنّ﴾ [الطلاق: ٤]. واليائسة والصغيرة بقوله: ﴿واللائي يئسن من المحيض﴾ [الطلاق: ٤] الآية. والتي لم يدخل بها بقوله: ﴿فما لكم عليهنّ من عدّة تعتدّونها﴾ [الأحزاب: ٤٩]، فيبقى حكمها في المدخول بها، وهي سنّ مَن تحيض وقد خصّ مالك منها الأمة، فجعل عدّتها قرءين ويتربصن خبر بمعنى الأمر ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ انتصب ثلاثة على أنه مفعول به هكذا قال الزمخشري، وقروء جمع قرء وهو مشترك في اللغة بين الطهر والحيض، فحمله مالك والشافعي على الطهر لإثبات التاء في ثلاثة، فإنّ الطهر مذكر والحيض مؤنث، ولقول عائشة: الأقراء هي الإطهار، وحمله أبو حنيفة على الحيض لأنه الدليل على براءة الرحم، وذلك مقصود العدّة، فعلى قول مالك تنقضي العدّة بالدخول في الحيضة الثالثة إذا طلّقها في طهر لم يمسّها فيه، وعند أبي حنيفة بالطهر منها ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ يعني الحمل والحيض، وبعولتهنّ جمع بعل، وهو هنا الزوج ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي في زمان العدّة ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ من الاستمتاع وحُسْن المعاشرة ﴿دَرَجَةٌ﴾ في الكرامة وقيل الإنفاق وقيل كون الطلاق بيده ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ بيان لعدد الطلاق الذي يرتجع منه دون زوج آخر وقيل بيان لعدد الطلاق الذي يجوز إيقاعه، وهو طلاق السُّنّة ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ ارتجاع وهو مرفوع بالابتداء أو بالخبر ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ حُسْن المعاشرة وتوفية الحقوق ﴿أَو تَسْرِيحٌ﴾ هو تركها حتى تنقضي العدّة فتبين منه ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ المتعة، وقيل التسريح هنا الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، ورُوِيَ في ذلك حديث ضعيف وهو بعيد لأنّ قوله تعالى بعد ذلك ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ هو الطلقة الثالثة، وعلى ذلك يكون تكرارًا، والطلقة الرابعة لا معنى لها ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أن تَأْخُذُوا﴾ الآية: نزلت بسبب ثابت بن قيس: اشتكت منه امرأته لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال لها: «أتردّين عليه حديقته» قالت: نعم فدعاه فطلّقها على ذلك وحكمها على العموم وهو خطاب للأزواج في حكم الفدية، وهي الخلع، وظاهرها أنه لا يجوز الخلع إلاّ إذا خاف الزوجان ﴿أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ وذلك إذا ساء ما بينهما وقبحت معاشرتهما، ثم إنّ المخالعة على أربعة أحوال: الأول: أن تكون من غير ضرر من

عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ

الزوج ولا من الزوجة: فأجازه مالك وغيره لقوله تعالى: ﴿ فإن طبن لكم عن شيء ﴾ [النساء: ٤] الآية. ومنعها قوم لقوله تعالى: **﴿إلاّ أن يَخافَا ألاّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾**، والثاني أن يكون الضرر منهما جميعًا، فمنعه مالك في المشهور لقوله تعالى: ﴿ولا تَعْضُلوهنّ لتَذْهَبوا ببعضِ مَا آتيتُموهنّ﴾ [النساء: ١٩]، وأجازه الشافعي لقوله تعالى: **﴿إلاّ أنْ يَخَافَا ألاّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾**، والثالث أن يكون الضرر من الزوجة خاصّة، فأجازه الجمهور الظاهر هذه الآية، والرابع أن يكون الضرر من الزوج خاصة: فمنعه الجمهور لقوله تعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ [النساء: ٢٠] الآية، وأجازه أبو حنيفة مطلقًا، وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسُّنّة **﴿فإنْ خِفْتُمْ﴾** خطاب للحكّام والمتوسطين في هذا الأمر **﴿فإن طَلَّقَهَا﴾** هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله الطلاق مرتان **﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾** أجمعت الأئمة على أن النكاح هنا هو العقد مع الدخول والوطء، لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم للمطلّقة ثلاثًا حين أرادت الرجوع إلى مطلّقها قبل أن يمسّها الزوج الآخر: «لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»؛ ورُوِيَ عن سعيد بن المسيب أن العقد يحلّها دون وطء، وهو قول مرفوض لمخالفته للحديث، وخرقه للإجماع، وإنما تحلّ عند مالك إذا كان النكاح صحيحًا لا شُبهة فيه، والوطء مُباحًا في غير حيض ولا إحرام ولا اعتكاف ولا صيام، خلافًا لابن الماجشون في الوطء غير المباح، وأما نكاح المحلّل فحرام، ولا يحلّ الزوجة لزوجها عند مالك، خلافًا لأبي حنيفة والمعتبر في ذلك نيّة المحلّل لا نيّة المرأة، ولا المحلّل له، وقال قوم مَن نوى التحليل منهم أفسد **﴿فإن طَلَّقَهَا﴾** يعني هذا الزوج الثاني **﴿فلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾** أي على الزوجة والزوج الأول **﴿أن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾** أي أوامره فيما يجب من حقوق الزوجة **﴿وإذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾** الآية: خطاب للأزواج، وهي نهي عن أن يطول الرجل العدّة على المرأة مضارّة منه لها بل يرتجع قرب انقضاء العدّة، ثم يطلّق بعد ذلك، ومعنى بلغن أجلهنّ في هذا الموضع: قاربن انقضاء العدّة وليس المراد انقضاؤها، لأنه ليس بيده إمساك حينئذ، ومعنى أمسكوهنّ: راجعوهنّ **﴿بمعروف﴾** هنا قيل هو الإشهاد وقيل النفقة **﴿وإذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾** الآية: هذه الأخرى خطاب للأولياء، وبلوغ الأجل هنا: انقضاء العدّة.

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ

﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنّ﴾ أي لا تمنعوهنّ **﴿أن يَنْكِحْنَ أزْوَاجَهُنَّ﴾** أي يراجعن الأزواج الذين طلّقوهنّ، قال السهيلي نزلت في معقل بن يسار كان له أُخت فطلّقها زوجها ثم أراد مراجعتها وأرادت هي مراجعته، فمنعها أخوها، وقيل نزلت في جابر بن عبد الله وذلك أنّ رجلاً طلّق أُخته وتركها حتى تمّت عدّتها، ثم أراد مراجعتها فمنعها جابر، وقال تركتها وأنت أملك بها لا زوّجتكها أبدًا. فنزلت الآية، والمعروف هنا: العدل، وقيل الإشهاد، وهذه الآية تقتضي ثبوت حق الوليّ في نكاح وليّته خلافًا لأبي حنيفة **﴿ذلك يوعظ به﴾** خطابًا للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولكل واحد على حدته، ولذلك وحّد ضمير الخطاب **﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ﴾** خطابًا للمؤمنين والإشارة إلى ترك الفصل، ومعنى أزكى أطيب للنفس، ومعنى أطهر: أي للدين والعرض **﴿والوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أوْلاَدَهُنَّ﴾** خبر بمعنى الأمر وتقتضي الآية حكمين: الحكم الأول مَن يرضع الولد، فمذهب مالك أنّ المرأة يجب عليها إرضاع ولدها ما دامت في عصمة والده، إلاّ أن تكون شريفة لا يرضع مثلها، فلا يلزمها ذلك، وإن كان والده قد مات وليس للوالد مال: لزمها رضاعه في المشهور، وقيل أجرة رضاعه على بيت المال، وإن كانت مطلّقة بائن: لم يلزمها رضاعه، لقوله تعالى: **﴿فإنْ أرْضَعْنَ لَكُم فآتوهُنّ أجُورهنّ﴾** [الطلاق: ٦]، إلاّ أن تَشَاء هِيَ فَهِيَ أَحقّ بِهِ بأُجْرة المثل، فإن لم يقبل غيرها وجب عليها إرضاعه، ومذهب الشافعي وأبي حنيفة أنها لا يلزمها إرضاعه أصلاً، والأمر في هذه الآية عندهما على الندب، وقال أبو ثور: يلزمها على الإطلاق لظاهر الآية وحملها على الوجوب، وأما مالك فجعلها في موضع على الوجوب، وفي موضع على الندب، وفي موضع على التخيير حسبما ذكر من التقسيم في المذهب الحكم الثاني مدة الرضاع، وقد ذكرها في قوله: **﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾** وإنما وصفهما بكاملين لأنه يجوز أن يقال في حول وبعض آخر: حولين، فرفع ذلك الاحتمال، وأباح الفطام قبل

نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا

تمام الحولين بقوله تعالى: ﴿**لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ واشترط أن يكون الفطام عن تراضي الأبوين بقوله: ﴿**فإن أرادا فصالا**﴾ الآية. فإن لم يكن على الولد ضرر في الفطام فلا جناح عليهما، ومَن دعا منهما إلى تمام الحولين: فذلك له، وأما بعد الحولين فمَن دعا منهما إلى الفطام فذلك له، وقال ابن عباس: إنما يرضع حولين من مكث في البطن ستة أشهر، فمَن مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرًا، وإن مكث تسعة فرضاعه إحدى وعشرون، لقوله تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ﴿**وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ**﴾ في هذه النفقة والكسوة: قولان: أحدهما: أنها أُجرة رضاع الولد، أوجبها الله للأم على الوالد، وهو قول الزمخشري وابن العربي، الثاني: أنها نفقة الزوجات على الإطلاق، وقال منذر بن سعيد البلوطي: هذه الآية نص في وجوب نفقة الرجل على زوجته، وعلى هذا حملها ابن الفرس ﴿**بِالْمَعْرُوفِ**﴾ أي على قدر حال الزوج في ماله، والزوجة في منصبها، وقد بيّن ذلك بقوله: ﴿**لا تكلّف نفسًا إلاّ وسعها لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا**﴾ قرىء بفتح الراء لالتقاء ساكنين على النهي، وبرفعهما على الخبر، ومعناها النهي، ويحتمل على كل واحد من الوجهين أن يكون الفعل مسندًا إلى الفاعل، فيكون ما قبل الآخر مكسورًا قبل الإدغام، أو يكون مسندًا إلى المفعول، فيكون مفتوحًا، والمعنى على الوجهين: النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد، ويدخل في عموم النهي: وجوه الضرر كلها والباء في قوله: ﴿**بولدها**﴾ وبولده: سببية، والمراد بقوله: ﴿**ولا مولود له**﴾: الوالد، وإنما ذكره بهذا اللفظ إعلامًا بأنّ الولد ينسب له لا للأم ﴿**وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ**﴾ اختلف في الوارث فقيل وارث المولود له، وقيل وارث الصبي لو مات، وقيل هو الصبي نفسه، وقيل مَن بقي من أبويه، واختلف في المراد بقوله مثل ذلك، فقال مالك وأصحابه: عدم المضارّة، وذلك يجري مع كل قول في الوارث؛ لأنّ ترك الضرر واجب على كل أحد، وقيل المراد أُجرة الرضاع في النفقة والكسوة، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث، فأما على القول بأنّ الوارث هو الصبي فلا إشكال؛ لأن أُجرة رضاعه في ماله، وأما على سائر الأقوال، فقيل إن الآية منسوخة فلا تجب أُجرة الرضاع على أحد غير الوالد، وقيل إنها محكمة فتجب أُجرة الرضاع على وارث الصبي لو مات، أو على وارث الوالد، وهو قول قتادة والحسن البصري ﴿**وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا**﴾

سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ

إباحة لاتخاذ الغير **﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالمَعْرُوفِ﴾** أي دفعتم أُجرة الرضاع **﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾** الآية عموم في كل متوفّي عنها، سواء توفي زوجها قبل الدخول أو بعده، إلاّ الحامل فعدّتها وضع حملها، سواء وضعته قبل الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء، وقال عليّ بن أبي طالب: عدّتها أبعد الأجلين، وخصّ مالك من ذلك الأمة فعدّتها في الوفاة شهران وخمس ليالٍ، ويتربص: معناه عن التزويج وقيل عن الزينة فيكون أمرًا بالإحداد، وإعراب الذين مبتدأ، وخبره يتربصن على تقدير أزواجهم يتربصن، وقيل التقدير وأزواج الذين يتوفّون منكم يتربصن، وقال الكوفيون: الخبر عن الذين متروك، والقصد الإخبار عن أزواجهم **﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾** من التزويج والزينة **﴿بِالمَعْرُوفِ﴾** هنا إذا كان غير منكر وقيل معناه الإشهاد **﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ﴾** الآية: إباحة التعريض بخطبة المرأة المعتدّة، ويقتضي ذلك النهي عن التصريح، ثم أباح ما يضمر في النفس بقوله: **﴿أو أكننتم في أنفسكم عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾** أي تذكروهنّ في أنفسكم وبألسنتكم لم يخف عليكم وقيل أي ستخطبونهنّ إن لم تنتهوا عن ذلك **﴿لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾** أي لا تواعدوهنّ في العدّة خفية بأن تتزوّجوهنّ بعد العدّة، وقال مالك فيمن يخطب في العدّة ثم يتزوّج بعدها: فراقها أحبّ إليّ، ثم يكون خاطبًا من الخطاب، وقال ابن القاسم: يجب فراقها **﴿إلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾** استثناء منقطع، والقول المعروف: هو ما أُبيح من التعريض: كقوله: «إنكم لأكفاء كرام»، وقوله: «إنّ الله سيفعل معك خيرًا»، وشبه ذلك **﴿وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾** الآية: نهي عن عقد النكاح قبل تمام العدّة والكتاب هنا: القدر الذي شرع فيه من المدّة ومن تزوّج امرأة في عدّتها يفرّق بينهما اتفاقًا، فإن دخل بها حرمت عليه على التأبيد عند مالك خلافاً للشافعي وأبي حنيفة واختلف عن مالك في تأبيد التحريم إذا لم يدخل بها، وإذا دخل بها ولم يطأها **﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إن**

ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ

طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآية: قيل إنها إباحة للطلاق قبل الدخول ولما نهى عن التزويج بمعنى الذوق وأمر بالتزويج طلب العصمة ودوام الصحبة ظنّ قوم أنّ مَن طلّق قبل البناء وقع في المنهي عنه، فنزلت الآية رافعة للجُناح في ذلك، وقيل إنها في بيان ما يلزم من الصداق والمتعة في الطلاق قبل الدخول، وذلك أنّ مَن طلّق قبل الدخول فإن كان لم يفرض لها صداقًا وذلك في نكاح التفويض: فلا شيء عليه من الصداق؛ لقوله: **﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾** الآية، والمعنى لا طلب عليكم بشيء من الصداق، ويؤمر بالمتعة لقوله تعالى: **﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾**، وإن كان قد فرض لها: فعليه نصف الصداق لقوله تعالى: **﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾**، ولا متعة عليه، لأنّ المتعة إنما ذكرت فيما لم يفرض لها بقوله: **﴿أو تفرضوا﴾**، أو فيه بمعنى الواو **﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾** أي أحسنوا إليهنّ، وأعطوهنّ شيئًا عند الطلاق، والأمر بالمتعة مندوب عند مالك، وواجب عند الشافعي **﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾** أي يمتّع كل واحد على قدر ما يجد، والموسع الغني، و**﴿الْمُقْتِرِ﴾** الضيق الحال، وقرىء بإسكان دال قدره وفتحها، وهما بمعنى وبالمعروف هنا: أي لا حمل فيه ولا تكلّف على أحد الجانبين **﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾** تعلّق الشافعي في وجوب المتعة بقوله: **﴿حقًّا﴾**، وتعلّق مالك بالندب في قوله: **﴿على المحسنين﴾**، لأنّ الإحسان تطوّع بما لا يلزم **﴿وإن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾** الآية: بيان أن المطلّقة قبل البناء لها نصف الصداق إذا كان فرض لها صداق مسمّى، بخلاف نكاح التفويض **﴿إلاَّ أَن يَعْفُونَ﴾** النون فيه نون جماعة النسوة: يريد المطلّقات، والعفو هنا بمعنى الإسقاط، أي للمطلّقات قبل الدخول نصف الصداق، إلاّ أن يسقطنه وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها **﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾** قال ابن عباس ومالك وغيرهما: هو الوالي الذي تكون المرأة في حجره كالأب في ابنته المحجورة، والسيد في أمته، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول، وأجاز شريح إسقاط غير الأب من الأولياء، وقال علي بن أبي طالب والشافعي: الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج، وعفوه أن يعطى النصف الذي سقط عنه من الصداق، ولا يجوز عندهما أن يسقط الأب النصف الواجب لابنته، وحجة مالك أنّ قوله الذي بيده عقدة النكاح في الحال، والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدة

لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا

النكاح، وحجة الشافعي قوله تعالى: ﴿**وأن تَعْفُوا أقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ فإن الزوج إذا تطوّع بإعطاء النصف الذي لا يلزمه فذلك فضل وأما إسقاط الأب لحق ابنته فليس فيه تقوى لأنه إسقاط حق الغير ﴿**وَلاَ تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ**﴾ قيل إنه يعني إسقاط المرأة نصف صداقها أو دفع الرجل النصف الساقط عنه واللفظ أعمّ من ذلك ﴿**والصَّلَوَاةُ الوُسْطَىٰ**﴾ جدّد ذكرها بعد دخولها في الصلوات اعتناءً بها وهي الصبح عند مالك وأهل المدينة، والعصر عند عليّ بن أبي طالب لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»، وقيل هي الظهر، وقيل المغرب، وقيل هي العشاء الآخرة، وقيل الجمعة، وسمّيت وسطى لتوسّطها في عدد الركعات، وعلى القول بأنها المغرب لأنها بين الركعتين والأربع أو لتوسّط وقتها، وعلى القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار، وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة، لأنها في وسط النهار، أو لفضلها من الوسط وهو الخيار، وعلى هذا يجري اختلاف الأقوال فيها ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ**﴾ معناه في صلاتكم ﴿**قَانِتِينَ**﴾ هنا ساكتين وكانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت، قاله ابن مسعود، وزيد بن أرقم، وقيل خاشعين، وقيل طول القيام ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ**﴾ أي من عدوّ أو سبع أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس ﴿**فرِجَالاً**﴾ جمع راجل أي على رجليه ﴿**أو رُكْبَانًا**﴾ جمع راكب: أي صلّوا كيف ما كنتم من ركوب أو غيره، وذلك في صلاة المسايفة، ولا تنقص منها عن ركعتين في السفر، وأربع في الحضر عند مالك ﴿**فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ**﴾ الآية: قيل المعنى: إذا زال الخوف فصلّوا الصلاة التي علمتموها وهي التامّة، وقيل إذا أمنتم فاذكروا الله كما علّمكم هذه الصلاة التي تجزئكم في حال الخوف، فالذكر على القول الأوّل في حال الصلاة، وعلى الثاني بمعنى الشكر ﴿**والَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم**﴾ هذه الآية منسوخة ومعناها أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم في منزله سنة وينفق عليها من ماله، وذلك وصيّة لها ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر، ونسخت النفقة بالربع أو الثُّمن الذي لها في الميراث حسبما ذكر في سورة النساء، وإعراب وصيّة مبتدأ، وأزواجهم خبر، أو مضمر تقديره: فعليهم وصيّة، وقرئت بالنصب على المصدر، تقديره: ليوصوا وصيّة، ومتاعًا نصب على المصدر ﴿**غَيْرَ إخراج**﴾ أي ليس لأولياء الميت إخراج

وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ

المرأة ﴿فَإِنْ خَرَجنَ﴾ معناه إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جُناح على أحد فيما فعلت في نفسها من تزوّج وزينة ﴿وللمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ عامّ في إمتاع كل مطلّقة وبعمومه أخذ أبو ثور واستثنى الجمهور المطلّقة قبل الدخول وقد فرض لها بالآية المتقدمة منه واستثنى مالك المختلعة والملاعنة ﴿حَقًّا عَلَى المُتَّقينَ﴾ يدلّ على وجوب المتعة وهي الإحسان للمطلّقات، لأن التقوى واجبة، ولذلك قال بعضهم: نزلت مؤكدة للمتعة لأنه نزل قبلها حقًّا على المحسنين، فقال رجل: فإن لم أرد أن أُحسِن لم أُمتّع، فنزلت ﴿حَقًّا عَلَى المُتقِينَ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ رؤية قلب ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ قوم من بني إسرائيل أُمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال، فخرجوا من ديارهم فرارًا من ذلك، فأماتهم الله ليعرّفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء، وقيل بل فرّوا من الطاعون ﴿وهُمْ أُلوفٌ﴾ جمع ألف، قيل ثمانون ألفًا، وقيل ثلاثون ألفًا، وقيل ثمانية آلاف، وقيل هو من الألفة، وهو ضعيف ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ عبارة عن إماتتهم، وقيل إن ملكين صاحا بهم موتوا فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ليستوفوا آجالهم ﴿وَقَاتِلُوا﴾ خطاب لهذه الأمّة وقيل للذين أماتهم الله ثم أحياهم ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ استفهام يراد به الطلب والحضّ على الإنفاق وذكر لفظ القرض تقريبًا للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف ردّ ما أسلف، ورُوِيَ أن الآية نزلت في أبي الدحداح حين تصدّق بحائط لم يكن له غيره ﴿قَرْضًا حَسنًا﴾ أي خالصًا طيبًا من حلال من غير منّ ولا أذى ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ قرىء بالتشديد والتخفيف، وبالرفع على الاستئناف أو عطفًا على يقرض، وبالنصب في جواب الاستفهام ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ عشرة فما فوقها إلى سبعمائة ﴿يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ إخبار يراد به الترغيب في الإنفاق ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلإِ﴾ رؤية قلب، وكانوا قومًا نالهم الذلّة من أعدائهم، فطلبوا الإذن في القتال فلما أُمروا به كرهوه

مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ

﴿لِنَبِيّ لَّهُمُ﴾ قيل اسمه شمويل، وقيل شمعون ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي قاربتم، وأراد النبي المذكور أن يتوثّق منهم، ويجوز في السين من عسيتم الكسر والفتح، وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر وأما إذا لم يتصل بعسى ضمير فلا يجوز فيها إلاّ الفتح ﴿طَالُوتَ مَلِكًا﴾ قال وهب بن منبّه أوحى الله إلى نبيّهم إذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن هو ملكهم، وقال السدّي أرسل الله إلى نبيّهم عصًا، وقال له إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم فكان ذلك طالوت ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالمُلْكِ مِنْهُ﴾ رُوِيَ أنه كان دبّاغًا ولم يكن من بيت الملك والواو في قوله ونحن واو الحال والواو في قوله ولم يؤتَ لعطف الجملة على الأخرى ﴿بَسْطَةً في العِلْم والجِسْم﴾ كان عالمًا بالعلوم وقيل بالحروب وكان أطول رجل يصل إلى منكبه ﴿والله يُؤتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ ردّ عليهم في اعتقادهم أن الملك يستحق بالبيت أو المال.

﴿أن يأتيكم التابوت﴾ كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع في البرية، فبعث الله ملائكة حملته فجعلته في دار طالوت، وفيه قصص كثيرة غير ثابتة ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ قيل رمح فيه رأس ووجه كوجه الإنسان، وقيل طست من ذهب تُغسَل فيه قلوب الأنبياء وقيل رحمة، وقيل وقار ﴿وبَقِيَّةٌ﴾ قال ابن عباس: هي عصى موسى ورضاض الألواح وقيل العصا والنعلان وقيل ألواح من التوراة ﴿آلُ مُوسَى وآلُ هَارُونَ﴾ يعني أقاربهما، قال الزمخشري يعني الأنبياء من بني إسرائيل، ويحتمل أن يريد موسى وهارون،

ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ

وأقحم الأهل ﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أي خرج من موضعه إلى الجهاد ﴿بِنَهَرٍ﴾ قيل هو نهر فلسطين ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ الآية: اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد ﴿إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ رخّص لهم في الغرفة باليد، وقرىء بفتح الغين وهو المصدر وبضمها هو الاسم ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ قيل كانوا ثمانين ألفًا فشربوا منه كلهم إلاّ ثلاثمائة وبضعة عشر: عدد أصحاب بدر، فأما مَن شرف فاشتدّ عليه العطش، وأما مَن لم يشرب فلم يعطش ﴿بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ كان كافرًا عدوًّا لهم وهو ملك العمالقة، ويقال إن البربر من ذرّيته ﴿يَظُنُّونَ﴾ أي يوقنون وهم أهل البصائر من أصحابه ﴿قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ كان داود في جند طالوت فقتل جالوت، فأعطاه الله ملك بني إسرائيل، وفي ذلك قصص كثيرة غير صحيحة ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا النبوّة والزبور، ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ صنعة الدروع، ومنطق الطيور، وغير ذلك ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ﴾ الآية: منّة على العباد بدفع بعضهم ببعض، وقرىء دفاع بالألف، ودفع بغير ألف، والمعنى متّفق ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الإشارة إلى جماعتهم ﴿فَضَّلْنَا﴾ نص في التفضيل في الجملة من غير تعيين مفضول: كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا تخيّروا بين الأنبياء، ولا تفضلوني على يونس بن متّى: فإنّ معناه النّهي عن تعيين المفضول، لأنه تنقيص له، وذلك غيبة ممنوعة، وقد صرّح صلّى الله عليه وآله وسلّم بفضله على جميع الأنبياء بقوله: «أنا سيّد ولد آدم» لا بفضله على واحد بعينه، فلا تعارض بين الحديثين ﴿مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ موسى عليه السلام ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ قيل هو محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم

شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ

لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة، وقيل هو إدريس لقوله: ﴿ورَفَعْنَاه مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] فالرفعة على هذا في المسافة وقيل هو مطلق في كل مَن فضّله الله منهم ﴿**مِن بَعْدِهِم**﴾ أي من بعد الأنبياء، والمعنى بعد كل نبيّ لا بعد الجميع ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا**﴾ كرّره تأكيدًا وليبني عليه ما بعده ﴿**أَنفِقُوا**﴾ يعمّ الزكاة والتطوّع ﴿**لاَ بَيْعٌ فِيهِ**﴾ أي لا يتصرّف أحد في ماله، والمراد لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا ويدخل فيه نفي الفدية لأنه بشراء الإنسان نفسه ﴿**وَلاَ خُلَّةٌ**﴾ أي مودّة نافعة لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه ﴿**وَلاَ شَفَاعَةٌ**﴾ أي ليس في يوم القيامة شفاعة إلاّ بإذن الله فهو في الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه، وكرامة للشافع ليس فيها تحكّم على الله، وعلى هذا يحمل ما ورد من نفي الشفاعة في القرآن أعني أن لا تقع إلاّ بإذن الله فلا تعارض بينه وبين إثباتها، وحيث ما كان سياق الكلام في أهوال يوم القيامة والتخويف بها نفيت الشفاعة على الإطلاق ومبالغة في التهويل وحيث ما كان سياق الكلام تعظيم الله نفيت الشفاعة إلاّ بإذنه ﴿**والكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ قال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال هكذا ولم يقل والظالمون هم الكافرون ﴿**اللَّهُ لاَ إلهَ إلاّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ**﴾ هذه آية الكرسي وهي أعظم آية في القرآن حسبما ورد في الحديث، وجاء فيها فضل كبير في الحديث الصحيح وفي غيره ﴿**لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**﴾ تنزيه لله تعالى عن الآفات البشرية، والفرق بين السِنَة والنوم: أن السِنَة هي ابتداء النوم لا نفسه: كقول القائل:

في عينه سِنَة وليس بنائم

﴿**مَن ذا الذي يشفع عنده**﴾ استفهام مراد به نفي الشفاعة إلاّ بإذن الله فهي في الحقيقة راجعة إليه ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ الضمير عائد على مَن يعقل ممّن تضمنه قوله: ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم، وقال مجاهد ما بين أيديهم الدنيا؛ وما خلفهم الآخرة ﴿**مِّنْ عِلْمِهِ**﴾ من معلوماته أي لا يعلم

﴿مَنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ﴾

عباده من معلوماته إلاّ ما شاء هو أن يعلموه ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ**﴾ الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السمٰوات والأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء، وقيل كرسيه علمه وقيل كرسيه ملكه ﴿**ولا يَؤُدُهُ**﴾ أي لا يشغله ولا يشقّ عليه ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ المعنى أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يُكره أحد على الدخول فيه بل يدخل فيه كل ذي عقل سليم من تلقاء نفسه، دون إكراه. ويدلّ على ذلك قوله: ﴿**قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾ أي قد تبيّن أنّ الإسلام رشد وأن الكفر غيّ، فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه، وقيل معناها الموادعة، وأن لا يكره أحد بالقتال على الدخول في الإسلام ثم نسخت بالقتال، وهذا ضعيف لأنها مدنية وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة ﴿**بالعُرْوَةِ الوُثْقَى**﴾ العروة في الأجرام هي موضع الإمساك وشدّ الأيدي، وهي هنا تشبيه واستعارة في الإيمان ﴿**لاَ انفِصَامَ لَهَا**﴾ لا انكسار لها ولا انفصال ﴿**يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿**أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ**﴾ جمع الطاغوت هنا وأفرد في غير هذا الموضع فكأنه اسم جنس لما عبد من دون الله، ولِمَن يضلّ الناس من الشياطين وبني آدم ﴿**الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ**﴾ هو نمروذ الملك وكان يدّعي الربوبية فقال لإبراهيم: مَن ربك؟ ﴿**قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾ فقال نمروذ: ﴿**أَنَا أُحْيِي وأُمِيتُ**﴾ وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، فقال قد أحييت هذا وأمتّ هذا، فقال له إبراهيم: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ**﴾ أي انقطع وقامت عليه الحجة، فإن قيل: لِمَ انتقل إبراهيم عن دليله الأوّل إلى هذا الدليل الثاني، والانتقال علامة الانقطاع؟ فالجواب أنه لم ينقطع ولكنه لمّا ذكر الدليل الأوّل وهو الإحياء والإماتة كان له حقيقة، وهو فعل الله ومجازًا وهو فعل غيره فتعلق نمروذ

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً

بالمجاز غلطًا منه أو مغالطة، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثاني لأنه لا مجاز له، ولا يمكن الكافر عدول عنه أصلاً ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ**﴾ تقديره أو رأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم ترَ عليه؛ لأن كلتيهما كلمتا تعجب، ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه يقول أرأيت كالذي حاجّ إبراهيم، أو كالذي مرّ على قرية وهذا المارّ قيل إنه عزير، وقيل الخضر، فقوله: ﴿**أَنَّىٰ يُحْيِي هَـٰذِهِ اللَّهُ**﴾ ليس إنكارًا للبعث ولا استبعادًا ولكنه استعظام لقدرة الذي يحيي الموتى، أو سؤال عن كيفية الإحياء وصورته، لا شك في وقوعه، وذلك مقتضى كلمة أنى فأراه الله ذلك عيانًا ليزداد بصيرة، وقيل بل كان كافرًا وقالها إنكارًا للبعث واستبعادًا، فأراه الله الحياة بعد الموت في نفسه، وذلك أعظم برهان ﴿**وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**﴾ أي خالية من الناس، وقال السدّي سقطت سقوفها وهي العروش، ثم سقطت الحيطان على السقف ﴿**أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ**﴾ ظاهر هذا اللفظ إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب ولكن المعنى إحياء أهلها بعد موتهم لأن هذا الذي يمكن فيه الشك والإنكار ولذلك أراه الله الحياة بعد موته، والقرية كانت بيت المقدس لما أخربها بختنصّر وقيل قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ﴿**كَمْ لَبِثْتَ**﴾ سؤال على وجه التقرير ﴿**قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَو بَعْضَ يَوْمٍ**﴾ استقلّ مدّة موته، قيل أماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مائة عام فظنّ أنه يوم واحد ثم رأى بقية من الشمس فخاف أن يكذب في قوله يومًا فقال أو بعض يوم ﴿**فانظُرْ إلى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ**﴾ قيل كان طعامه تينًا وعنبًا وأنّ شرابه كان عصيرًا ولبنًا ﴿**لَم يَتَسَنَّهْ**﴾ معناه لم يتغير بل بقي على حاله طول مائة عام، وذلك أُعجوبة إلهية واللفظ يحتمل أن يكون مشتقًا من السِنَة، لأنّ لامها هاء، فتكون الهاء في يتسنّه أصليه. أي لم يتغيّر السنون ويحتمل أن يكون مشتقًّا من قولك تسنن الشيء إذا فسد، ومنه الحمأ المسنون، ثم قلبت النون حرف علّة كقولهم قصّيت أظفاري ثم حذف حرف العلّة للجازم، والهاء على هذا هاء السّكت ﴿**وانظُرْ إلى حِمَارِكَ**﴾ قيل بقي حماره حيًا طول المائة عام، دون علف ولا ماء، وقيل مات ثم أحياه الله، وهو ينظر إليه ﴿**ولِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ**﴾ التقدير فعلنا بك هذا لتكون آية للناس، ورُوِيَ أنه قام شابًا على حالته يوم مات فوجد أولاده وأولادهم شيوخًا ﴿**وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ**﴾ هي عظام نفسه، وقيل عظام الحمار على

لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ

القول بأنه مات **﴿نُنْشِزُهَا﴾** بالراء نحييها، وقرىء بالزاي، ومعناه نرفعها للإحياء **﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾** بهمزة قطع وضمّ الميم أي قال الرجل ذلك اعترافًا، وقرىء بألف وصل، والجزم على الأمر أي قال له الملك ذلك **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾** الآية: قال الجمهور: لم يشك إبراهيم في إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة، لأنه رأى دابّة قد أكلتها السّباع والحيّات فسأل ذلك السؤال، ويدلّ على ذلك قوله: كيف، فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته لا عن وقوعه **﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾** أي بالمعاينة **﴿أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾** قيل هي الديك، والطاوس، والحمام، والغراب، فقطعها وخلط أجزاءها ثم جعل من المجموع جزءاً على كل جبل، وأمسك رأسها بيدها، ثم قال: تعالين بإذن الله فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمت، وبقيت بلا رؤوس، ثم كرّر النداء فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤوسها وطارت بإذن الله **﴿فَصُرْهُنَّ﴾** أي ضمّهنّ، وقيل قطّعهنّ على كل جبل، قيل أربعة جبال، وقيل سبعة، وقيل الجبال التي وصل إليها حينئذ من غير حصر بعدد **﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** ظاهره الجهاد، وقد يحمل على جميع وجوه البرّ **﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾** كل ما يزرع ويقتات وأشهره القمح، وفي الكلام حذف تقديره مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة أو يقدر في آخر الكلام كمثل صاحب حبة **﴿أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾** بيان أن الحسنة بسبعمائة كما جاء في الحديث أن رجلاً جاء بناقة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة» **﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾** أي يزيده على سبعمائة وقيل هو تأكيد وبيان للسبعمائة، والأول أرجح، لأنه ورد في الحديث ما يدلّ عليه **﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾** الآية: قيل نزلت في عثمان، وقيل في عليّ وقيل في عبد الرحمن بن عوف **﴿مَنًّا وَلَا أَذًى﴾** المنّ: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها، والأذى السبّ **﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾** هو

وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ

ردّ السائل بجميل من القول: كالدعاء له والتأنيس ﴿**وَمَغْفِرَةٌ**﴾ عفو عن السائل إذا وجد منه جفاء، وقيل مغفرة من الله لسبب الردّ الجميل، والمعنى تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف ومغفرة، على العطاء الذي يتبعه أذى ﴿**لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم**﴾ عقيدة أهل السُّنّة أن السيئات لا تبطل الحسنات فقالوا في هذه الآية إن الصدقة التي يعلم من صاحبها أنه يمنّ أو يؤذي لا تُقبَل منه، وقيل إن المنّ والأذى: دليل على أن نيّته لم تكن خالصة، فلذلك بطلت صدقته ﴿**كَالَّذِي يُنفِقُ**﴾ تمثيل لمَن يمنّ ويؤذي بالذي ينفق رياء وهو غير مؤمن ﴿**فَمَثَلُهُ**﴾ أي مثل المُرائي في نفقته كحجر عليه تراب يظنّه من يراه أرضًا مُنبِتَة طيبة، فإذا أنزل عليها المطر انكشف التراب، فيبقى الحجر لا منفعة فيه، فكذلك المُرائي يظن أن له أجْرًا، فإذا كان يوم القيامة انكشف سرّه ولم تنفعه نفقته ﴿**صَفْوَانٍ**﴾ حجر كبير ﴿**وَابِلٌ**﴾ مطر كثير ﴿**صَلْدًا**﴾ مطر كثير ﴿**صَلْدًا**﴾ أملس ﴿**لاَ يَقْدِرُونَ**﴾ أي لا يقدرون على الانتفاع بثواب شيء من إنفاقهم وهو كسبهم ﴿**وَتَثْبِيتًا**﴾ أي تيقنًا وتحقيقًا للثواب لأن أنفسهم لها بصائر تحملهم على الإنفاق، ويحتمل أن يكون معنى التثبيت أنهم يثبتون أنفسهم على الإيمان باحتمال المشقّة في بذل المال، وانتصاب ابتغاء على المصدر في موضع الحال وعطف عليه وتثبيتًا، ولا يصحّ في تثبيتًا أن يكون مفعولاً من أجله، لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو ابتغاء ﴿**كَمَثَلِ جَنَّةٍ**﴾ تقديره كمثل صاحب جنّة أو يقدر ولا مثل نفقة الذي ينفقون ﴿**بِرَبْوَةٍ**﴾ لأن ارتفاع موضع الجنة أطيب لتربتها وهوائها ﴿**فَطَلٌّ**﴾ الطلّ الرقيق الخفيف، فالمعنى يكفي هذه الجنة لكرم أرضها.

﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ**﴾ الآية: مثل ضرب للإنسان يعمل صالحًا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء، أو مثل للكافر أو المنافق أو المُرائي المتقدّم ذكره آنفًا أو ذي المنّ

﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

والأذى، فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله، فإذا كان وقت حاجة إليه لم يجد شيئًا، فشبّههم الله بمَن كانت له جنة، ثم أصابتها الجائحة المُهلِكة، أحوج ما كان إليها لشيخوخته، وضعف ذرّيته، قالوا في قوله: وأصابه الكبر للحال ﴿إِعْصَارٌ﴾ أي ريح فيها سموم محرقة ﴿مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ والطيبات هنا عند الجمهور: الجيد غير الرديء فقيل إن ذلك في الزكاة فيكون واجبًا؛ وقيل في التطوّع فيكون مندوبًا لا واجبًا؛ لأنه كما يجوز التطوّع بالقليل يجوز بالرديء ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا﴾ من النبات والمعادن وغير ذلك ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ أي لا تقصدوا الرديء ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ في موضع الحال ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾ الواو للحال والمعنى أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم، إلاّ أن تتسامحوا بأخذه وتعملوا من قولك: أغمض فلان عن بعض حقّه: إذا لم يستوفه وإذا غضّ بصره ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ الآية: دفع لم يوسوس به الشيطان من خوف الفقر، ففي ضمن ذلك حضّ على الإنفاق، ثم بيّن عداوة الشيطان بجمره بالفحشاء، وهي المعاصي، وقيل الفحشاء البخل، والفاحش عند العرب البخيل، قال ابن عباس: في الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله، والفضل هو الرزق والتوسعة ﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ﴾ قيل هي المعرفة بالقرآن، وقيل النبوّة، وقيل الإصابة في القول والعمل ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ الآية. ذكر نوعين، وهما ما يفعله الإنسان تبرّعًا، وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر، وفي قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ وعد بالثواب، وقوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وعيد لمَن يمنع الزكاة أو ينفق لغير الله ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ هي التطوّع عند الجمهور لأنها يحسن إخفاؤها وإبداء الواجبة كالصلوات ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ثناء على الإظهار، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء وما من نِعمًا في

خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى

موضع نصب تفسير للمضمر والتقدير فنعم شيء إبداؤها **﴿لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُمْ﴾** قيل إن المسلمين كانوا لا يتصدّقون على أهل الذمّة فنزلت الآية مبيحة للصدقة على مَن ليس على دين الإسلام، وذلك في التطوّع، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلاً، فالضمير في هداهم على هذا القول للكافر، وقيل ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الإنفاق، وترك المنّ والأذى والرياء، والإنفاق من الخبيث، إنما عليك أن تبلغهم والهدى بيد الله، فالضمير على هذا للمسلمين **﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيرٍ فَلأَنفُسِكُمْ﴾** أي إن منفعته لكم لقوله: **﴿مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾** [فصّلت: ٤٦، والجاثية: ١٥] **﴿وَمَا تُنفِقُونَ إلاّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾** قيل إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلاّ ابتغاء وجه الله ففيه تزكية لهم وشهادة بفضلهم، وقيل ما تنفقون نفقة تقبل منكم إلاّ ابتغاء وجه الله، ففي ذلك حضّ على الإخلاص **﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾** متعلّق بمحذوف تقديره الإنفاق للفقراء وهم هنا المهاجرون **﴿أحصروا﴾** حبسوا بالعدو، وبالمرض **﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** يحتمل الجهاد والدخول في الإسلام **﴿ضَرْبًا فِي الأَرْضِ﴾** هو التصرّف في التجارة وغيرها **﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ﴾** أي يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لقلّة سؤالهم والتعفّف هنا هو عن الطلب ومن سببية، وقال ابن عطية لبيان الجنس **﴿تعرفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾** علامة وجوههم وهي ظهور الجهد والفاقة وقلّة النعمة وقيل الخشوع وقيل السجود **﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾** الإلحاف هو الإلحاح في السؤال، والمعنى: أنهم إذا سألوا يتلطفون ولا يلحّون، وقيل هو نفي السؤال والإلحاح معًا وباقي الآية وعد **﴿باللَّيلِ والنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾** تعميم لوجوه الإنفاق وأوقاته، قال ابن عباس: نزلت في عليّ فإنه تصدّق بدِرهم بالليل وبدِرهم بالنهار وبدِرهم سرًّا وبدِرهم علانية وقال أبو هريرة نزلت في علف الخيل **﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾** أي ينتفعون به، وعبّر عن ذلك بالأكل لأنه أغلب المنافع

يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ

وسواء مَن أعطاه أو مَن أخذه، والربا في اللغة الزيادة، ثم استعمل في الشريعة في بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة، فإن غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم أتقضي أم تربي، فكان الغريم يزيد في عدد المال، ويصبر الطالب عليه، ثم إن الربا على نوعين: ربا النسيئة، وربا التفاضل وكلاهما يكون في الذهب والفضة، وفي الطعام. فأما النسيئة فتحرم في بيع الذهب بالذهب وبيع الفضة بالفضة وفي بيع الذهب بالفضة، وهو الصرف، وفي الطعام بالطعام مطلقًا، وأما التفاضل فإنما يحرم في بيع الجنس الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام، ومذهب مالك أنه يحرم التفاضل في المقتات المدّخر من الطعام، ومذهب الشافعي أنه يحرم في كل طعام، ومذهب أبي حنيفة أنه يحرم في المكيل والموزون من الطعام وغيره **﴿لاَ يَقُومُونَ إلاّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسِّ﴾** أجمع المفسّرون أن المعنى لا يقومون من قبورهم في البعث إلاّ كالمجنون، ويتخبطه يتفعّله من قولك خبط يخبط، والمسّ الجنون، ومن تتعلق بيقوم **﴿ذلك بأنهم﴾** تعليل للعقاب الذي يصيبهم، وإنما هذا للكفّار، لأن قولهم إنما البيع مثل الربا: ردّ على الشريعة وتكذيب للإثم وقد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد، فإن قيل: هلاّ قيل إنما الربا مثل البيع، لأنهم قاسوا الربا على البيع في الجواز، فالجواب: أن هذا مبالغة، فإنهم جعلوا الربا أصلاً حتى شبّهوا به البيع **﴿وأَحَلَّ اللَّهُ البَيْعَ﴾** عموم يخرج منه البيوع الممنوعة شرعًا، وقد عدّدناها في الفقه ثمانين نوعًا **﴿وحَرَّمَ الرِّبَا﴾** ردّ على الكفّار وإنكار للتسوية بين البيع والربا، وفي ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليل الله وتحريمه **﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾** أي له ما أخذ من الربا، أي لا يؤاخذ بما فعل منه قبل نزول التحريم **﴿وأَمْرُهُ إلى اللَّهِ﴾** الضمير عائد على صاحب الربا، والمعنى أن الله يحكم فيه يوم القيامة، فلا تؤاخذوه في الدنيا، وقيل الضمير عائد على الربا، والمعنى أن أمر الربا إلى الله في تحريم أو غير ذلك **﴿ومَنْ عَادَ﴾** الآية: يعني مَن عاد إلى فعل الربا وإلى القول. إنما البيع مثل الربا، ولذلك حكم عليه بالخلود في النار، لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر، فلا حجة فيها لمَن قال بتخليد العصاة لكونها في الكفّار **﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾** ينقصه ويذهبه **﴿ويُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾** ينمّيها في الدنيا بالبركة، وفي الآخرة بمضاعفة الثواب **﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾**

أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ

أي مَن يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا، وهذا يدلّ على أن الآية في الكفّار **﴿وذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾** سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا في الجاهلية فلما فتح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مكة قال في خطبته: «كلّ رِبًا كان في الجاهلية موضوع»، ثم إن ثقيف أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش، فأبوا من دفعه وقالوا قد وضع الربا فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد أمير مكة فكتب بذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فنزلت الآية **﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** شرط لمَن خوطب به من قريش وغيرهم **﴿فإِن لَّمْ تَفعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾** أي إن لم تنتهوا عن الربا حوربتم ومعنى فأذنوا: اعلموا، وقرىء بالمدّ أي أعلموا غيركم، ولما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله **﴿لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾** أي لا تظلمون بأخذ زيادة على رؤوس أموالكم، ولا تظلمون بالنقص منها **﴿وإن كان ذو عسرة﴾** كان تامّة بمعنى حضر ووقع، وقرىء ذا عسرة، أي إن كان الغريم ذا عسرة **﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾** حكم الله للمعسر بالإنظار إلى أن يوسر، وقد كان قبل ذلك يُباع فيما عليه، ونظرة مصدر، معناه التأخير، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره فالجواب نظرة أو مبتدأ، وميسرة أيضًا مصدر وقرىء بضم السين وفتحها **﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾** ندب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط الدين عنه فذلك أفضل من إنظاره، وباقي الآية وعظ، وقيل إن آخر آية نزلت آية الربا، وقيل بل قوله: **﴿واتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾**، الآية وقيل آية الدين المذكورة بعد **﴿إِذا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾** أي إذا عامل بعضكم بعضًا بدين، وإنما ذكر الدين وإن كان مذكورًا في تداينتم ليعود عليه الضمير في اكتبوه وليزول الاشتراك الذي في تداينتم، إذ يقال لمعنى الجزاء **﴿إلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾** دليل على أنه لا يجوز إلى أجل مجهول، وأجاز مالك البيع إلى الجذاذ والحصّاد، لأنه معروف عند الناس، ومنعه الشافعي

ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن

وأبو حنيفة، قال ابن عباس: نزلت الآية في السّلم خاصّة يعني أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها، قال مالك وهذا يجمع الدين كله يعني أنه يجوز التأخير في السّلم والسّلف وغيرهما ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية، وقال قوم إنها منسوخة لقوله: ﴿فإن أمِنَ بعضُكم بعضًا﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقال قوم إنها على الندب ﴿ولْيَكْتُب بَّيْنَكُم كَاتِبٌ﴾ قال قوم يجب على الكاتب أن يكتب، وقال قوم نسخ ذلك بقوله: ﴿ولا يضارّ كَاتِبٌ ولا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال آخرون يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه، وقال قوم إن الأمر بذلك على الندب ولذلك جاز أخذ الأجرة على كتب الوثائق ﴿بالعَدْلِ﴾ يتعلق عند ابن عطية بقوله وليكتب، وعند الزمخشري بقوله كاتب فعلى الأول تكون الكتابة بالعدل، وإن كان الكاتب غير مرضيّ، وعلى الثاني يجب أن يكون الكاتب مرضيًا في نفسه، قال مالك: لا يكتب الوثائق إلاّ عارف بها، عدل في نفسه مأمون ﴿ولاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أن يَكْتُبَ﴾ نهي عن الإباية، وهو يقوّي الوجوب ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ يتعلق بقوله أن يكتب، والكاف للتشبيه أي يكتب مثل ما علمه الله أو للتعليل: أي ينفع الناس بالكتابة كما علّمه الله لقوله أحسن كما أحسن الله إليك وقيل يتعلق بقوله بعدها ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ﴾ يقال أمللت الكتاب، وأمليته، فورد هنا على اللغة الواحدة، وفي قوله تملي عليه على الأخرى ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ﴾ لأنّ الشهادة إنما هي باعترافه، فإن كتب الوثيقة دون إملاله، ثم أقرّ بها جاز ﴿ولا يَبْخَسْ﴾ أمر الله بالتقوى فيما يملي، ونهاه عن البخس وهو نقص الحق ﴿سَفِيهًا أو ضَعِيفًا أو لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ السفيه الذي لا يحسن النظر في ماله، والضعيف الصغير وشبهه، والذي لا يستطيع أن يمل الأخرس وشبهه ﴿وَلِيُّهُ﴾ أبوه، أو وصيّه، والضمير عائد على الذي عليه الحق ﴿واسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ شهادة الرجلان جائزة في كل شيء إلاّ في الزنا فلا بدّ من أربعة ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ نص في رفض شهادة الكفّار والصبيان والنساء، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم، ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم، ومنعها مالك والشافعي لنقص الرق ﴿فَرَجُلٌ وامْرَأَتانِ﴾ قال قوم لا تجوز شهادة المرأتين إلاّ مع الرجال، وقال معنى الآية: إن لم يكونا أي إن لم يوجدا وأجاز الجمهور أن المعنى إن لم يشهد رجلان، فرجل وامرأتان، وإنما يجوز عند مالك شهادة الرجل والمرأتين في الأموال لا في غيرها، وتجوز

تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

شهادة المرأتين دون رجل، فيما لا يطّلع عليه الرجال كالولادة والاستهلال، وعيوب النساء، وارتفع رجل بفعل مضمر تقديره: فليكن رجل، فهو فاعل، أو تقديره: فليستشهد رجل فهو مفعول لم يُسَمَّ فاعله، أو بالابتداء تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون **﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾** صفة للرجل والمرأتين، وهو مشترط أيضًا في الرجلين الشاهدين، لأن الرضا مشترط في الجميع وهو العدالة، ومعناها اجتناب الذنوب الكبائر، وتوقّي الصغائر مع المحافظة على المروءة **﴿ أن تضلّ﴾** مفعول من أجله، والعامل فيه هو المقدّر العامل في رجل وامرأتان والضلال في الشهادة وهو نسيانها أو نسيان بعضها، وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولاً من أجله، وليس هو المراد، لأنه سبب لتذكير الأخرى لها وهو المراد، فأقيم السبب مقام المسبّب، وقرىء: إن تضلّ: بكسر الهمزة على الشرط، وجوابه الفاء في فتذكر، ولذلك رفعه من كسر الهمزة، ونصبه من فتحها على العطف، وقرىء تذكر بالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد **﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ﴾** أي لا يمتنعون **﴿ إذا مَا دُعوا﴾** إلى أداء الشهادة، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجب إذا دعى إليها، وقيل إذا دعوا إلى تحصيل الشهادة وكتبها. وقيل إلى الأمرين **﴿وَلاَ تَسْأَمُوا أن تَكْتُبُوهُ﴾** أي لا تملّوا من الكتابة إذا تردّدت وكثرت، سواء كان الحق صغيرًا أو كبيرًا، ونصب صغيرًا على الحال **﴿ذَلكُمْ﴾** إشارة إلى الكتابة **﴿أَقْسَطُ﴾** من القسط وهو العدل **﴿وَأَقْوَمُ﴾** بمعنى أشد إقامة، وينبني أفعل فيهما من الرباعي وهو قليل **﴿وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا﴾** أي أقرب إلى عدم الشك في الشهادة **﴿إلاَّ أن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾** أن في موضع نصب على الاستثناء المنقطع، لأن الكلام المتقدم في الدين المؤجل، والمعنى إباحة ترك الكتابة في التجارة الحاضرة، وهو ما يباع بالنقد وغيره، **﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾** يقتضي القبض والبينونة **﴿وأَشْهِدُوا إذا تَبَايَعْتُمْ﴾** ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع صغيرًا أو كبيراً، وهم الظاهرية خلافًا للجمهور وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله: فإن أَمِنَ بعضكم بعضًا، وذهب قوم إلى أنه على الندب **﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾** يحتمل أن يكون كاتب فاعلاً على تقدير كسر الراء المدغمة من يضارّ، والمعنى على هذا نهي للكاتب

وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ

والشاهد أن يضارّ صاحب الحق أو الذي عليه الحق بالزيادة فيها أو النقصان منه، أو الامتناع من الكتابة أو الشهادة، ويحتمل أن يكون كاتب مفعولاً لم يُسَمّ فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة، ويقوّي ذلك قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه «لا يضارر» بالتفكيك وفتح الراء، والمعنى النهي عن الإضرار بالكاتب والشاهد بإذايتهما بالقول أو بالفعل ﴿**وإن تفعَلوا**﴾ أي إن وقعتم في الإضرار ﴿**فَإِنَّهُ فُسوقٌ**﴾ حال بكم ﴿**وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾ إخبار على وجه الامتنان، وقيل معناه الوعد بأن مَن اتّقى علّمه الله وألهمه وهذا المعنى صحيح، ولكن لفظ الآية لا يعطيه، لأنه لو كان كذلك لجزم يعلمكم في جواب اتقوا.

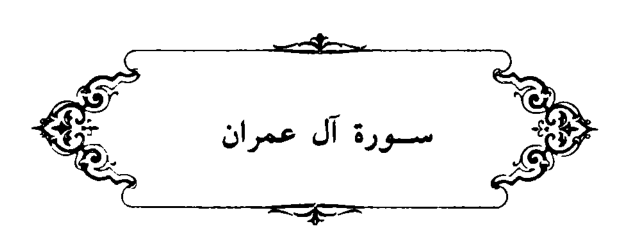
﴿**وإن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ**﴾ الآية: لما أمر الله تعالى بكتب الدين: جعل الرهن توثيقًا للحق، عوضًا عن الكتابة، حيث تتعذّر الكتابة في السفر، وقال الظاهرية: لا يجوز الرهن إلاّ في السفر لظاهر الآية. وأجازه مالك وغيره في الحضر لأن النبي ﷺ رهن درعه بالمدينة ﴿**فرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ**﴾ يقتضي بينونة المرتهن بالرهن، وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل، والقبض للرهن شرط في الصحة عند الشافعي وغيره، لقوله تعالى: ﴿**مَّقْبُوضَةٌ**﴾ وهو عند مالك شرط كمال لا صحة ﴿**فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا**﴾ الآية: أي إن أمن صاحب الحق المديان لحسن ظنه به، فليستغن عن الكتابة وعن الرهن، فأمر أولاً بالكتابة، ثم بالرهن ثم بالائتمان، فللدين ثلاثة أحوال ثم أمر المديان بأداء الأمانة، ليكون عند ظن صاحبه به ﴿**وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ**﴾ محمول على الوجوب ﴿ **فإنّه آثِمٌ قَلْبُهُ**﴾ معناه: قد تعلق به الإثم اللاحق من المعصية في كتمان الشهادة، وارتفع آثم بأنه خبر إن، وقلبه فاعل به، ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ، وآثم خبره، وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كان جملة الكاتم هي الآثمة، لأن الكتمان من فعل القلب، إذ هو يضمرها، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان ﴿**وإن تُبدُوا ما في أنفسِكُمْ أو تُخفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ**﴾ الآية: مقتضاها المحاسبة على ما في نفوس العباد من

وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا

الذنوب، سواء أبدوه أم أخفوه، ثم المعاقبة على ذلك لمَن يشاء الله أو الغفران لمَن شاء الله، وفي ذلك إشكال لمعارضته لقول رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدّثت به أنفسها»، ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: أنه لما نزلت شقّ ذلك على الصحابة وقالوا أهلكنا إن حوسبنا على خواطر أنفسنا، فقال لهم النبي ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا»، فقالوها، فأنزل الله بعد ذلك: **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا﴾**، فكشف الله عنهم الكربة، ونسخ بذلك هذه الآية، وقيل هي في معنى كتم الشهادة وإبدائها، وذلك محاسب به، وقيل يحاسب الله خلقه على ما في نفوسهم، ثم يغفر للمؤمنين ويعذّب الكافرين والمنافقين، والصحيح التأويل الأول لوروده في الصحيح، وقد ورد أيضًا عن ابن عباس وغيره، فإن قيل: إن الآية خبر والأخبار لا يدخلها النسخ، فالجواب: أنّ النسخ إنما وقع في المؤاخذة والمحاسبة وذلك حكم يصحّ دخول النسخ فيه، فلفظ الآية خبر، ومعناها حكم **﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ﴾** قرىء بجزمهما عطفًا على يحاسبكم وبرفعهما على تقدير فهو يغفر **﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾** الآية سببها ما تقدّم في حديث أبي هريرة: لما قالوا سمعنا وأطعنا مدحهم الله بهذه الآية، وقدّم ذلك قبل كشف ما شقّ عليهم **﴿والمُؤْمِنُونَ﴾** عطف على الرسول أو مبتدأ، فعلى الأوّل يوقف على المؤمنون وعلى الثاني يوقف على من ربّه والأوّل أحسن **﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾** إن كان المؤمنون معطوفًا فكل عموم في الرسول والمؤمنون، وإن كان مبتدأ فكل عموم في المؤمنين ووحّد الضمير في آمن على معنى أن كل واحد منهم آمن **﴿وكُتُبِهِ﴾** قرىء بالجمع أي كل كتاب أنزله الله، وقرىء بالتوحيد يريد القرآن أو الجنس **﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾** التقدير يقولون لا نفرّق، والمعنى لا نفرّق بين أحد من الرُّسل وبين غيره في الإيمان بل نؤمن بجميعهم، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض **﴿وقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** حكاية عن قول المؤمنين على وجه المدح لهم **﴿غُفْرَانَكَ﴾** مصدر، والعامل فيه مضمر ونصبه على المصدرية تقديره اغفر غفرانك، وقيل على المفعولية تقديره: نطلب غفرانك **﴿وإلَيْكَ المَصِيرُ﴾** إقرار بالبعث مع تذلّل وانقياد، وهنا تمّت حكاية كلام المؤمنين **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا﴾** إخبار من الله تعالى برفع تكليف ما لا يطاق، وهو جائز عقلاً عند الأشعرية ومُحال عقلاً عند المعتزلة، واتفقوا على أنه لم يقع في الشريعة **﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾** أي من الحسنات **﴿وعَلَيْهَا ما اكْتَسَبَتْ﴾** أي من

﴿كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

السيئات، وجاءت العبارة بلها في الحسنات لأنها مما ينتفع العبد به، وجاءت بعليها في السيئات لأنها مما يضرّ بالعبد، وإنما قال في الحسنات كسبت وفي الشرّ اكتسبت، لأنّ في الاكتساب ضرب من الاعتمال والمعالجة، حسبما تقتضيه صيغة افتعل فالسيئات فاعلها يتكلّف مخالفة أمر الله، ويتعدّاه بخلاف الحسنات، فإنه فيها على الجادّة من غير تكلّف أو لأن السيئات يجدّ في فعلها لميل النفس إليها، فجعلت لذلك مكتسبة، ولما لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك: وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال **﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَو أَخطَأْنَا﴾** أي قولوا ذلك في دعائكم ويحتمل أن يكون ذلك من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم: سمعنا وأطعنا، والنسيان هنا هو ذهول القلب على الإنسان، والخطأ غير العمد فذلك معنى قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان» وقد كان يجوز أن يأخذ به لولا أنّ الله رفعه **﴿وَلاَ تَحمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾** التكاليف الصعبة، وقد كانت لمَن تقدّم من الأمم كقتل أنفسهم، وقرض أبدانهم، ورفعت عن هذه الأمة. قال تعالى: ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وقيل الإصر المسخ قردة وخنازير **﴿وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾** هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعي برفع ما لا يجوز أن يقع. ثم إن الشرع دفع وقوعه. وتحقيق ذلك أنّ ما لا يطاق أربعة أنواع: الأول عقلي محض: كتكليف الإيمان لمَن علم الله أنه لا يؤمن. فهذا جائز وواقع بالاتفاق. والثاني عاديّ كالطيران في الهواء. والثالث عقلي وعادي: كالجمع بين الضدّين، فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما، والاتفاق على عدم وقوعه، والرابع تكليف ما يشقّ ويصعب، فهذا جائز اتفاقًا، فقد كلّفه الله من تقدّر من الأمم، ورفعه عن هذه الأمّة **﴿واعفُ عَنَّا واغفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾** ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو ترك المؤاخذة بالذنب، والمغفرة تقتضي مع ذلك الستر، والرحمة تجمع ذلك مع التفضّل بالإنعام **﴿مَوْلاَنَا﴾** وليّنا وسيّدنا.



سورة آل عمران

مدنيّة وآياتها ٢٠٠ نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيم

نزل صدرها إلى نيّف وثمانين آية لمّا قَدِمَ نصارى نجران المدينة المنوّرة يُناظرون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في عيسى عليه السلام ﴿**الم**﴾ تقدّم الكلام على حروف الهجاء وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا في الوصل لالتقاء الساكنين نحو من الناس، وقال الزمخشري هي حركة الهمزة نقلت إلى الميم وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط في الدرج ﴿**الحَيُّ القَيُّومُ**﴾ ردّ على النصارى في قولهم إنّ عيسى هو الله لأنهم زعموا أنه صلب، فليس بحيّ وليس بقيّوم ﴿**الكِتَابَ**﴾ هنا هو القرآن ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ أي تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها أو بالاستحقاق ﴿**مُصَدِّقًا**﴾ قد تقدّم في مصدّقًا لما معكم ﴿**بينَ يَدَيْهِ**﴾ الكتب المتقدّمة ﴿**التَّوْرَاةَ والإِنجِيلَ**﴾ أعجميان فلا يصحّ ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما ﴿**وأَنْزَلَ الفُرْقَانَ**﴾ يعني القرآن وإنما كرّر ذكره ليصفه بأنه الفارق بين الحق والباطل ويحتمل أن يكون ذكره أولاً على وجه الإثبات لإنزاله لقوله: ﴿**مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيهِ**﴾، ثم

﴿عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا

ذكره ثانيًا على وجه الامتنان بالهدى به، كما قال في التوراة والإنجيل هدى للناس، فكأنه قال وأنزل الفرقان هدىً للناس ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه، فلما اختلف قصد الكلام في الموضعين لم يكن ذلك تكرارًا، وقيل الفرقان هنا: كلّ ما فرّق بين الحق والباطل من كتاب وغيره، وقيل هو الزّبور، وهذا بعيد ﴿لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ خبر عن إحاطة علم الله بجميع الأشياء على التفضيل، وهذه صفة لم تكن لعيسى، ولا لغيره، ففي ذلك ردّ على النصارى ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ برهان على إثبات علم الله المذكور قبل: وفيه ردّ على النصارى، لأن عيسى لا يقدر على التصوير، بل كان مصوّرًا كسائر بني آدم ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من طول، وقصر، وحُسْن وقُبْح، ولون؛ وغير ذلك ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ المحكم من القرآن: هو البيّن المعنى، الثابت الحكم، والمتشابه هو الذي يحتاج إلى التأويل، أو يكون مستغلق المعنى: كحروف الهجاء، قال ابن عباس: المحكمات الناسخات والحلال والحرام، والمتشابهات المنسوخات والمقدّم والمؤخّر، وهو تمثيل لما قلنا ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ﴾ أي عمدة ما فيه ومعظمه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ﴾ نزلت في نصارى نجران فإنهم قالوا للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه قال: «نعم»، قالوا: فحسبنا إذًا، فهذا من المتشابه الذي اتّبعوه، وقيل نزلت في أبي ياسر بن أخطب اليهودي وأخيه حكيم ثم يدخل في ذلك كل كافر أو مبتدع، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن ﴿ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ﴾ أي ليفتنوا به الناس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي يبتغون أن يتأوّلوه على ما تقتضي مذاهبهم أو يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل إليه مخلوق ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاّ اللَّهُ﴾ إخبار بانفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن وذم لمن طلب علم ذلك من الناس ﴿والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ مبتدأ مقطوع مما قبله، والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه وإنما يقولون آمنّا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته، وقيل إنه معطوف على ما قبله وأن المعنى أنهم يعلمون تأويله، وكِلا القولين مروي عن ابن عباس، والقول الأول قول أبي بكر الصدّيق وعائشة، وعروة بن الزبير، وهو أرجح، وقال ابن عطية المتشابه نوعان: نوع انفرد الله بعلمه، ونوع

يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ

يمكن وصول الخلق إليه فيكون الراسخون ابتداء بالنظر إلى الأول، وعطفًا بالنظر إلى الثاني ﴿**كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾ أي المحكم والمتشابه من عند الله ﴿**رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا**﴾ حكاية عن الراسخين، ويحتمل أن يكون منقطعًا على وجه التعليم والأول أرجح لاتصال الكلام، وأما قوله: ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾؛ فهو من كلام الله تعالى لا حكاية قول الراسخين: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ**﴾ استدلال على البعث ويحتمل أن يكون من تمام كلام الراسخين أو منقطعًا فهو من كلام الله ﴿**كَدَأْبِ**﴾ في موضع رفع أي دأب هؤلاء كدأب ﴿**آلِ فِرْعَوْنَ**﴾ وفي ذلك تهديد ﴿**وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ عطف على آل فرعون، ويعني بهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، والضمير عائد على آل فرعون ﴿**بِآيَاتِنَا**﴾ البراهين أو الكتاب ﴿**سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ**﴾ قرىء بتاء الخطاب ليهود المدينة، وقيل لكفّار قريش، وقرىء بالياء إخبارًا عن يهود المدينة، وقيل عن قريش وهو صادق على كل قول أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففي بدر وغيرها والأشهر أنها في بني قينقاع؛ لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له لا يغرّنّكَ أنك قتلت نفرًا من قريش لا يعرفون القتال. فلو قاتلنا لعرفت أنا نحن الناس، فنزلت الآية. ثم أخرجهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من المدينة ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ**﴾ قيل خطاب للمؤمنين، وقيل لليهود، وقيل لقريش؛ والأول أرجح أنه لبني قينقاع، الذين قيل لهم ستغلبون. ففيه تهديد لهم وعبرة كما جرى لغيرهم ﴿**فِي فِئَتَيْنِ التقتا فئة**﴾ المسلمون والمشركون يوم بدر ﴿**يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ**﴾ قرىء ترونهم بالتاء خطابًا لمَن خوطب بقوله: ﴿**قد كان لكم آية**﴾. والمعنى ترون الكفّار مثلي المؤمنين. ولكن الله أيّد المسلمين بنصره على قدر عددهم، وقرىء بالياء. والفاعل في يرونهم المؤمنون، والمفعول به هم المشركون. والضمير في مثليهم للمؤمنين والمعنى على حسب ما تقدّم. فإن قيل: إن الكفّار كانوا يوم بدر أكثر من

ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ

المسلمين؛ فالجواب من وجهين أحدهما أن الكفّار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين، لأن الكفّار كانوا قريبًا من ألف، والمؤمنون ثلاثمائة وثلاثة عشر ثم إن الله تعالى قلّل عدد الكفّار في أعين المؤمنين حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين ليتجاسروا على قتالهم إذا ظهر لهم أنهم على ما أخبروا به من قتال الواحد للاثنين من قوله: ﴿إِن تَكُنْ مِنكُم مَائة صَابِرَة يَغْلِبُوا مَائَتَين﴾ [الأنفال: ٦٦]، وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: ﴿وإذ يُرِيكُمُوهُم إذ ٱلْتَقَيْتُم في أَعْيُنِكُم قَلِيلاً﴾ [الأنفال: ٤٤]، والآخر أنه رجع قوم من الكفار حتى بقي منهم ستمائة وستة وعشرون رجلاً، وذلك قدر عدد المسلمين مرتين وقيل إن الفاعل في يرونهم ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين وأن الضمير في مثليهم يحتمل أن يكون للمؤمنين والمفعول للمشركين. والمعنى على هذا أن الله كثّر عدد المسلمين في أعين المشركين حتى حسب الكفّار المؤمنين مثلي الكافرين أو مثلي المؤمنين. وهم أقل من ذلك وإنما كثّرهم الله في أعينهم ليرهبوهم، ويردّ هذا قوله تعالى: ﴿ويقلّلكم في أعينهم﴾ [الأنفال: ٤٤] **﴿رَأْيَ العَيْنِ﴾** نصب على المصدرية ومعناه معاينة ظاهرة لا شك فيها **﴿واللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾** أي أن النصر بمشيئة الله لا بالقلّة ولا بالكثرة، فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين؛ مع أنهم كانوا أكثر منهم **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾** قيل المزين هو الله وقيل الشيطان. ولا تعارض بينهما فتزيين الله بالإيجاد والتهيئة للانتفاع، وإنشاء الجبلة على الميل إلى الدنيا. وتزيين الشيطان بالوسوسة والخديعة **﴿والقَنَاطِيرِ﴾** جمع قنطار، وهو ألف ومائتا أوقية، وقيل ألف ومائتا مثقال، وكلاهما مروي عن النبي ﷺ **﴿المُقَنْطَرَةِ﴾** مبنية من لفظ القناطير وللتأكيد كقولهم أُلوف مؤلّفة، وقيل المضروبة دنانير أو دراهم **﴿المُسَوَّمَةِ﴾** الراعية من قولهم سام الفرس وغيره إذا جال في المسارح، وقيل المعلّمة في وجوهها شيئان فهي من السّمات بمعنى العلامات قيل المعدة للجهاد **﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** تحقير لها ليزهد فيها الناس.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُم﴾ تفضيل للآخرة على الدنيا ليرغب فيها وتمام الكلام

فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟

في قوله من ذلكم ثم ابتدأ قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ تفسيرًا لذلك فجنّات على هذا مبتدأ وخبره للذين اتقوا، وقيل إن قوله للذين اتقوا متعلق بما قبله وتمام الكلام في قوله عند ربّهم، فجنّات على هذا خبر مبتدأ مضمر ﴿ورِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ زيادة إلى نعيم الجنة، وهو أعظم من النعيم حسبما ورد في الحديث ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ نعت للذين اتقوا، ورفع بالابتداء، أو نصب بإضمار فعل ﴿الصَّادِقِينَ﴾ في الأقوال والأفعال ﴿والقَانِتِينَ﴾ العابدين والمطيعين ﴿وَالمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الاستغفار هو طلب المغفرة قيل لرسول الله ﷺ كيف نستغفر، فقال قولوا اللّهمَّ اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التوّاب الرحيم ﴿بِالأَسْحَارِ﴾ جمع سحر وهو آخر الليل يقال إنه الثلث الأخير، وهو الذي ورد أن الله يقول حينئذ: مَن يستغفرني فأغفر له ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الآية: شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية وقيل معناها إعلامه لعباده بذلك ﴿وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ عطف على اسم الله أي هم شهداء بالوحدانية، ويعني بأُولي العلم: العارفين بالله الذين يقيمون البراهين على وحدانيته ﴿قَائِمًا﴾ منصوب على الحال من اسم الله أو من هو أو منصوب على المدح ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ إنما كرّر التهليل لوجهين: أحدهما: أنه ذكر أولاً الشهادة بالوحدانية، ثم ذكرها ثانيًا بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة، والآخر أن ذلك تعليم لعباده ليكثروا من قولها ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ بكسر الهمزة ابتداء، وبفتحها بدل من أنه، وهو بدل شيء من شيء، لأن التوحيد هو الإسلام ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ﴾ الآية: إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البغي، وهو الحسد، والآية في اليهود، وقيل في النصارى، وقيل فيهما ﴿سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ قد تقدّم معناه في البقرة وهو هنا تهديد، ولذلك وقع في جواب مَن يكفر ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي جادلوك في الدين، والضمير لليهود ونصارى نجرّان ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ أي أخلصت نفسي وجملتي ﴿لِلَّهِ﴾ وعبّر بالوجه على الجملة ومعنى الآية إقامة الحجّة عليهم لأن مَن أسلم

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن

وجهه لله فهو على الحق بلا شك، فسقطت حجة مَن خالفه ﴿**وَمَنِ اتَّبَعَنِ**﴾ عطف على التاء في أسلمت ويجوز أن يكون مفعولاً معه ﴿**أَأَسْلَمْتُمْ**﴾ تقرير بعد إقامة الحجة عليهم أي قد جاءكم من البراهين ما يقتضي أن تسلموا ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ**﴾ أي إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك، فإذا أبلغتها فقد فعلت ما عليك، وقيل إن فيها موادعة نسختها آية السيف ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ**﴾ الآية: نزلت في اليهود والنصارى توبيخًا لهم ووعيدًا على قبح أفعالهم، وأفعال أسلافهم ﴿**الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ**﴾ هم اليهود، والكتاب هنا التوراة، أو جنس ﴿**يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ**﴾ قال ابن عباس: دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على جماعة من اليهود فيهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد، فقالوا له: على أيّ دين أنت؟ فقال لهم: «على دين إبراهيم»، فقالوا: إن إبراهيم كان يهوديًا، فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، «فهلمّوا إليّ التوراة فهي بيننا وبينكم»، فأبوا عليه فنزلت الآية، فكتاب الله على هذه التوراة، وقيل هو القرآن: كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعوهم إليه فيعرضون عنه ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ**﴾ الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله والباء سببية: والمعنى أن كفرهم بسبب اعتراضهم وأكاذيبهم، والأيام المعدودات قد ذكرت في البقرة ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ**﴾ أي كيف يكون حالهم يوم القيامة، والمعنى تهويل واستعظام لما أعدّ لهم ﴿**اللَّهُمَّ**﴾ منادى، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين، ولذلك لا يجتمعان، وقال الكوفيون أصله يا الله أمّنا بخير فالميم عندهم من أمّنا ﴿**مَالِكَ الْمُلْكِ**﴾ منادى عند سيبويه، وأجاز الزجّاج أن يكون صفة لاسم الله؛ وقيل إن الآية نزلت ردًّا على النصارى في قولهم إن عيسى هو الله لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى، وقيل لما أخبر النبي ﷺ أن أمته

تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

يفتحون ملك كسرى وقيصر: استبعد ذلك المنافقون، فنزلت الآية ﴿**بِيَدِكَ الْخَيْرُ**﴾ قيل المراد بيدك الخير والشر، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقيل إنما خص الخير بالذكر، لأن الآية في معنى دعاء ورغبة فكأنه يقول: بيدك الخير فأجزل حظّي منه ﴿**تُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ**﴾ قال عبد الله بن مسعود: هي النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حيّ، ويخرج الرجل منها حيًّا وهي ميتة، وقال عكرمة: هي إخراج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، وقيل يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر، فالحياة والموت على هذا استعارة، وفي ذكر الحيّ من الميت المطابقة، وهي من أدوات البيان، وفيه أيضًا القلب لأنه قدّم الحيّ على الميت، ثم عكس ﴿**بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ بغير تضييق وقيل بغير محاسبة ﴿**لاَ يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ**﴾ الآية. عامّة في جميع الأعصار، وسببها ميل بعض الأنصار إلى بعض اليهود، وقيل كتاب حاطب إلى مُشركِي قريش ﴿**فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ**﴾ تبرؤ ممّن فعل ذلك ووعيد على موالاة الكفّار، وفي الكلام حذف تقديره: ليس من التقرّب إلى الله في شيء، وموضع في شيء نصب على الحال من الضمير في ليس من الله، قاله ابن عطية: ﴿**إلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُم**﴾ إباحة لموالاتهم إن خافوا منهم والمراد موالاة في الظاهر مع البغضاء في الباطن ﴿**تُقَاةً**﴾ وزنه فعلة بضم الفاء وفتح العين. وفاؤه واو، وأبدل منها تاء، ولامه ياء أبدل منها ألف، وهو منصوب على المصدرية، ويجوز أن ينصب على الحال من الضمير في تتّقوا ﴿**ويُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ تخويف ﴿**يَوْمَ تَجِدُ**﴾ منصوب على الظرفية والعامل فيه فعل مضمر تقديره اذكروا أو خافوا وقيل العامل فيه قدير، وقيل المصير، وقيل يحذركم ﴿**وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ**﴾ مبتدأ خبره تودّ، أو معطوف ﴿**أَمَدًا**﴾ أي مسافة ﴿**واللَّهُ رَؤُوفٌ**﴾ ذكر بعد التحذير تأنيسًا لئلا يفرط الخوف أو لأن التحذير والتنبيه رأفة

وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ

﴿**فاتَّبِعُوني**﴾ جعل اتّباع النبي ﷺ علامة على محبة العبد لله تعالى وشرط في محبة الله للعبد ومغفرته له، وقيل إن الآية خطاب لنصارى نجران ومعناها على العموم في جميع الناس ﴿**إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى**﴾ الآية: لما مضى صدر من محاجّة نصارى نجران أخذ يبيّن لهم ما اختلفوا فيه وأشكَلَ عليهم من أمر عيسى عليه السلام وكيفية ولادته وبدأ بذكر آدم ونوح عليهما السلام تكميلاً للأمر لأنهما أبوان لجميع الأنبياء، ثم ذكر إبراهيم تدريجًا إلى ذكر عمران والد مريم أُم عيسى عليه السلام، وقيل إن عمران هنا هو والد موسى، وبينهما ألف وثمانمائة سنة، والأظهر أن المراد هنا والد مريم، لذكر قصتها بعد ذلك ﴿**آلَ إبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ**﴾ يحتمل أن يريد بآل القرابة، أو الأتباع، وعلى الوجهين يدخل نبيّنا محمد ﷺ في آل إبراهيم ﴿**ذُرِّيَّةً**﴾ بدل مما تقدّم أو حال ووزنه فعلية منسوب إلى الذرّ لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر وغير أوله في النسب، وقيل أصل ذرّيّة ذرورة وزنها فعولة ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء، فصار ذروية، ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت الراء، فصارت ذرية ﴿**إذْ قَالَتِ**﴾ العامل فيه محذوف تقديره اذكروا، وقيل عليم، وقال الزجّاج العامل فيه معنى الاصطفاء ﴿**امْرَأَةُ عِمْرَانَ**﴾ اسمها حنّة بالنون، وهي أُمّ مريم، وعمران هذا هو والد مريم ﴿**نَذَرْتُ**﴾ أي جعلت نذرًا عليّ أن يكون هذا الولد في بطني حبسًا على خدمة بيتك، وهو بيت المقدس ﴿**مُحَرَّرًا**﴾ أي عتيقًا من كل شغل إلاّ خدمة المسجد ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا**﴾ الآية. كانوا لا يحرّرون الإناث بخدمة المساجد، فقالت: ﴿**إنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى**﴾ تحسّرًا وتلهّفًا على ما فاتها من النّذر الذي نذرت ﴿**واللَّهُ أعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ**﴾ قرىء وضعت بإسكان التاء وهو من كلام الله تعظيمًا لوضعها وقرىء بضم التاء وإسكان العين وهو على هذا من كلامها ﴿**ولَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى**﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله، فالمعنى ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لك، وأن يكون من كلامها فالمعنى ليس الذّكر كالأُنثى في خدمة المساجد، لأن الذكور كانوا يخدمونها دون الإناث ﴿**سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ**﴾ إنما قالت لربّها سمّيتها مريم لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة، فأرادت بذلك التقرّب إلى الله، ويؤخذ من

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾

هذا تسمية المولود يوم ولادته وامتنع مريم من الصرف للتعريف والتأنيث، وفيه أيضًا العجمة **﴿وإنّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾** ورد في الحديث ما من مولود إلاّ نخسه الشيطان يوم ولد فيستهلّ صارخًا إلاّ مريم وابنها، لقوله: وإني أُعيذها بك: الآية **﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾** أي رضيها للمسجد مكان الذكر **﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾** فيه وجهان أحدهما أن يكون مصدرًا على غير المصدر، والآخر أن يكون اسمًا لما يقبل به كالسعوط اسم لما يسعط به **﴿وأنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾** عبارة عن حُسْن النشأة **﴿وكَفَّلَهَا زَكريَّا﴾** أي ضمّها إلى إنفاقه وحضانته، والكافل هو الحاضن، وكان زكريا زوج خالتها، وقرىء كفّلها بتشديد الفاء، ونصب زكريا: أي جعله الله كافلها **﴿المِحْرَابَ﴾** في اللغة أشرف المجالس، وبذلك سُمّي موضع الإمام، ويقال إن زكريا بنى لها غرفة في المسجد، وهي المحراب هنا، وقيل المحراب موضع العبادة **﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾** كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، ويقال إنها لم ترضع ثديًا قطّ، وكان الله يرزقها **﴿أنَّى لَكِ هَذَا﴾** إشارة إلى مكان أي كيف ومن أين **﴿إنّ اللّهَ يَرْزُقُ﴾** يحتمل أن يكون من كلام مريم أو من كلام الله تعالى **﴿هُنَالِكَ﴾** إشارة إلى مكان، وقد يستعمل في الزمان، وهو الأظهر هنا أي لما رأى زكريا كرامة الله تعالى لمريم: سأل من الله الولد **﴿فَنَادَتْهُ المَلائِكَةُ﴾** أنّث رعاية للجماعة، وقرىء بالألف على التذكير وقيل الذي ناداه جبريل وحده وإنما قيل الملائكة لقولهم فلان يركب الخيل أي جنس الخيل وإن كان فرسًا واحدًا **﴿بِيَحْيَىٰ﴾** اسم سمّاه الله تعالى به قبل أن يولد، وهو اسم بالعبرانية صادق اشتقاقًا وبناء في العربية، وهو لا ينصرف، فإن كان في الإعراب أعجميًّا ففيه التعريف والعجمة، وإن كان عربيًا فالتعريف ووزن الفعل **﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ﴾** أي مصدّقًا بعيسى عليه السلام مؤمنًا به، وسمّي عيسى كلمة الله، لأنه لم يوجد إلاّ بكلمة الله وحدها وهي قوله كن لا بسبب آخر وهو الوالد كسائر بني آدم **﴿وسَيِّدًا﴾** السيد الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف والفضل **﴿وحَصُورًا﴾** أي لا يأتي النساء فقيل خلقه الله كذلك، وقيل كان يمسك نفسه، وقيل الحصور الذي لا يأتي الذنوب **﴿أنّى يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾** تعجّب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته، وعقم امرأته، ويقال

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ

كان له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمانٍ وتسعون سنة، فاستبعد ذلك في العادة، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك، فسأله مع علمه بقدرة الله، واستبعده لأنه نادر في العادة، وقيل سأله وهو شاب، وأُجيب وهو شيخ، ولذلك استبعده ﴿**كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾ أي مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة، والإشارة بذلك إلى هبة الولد لزكريا، واسم الله مرفوع بالابتداء، أو كذلك خبره فيجب وصله معه، وقيل الخبر يفعل الله ما يشاء ويحتمل كذلك على هذا وجهين: أحدهما أن يكون في موضع الحال من فاعل يفعل، والآخر أن يكون في موضع خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر كذلك، أو أنتما كذلك، وعلى هذا يوقف على كذلك والأول أرجح لاتصال الكلام، وارتباط قوله يفعل ما يشاء مع ما قبله ولأن له نظائر كثيرة في القرآن منها قوله كذلك أخذ ربك ﴿**اجْعَلْ لِّي آيَةً**﴾ أي علامة على حمل المرأة ﴿**آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ**﴾ أي علامتك أن لا تقدر على كلام الناس ﴿**ثَلاثَةَ أَيَّامٍ**﴾ بمنع لسانه عن ذلك مع إبقاء الكلام بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرًا وإنما حبس لسانه عن الكلام تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرًا على استجابة دعائه ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر ﴿**إِلاَّ رَمْزًا**﴾ إشارة باليد أو بالرأس أو غيرهما، فهو استثناء منقطع ﴿**بِالْعَشِيِّ**﴾ من زوال الشمس إلى غروبها، والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ**﴾ اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة والعامل في إذ مضمر ﴿**اصْطَفَاكِ**﴾ أولاً حين تقبلك من أمك ﴿**وَطَهَّرَكِ**﴾ من كل عيب في خَلق وخُلق ودين ﴿**واصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصًا بأن وهب لها عيسى من غير أب، فيكون على نساء العالمين عامًّا، أو يكون الاصطفاء عامًّا فيخصّ من نساء العالمين خديجة وفاطمة، أو يكون المعنى على نساء زمانها؛ وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق، وقيل إنها كانت نبيّة لتكليم الملائكة لها.

﴿**اقْنُتِي**﴾ القنوت هنا بمعنى الطاعة والعبادة، وقيل طول القيام في الصلاة وهو قول الأكثرين ﴿**واسْجُدِي وارْكَعِي**﴾ أُمِرَت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئة

مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ

الصلاة وأركانها، ثم قيل لها اركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلّين، أو في الجماعة فلا يقتضي الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع، لأنه لم يردّ الركوع والسجود المنضمّين في ركعة واحدة، وقيل أراد ذلك، وقدّم السجود لأن الواو لا ترتب، ويحتمل أن تكون الصلاة في ملّتهم بتقديم السجود قبل الركوع ﴿**ذَلِكَ**﴾ إشارة إلى ما تقدّم من القصص وهو خطاب للنبي ﷺ ﴿**مَا كُنتَ لَدَيهِمْ**﴾ احتجاجًا على نبوّته ﷺ لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم ﴿**يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ**﴾ أي أزلامهم، وهي قِداحهم، وقيل الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اقترعوا بها على كفالة مريم، حرصًا عليها وتنافسًا في كفالتها، وتدلّ الآية على جواز القِرعة، وقد ثبتت أيضًا من السُّنّة ﴿**أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ**﴾ مبتدأ وخبر في موضع نصب بفعل تقديره ينظرون أيّهم ﴿**يَخْتَصِمُونَ**﴾ يختلفون فيمَن يكفلها منهم ﴿**إِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ**﴾ إذ بدل من إذ قالت، أو من إذ يختصمون، والعامل فيه مضمر ﴿**اسْمُهُ**﴾ أعاد الضمير المذكّر على الكلمة، لأن المسمّى بها ذكر ﴿**المَسِيحُ**﴾ قيل هو مشتق من ساح في الأرض، فوزنه مفعل، وقال الأكثرون من مسح لأنه مسح بالبركة فوزنه فعيل وإنما قال عيسى ابن مريم والخطاب لمريم لينسبه إليها، إعلامًا بأنه يولد من غير والد ﴿**وَجِيهًا**﴾ نصب على الحال، ووجاهته في الدنيا النبوّة والتقديم على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلوّ الدرجة في الجنة ﴿**فِي المَهْدِ**﴾ في موضع الحال، ﴿**وكَهْلاً**﴾ عطف عليه، والمعنى أنه يكلّم الناس صغيرًا آية تدلّ على براءة أمّه مما قذفها بها اليهود، وتدلّ على نبوّته، ويكلّمهم أيضًا كبيرًا ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سنّ الكهولة، وأوله ثلاث وثلاثون سنة وقيل أربعون ﴿**ويُعَلِّمُهُ**﴾ عطف على يبشرك أو ويكلم ﴿**الكِتَابَ**﴾ هنا جنس، وقيل الخط باليد، والحكمة هنا العلوم الدينية، أو الإصابة في القول والفعل ﴿**وَرَسُولاً**﴾ حال معطوف على وبعلمه إذ التقدير ومعلمًا الكتاب أو يضمر له فعل تقديره أرسل رسولاً أو جاء

ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرَۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسْتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ

رسولاً ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أرسل إليهم عيسى عليه السلام مبيّنًا لحكم التوراة ﴿أَنِّي﴾ تقديره بأني ﴿أَخْلُقُ﴾ بفتح الهمزة بدل من أني الأولى، أو من آية وبكسرها ابتداء كلام ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ ذكر هنا الضمير لأنه يعود على الطين، أو على الكاف من كهيئة، وأنّث في المائدة لأنه يعود على الهيئة ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ قيل إنه لم يخلق غير الخفاش، وقرىء طيرًا بياء ساكنة على الجمع، وبالألف وهمزة على الإفراد، ذكر بإذن الله: رفعًا لوهم من توهّم في عيسى الربوبية ﴿وأُبْرِىءُ﴾ رُوِيَ أنه كان يجتمع إليه جماعة من العُميان والبرصاء فيدعو لهم فيبرؤون ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى﴾ رُوِيَ أنه كان يضرب بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه، ورُوِيَ أنه أحيي سام بن نوح ﴿وأُنَبِّئُكُم﴾ كان يقول يا فلانُ أكلت كذا وادّخرت في بيتك كذا ﴿ومُصَدِّقًا﴾ عطف على رسولاً أو على موضع بآية من ربكم، لأنه في موضع الحال، وهو أحسن لأنه من جملة كلام عيسى فالتقدير: جئتكم بآية من ربّكم، وجئتكم مصدّقًا ﴿ولأُحِلَّ لَكُم﴾ عطف على بآية منْ ربكم، وكانوا قد حرم عليهم الشحم ولحم الإبل وأشياء من الحيتان والطير فأحلّ لهم عيسى بعض ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ ردّ على مَن نسب الربوبية لعيسى وانتهى كلام عيسى عليه السلام إلى قوله: ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ وابتداؤه من قوله إنّي قد جئتكم، وكل ذلك يحتمل أن يكون مما ذكرت الملائكة لمريم، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه سيقوله، ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع ثم استؤنف الكلام من قوله ورسولاً، على تقدير جاء عيسى رسولاً: بأنّي قد جئتكم بآية من ربكم، ثم استمر كلامه إلى آخره ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى﴾ أي علم علمًا ظاهرًا كعلم ما يدرك بالحواس ﴿مَنْ أَنصَارِي﴾ طلب للنصرة، والأنصار جمع ناصر ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ تقديره من يضيف أنفسهم في نصرتي إلى الله فلذلك قيل إلى هنا بمعنى مع أو يتعلق بمحذوف تقديره ذاهبًا أو ملتجئًا إلى الله ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ حواري الرجل صفوته وخاصّته، ولذلك قال رسول الله ﷺ لكل نبيّ حواريّ وإن حواريّ الزبير، وقيل إن الحواريين كانوا قصّارين يحورون

نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ

الثياب، أي يبيضونها ولذلك سمّاهم الحواريين ﴿**بِمَا أَنزَلْتَ**﴾ يريدون الإنجيل، والرسول هنا عيسى عليه السلام ﴿**مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ أي مع الذين يشهدون بالحق من الأمم، وقيل مع أمة محمد ﷺ لأنهم يشهدون على الناس ﴿**وَمَكَرُوا**﴾ الضمير لكفّار بني إسرائيل ومكرهم أنهم وكّلوا بعيسى مَن يقتله غيلة ﴿**وَمَكَرَ اللَّهُ**﴾ أي رفع عيسى إلى السماء، وألقى شبهه على مَن أراد اغتياله حتى قتل عِوَضًا منه، وعبّر عن فعل الله بالمكر مُشاكلة لقوله مكروا ﴿**واللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ أي أقواهم وهو فاعل ذلك بحق، والماكر من البشر فاعل بالباطل ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ**﴾ العامل فيه فعل مضمر، أو يمكر ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾ قيل وفاة موت، ثم أحياه الله في السماء، وقيل رفع حيًا، ووفاة الموت بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال، وقيل يعني وفاة نوم؛ وقيل المعنى قابضك من الأرض إلى السماء ﴿**وَرَافِعُكَ إِلَيّ**﴾ أي إلى السماء ﴿**وَمُطَهِّرُكَ**﴾ أي من سوء جوارهم ﴿**الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ**﴾ هم المسلمون، وعلوهم على الكفرة بالحجّة وبالسيف في غالب الأمر وقيل الذين اتّبعوك النصارى، والذين كفروا اليهود، فالآية مُخبِرة عن عزّة النصارى على اليهود وإذلالهم لهم ﴿**ذَلِكَ نَتْلُوهُ**﴾ إشارة إلى ما تقدّم من الأخبار ﴿**مِنَ الآيَاتِ**﴾ المتلوّات أو المعجزات ﴿**الذِّكْرِ**﴾ القرآن ﴿**الحَكِيمِ**﴾ الناطق بالحكمة ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى**﴾ الآية حجة على النصارى في قولهم: كيف يكون ابن دون أب، فمثله الله بآدم الذي خلقه الله دون أم ولا أب، وذلك أغرب مما استبعدوه، فهو أقطع لقولهم ﴿**خَلَقَهُ مِن تُرابٍ**﴾ تفسير لحال آدم فيكون حكاية عن حال ماضية، والأصل لو قال خلقه من تراب، ثم قال له كن فكان، لكنه وضع المضارع موضع الماضي ليصوّر في نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم ﴿**الحَقُّ**﴾ خبر مبتدأ مضمر ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ**﴾ أي في

حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ

عيسى، وكان الذي حاجّه فيه وفد نجرّان من النصارى، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما السيد، والآخر العاقب ﴿**نَبْتَهِلْ**﴾ نلتعن والبهلة اللعنة أي نقول لعنة الله على الكاذب منّا ومنكم، هذا أصل الابتهال؛ ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن لعنة، ولما نزلت الآية أرسل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجرّان إلى الملاعنة فخافوا أن يهلكهم الله أو يمسخهم الله قردة وخنازير، فأبوا من الملاعنة وأعطوا الجزية ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**﴾ خطاب لنصارى نجران، وقيل اليهود ﴿**سَوَاءٍ**﴾ أي عدل ونصف ﴿**أَن لاَّ نَعْبُدَ**﴾ بدل من كلمة أو رفع على تقدير هي، ودعاهم صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم إلى توحيد الله وترك ما عبدوه من دونه كالمسيح والأحبار والرهبان ﴿**لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ**﴾ قالت اليهود كان إبراهيم يهوديًا، وقالت النصارى: كان نصرانيًا، فنزلت الآية ردًّا عليهم لأن مِلّة اليهود والنصارى إنما وقعت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة ﴿**هَاأَنتُمْ**﴾ ها تنبيه، وقيل بدل من همزة الاستفهام، وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم استئناف؛ أو هؤلاء منصوب على التخصيص وحاججتم الخبر ﴿**فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ**﴾ فيما نطقت به التوراة والإنجيل ﴿**فِيمَا لَيسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ**﴾ ما تقدّم على ذلك من حال إبراهيم ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًا وَلاَ نَصْرَانِيًا**﴾ ردّ على اليهود والنصارى ﴿**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ نفي للاشتراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإشراك الذي يتضمن دين اليهود والنصارى ﴿**وَهَذَا النَّبِيُّ**﴾ عطف على الذين اتّبعوه: أي محمد ﷺ ﴿**أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ**﴾ لأنه على دينه ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أمّة محمد ﷺ ﴿**وَدَّت طَائِفَةٌ**﴾ هم

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ

اليهود، دعوا حذيفة وعمّارًا ومعاذًا إلى اليهودية **﴿وَمَا يُضِلُّونَ إلاَّ أَنْفُسَهُمْ﴾** أي لا يعود وبال الإضلال إلاّ عليهم **﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾** أي تعلمون أن محمدًا ﷺ نبي **﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ﴾** أي تخلطون والحق نبوّة محمد ﷺ والباطل الكفر به **﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ﴾** كان قوم من اليهود لعنهم الله أظهروا الإسلام أول النهار، ثم كفروا آخره ليخدعوا المسلمين، فيقولوا ما رجع هؤلاء إلاّ عن علم، وقال السّهيلي: إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الصيف، وعديّ بن زيد، والحارث بن عوف **﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾** يحتمل أن يكون من تمام الكلام الذي أمر النبي ﷺ أن يقوله متّصلاً بقوله: إن الهدى هدى الله وأن يكون من كلام أهل الكتاب فيكون متّصلاً بقولهم: **﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾**، ويكون إن الهدى اعتراضًا بين الكلامين، فعلى الأول يكون المعنى: كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم وقلتم ما قلتم، ودبّرتم ما دبّرتم من الخداع، فموضع أن يؤتى مفعول من أجله، أو منصوب بفعل مضمر تقديره فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من الكتاب والنبوّة، وعلى الثاني فيكون المعنى. لا تؤمنوا أي لا تقرّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم **﴿إلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾** واكتموا ذلك على مَن لم يتبع دينكم لئلا يدعوهم إلى الإسلام، فموضع أن يؤتى مفعول بتؤمنوا المضمّن معنى تقرّوا، ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله: أي لا تؤمنوا إلاّ لمَن تبع دينكم كراهية أن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم **﴿أَو يُحَاجُّوكُمْ﴾** عطف على أن يؤتى، وضمير الفاعل للمسلمين، وضمير المفعول لليهود **﴿إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾** ردّ على اليهود في قولهم؛ لم يؤت أحدًا مثل ما أُوتي بنو إسرائيل من النبوّة والشرف **﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾** الآية: إخبار أن أهل الكتاب على قسمين: أمين، وخائن. وذكر القنطار مثالاً للكثير فمَن أدّاه: أدّى ما دونه، وذكر الدنيا مثالاً للقليل، فمَن منعه منع ما فوقه بطريق

لَا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ

الأولى ﴿قَائِمًا﴾ يحتمل أن يكون من القيام الحقيقي بالجسد، أو من القيام بالأمر، وهو العزيمة عليه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى خيانتهم والباء للتعليل ﴿لَيسَ عَلَينَا﴾ زعموا بأنّ أموال الأمّيين، وهم العرب: حلال لهم ﴿الكَذِبَ﴾ هنا قولهم، إنّ الله أحلّها عليهم في التوراة أو كذبهم على الإطلاق ﴿بَلَى﴾ عليهم سبيل وتباعة في أموال الأمّيين ﴿بِعَهْدِهِ﴾ الضمير يعود على مَن أو على الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآية: قيل نزلت في اليهود لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا، وقيل نزلت بسبب خصومة بين الأشعث من قيس وآخر، فأراد خصمه أن يحلف كاذبًا ﴿وإِنَّ مِنهُمْ﴾ الضمير عائد على أهل الكتاب ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم﴾ أي يحرّفون اللفظ أو المعنى ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ الضمير يعود على ما دلّ عليه قوله يلوون ألسنتهم، وهو الكلام لمحرّف ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآية: هذا النفي متسلّط على ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾ والمعنى لا يدّعي الربوبية مَن آتاه الله النبوّة، والإشارة إلى عيسى عليه السلام ردّ على النصارى الذين قالوا إنه الله، وقيل إلى محمد ﷺ، لأن اليهود قالوا له يا محمد: تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى فقال معاذ الله ما بذلك أُمِرت ولا إليه دعوت ﴿رَبَّانِيِّينَ﴾ جمع ربّاني، وهو العالم، وقيل الربّاني الذي يربّي الناس بصغار العلم قبل كباره ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ الباء سببية وما مصدرية ﴿تَعلَمُونَ﴾ بالتخفيف تعرفون. وقرىء بالتشديد من التعليم.

﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ﴾ بالرفع استئناف، والفاعل الله أو البشر المذكور، وقرىء بالنصب عطف على أن يؤتيه أو على ثم يقول، والفاعل على هذا البشر ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟

﴿النَّبِيِّينَ﴾ معنى الآية أنّ الله أخذ العهد والميثاق على كل نبيّ أن يؤمن بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وينصره إن أدركه، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء، واللام في قوله: **﴿لَمَا آتَيْتُكُم﴾** لام التوطئة، لأنّ أخذ الميثاق في معنى الاستخلاف، واللام في لتؤمننّ جواب القسم، وما يحتمل أن تكون شرطية، ولتؤمننّ سدّ مسدّ جواب القسم والشرط. وأن تكون موصولة بمعنى الذي آتيناكموه **﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾** والضمير في به ولتنصرنّه عائد على الرسول **﴿أأقْرَرْتُمْ﴾** أي اعترفتم **﴿إِصْرِي﴾** عهدي **﴿فاشْهَدُوا﴾** أي على أنفسكم وعلى أُممكم بالتزام هذا العهد **﴿وأَنا مَعَكُم﴾** تأكيد للعهد بشهادة ربّ العزّة جلّ جلاله **﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾** أي مَن تولّى عن الإيمان بهذا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد هذا الميثاق فهو فاسق مرتدّ متمرّد في كفره **﴿أفَغَيْرَ﴾** الهمزة للإنكار، والفاء عطفت جملة على جملة، وغير مفعول قدّم للاهتمام به أو للحصر **﴿وله أَسْلَمَ﴾** أي انقاد واستسلم **﴿طَوْعًا وكَرْهًا﴾** مصدر صدّر في موضع الحال، والطوع للمؤمنين والكره للكافر إذا عاين الموت، وقيل عند أخذ الميثاق المتقدّم، وقيل إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرهًا **﴿قُلْ آمَنَّا﴾** أمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يخبر عن نفسه وعن أمّته بالإيمان **﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنا﴾** تعدّى هنا بعلى مناسبة لقوله قل، وفي البقرة بإلى لقوله قولوا. لأن على حرف استعلاء يقتضي النزول من علو. ونزوله على هذا المعنى مختصّ بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. وإلى حرف غاية وهو موصل إلى جميع الأمّة **﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾** الآية: إبطال لجميع الأديان غير الإسلام، وقيل نسخت: إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الآية **﴿كَيْفَ﴾** سؤال والمراد به هنا استبعاد الهدى **﴿قَوْمًا كَفَرُوا﴾** نزلت في الحرث بن سويد وغيره أسلموا ثم ارتدّوا ولحقوا

أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن

بالكفّار ثم كتبوا إلى أهلهم هل لنا من توبة؟ فنزلت الآية إلى قوله: ﴿**إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا**﴾، فرجعوا إلى الإسلام؛ وقيل نزلت في اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وآمنوا به ثم كفروا به لما بعث، وشهدوا عطف على إيمانهم، لأنّ معناه بعد أن آمنوا، وقيل الواو للحال، وقال ابن عطية. عطف على كفروا والواو لا ترتب ﴿**والنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ عموم بمعنى الخصوص في المؤمنين أو على عمومه وتكون اللعنة في الآخرة ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾ الضمير عائد على اللعنة، وقيل على النار وإن لم تكن ذكرت؛ لأنّ المعنى يقتضيها ﴿**ثُمَّ ازدادوا كُفرًا**﴾ قيل هم اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفرًا بكفرهم بمحمد ﷺ وقيل كفروا بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد أن كانوا مؤمنين قبل مبعثه، ثم ازدادوا كُفرًا بعداوتهم له وطعنهم عليه؛ وقيل هم الذّين ارتدّوا ﴿**لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ**﴾ قيل ذلك عبارة عن موتهم على الكفر: أي ليس لهم توبة فتقبل، وذلك في قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر، وقيل لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر. فذلك عامّ ﴿**فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحِدِهِم مِّلْءُ**﴾ جزم بالعذاب لكل مَن مات على الكفر. والواو في قوله: ولو افتدى به، قيل زائدة وقيل للعطف على محذوف، كأنه قال: لن يقبل من أحدهم لو تصدّق به ﴿**ولَوْ افْتَدَى بِهِ**﴾ وقيل نفى أولاً القبول جملة على الوجوه كلها، ثم خصّ الفدية بالنفي كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلاً ولو رغبت إليّ ﴿**لَن تَنَالُوا البِرَّ**﴾ أي لن تكونوا من الأبرار ولن تنالوا البرَّ الكامل ﴿**حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ من أموالكم ولما نزلت قال أبو طلحة إنّ أحبّ أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة، وكان ابن عمر يتصدّق بالسكر ويقول إني لأحبّه ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ**﴾ الآية إخبار أن الأطعمة كانت حلالاً لبني إسرائيل ﴿**إلاَّ مَا حَرَّمَ إسْرَائِيلَ**﴾ أبوهم ﴿**عَلَى نَفْسِهِ**﴾ وهو لحم الإبل ولبنها ثم حرّمت عليهم أنواع من الأطعمة

﴿تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ﴾

كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم، وفيها ردٌّ عليهم في قولهم إنهم على مِلّة إبراهيم عليه السلام وأن الأشياء التي هي محرّمة كانت محرّمة على إبراهيم، وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه لأن الله حرّم عليهم تلك الأشياء بعد حلّها، خلافًا لليهود في قولهم إن النسخ مُحال على هذه الأشياء، وفيها معجزة للنبي ﷺ لإخباره بذلك من غير تعلّم من أحد وسبب تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه أنه مرض فنذر إن شفاه الله أن يحرّم أحبّ الطعام إليه شكرًا لله وتقرّباً إليه، ويؤخذ من ذلك أنه يجوز للأنبياء أن يحرّموا على أنفسهم باجتهادهم ﴿**فأْتوا بالتَّوْرَاة**﴾ تعجيزًا لليهود، وإقامة حجة عليهم، ورُوِيَ أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة ﴿**فَمَن افْتَرَى**﴾ أي مَن زعم بعد هذا البيان أن الشحم وغيره كان محرّمًا على بني إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظالم المكابر بالباطل ﴿**صَدَقَ اللّهُ**﴾ أي الأمر كما وصف لا كما تكذبون أنتم ففيه تعريض بكذبهم ﴿**فاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ**﴾ إلزام لهم أن يسلموا كما ثبت أن ملّة الإسلام هي ملّة إبراهيم التي لم يحرم فيها شيء مما هو محرّم عليهم ﴿**إنَّ أوَّلَ بَيتٍ**﴾ أي أول مسجد بُنِيَ في الأرض، وقد سأل أبو ذرّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، أيّ مسجد بُنِيَ أول؟ قال: المسجد الحرام، ثم بيت المقدس، وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: المعنى أنه أول بيت وضع مباركًا وهدى وقد كانت قبله بيوتًا ﴿**بِبَكَّةَ**﴾ قيل هي مكة والباء بدل من الميم، وقيل مكة الحرم كله، وبكة المسجد وما حوله ﴿**مُبَارَكًا**﴾ نصب على الحال والعامل فيه على قول عليّ وضع ﴿**مُبَارَكًا**﴾ على أنه حال من الضمير الذي فيه وعلى القول الأول هو حال من الضمير المجرور والعامل فيه العامل المجرور من معنى الاستقرار ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ**﴾ آيات البيت كثيرة، منها الحجر الذي هو مقام إبراهيم وهو الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى أكمل البناء، وغرقت قدم إبراهيم في الحجر كأنها في طين، وذلك الأثر باقٍ إلى اليوم، ومنها أن الطيور لا تعلوه، ومنها إهلاك أصحاب الفيل، وردّ الجبابرة عنه ونبع زمزم لهاجر أُمّ إسماعيل بهمز جبريل بعقبه وحفر عبد المطّلب بعدد ثورها وأن ماؤها ينفع لما شرب له إلى غير ذلك ﴿**مَقَامَ إبْرَاهِيمَ**﴾ قيل إنه بدل من الآيات أو عطف

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾

بيان، وإنما جاز بدل الواحد من الجمع لأن المقام يحتوي على آيات كثيرة لدلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوّة إبراهيم وغير ذلك، وقيل الآيات: مقام إبراهيم، وأمن مَن دخله، فعلى هذا يكون قوله وَمَن دخله عطفًا، وعلى الأول استئنافًا، وقيل التقدير منهنّ مقام إبراهيم، فهو على هذا مبتدأ، والمقام هو الحجر المذكور، وقيل البيت كله، وقيل مكة كلها ﴿**كَانَ آمِنًا**﴾ أي آمنًا من العذاب، فإنه كان في الجاهلية إذا فعل أحد جريمة ثم لجأ إلى البيت لا يطلب، ولا يعاقب، فأما في الإسلام فإن الحرم لا يمنع من الحدود ولا من القصاص، وقال ابن عباس وأبو حنيفة ذلك الحكم باقٍ في الإسلام إلاّ أن مَن وجب عليه حدّ أو قصاص فدخل الحرم لا يطعم ولا يباع منه حتى يخرج وقيل آمنًا من النار ﴿**حِجُّ الْبَيْتِ**﴾ بيان لوجوب الحج واختلف هل هو على الفور أو على التراخي، وفي الآية ردّ على اليهود لما زعموا أنهم على ملّة إبراهيم قيل لهم إن كنتم صادقين فحجّوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ**﴾ بدل من الناس، وقيل فاعل بالمصدر، وهو حج؛ وقيل شرط مبتدأ: أي مَن استطاع فعليه الحج؛ والاستطاعة عند مالك هي القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن إما راجلاً وإما راكبًا مع الزاد المُبلغ والطريق الآمن وقيل الاستطاعة الزاد والراحلة، وهو مذهب الشافعي وعبد الملك بن حبيب ورُوِيَ في ذلك حديث ضعيف ﴿**وَمَنْ كَفَرَ**﴾ قيل المعنى مَن لم يحج، وعبّر عنه بالكفر تغليظًا كقوله ﷺ: «مَن ترك الصلاة فقد كفر»، وقيل أراد اليهود لأنهم لا يحجّون، وقيل مَن زعم أن الحج ليس بواجب ﴿**لِمَ تَكْفُرُونَ**﴾ توبيخ لليهود ﴿**لِمَ تَصُدُّونَ**﴾ توبيخ أيضًا. وكانوا يمنعون الناس من الإسلام ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم ﴿**سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ هنا الإسلام ﴿**تَبْغُونَهَا عِوَجًا**﴾ الضمير يعود على السبيل أي تطلبون لها الاعوجاج ﴿**وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ**﴾ أي تشهدون أن الإسلام حق ﴿**إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا**﴾ الآية: لفظها عامّ والخطاب للأوس والخزرج إذ كان اليهود يريدون فتنتهم ﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ**﴾ إنكار واستبعاد ﴿**حَقَّ تُقَاتِه**﴾ قيل نسخها، فاتقوا الله ما استطعتم، وقيل لا نسخ إذ لا تعارض فإن العباد أُمِرُوا بالتقوى على الكمال

وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ

فيما استطاعوا تحرّزًا من الإكراه وشبهه **﴿واعتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾** أي تمسكوا، والحبل هنا مستعار من الحبل الذي تشدّ عليه اليد، والمراد به هنا القرآن، وقيل الجماعة **﴿وَلاَ تفرَّقُوا﴾** نَهْيٌ عن التدابر والتقاطع، إذ قد كان الأوس همّوا بالقتال مع الخزرج لما رام اليهود إيقاع الشرّ بينهم، ويحتمل أن يكون نهيًا عن التفرّق في أُصول الدين ولا يدخل في النهي الاختلاف في الفروع **﴿إِذْ كُنتُمْ أعْدَاءً﴾** كان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله بالإسلام **﴿شَفَا حُفرَةٍ﴾** أي حرف حفرة وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم إلى النار **﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾** الآية: دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، وقوله منكم: دليل على أنه فرض كفاية لأن من للتبعيض، وقيل إنها لبيان الجنس، وأن المعنى كونوا أمة وتغيير المنكر يكون باليد وباللسان وبالقلب، على حسب الأحوال **﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾** هم اليهود والنصارى نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم، وورد في الحديث أنه عليه السلام قال؛ افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النهار إلاّ واحدة، قيل ومن تلك الواحدة؟ قال: مَن كان على ما أنا وأصحابي عليه **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾** العامل فيه محذوف وقيل عذاب عظيم **﴿أكَفَرْتُم بَعْدَ إيمَانِكُمْ﴾** أي يقال لهم أكفرتم والخطاب لمَن ارتدّ عن الإسلام وقيل للخوارج، وقيل لليهود لأنهم آمنوا بصفة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم المذكورة في التوراة ثم كفروا به لما بعث **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾** كان هنا هي التي تقتضي الدوام كقوله وكان الله غفورًا رحيمًا، وقيل

ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ

كنتم في علم الله، وقيل كنتم فيما وصفتم به في الكتب المتقدّمة، وقيل كنتم بمعنى أنتم، والخطاب لجميع المؤمنين، وقيل للصحابة خاصّة ﴿**لَن يَضُرُوكُمْ إلاّ أذى**﴾ أي بالكلام خاصّة وهو أهون المضرّة ﴿**يوَلُوكُمُ الأدْبَارَ**﴾ إخبار بغيب ظهر في الوجود صدقة ﴿**ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ**﴾ إخبار مستأنف غير معطوف على يولّوكم، وفائدة ذلك أن تولّيهم الأدبار مقيد بوقت القتال، وعدم النصر عل الإطلاق، وعطفت الجملة على جملة الشرط والجزاء، وثم لترتيب الأحوال لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشدّ من تولّيهم الأدبار حين القتال ﴿**إلاّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ الحبل هنا العهد والذمّة ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً**﴾ أي ليس أهل الكتاب مستويين في دينهم ﴿**أُمَّةٌ قَائِمَةٌ**﴾ أي قائمة بالحق، وذلك فيمن أسلم من اليهود: كعبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيد وأخيه أسد وغيرهم ﴿**وهَمْ يَسْجُدُونَ**﴾ يدلّ أن تلاوتهم للكتاب في الصلاة ﴿**فَلَنْ يُكْفَرُوهُ**﴾ أي لن تحرموا ثوابه ﴿**مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ**﴾ الآية: تشبيه لنفقة الكافرين بزرع أهلكته ريح باردة فلن ينتفع به أصحابه فكذلك لا ينتفع الكفّار بما ينفقون وفي الكلام حذف تقديره: مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح وإنما احتيج لهذا لأن ما ينفقون ليس تشبيهًا بالريح إنما هو تشبيه بالزرع الذي أهلكته الريح ﴿**صِرٌّ**﴾ ي برد ﴿**حَرْثَ قَوْم ظَلَمُوا أنفُسَهُمْ**﴾ أي عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم ﴿**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ**﴾ الضمير للكفار، أو المنافقين، أو لأصحاب الحرث، والأول أرجح، لأن

يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾

قوله أنفسهم يظلمون فعل حال يدلّ على أنه للحاضرين **﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾** أي أولياء من غيركم فالمعنى نَهْيٌ عن استخلاص الكفّار وموالاتهم وقيل لعمر رضي الله عنه إن هنا رجلاً من النصارى لا أحد أحسن خطأ منه، أفلا يكتب عنك: قال إذا اتخذ بطانة من دون المؤمنين **﴿لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾** أي لا يقصرون في إفسادكم، والخبال الفساد **﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾** أي تمنوا مضرّتكم، وما مصدرية وهذه الجملة والتي قبلها صفة للبطانة أو استئناف **﴿وَتُؤْمِنُونَ بالكِتَابِ كُلِّهِ﴾** أي بكل كتاب أنزله الله واليهود لا يؤمنون بقرآنكم **﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ﴾** عبارة عن شدّة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه، والأنامل جمع أُنملة بضم الميم وفتحها **﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾** تقريع وإغاظة، وقيل دعاء **﴿إن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾** الحسنة هنا: الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك، والسيئة ضدّها **﴿لاَ يَضُرُّكُمْ﴾** من الضير بمعنى الضرّ **﴿وإذ غدوت من أهلك﴾** نزلت في غزوة أُحُد. وكان غزو رسول الله ﷺ للقتال صبيحة يوم السبت وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة **﴿تُبَوِّىءُ المُؤْمِنِينَ﴾** تنزلهم وذلك يوم السبت حين حضر القتال، وقيل ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة، وذلك ضعيف لأنه لا يقال غدوت فيما بعد الزوال إلاّ على المجاز، وقيل ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس وذلك ضعيف لأنه لم يبوىء حينئذ مقاعد للقتال إلاّ أن يراد أنه بوّأهم بالتدبير حين المشاورة **﴿مقاعد﴾** مواضع وهو جمع مقعد **﴿طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ﴾** هم بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج، لما رأوا كثرة المشركين وقلّة المؤمنين همّوا بالانصراف فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله ﷺ **﴿أَنْ تَفْشَلاَ﴾** الفشل في البدن هو الإعياء، والفشل في الرأي هو العجز والحيرة وفساد العزم **﴿واللّهُ وَلِيُّهُمَا﴾** أي مثبتهما، وقال جابر بن عبد الله ما

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ

وددنا أنها لم تنزل لقوله والله وليهما.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ الذلّة هي قلّة عددهم وضعف عددهم كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ولم يكن لهم إلاّ فرس واحد وكان المشركون ما بين التسعمائة والألف، وكان معهم مائة فرس فقتل من المشركين سبعون وأُسِرَ منهم سبعون وانهزم سائرهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ متعلق بنصركم أو باتّقوا؛ والأول أظهر ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ كان هذا القول يوم بدر، وقيل يوم أُحُد، فالعامل في إذ على الأول محذوف، وعلى الثاني بدل من إذ غدوت ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ تقرير جوابه بلى، وإنما جاوب المتكلّم لصحّة الأمر وبيانه كقوله قل: ﴿مَن ربّ السَّمٰوَاتِ والأرضِ قُل الله﴾ [الرعد: ١٦] ﴿ويأتُوكم مِّن فَوْرِهِمْ﴾ الضمير للمشركين، والفور السرعة: أي من ساعتهم وقيل المعنى من سفرهم ﴿بِخَمْسَةِ آلآفٍ﴾ بأكثر من العدد الذي يكفيكم ليزيد ذلك في قوتكم فإن كان هذا يوم بدر، فقد قاتلت فيه الملائكة وإن كان يوم أُحد فقد شرط في قوله: ﴿إن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بفتح الواو وكسرها أي معلمين، أو معلمين أنفسهم أو خيلهم، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء، إلاّ جبريل فإنه كانت عمامته صفراء، وقيل كانت عمائمهم صفر، وكانت خيلهم مجزوزة الأذناب وقيل كانوا على خيل بلق ﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ الضمير عائد على الإنزال، أو الإمداد ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ معطوف على بشرى لأن هذا الفعل بتأويل المصدر، وقيل يتعلق بفعل مضمر يدلّ عليه جعله ﴿لِيَقْطَعَ﴾ يتعلق بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شَيْءٌ﴾ جملة اعتراضية بين المعطوفين ونزلت لمّا دعا رسول الله ﷺ في الصلاة على أحياء من العرب فترك الدعاء عليهم ﴿أَو يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ معناه يسلمون ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ كانوا يزيدون كل ما حلّ عامًا بعد عام ﴿سَارِعُوا﴾ بغير واو

رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا

استئناف، وبالواو عطف على ما تقدّم **﴿إلى مَغفِرَةٍ﴾** أي إلى الأعمال متى تستحقون بها المغفرة **﴿عَرْضُهَا﴾** قال ابن عباس: تقرن السمٰوات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلاّ الله: وقيل ليس العرض هنا خلاف الطول وإنما المعنى سعتها كسعة السمٰوات والأرض **﴿فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ﴾** في العسر واليسر **﴿وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** حذف مفعوله وتقديره وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا **﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾** خطاب للمؤمنين تأنيسًا لهم وقيل للكافرين تخويفًا لهم **﴿فَانظُرُوا﴾** من نظر العين عند الجمهور وقيل هو بالفكر **﴿ولا تَهِنُوا﴾** تقوية لقلوب المؤمنين **﴿وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾** إخبار بعلوّ كلمة الإسلام **﴿إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾** الآية معناها إن مسّكم قتل أو جراح في أحد فقد مسّ الكفّار مثله في بدر، وقيل قد مسّ الكفّار يوم أُحد مثل ما مسّكم فيه فإنهم نالوا منكم ونلتم منهم وذلك تسلية للمؤمنين بالتأسّي **﴿نُداوِلُهَا﴾** تسلية أيضًا عمّا جرى يوم أُحد **﴿وَلِيَعْلَمَ﴾** متعلق بمحذوف تقديره أصابكم ما أصابهم يوم أُحد ليعلم والمعنى ليعلم ذلك علمًا ظاهرًا لكم تقوم به الحجة **﴿شُهَدَاءَ﴾** مَن قتل من المسلمين يوم أُحد **﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ﴾** أي يظهر، وقيل يميز، وهو معطوف على ما تقدّم من التعليلات لقصة أحد، والمعنى أن إدالة الكفّار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين وأن نصر المؤمنين على الكفّار

﴿يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ﴾

إنما هو ليمحق الله الكافرين أي يهلكهم **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾** أم هنا منقطعة مقدّرة ببل والهمزة عند سيبويه، وهذه الآية وما بعدها معاتبة لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم أُحُد **﴿تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾** خوطب به قوم فاتتهم غزوة بدر فتمنوا حضور قتال الكفّار مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد فعلى هذا إنما تمنّوا الجهاد وهو سبب الموت، وقيل إنما تمنّوا الشهادة في سبيل الله **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ﴾** المعنى أن محمدًا ﷺ رسول كسائر الرُّسُل قد بلغ الرسالة كما بلغوا فيجب عليكم التمسّك بدينه في حياته وبعد موته وسببها أنه صرخ صارخ يوم أُحُد. إن محمدًا قد مات، فتزلزل بعض الناس **﴿أفَإِن مَّاتَ﴾** دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء، ودخلت الفاء لتربط الجملة الشرطية بالجملة التي قبلها والمعنى أن موت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو قتله لا يقتضي انقلاب أصحابه على أعقابهم، لأن شريعته قد تقرّرت وبراهينه قد صحّت، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو مات ﷺ، أو قتل وقد علم أنه لا يقتل ولكن ذكر ذلك لما صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم **﴿الشَّاكِرِينَ﴾** قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الثابتون على دينهم **﴿كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾** نصب على المصدر لأنّ المعنى كتب الموت كتابًا، وقال ابن عطية نصب على التمييز **﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾** في ثواب الدنيا، مقيد بالمشيئة بدليل قوله: **﴿عجّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُرِيد﴾** [الإسراء: ١٨] **﴿وكَأَيِّن مِّن نَّبِيّ قَتَلَ﴾** الفعل مسند إلى ضمير النبيّ ومعه ربيون على هذا في موضع الحال، وقيل إنه مسند إلى الربيين، فيكون ربيون على هذا مفعولاً لما لم يُسَمّ فاعله فعلى الأوّل يوقف على قوله قتل، ويترجّح الأوّل: بما صرح به الصارخ يوم أحد: إنّ محمدًا قد مات، فضرب لهم المثل بنبيٍّ قتل، ويترجح الثاني بأنه لم يقتل قطّ نبي في محاربة **﴿رِبِّيُّونَ﴾** علماء مثل

ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ

ربانيين، وقيل جموع كثيرة **﴿فَمَا وَهَنُوا﴾** الضمير لربيون على إسناد القتل للنبي، وهو لم يَبْقَ منهم على إسناد القتل إليهم **﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾** أي لم يذلّوا للكفّار قال بعض النحاة: الاستكان مشتق من السكون، ووزنه افتعلوا مطلت فتحة الكاف فحدّث عن مطلها ألف وذلك كالإشباع، وقيل إنه من كان يكون، فوزنه استفعلوا، وقوله تعالى: **﴿فَمَا وَهَنُوا﴾** وما بعده: تعريض لما صدر من بعض الناس يوم أُحُد **﴿وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾** أي في الحرب **﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾** النصر **﴿ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾** الجنة **﴿إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** هم المنافقون الذين قالوا في قضية أُحُد ما قالوا، وقيل مشركوا قريش وقيل اليهود **﴿الرُّعْبَ﴾** قيل ألقى الله الرعب في قلوب المشركين بأُحُد فرجعوا إلى مكة من غير سبب، وقيل لما كانوا ببعض الطريق همّوا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين، فألقى الله الرعب في قلوبهم، فأمسكوا، والآية تتناول جميع الكفّار لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «نصرت بالرعب» **﴿ولَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾** كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد وعد المسلمين عن الله بالنصر فنصرهم الله أولاً، وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلاً وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قد أمر الرماة أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا فلما رأوا المشركين قد انهزموا طمعوا في الغنيمة وأتبعوهم وخالفوا ما أُمِرُوا به من الثبوت في مكانهم فانقلبت الهزيمة على المسلمين **﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾** أي تقتلونهم قتلاً ذريعًا يعني في أول الأمر **﴿وَتَنَازَعْتُمْ﴾** وقع النزاع بين الرماة فثبت بعضهم كما أُمِرُوا ولم يثبت بعضهم **﴿وَعَصَيْتُم﴾** أي خالفتم ما أُمِرتم به من الثبوت، وجاءت المخاطبة في هذا لجميع المؤمنين وإن كان المخالف بعضهم وعظًا للجميع، وسترًا على مَن فعل ذلك وجواب إذ محذوف تقديره: لانهزمتم **﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ**

عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا

﴿الدُّنْيَا﴾ الذين حرصوا على الغنيمة معه **﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾** معناه لينزل بكم ما نزل من القتل والتمحيص **﴿ولَقَدْ عَفَا عَنكُم﴾** إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم، فمعناه لقد أبقى عليكم، وقيل هو عفو من الذنب **﴿إذ تُصْعِدُونَ﴾** العامل في إذ عفا، فيوصل إذ تصعدون مع ما قبله ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمر **﴿وَلاَ تَلْوُونَ﴾** مبالغة في صفة الانهزام **﴿والرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾** كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول إليّ عباد الله وهم يفرّون **﴿في أُخْرَاكُمْ﴾** في سقايتكم وفيه مدح للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فإن الأخرى هي موقف الأبطال **﴿فَأَثَابَكُمْ﴾** أي جازاكم **﴿غَمًّا بِغَمّ﴾** قيل أثابكم غمًّا بسبب الغمّ الذي أدخلتموه على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلى المؤمنين، إذ عصيتم وتنازعتم، وقيل أثابكم غمًّا متّصلاً بغمٍّ، وأحد الغمّين: ما أصابهم من القتل والجراح والآخر ما أرجف به من قتل رسول الله ﷺ **﴿عَلَى مَا فَاتَكُم﴾** من النصر والغنيمة **﴿وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ﴾** من القتل والجراح والانهزام **﴿أَمَنَةً نُعَاسًا﴾** قال ابن مسعود: نعسنا يوم أُحُد، والنعاس في الحرب أمان من الله **﴿يَغشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾** هم المؤمنون المخلصون، غشيهم النعاس تأمينًا لهم **﴿وطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾** هم المنافقون كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان، والمشركون **﴿غَيْرَ الحَقّ﴾** معناه يظنون أن الإسلام ليس بحق، وأن الله لا ينصرهم، وظن الجاهلية بدل وهو على حذف الموصوف تقديره ظن المودّة الجاهلية، أو الفرقة الجاهلية **﴿هَل لَّنَا مِن الأمرِ مِن شَيْءٍ﴾** قالها عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، والمعنى ليس لنا رأي، ولا يسمع قولنا أو لسنا على شيء من الأمر الحق، فيكون قولهم على هذا كفرًا **﴿يُخفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ﴾** يحتمل أن يريد الأقوال التي قالوها أو الكفر **﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾** قاله معشب بن قشير، ويحتمل من المعنى ما احتمل قول عبد الله بن أُبيّ **﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾** الآية: ردّ عليهم وإعلام بأن أجل

قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا

كل إنسان إنما هو واحد، وأن مَن لم يقتل يموت لأجله، ولا يؤخّر، وأن مَن كُتِبَ عليه القتل لا ينجيه منه شيء **﴿وَلِيَبْتَلِي﴾** يتعلق بفعل تقديره فعل بكم ذلك ليبتلي **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوا﴾** الآية: نزلت فيمن فرّ يوم أُحد **﴿اسْتَزَلَّهُمُ﴾** أي طلب منهم أن يزلّوا، ويحتمل أن يكون معناه أزلهم: أي أوقعهم في الزلل **﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾** أي كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها: بأن مكّن الشيطان من استزلالهم **﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾** أي غفر لهم ما وقعوا فيه من الفرار **﴿لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي المنافقين **﴿لإِخْوَانِهِمْ﴾** هي أخوة القرابة، لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج وكان أكثر المقتولين يوم أُحُد منهم، ولم يقتل من المهاجرين إلاّ أربعة **﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ﴾** أي سافروا وإنما قال إذا التي للاستقبال مع قالوا، لأنه على حكاية الحال الماضية **﴿أو كانوا غُزًّى﴾** جمع غازٍ وزنه فعل بضم الفاء وتشديد العين **﴿لَّوْ كَانُوا عِندَنَا﴾** اعتقاد منهم فاسد لأنهم ظنوا أن إخوانهنّ لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا قول مَن لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم ويقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين **﴿لِيَجْعَلَ﴾** متعلق بقالوا. أي قالوا ذلك فكان حسرة في قلوبهم فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة **﴿ذَلِكَ﴾** إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذي أوجب لهم الحسرة، لأن الذي يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة **﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾** ردّ على قولهم واعتقادهم **﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾** الآية إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قتلوا وماتوا في سبيل الله خير لهم مما يجمعون من الدنيا **﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾** الآية إخبار أن مَن مات أو قتل فإنه يحشر إلى الله **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾** ما زائدة للتأكيد لانفضوا أي تفرّقوا **﴿فاعْفُ عَنهُمْ﴾** فيما يختصّ بك واستغفر لهم فيما يختصّ بحق الله **﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾** المشاورة مأمور

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن

بها شرعًا، وإنما يشاور النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم الناس في الرأي في الحروب وغيرها لا في الأحكام الشرعية، وقال ابن عباس وشاورهم في بعض الأمر ﴿**فإذا عزمت فتوكّل على اللّهِ**﴾ التوكّل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرّات ورفعها بعد وقوعها، وهو من أعلى المقامات، لوجهين: أحدهما قوله: ﴿**إن الله يحبّ المتوكّلين**﴾، والآخر الضمان الذي في قوله: ومَن يتوكّل على الله فهو حسبه، وقد يكون واجبًا لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلوا إنْ كنتم مؤمنين﴾ [المائدة: ٢٣]، فجعله شرطًا في الإيمان، والظاهر قوله جلّ جلاله، ﴿**وَعلى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنونَ**﴾، فإن الأمر محمول على الوجوب.

واعلم أن الناس في التوكّل على ثلاثة مراتب: الأولى أن يعتمد العبد على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له، وقيامه بمصالحه، والثانية: أن يكون العبد مع ربّه كالطفل مع أمّه فإنه لا يعرف سواها، ولا يلجأ إلاّ إليها، والثالثة أن يكون العبد مع ربّه: كالميت بين يدي الغاسل، قد أسلم نفسه إليه بالكلية، فصاحب الدرجة الأولى له حظّ من النظر لنفسه بخلاف صاحب الثانية وصاحب الثانية له حظّ من المراد والاختبار بخلاف صاحب الثالثة وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذي تكلمنا عليه قي قوله: ﴿**وإلهكُم إلهٌ وَاحدٌ**﴾، فهي تقوى بقوّته! وتضعف بضعفه، فإن قيل: هل يشترط في التوكّل ترك الأسباب أم لا؟ فالجواب: أن الأسباب على ثلاثة أقسام: أحدهما: سبب معلوم قطعًا قد أجراه الله تعالى: فهذا لا يجوز تركه؛ كالأكل لدفع الجوع، واللباس لدفع البرد. والثاني سبب مظنون: كالتجارة وطلب المعاش، وشبه ذلك، فهذا لا يقدّم فعله في التوكّل لأن التوكّل من أعمال القلب، لا من أعمال البدن، ويجوز تركه لمَن قوي عليه، والثالث: سبب موهوم بعيد، فهذا يقدّم فعله في التوكّل، ثم إن فوق التوكّل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكليّة، فإن المتوكّل له مراد واختيار، وهو يطلب مراده باعتماده على ربّه، وأما المفوّض فليس له مراد ولا اختيار، بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى، فهو أكمل أدبًا مع الله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيّ أَن يَغُلَّ**﴾ هو من الغلول وهو أخذ الشيء خفية من المغانم وغيرها، وقرىء بفتح الياء وضم الغين، ومعناه تبرئة النبي ﷺ من الغلول، وسببها أنه فقدت من المغانم قطيفة حمراء، فقال بعض

يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ

المنافقين: لعلّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذها، وقرىء بضم الياء وفتح الغين، أي ليس لأحد أن يغلّ نبيًا: أي يخونه في المغانم، وخصّ النبي بالذكر وإن كان ذلك محظورًا من الأمر لشنعة الحال مع النبي لأن المعاصي تعظم بحضرته، وقيل معنى هذه القراءة: أن يوجد غالاً كما تقول أحمدت الرجل، إذا أصبته محمودًا، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة، إلى معنى فتح الياء **﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾** وعيد لمَن غلّ بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيء الذي غلّ، وقد جاء ذلك مفسّرًا في الحديث قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير لا ألفين أحدكم على رقبته فرس لا ألفين أحدكم على رقبته رقاع لا ألفين أحدكم على رقبته صامت لا ألفين أحدكم على رقبته إنسان»، فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك **﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ﴾** الآية: فقيل إن الذي اتّبع رضوان الله. مَن لم يغلل، والذي باء بالسخط من غلّ، وقيل الذي اتّبع الرضوان: مَن استشهد بأحد، والذي باء بالسخط: المنافقون الذين رجعوا عن الغزو **﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾** ذووا درجات، والمعنى تفاوت بين منازل أهل الرضوان وأهل السخط أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان فإن بعضهم فوق بعض، فكذلك درجات أهل السخط **﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾** الآية إخبار بفضل الله على المؤمنين ببعث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم **﴿مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾** معناه في الجنس واللسان، فكونه من جنسهم يوجب الأنس به، وقلّة الاستيحاش منه، وكونه بلسانهم يوجب حُسْن ألفهم عنه، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ويكون، وهو صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أشفق عليهم وأرحم بهم من الأجنبيين **﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾** الآية. عتاب للمسلمين على كلامهم فيمَن أُصيب منهم يوم أُحد ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف، والجملة معطوفة على ما تقدّم من قصة أُحد أو على محذوف **﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾** قتل يوم أُحد من المسلمين سبعون، وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون، وأُسِرَ سبعون **﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾** قيل معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾

لمخالفتهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج إلى المشركين فأبوا إلاّ الخروج، وقيل بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبما تقدّم **﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾** أي جمع المسلمين والمشركين يوم أُحد **﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾** الآية: كان رأي عبد الله بن أُبيّ ابن سلّول أن لا يخرج المسلمون إلى المشركين، فلما طلب الخروج قوم من المسلمين، فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: غضب عبد الله، وقال أطاعهم وعصانا، فرجع ورجع معه ثلاثمائة رجل، خمسين فمشى في أثرهم عبد الله بن عمر بن حزام الأنصاري، وقال لهم ارجعوا قاتلوا في سبيل الله، أو ادفعوا، فقال له عبد الله بن أُبيّ ما أرى أن يكون فقال، لو علمنا أنه يكون قتال لكنّا معكم **﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾** أي كثروا السواد، وإن لم تقاتلوا **﴿الذين قالوا﴾** بذل من الذين نافقوا، أو لإخوانهم في النسب، لأنهم كانوا من الأوس والخزرج **﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾** أي ادفعوا المعنى ردّ عليهم **﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾** إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء من التمتّع بأرزاق الجنة بخلاف سائر الأموات من المؤمنين فإنهم لا يتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة **﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾** المعنى أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا في الدنيا من بعدهم لأنهم يرجون أن يستشهدوا مثلهم فينالوا مثل ما نالوا من الشهادة **﴿ألاّ خَوْفٌ﴾** في موضع المفعول أو بدل من الذين **﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾** كرّر ليذكر ما تعلق به من النعمة والفضل **﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾** صفة للمؤمنين أو مبتدأ وخبره **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾** الآية، ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في اتّباع المشركين بعد غزوة أُحد، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثة أيام، وكانوا قد أصابتهم جراحات

وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟

وشدائد، فتجلدوا وخرجوا فمدحهم الله بذلك **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾** الآية: لما خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى حمراء الأسد بعد أُحُد: بلغ ذلك أبا سفيان فمرّ عليه ركب من عبد القيس يريدون المدينة بالميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب على أن يثبطوا المسلمين عن اتباع المشركين فخوّفوهم بهم، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرجوا، فالناس الأول ركب عبد القيس، والناس الثاني مشركوا قريش وقيل نادى أبو سفيان يوم أُحُد: موعدنا ببدر في القابل، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إن شاء الله فلما كان العام القابل: خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى بدر للميعاد، فأرسل أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجعي ليثبط المسلمين، فعلى هذا الناس الأول نعيم، وإنما قيل له الناس وهو واحد: لأنه من جنس الناس: كقولك ركبت الخيل إذا ركبت فرسًا **﴿فَزَادَهُمْ﴾** الفاعل ضمير المفعول، وهو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص، فمعناه هنا قوّة يقينهم وثقتهم بالله **﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾** كلمة يدفع بها ما يخاف ويكره وهي التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، ومعنى حسبنا الله: كافينا وحده فلا نخاف غيره، ومعنى ونعم الوكيل: ثناء على الله وأنه خير مَن يتوكّل العبد عليه ويلجأ إليه **﴿فَانْقَلَبُوا﴾** أي رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر **﴿واتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾** بخروجهم مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم **﴿ذَلِكُمُ الشَّيطَانُ﴾** المراد به هنا أبو سفيان، أو نعيم الذي أرسله أبو سفيان أو إبليس، وذلكم مبتدأ، والشيطان خبره وما بعده مستأنف، أو الشيطان نعت وما بعده خبر **﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾** أي يخوفكم أيها المؤمنون أولياءه وهم الكفّار، فالمفعول الأول محذوف ويدلّ عليه قوله: **﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ﴾**، وقرأ ابن مسعود وابن عباس يخوفكم أولياءه، وقيل المعنى يخوف المنافقين وهم أولياؤه من كفّار قريش، فالمفعول الثاني على هذا محذوف **﴿وَلاَ يَحْزُنْكَ﴾** تسلية للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقرىء بفتح الياء وضمّ الزاي حيث وقع مضارعًا من حزن الثاني، وهو أشهر في اللغة من أحزن **﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ في الكُفْرِ﴾** أي يبادرون إلى أقواله وأفعاله وهم المنافقون

﴿اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا﴾

والكفّار ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ الآية هم المذكورون قبل أو على العموم في جميع الكفّار ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي نمهلهم أن مفعول يحسبن، وما اسم أن فحقّها أن تكتب منفصلة وخير خبر: إنما نملي لهم ما هنا كافة والمعنى ردّ عليهم أي أن الإملاء لهم ليس خيرًا لهم إنما هو استدراج ليكتسبوا الإثم ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية: خطاب للمؤمنين، والمعنى ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين، ولكنه ميّز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر في غزوة أحد من الأقوال والأفعال التي تدلّ على الإيمان أو على النفاق ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ على الغَيْبِ﴾ أي ما كان الله ليطلعكم على ما في القلوب من الإيمان والنفاق أو ما كان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أو تغلبون ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ أي يختار من رسله مَن يشاء فيطلعهم على ما شاء من غيبه ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ يمنعون الزكاة وغيرها ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ هو فصل وخيرًا مفعول ثانٍ، والأول محذوف تقديره لا يحسبنّ البخل خيرًا لهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ أي يلزمون إثم ما بخلوا به، وقيل يجعل ما بخلوا به حيّة يطوّقها في عنقه يوم القيامة ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ الآية: لما نزلت: مَن ذا الذي يقرض الله: قال بعض اليهود وهو فنحاص، أو حيي بن أخطب أو غيرهما إنما يستقرض الفقير من الغني، فالله فقير ونحن أغنياء، فنزلت هذه الآية، وكان ذلك القول منهم اعتراضًا على القرآن أوجبه قلّة فهمهم، أو تحريفهم للمعاني، فإن كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر، وإن قالوه بغير اعتقاد: فهو استخفاف، وعناد ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ أي تكتبه الملائكة في الصحف ﴿وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ﴾ أي قتل آبائهم للأنبياء، وأسند إليهم لأنهم راضون به، ومتّبعون لمَن فعله من آبائهم ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ صفة للذين، وليس صفة للعبيد ﴿حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة

نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ

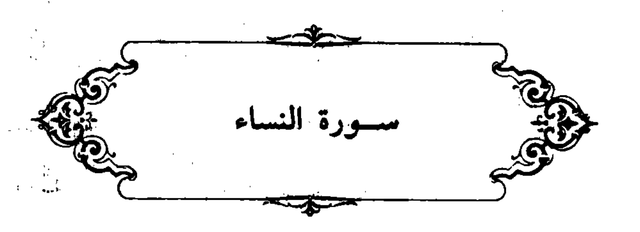
أو غيرها جعلوه في مكان، فتنزل نار من السماء فتحرقه، وإن لم تنزل فليس بمقبول، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل ﴿**قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ**﴾ الآية: ردّ عليهم بأن الرّسل قد جاءتهم بمعجزات توجب الإيمان بهم، وجاؤوهم أيضًا بالقربان الذي تأكله النار، ومع ذلك كذّبوهم وقتلوهم، فذلك يدلّ على أن كفرهم عناد، فإنهم كذبوا في قولهم إن الله عهد إلينا ﴿**فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ**﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ بالتأسّي بغيره ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ**﴾أي نُحّيَ وأُبعدَ ﴿**لَتُبْلَوُنَّ**﴾ الآية: خطاب للمسلمين، والبلاء في الأنفس بالموت والأمراض، وفي الأموال بالمصائب والإنفاق ﴿**وَلَتَسْمَعُنَّ**﴾ الآية: سببها قول اليهود إن الله فقير، وسبّهم للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم للمسلمين ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ**﴾ قال ابن عباس هي لليهود: أخذ عليهم العهد في أمر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم فكتموه، وهي عامّة في كل مَن علّمه الله علمًا ﴿**الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا**﴾ الآية: قال ابن عباس نزلت في أهل الكتاب سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا إليه بذلك، وفرحوا بما أُوتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه، وقاد أبو سعيد الخدري: نزلت في المنافقين: كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، وإذا قَدِمَ النبي ﷺ اعتذروا إليه، وأحبّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴿**فَلاَ تَحْسَبَنَّهُم**﴾ بالتاء وفتح الباء: خطاب للنبي صلّى الله

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ

عليه وآله وسلّم، وبالياء وضمّ الباء: أسند الفعل للذين يفرحون: أي لا يحسبون أنفسهم بمفازة من العذاب، ومَن قرأ تحسبنّ بالتاء: فهو خطاب للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والذين يفرحون: مفعول به، وبمفازة المفعول الثاني، وكرّر فلا تحسبنّهم: للتأكيد، ومَن قرأ لا يحسبنّ بالياء في أسفل، فإنه حذف المفعولين، لدلالة مفعولي لا تحسبنّهم عليهما ﴿**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ ذكر في البقرة ﴿**قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**﴾ أي يذكرون الله على كل حال فكأن هذه الهيآت حصر لحال بني آدم، وقيل إن ذلك في الصلاة؛ يصلّون قيامًا، فإن لم يستطيعوا صلّوا قعودًا، فإن لم يستطيعوا صلّوا على جنوبهم ﴿**رَبَّنَا**﴾ أي يقولون. ربّنا ما خلقت هذا لغير فائدة بل خلقته وخلقت البشر، لينظروا فيه فيعرفونك ﴿**سَمِعْنَا مُنَادِيًا**﴾ هو النبي ﷺ ﴿**مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ**﴾ أي على ألسنة رسلك ﴿**مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى**﴾ من لبيان الجنس، وقيل زائدة لتقدّم النفي ﴿**بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ**﴾ النساء والرجال سواء في الأجور والخيرات ﴿**وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ**﴾ هم المهاجرون آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا منها ﴿**ثَوَابًا**﴾ منصوبًا على المصدرية ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ**﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ أي لا تظنوا أن حال الكفّار في الدنيا دائمة فتهتمّوا لذلك، وأنزل لا يغرّنّك منزلة لا يحزنك ﴿**مَتَاعٌ قَلِيلٌ**﴾ أي تقلّبهم في الدنيا قليل بالنظر إلى ما فاتهم في الآخرة ﴿**نُزُلًا**﴾ منصوب على الحال من جنات أو على المصدرية ﴿**لِّلْأَبْرَارِ**﴾ جمع بارّ وبرّ، ومعناه العاملون بالبرّ، وهي غاية التقوى والعمل الصالح، قال بعضهم الأبرار: هم الذين لا يؤذون أحدًا.

فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

﴿**وإنَّ مِن أَهْلِ الكِتَابِ**﴾ الآية: قيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة، فإنه كان نصرانيًا فأسلم، وقيل في عبد الله بن سلام وغيره. ممّن أسلم من اليهود ﴿**لاَ يَشْتَرُونَ**﴾ مدح لهم، وفيه تعريض لذمّ غيرهم ممّن اشترى بآيات الله ثمنًا قليلاً ﴿**وَصَابِرُوا**﴾ أي صابروا عدوّكم في القتال ﴿**وَرَابِطُوا**﴾ أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم مستعدّين للجهاد، وقيل هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله، أي معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية والأوّل أظهر، قال ﷺ رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وأما قوله في انتظار الصلاة فذلكم الرباط فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله لعظم أجْره، والمرابط عند الفقهاء هو الذي يسكن الثغور فيرابط فيها وهي غير موطنه، فأما سكانها دائمًا بأهلهم ومعايشهم فليسوا مرابطين، ولكنهم حماة، حكاه ابن عطية.



سورة النساء

مدنية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ**﴾ خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى في أوّل البقرة ﴿**مِّن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ هو آدم عليه السلام ﴿**زَوْجَهَا**﴾ هي حَوّاء خلقت من ضلع آدم ﴿**وَبَثَّ**﴾ نشر ﴿**تَسَاءَلُونَ به**﴾ أي يقول بعضكم لبعض أسألك بالله أن تفعل كذا ﴿**والأَرْحَامَ**﴾ بالنصب عطفًا على اسم الله أي اتقوا الأرحام فلا تقطعوها، أو على موضع الجار والمجرور، وهو به، لأنّ موضعه نصب وقرىء بالخفض عطف على الضمير في به، وهو ضعيف عند البصريين، لأنّ الضمير المخفوض لا يعطف عليه إلاّ بإعادة الخافض ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة، وهو مقام شريف أصله علم وحال، ثم يثمر حالين: أما العلم، فهو معرفة العبد؛ لأنّ الله مطّلع عليه، ناظر إليه يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر على باله، وأما الحال فهي ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه، ولا يغفل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه

ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ

الحال، فإذا حصل العلم والحال: كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين: الحياء من الله، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجدّ في الطاعات، وكانت ثمرتها عند المقرّبين: الشهادة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، فقوله أن تعبد الله كأنك تراه: إشارة إلى الثمرة الثانية، وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم: كمَن يشاهد ملكًا عظيمًا، فإنه يعظّمه إذ ذاك بالضرورة، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك: إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقرّبين، فاعلم أنه يراك فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما فسّر الإحسان أوّل مرة بالمقام الأعلى: رأى أنّ كثيرًا من الناس قد يعجزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر، واعلم أنّ المراقبة لا تستقيم حتى تتقدّم قبلها المشارطة والمرابطة، وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة، فأما المشارطة: فهي اشتراط العبد على نفسه بالتزام الطاعة وترك المعاصي، وأما المرابطة. فهي معاهدة العبد لربّه على ذلك، ثم بعد المشارطة والمرابطة أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عهد عليه الله: حمد الله، وإن وجد نفسه قد حلّ عقد المشارطة، ونقض عهد المرابطة. عاقب النفس عقابًا بزجرها عن العودة إلى مثل ذلك، ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على المراقبة، ثم اختبر بالمحاسبة، فهكذا يكون حتى يلقى الله تعالى **﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾** خطاب للأوصياء وقيل للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير أمروا أن يورثوهم، وعلى القول بأنّ الخطاب للأوصياء، فالمراد أن يأتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم، فيكون اليتيم على هذا حقيقة، وقيل المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا فيكون اليتيم على هذا مجاز لأنّ اليتيم قد كبر **﴿وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾** كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف، فنهوا عن ذلك، وقيل المعنى: لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث، وتدعوا أموالكم وهو الطيب **﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلى أَمْوَالِكُمْ﴾** المعنى نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم، وقيل نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى، ثم أباح ذلك بقوله وإن تخالطوهم فإخوانكم، وإنما تعدّى الفعل بإلى؛ لأنه تضمن معنى الجمع والضم وقيل بمعنى مع **﴿حُوبًا﴾** أي ذنبًا **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا﴾** الآية، قالت عائشة. نزلت في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال أوليائهم فيريدون أن يتزوّجوهنّ

فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا

ويبخسوهنّ في الصداق مكان ولايتهم عليهم، فقيل لهم أقسطوا في مهورهنّ، فَمَن خاف أن لا يقسط فليتزوّج بما طاب له من الأجنبيات اللاّتي يوفّهنّ حقوقهنّ، وقال ابن عباس: إن العرب كانت تتحرّج في أموال اليتامى ولا تتحرّج في العدل بين النساء، فنزلت الآية في ذلك: أي كما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى: كذلك خافوا النساء، وقيل إن الرجل منهم كان يتزوج العشرة أو أكثر، فهذا ضاق ماله أخذ من مال اليتيم، فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فاقتصروا في النساء على ما طاب: أي ما حلّ، وإنما قال ما، ولم يقل من: لأنه أراد الجنس، وقال الزمخشري لأن الإناث من العقلاء يجري مجرى غير العقلاء، ومنه قوله وما ملكت أيمانكم **﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾** لا ينصرف للعدل والوصف، وهي حال من ما طاب، وقال ابن عطية بدل، وهي عدوله عن أعداد مكررة، ومعنى التكرار فيها أن الخطاب لجماعة، فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد، فتكررت الأعداد بتكرار الناس، والمعنى أنكحوا اثنتين أو ثلاث أو أربعًا وفي ذلك منع لما كان في الجاهلية من تزوّج ما زاد على الأربع، وقال قوم لا يعبأ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع لأن مثنى وثلاث ورباع: يجمع فيه تسعة، وهذا خطأ، لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع، ولو أراد الجمع لقال تسع ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقلّ بيانًا، وأيضًا قد انعقد الإجماع على تحريم ما زاد على الرابعة **﴿فَوَاحِدَةً﴾** أي إن خفتم أن لا تعدلوا بين الاثنين أو الثلاث أو الأربع: فاقتصروا على واحدة، أو على ما ملكت أيمانكم من قليل أو كثير. رغبة في العدول وانتصاب واحدة بفعل مضمر تقديره فانكحوا واحدة **﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾** الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة، والمعنى أن ذلك أقرب إلى أن لا تعولوا ومعنى تعولوا: تميلوا، وقيل يكثر عيالكم **﴿وَآتُوا النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ﴾** خطاب للأزواج، وقيل للأولياء، لأن بعضهم كان يأكل صداق وليّته، وقيل نهى عن الشغار **﴿نِحْلَةً﴾** أي عطية منكم لهنّ، أو عطيّة من الله، وقيل معنى نِحلَة أي شرعة وديانة، وانتصابه على المصدر من معنى آتوهنّ أو على الحال من ضمير المخاطبين **﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ﴾** الآية: إباحة للأزواج والأولياء على ما تقدّم من الخلاف أن يأخذوا ما دفعه النساء من صدقاتهنّ عن طيب أنفسهنّ والضمير في منه يعود على الصداق أو على الإيتاء **﴿هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾** عبارة عن التحليل، ومبالغة في الإباحة وهما صفتان من قولك هنؤ الطعام

مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا

ومرؤ: إذا كان سائغًا لا تنغيص فيه، وهما وصف للمصدر: أي أكلا هنيئًا أو حال من ضمير الفاعل، وقيل يوقف على فكلوه ويبدأ هنيئًا مريئًا على الدعاء ﴿**وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ**﴾ قيل هم أولاد الرجل وامرأته: أي لا تؤتوهم أموالكم للتبذير، وقيل السفهاء المحجورون، وأموالكم. أموال المحجورين، وأضافها إلى المخاطبين لأنهم ناظرون عليها وتحت أيديهم ﴿**قِيَامًا**﴾ جمع قيمة، وقيل بمعنى قيامًا بألف. أي تقوم بها معايشكم ﴿**وارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ**﴾ قيل إنها فيمن تلزم الرجل نفقته من زوجته وأولاده، وقيل في المحجورين يرزقون ويكسون من أموالهم ﴿**وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾ أي ادعوا لهم بخير، أو عِدُوهم وعدًا جميلاً: أي إن شئتم دفعنا لكم أموالكم ﴿**وابْتَلُوا اليَتَامَى**﴾ أي اختبروا رشدهم ﴿**بَلَغُوا النّكَاحَ**﴾ بلغوا مبلغ الرجال ﴿**فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا**﴾ الرشد هو المعرفة بمصالحه وتدبير ماله، وإن لم يكن من أهل الدين، واشترط قوم الدين، واعتبر مالك البلوغ والرشد، وحينئذ يدفع المال واعتبر أبو حنيفة البلوغ وحده ما لم يظهر سفه، وقوله مخالف للقرآن ﴿**وَبِدَارًا أن يَكْبَرُوا**﴾ ومعناه مبادرة لكبرهم أي أن الوصي يستغنم أكل مال اليتيم قبل أن يكبر وموضع أن يكبروا نصب على المفعولية ببدارا أو على المفعول من أجله تقديره مخافة أن يكبروا ﴿**فَلْيَسْتَعْفِفْ**﴾ أمر الوصي أن يستعفف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئًا ﴿**وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالمَعْرُوفِ**﴾ قال عمر بن الخطاب المعنى أن يستسلف الوصي الفقير من مال اليتيم، فإذا أيسر ردّه، وقيل المراد أن يكون له أُجرة بقدر عمله وخدمته، ومعنى بالمعروف من غير إسراف، وقيل نسختها: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا ﴿**فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ**﴾ أمر بالتحرّز والحرز فهو ندب، وقيل فرض ﴿**لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ**﴾ الآية: سببها أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء فنزلت الآية ليرث الرجال النساء ﴿**نَصِيبًا مَّفْرُوضًا**﴾ منصوب انتصاب المصدر المؤكد لقوله: ﴿فريضة من الله﴾ [التوبة: ٦٠]، وقال الزمخشري منصوب على التخصيص، أعني بمعنى نصيبًا ﴿**وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ**﴾ الآية:

مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ

خطاب للوارثين أمروا أن يتصدّقوا من الميراث على قرابتهم، وعلى اليتامى وعلى المساكين، فقيل إن ذلك على الوجوب، وقيل على الندب وهو الصحيح، وقيل نسخ بآية المواريث ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ﴾ الآية: معناها الأمر لأولياء اليتامى أن يُحْسِنوا إليهم في نظير أموالهم، فيخافوا الله، على أيتامهم. كخوفهم على ذرّيتهم لو تركوهم ضعافًا، ويقدروا ذلك في أنفسهم حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة، وقيل الذين يجلسون إلى المريض فيأمروه أن يتصدّق بماله حتى يجحف بورثته، فأمروا أن يخشوا على الورثة كما يخشوا على أولادهم، وحذف مفعول وليخش، وخافوا جواب لو ﴿قَوْلاً سَدِيدًا﴾ على القول الأول ملاطفة الوصي لليتيم بالكلام الحسن، وعلى القول الثاني أن يقول للموروث لا تسرف في وصيتك وارفق بورثتك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ قيل نزلت في الذين لا يورثون الإناث، وقيل في الأوصياء، ولفظها عامّ في كل مَن أكل مال اليتيم بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أي أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار، وقيل يأكلون النار في جهنم ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ﴾ هذه الآية نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع، وقيل بسبب جابر بن عبد الله، إذ عاده رسول الله ﷺ في مرضه ورفعت ما كان في الجاهلية من توريث النساء والأطفال، وقيل نسخت الوصية للوالدين والأقربين وإنما قال يوصيكم بلفظ الفعل الدائم ولم يقل أوصاكم تنبيهًا على ما مضى، والشروع في حكم آخر وإنما قال يوصيكم الله باسم الظاهر، ولم يقل يوصيكم لأنه أراد تعظيم الوصية، فجاء بالاسم الذي هو أعظم الأسماء وإنما قال في أولادكم ولم يقل في أبنائكم، لأن الابن يقع على الابن من الرضاعة، وعلى ابن البنت، وعلى ابن المتبنّى وليسوا من الورثة ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ هذا بيان للوصية المذكورة، فإن قيل: هلاّ قال للأنثيين مثل حظ الذَّكَر، أو للأنثى نصف حظّ الذَّكَر؟ فالجواب: أنه بدأ بالذَّكَر لفضله، ولأن القصد ذكر حظّه ولو قال للأُنثيين مثل حظّ الذَّكَر، لكان فيه تفضيل للإناث.

﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً﴾ إنما أنّث ضمير الجماعة في كُنّ، لأنه قصد الإناث، وأصله أن يعود على الأولاد، لأنه يشمل الذكور والإناث، وقيل يعود على المتروكات، وأجاز

نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ

الزمخشري أن تكون كان تامّة والضمير مبهم ونساء تفسير ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ ظاهره أكثر من اثنتين، ولذلك أجمع على أن للثلاث فما فوقهنّ الثلثان، وأما البنتان فاختلف فيهما، فقال ابن عباس لهما النصف كالبنت الواحدة وقال الجمهور الثلثان، وتأوّلوا فوق اثنتين أن المراد اثنتان فما فوقهما، وقال قوم إن فوق زائدة كقوله: ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ [الأنفال: ١٢] وهذا ضعيف وقال قوم إنما وجب لهما الثلثان بالسُّنّة لا بالقرآن وقيل بالقياس على الأختين ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ بالرفع فاعل، وكان تامّة، وبالنصب خبر كان، وقوله تعالى: ﴿فلها النصف﴾ [الأنفال: ١٢] نصف على أن للبنت النصف إذا انفردت، ودليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد لأن للذّكر مثل حظّ الأُنثيين ﴿إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ الولد يقع على الذكر والأُنثى والواحد والاثنين والجماعة سواء كان للصلب، أو ولد ابن، وكلهم يرد الأبوين إلى السدس ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ لم يجعل الله للأُم الثلث إلاّ بشرطين «أحدهما» عدم الولد، والآخر إحاطة الأبوين بالميراث، ولذلك دخلت الواو لعطف أحد الشرطين على الآخر، وسكت عن حظّ الأب استغناء بمفهومه، لأنه لا يبقى بعد الثلث إلاّ الثلثان ولا وارث إلاّ الأبوان، فاقتضى ذلك أن الأب يأخذ بقية المال وهو الثلثان ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ أجمع العلماء على أن ثلاثة من الإخوة يردّون الأم إلى السدس، واختلفوا في الاثنين فذهب الجمهور أنهما يردّانها إلى السدس، ومذهب ابن عباس أنهما لا يردّانها إليه، بل هما كالأخ الواحد وحجّته أن لفظ الأخوة لا يقع على الاثنين لأنه جمع لا تثنية وأقلّ الجمع ثلاثة وقال غيره إن لفظ الجمع قد يقع على الاثنين. كقوله: ﴿وكنّا لحكمهم شاهدين﴾ [الأنبياء: ٧٨]، وتسوّروا المِحراب، وأطراف النهار، واحتجّوا بقوله ﷺ: «الاثنان فما فوقهما جماعة، وقال مالك: مضت السُّنّة أن الإخوة اثنان فصاعدًا، ومذهبه أن أقلّ الجمع اثنان، فعلى هذا يحجب الأبوان من الثلث إلى السدس، سواء كانا شقيقين أو لأب أو لأم أو مختلفين، وسواء كانا ذكرين أو أُنثيين أو ذكر أو انثى، فإن كان معهما أب: ورث بقية المال، ولم يكن للإخوة شيء عند الجمهور، فهم يحجبون الأم، ولا يرثون، وقال قوم يأخذون السدس الذي حجبوه عن الأم، وإن لم يكن أب ورثوا ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ قوله من بعد يتعلق بالاستقرار المضمر في قوله:

لَكُمْ نَفْعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا

﴿فلهنّ ثلثا ما ترك﴾ [النساء: ١١]: أي استقرّ لهنّ الثلثان من بعد وصية، ويمتنع أن يتعلق بترك، وفاعل يوصي الميت، وإنما قدّمت الوصية على الدين والدين مقدّم عليها في الشريعة: اهتمامًا بها، وتأكيدًا للأمر بها، ولئلا يتهاون بها وأخّر الدين: لأن صاحبه يتقاضاه، فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه وتخرج الوصية من الثلث، والدين من رأس المال بعد الكفن؛ وإنما ذكر الوصية والدين نكرتين: ليدلّ على أنهما قد يكونان وقد لا يكونان فدلّ ذلك على وجوب الوصية ﴿**أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا**﴾ قيل بالإنفاق إذا احتيج إليه، وقيل بالشفاعة في الآخرة، ويحتمل أن يريد نفعًا بالميراث من ماله، وهو أليق بسياق الكلام ﴿**وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ**﴾ الآية خطاب للرجال وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تنفرد به إن كانت واحدة، ويقسم بينهنّ إن كنّ أكثر من واحدة، ولا ينقص عن ميراث الزوج والزوجة وسائر السهام، إلاّ ما نقصه العول على مذهب جمهور العلماء، خلافًا لابن عباس، فإنه لا يقول بالعول فإن قيل: لِمَ كرّر قوله: ﴿**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ**﴾، مع ميراث الزوج وميراث الزوجة، ولم يذكره قبل ذلك إلاّ مرة واحدة في ميراث الأولاد والأبوين، فالجواب أن الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة، والموروث في ميراث الزوجة هو الزوج، وكل واحدة قضية على انفرادها، فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة بخلاف الأولى، فإن الموروث فيها واحد، ذكر حكم ما يرث منه أولاده وأبواه، وهي قضية واحدة، فلذلك قال فيها من بعد وصية مرة واحدة ﴿**وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً**﴾ الكلالة هي انقطاع عمود النسب وهو خلو الميت عن ولد ووالد، ويحتمل أن تطلق هنا على الميت الموروث، أو على الورثة، أو على القرابة، أو على المال: بأن كانت على الميت، فإعرابها خبر كان، ويورث في موضع الصفة أو يورث خبر كان، وكلالة: حال من الضمير في يورث، أو تكون كان تامّة، ويورث في موضع الصفة، وكلالة حال من الضمير، وإن كانت للورثة فهي مصدر في موضع الحال وإن كانت للقرابة فهي مفعول من أجله، وإن كانت للمال فهي مفعول ليورث، وكل وجه من هذه الوجوه

ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا

على أن تكون كان تامّة، ويورث في موضع الصفة، وأن تكون ناقصة ويورث خبرها **﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾** المراد هنا الأخ للأم والأخت للأم بإجماع وقرأ سعد بن أبي وقاص: وله أخ أو أُخت لأمه، وذلك تفسير للمعنى **﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾** إذا كان الأخ للأم واحد فله السدس، وكذلك إذا كانت الأُخت للأم واحدة **﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾** إذا كان الإخوة للأم اثنين فصاعدًا: فلهما لثلث بالسواء بين الذكر والأنثى، لأن قوله شركاء، يقتضي التسوية بينهم، ولا خلاف في ذلك **﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾** منصوب على الحال والعامل فيه يوصي ومضارّ اسم فاعل، قال ابن عباس الضرار في الوصية من الكبائر، ووجوه المضار كثيرة: منها الوصية لوارث، والوصية بأكثر من الثلث أو بالثلث فرارًا عن وارث محتاج، فإن علم أنه قصد بوصيته الإضرار ردّ ما زاد على الثلث اتّفاقًا، واختلف هل يرد الثلث على قولين في المذهب، والمشهور أنه ينفذ **﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾** مصدر مؤكد لقوله يوصيكم الله ويجوز أن ينتصب بغير مصدر **﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾** إشارة إلى ما تقدّم من المواريث وغيرها **﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** الآية: تعلق بها المعتزلة في قولهم إن العصاة من المؤمنين يخلدون في النار، وتأوّلها الأشعرية على أنها في الكفّار **﴿يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾** هي هنا الزنا **﴿مِن نِّسَائِكُمْ﴾** أو من المسلمات؛ لأن المسلمة تحدّ حدّ الزنا، وأما الكافر أو الكافرة فاختلف هل يحدّ أو يعاقب **﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾** قيل إنما جعل شهداء الزنا أربعة تغليظًا على المدّعي وستراً على العباد، وقيل ليكون شاهدان على كل واحد من الزانيين **﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾** كانت عقوبة الزنا الإمساك في البيوت، ثم نسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا، وهو السبّ والتوبيخ، وقيل الإمساك للنساء والأذى للرجال فلا نسخ بينهما ورجّحه ابن عطية بقوله في الإمساك من نسائكم، وفي الأذى منكم، ثم نسخ الإمساك والأذى

﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن﴾

بالرجم للمحصن وبالجلد لغير المحصن، واستقر الأمر على ذلك، وأما الجلد فمذكور في سورة النور، وأما الرجم فقد كان في القرآن ثم نسخ لفظه وبقي حكمه، وقد رجم ﷺ ماعز الأسلمي وغيره ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ لما أمر بالأذى للزاني أمر بالإعراض عنه إذا تاب، وهو ترك الأذى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي إنما يقبل الله توبة مَن كان على هذه الصفة، وإذا تاب العبد توبة صحيحة بشروطها فيقطع بقبول الله لتوبته عند جمهور العلماء، وقال أبو المعالي يغلب ذلك على الظن ولا يقطع به ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ أي بسفاهة وقلّة تحصيل أداة إلى المعصية، وليس المعنى أنه يجهل أن ذلك الفعل يكون معصية، قال أبو العالية. أجمع الصحابة على أن كل معصية فهي بجهالة، سواء كانت عمدًا أو جهلاً ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ قيل قبل المرض والموت. وقيل قبل السياق، ومعاينة الملائكة، وفي هذا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ الآية: في الذين يصرّون على الذنوب إلى حين لا تقبل التوبة، وهو معاينة الموت فإن كانوا كفّار فهم مخلدون في النار بإجماع، وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله إن شاء عذّبهم، وإن شاء غفر لهم. فقوله: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: ثابت في حقّ الكفّار ومنسوخ في حق العصاة من المسلمين، بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِر أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِر مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاء﴾ [النساء: ٤٨]. فعذابهم مقيد بالمشيئة ﴿لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ قال ابن عباس: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقّ بامرأته إن شاؤوا تزوّجها أحدهم، وإن شاؤوا زوّجوها من غيرهم، وإن شاؤوا منعوها التزوّج، فنزلت الآية في ذلك، فمعنى الآية على هذا: لا يحلّ لكم أن تجعلوا النساء يورثن عن الرجال، كما يورث المال، وقيل الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها، وقيل الخطاب للأولياء الذين يمنعون وليّاتهم من التزوّج ليرثوهنّ دون الزوج ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾ معطوف على أن ترثوا، أو نهي والعضل المنع، قال ابن عباس: هي أيضًا في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوّج بعد موته إلاّ أنّ قوله ما آتيتموهنّ

يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٢٠﴾ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا

على هذا معناه ما آتاها الرجل الذي مات، وقال ابن عباس: هي في الأزواج الذين يمسكون المرأة ويسيئون عِشرتها حتى تفتدي بصداقها، وهو ظاهر اللفظ في قوله ما آتيتموهنّ، ويقوّيه قوله: ﴿وعَاشِرُوهُنّ بِالمَعْرُوفِ﴾، فإن الأظهر فيه أن يكون في الأزواج، وقد يكون في غيرهم، وقيل هي للأولياء ﴿إلاَّ أن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قيل الفاحشة هنا الزنا، وقيل نشوز المرأة وبغضها في زوجها، فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صداق أو غير ذلك من مالها وهذا جائز على مذهب مالك في الخلع، إذا كان الضرر من المرأة، والزنا أصعب على الزوج من النشوز، فيجوز له أخذ الفدية ﴿فإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ الآية: معناها إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا عليه، فعسى أن يجعل الله الخير في وجه آخر، وقيل الخير الكثير الولد، والأحسن العموم، وهذا معنى قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا يترك مؤمن مؤمنة، إن سخط منها خلقًا رضي آخر ﴿وَإنْ أَردتُّم اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآية: معناها المنع من أن يأخذ الرجل من المرأة فدية على الطلاق إن أراد أن يبدلها بأخرى وعلى هذا جرى مذهب مالك وغيره في المنع من الفدية إذا كان الضرر وأرادت الفراق من الزوج، فقال قوم إنّ هذه الآية منسوخة بقوله في البقرة: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِما فِيما افْتَدَت بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال قوم هي ناسخة، والصحيح أنها غير ناسخة ولا منسوخة، فإنّ جواز الفدية على وجه ومنعها على وجه، فلا تعارض ولا نسخ ﴿قِنطَارًا﴾ مثال على جهة المبالغة في الكثرة، وقد استدلّت به المرأة على جواز المغالاة في المهور حين نهى عمر بن الخطاب عن ذلك فقال عمر رضي الله عنه امرأة أصابت، ورجل أخطأ، كل الناس أفقه منك يا عمر ﴿أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ كناية عن الجماع ﴿مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ قيل عقدة النكاح، وقيل قوله: ﴿فإمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أو تَسْرِيحٌ بإحسانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقيل الأمر بحُسْن المعاشرة ﴿وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّساءِ﴾ كان بعض العرب يتزوّج امرأة أبيه بعده فنزلت الآية تحريمًا لذلك، فكل امرأة تزوّجها رجل حُرِّمَت على أولاده ما سفلوا،

وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ

سواء دخل بها أو لم يدخل، فالنكاح في الآية بمعنى العقد، وما نكح: يعني النساء، وإنما أطلق عليهنّ ما، وإن كنّ ممّن يعقل؛ لأنّ المراد الجنس فإن زنى رجل بامرأة فاختلف هل يحرم تزوّجها على أولاده أم لا: فحرّمه أبو حنيفة، وأجازه الشافعي، وفي المذهب قولان: واحتجّ مَن حرّمه بهذه الآية وحمل النكاح فيها على الوطء وقال مَن أجازه إنّ الآية لا تتناوله إذ النكاح فيها بمعنى العقد ﴿**إلاّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾ أي إلاّ ما فعلتم في الجاهلية من ذلك، وانقطع بالإسلام فقد عفى عنه فلا تؤاخذون به، ويدلّ على هذا قوله: ﴿**إنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ بعد قوله: ﴿**إلاّ ما قد سلف**﴾ في المرأة الأخرى في الجمع بين الأُختين قال ابن عباس: كانت العرب تحرّم كلّ ما حرّمته الشريعة إلاّ امرأة الأب، والجمع بين الأُختين، وقيل المعنى: إلاّ ما قد سلف فانكحوه إن أمكنكم، وذلك غير ممكن؛ فالمعنى المبالغة في التحريم ﴿**إنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا**﴾ كان في هذه الآية تقتضي الدوام كقوله: ﴿**إنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾، وشبّه ذلك وقال المبرّد هي زائدة وذلك خطأ لوجود خبرها منصوبًا، وزاد هذا المقت على ما وصف من الزنا في قوله تعالى: ﴿**إنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾: دلالة على أن هذا أقبح من الزنا.

﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ**﴾ الآية. معناها تحريم ما ذكر من النساء، والنساء المحرمات على التأبيد ثلاثة أصناف؛ بالنسب، وبالرضاع، وبالمصاهرة. فأما النسب فيحرم به سبعة أصناف، وهي المذكورة في هذه الآية، وضابطها أنه يحرم على الرجل فصوله ما سفلت، وأصوله ما علت، وفصول أبويه ما سفلت وأول فصل من كل أصل متقدّم على أبويه ﴿**أُمَّهَاتُكُمْ**﴾ يدخل فيه الوالدة والجدّة من قبل الأم والأب ما عَلَون ﴿**وَبَنَاتُكُمْ**﴾ يدخل فيه البنت وبنت الابن وبنت البنت ما سفلن ﴿**وَأَخَوَاتُكُمْ**﴾ يدخل فيه الأُخت الشقيقة؛ أو لأب أو لأم ﴿**وَعَمَّاتُكُمْ**﴾ يدخل فيه أُخت الوالد، وأُخت الجدّ ما علا، سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم ﴿**وخَالاتُكُمْ**﴾ يدخل فيه أُخت الأم وأخت الجدّ ما علت سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم ﴿**وَبَنَاتُ الأخِ**﴾ يدخل فيه كلّ مَن تناسل من الأخ الشقيق أو لأب أو لأُم ﴿**وَبَنَاتُ الأُخْتِ**﴾ يدخل فيه كل ما تناسل من الأُخت الشقيقة أو لأب أو لأم ﴿**وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ**﴾ ذكر تعالى صنفين من الرضاعة وهم الأُم والأُخت

ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ

وقال رسول الله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، فاقتضى ذلك تحريم الأصناف السبعة التي تحرم من النسب وهي الأم والبنت والأُخت والعمّة والخالة وبنت الأخ وبنت الأُخت وتفصيل ذلك يطول، وفي الرضاع مسائل لم نذكرها لأنها ليس لها تعلّق بألفاظ الآية ﴿**وأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ**﴾ المحرّمات بالمصاهرة أربع: وهنّ زوجة الأب، وزوجة الابن، وأُمّ الزوجة، وبنت الزوجة، فأما الثلاث الأُوَل فتحرم بالعقد دخل بها أم لم يدخل بها، وأما بنت الزوجة فلا تحرم إلاّ بعد الدخول بأُمّها، فإن وطئها حرّمت عليه بنتها بالإجماع، وإن تلذّذ بها دون الوطء فحرّمها مالك والجمهور وإن عقد عليها ولم يدخل بها: لم تحرم بنتها إجماعاً، وتحرم هذه الأربع بالرّضاع كما تحرم بالنسب ﴿**وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمْ**﴾ الربيبة هي بنت امرأة الرجل من غيره: سُمّيت بذلك لأنه يربّيها فلفظها فعيلة بمعنى مفعولة، وقوله: ﴿**اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم**﴾ على غالب الأمر إذ الأكثر أن تكون الربيبة في حجر زوج أُمّها، وهي محرّمة سواء كانت في حجره أم لا، هذا عند الجمهور من العلماء، إلاّ ما رُوِيَ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أجاز نكاحها إن لم تكن في حجره ﴿**اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ**﴾ اشترط الدخول في تحريم بنت الزوجة، ولم يشترط في غيرها، وعلى ذلك جمهور العلماء إلاّ ما رُوِيَ عن علي بن أبي طالب أنه اشترط الدخول في تحريم الجميع، وقد انعقد الإجماع بعد ذلك ﴿**وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ**﴾ الحلائل جمع حليلة وهي الزوجة ﴿**الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ**﴾ تخصيص ليخرج عنه زوجة الابن يتبنّاه الرجل، وهو أجنبي عنه كتزويج رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة الكلبي الذي كان يقال له زيد بن محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ﴿**وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ**﴾ يقتضي تحريم الجمع بين الأُختين سواء كانتا شقيقتين أو لأب أو لأُم وذلك في الزوجتين، وأما الجمع بين الأُختين المملوكين في الوطء فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم، ورأوا أنه داخل في عموم لفظ الأُختين، وأجازه الظاهرية لأنهم قصروا الآية على الجمع بالنكاح، وأما الجمع بين الأُختين في الملك دون وطء فجائز باتفاق ﴿**إلاّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾ المعنى إلاّ ما فعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع بالإسلام فقد عفى عنكم فلا تؤاخذون به، وهذا أرجح الأقوال حسبما

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ﴾

تقدم في الموضع الأول ﴿**وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ**﴾ المراد هنا ذوات الأزواج وهو معطوف على المحرّمات المذكورة قبله، والمعنى أنه لا يحلّ نكاح المرأة إذا كانت في عصمة الرجل ﴿**إلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ**﴾ يريد السبايا في أشهر الأقوال، والاستثناء متصل، والمعنى أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج، ثم سُبِيَت: جاز لمَن ملكها من المسلمين أن يطأها، وسبب ذلك أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث جيشًا إلى أوطاس فأصابوا سبايا من العدوّ لهنّ أزواج من المشركين فتأثم المسلمون من غشيانهنّ، فنزلت الآية مُبيحة لذلك، ومذهب مالك أن السبي يهدم النكاح سواء سُبِيَ الزوجان الكافران معًا أو سُبِيَ أحدهما قبل الآخر، وقال ابن الموّاز: لا يهدم السبي النكاح ﴿**كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ**﴾ منصوب على المصدرية: أي كتب الله عليكم كتابًا وهو تحريم ما حرّم؛ وهو عند الكوفيين منصوب على الإغراء ﴿**وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ**﴾ معناه أُحلّ لكم تزويج مَن سوى ما حرم من النساء، وعطف أحلّ على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله، والفاعل هو الله أي كتب الله عليكم تحريم مَن ذكر، ﴿**وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ**﴾ ﴿**أَن تَبْتَغُوا**﴾ مفعول من أجله، أو بدل مما وراء ذلكم، وحذف مفعوله وهو النساء ﴿**مُّحْصِنِينَ**﴾ هنا العفّة، ونصبه على الحال من الفاعل في تبتغوا ﴿**غَيْرَ مُسَافِحِينَ**﴾ أي غير زناة، والسفاح هو الزنا ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً**﴾ قال ابن عباس وغيره. معناها إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر وهو الصداق كاملاً وقيل إنها في نكاح المتعة وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث، وكان جائزًا في أول الإسلام فنزلت هذه الآية في وجوب الصداق فيه، ثم حرّم عند جمهور العلماء، فالآية على هذا منسوخة بالخبر الثابت في تحريم نكاح المتعة، وقيل نسختها آية الفرائض لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه، وقيل نسختها ﴿والّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حَافِظُون﴾ [المؤمنون: ٥] ورُوِيَ عن ابن عباس جواز نكاح المتعة، ورُوِيَ أنه رجع عنه ﴿**وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ**﴾ مَن قال إن الآية المتقدمة في مهور النساء فمعنى هذه جواز ما يتراضون به من حطّ النساء من الصداق أو تأخيره بعد استقرار الفريضة ومَن قال إن الآية في نكاح المتعة. فمعنى هذا جواز ما يتراضون به من زيادة في مدة المتعة وزيادة في الأجر

ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ

﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمن ما مَلَكَتْ أيمَانكم مِن فَتَيَاتِكم المُؤمِنَات﴾ معناها إباحة اتزويج الفتيات وهُنّ الإماء للرجل إذا لم يجد طولاً للمحصنات، والطول هنا هو السّعة في المال والمحصنات هنا يراد بهنّ الحرائر غير المملوكات ومذهب مالك وأكثر أصحابه أنه لا يجوز للحرّ نكاح أمة إلاّ بشرطين: أحدهما عدم الطول؛ وهو ألاّ يجد ما يتزوج به حرّة، والآخر خوف العنت وهو الزنا لقوله بعد هذا: **﴿ذَلِكَ لِمَن خَشِيَ العنتَ مِنكُم﴾**، وأجاز ابن القاسم نكاحهنّ دون الشرطين على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر، واتفقوا على اشتراط الإسلام في الأمة التي تتزوج لقوله تعالى: **﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾** إلاّ أهل العراق فلم يشترطوه، وإعراب طَوْلاً: مفعولاً بالاستطاعة وأن ينكح بدل منه وهو في موضع نصب بتقدير لأن ينكح؛ ويحتمل أن يكون طولاً منصوبًا على المصدر والعامل فيه الاستطاعة لأنها بمعنى يتقارب، وأن ينكح على هذا مفعول بالاستطاعة أو بالمصدر **﴿واللّهُ أَعْلَمُ بِأَيمَانِكُم﴾** معناه أنه يعلم بواطن الأمور ولكم ظواهرها، فإذا كانت الأمة ظاهرة الإيمان، فنكاحها صحيح، وعلم باطنها إلى الله **﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾** أي إماؤكم منكم، وهذا تأنيس بنكاح الإماء، لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك **﴿فانْكِحُوهُنَّ بإذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾** أي بإذن ساداتهنّ المالكين لهنّ **﴿وآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ﴾** أي صدقاتهنّ، وهذا يقتضي أنهنّ أحقّ بصدقاتهنّ من ساداتهنّ، وهو مذهب مالك **﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾** أي بالشرع على ما تقتضيه السُّنّة **﴿مُحْصَنَاتٍ غَيرَ مُسَافِحَاتٍ﴾** أي عفيفات غير زانيات، وهو منصوب على الحال والعامل فيه فانكحوهنّ **﴿وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾** جمع خدن وهو الخليل، وكان من نساء الجاهلية مَن تتّخذ خدنًا تزني معه خاصّة، ومنهنّ مَن كانت لا تردّ يد لامس **﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى المُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾** معنى ذلك أن الأمة إذا زنت بعد أن أحصنت فعليها نصف حدّ الحرّة، فإن الحرّة تجلد في الزنا مائة جلدة، والأمة تجلد خمسين، فإذا أحصنّ يريد به هنا تزوّجهنّ، والفاحشة هنا الزنا، والمحصنات هنا الحرائر، والعذاب هنا الحدّ فاقتضت الآية حدّ الأمة إذا زنت بعد أن تزوّجت ويؤخذ حدّ غير المتزوّجة من السُّنّة وهو مثل حدّ المتزوّجة وهذا

لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا

على قراءة أحصنّ بضمّ الهمزة وكسر الصاد، وقرىء بفتحهما، ومعناه أسلمن، وقيل تزوّجن ﴿**ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ العَنَتَ مِنكُمْ**﴾ الإشارة إلى تزوج الأمة أي إنّما يجوز لمَن خشي على نفسه الزنا، لا لمَن يملك نفسه ﴿**وَأَن تَصْبِرُوا خَيرٌ لَّكُمْ**﴾ المراد الصبر عن نكاح الإماء، وهذا يندب إلى تركه، وعلّته ما يؤدّي إليه من استرقاق الولد ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ**﴾ قال الزمخشري أصله يريد الله أن يبيّن لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت في لا أبا لك لتأكيد إضافة الأب، وقال الكوفيون اللاّم مصدرية مثل أن ﴿**وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ أي يهديكم مناهج مَن كان قبلكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم ﴿**واللَّهُ يُرِيدُ أن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ**﴾ كرّر توطئة لفساد إرادة الذين يتبعون الشهوات، وهم هنا الزناة عند مجاهد، وقيل المجوس لنكاحهم ذات المحارم، وقيل عامّ في كل متّبع شهوة وهو أرجح ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أن يُخَفِّفَ عَنكُمْ**﴾ يقتضي سياق الكلام التخفيف الذي وقع في إباحة نكاح الإماء وهو مع ذلك عامّ في كل ما خفّف الله عن عباده، وجعل دينه يسرًا ﴿**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ قيل معناه لا يصبر على النساء، وذلك مقتضى سياق الكلام، واللفظ أعمّ من ذلك ﴿**لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ**﴾ يدخل فيه القمار والغصب والسرقة وغير ذلك ﴿**إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً**﴾ استثناء منقطع والمعنى لكن إن كانت تجارة فكلوها، وفي إباحة التجارة دليل على أنه يجوز للإنسان أن يشتري بدرهم سلعة تساوي مائة، والمشهور إمضاء البيع، وحُكِيَ عن ابن وهب أنه يرد إذا كان الغبن أكثر من الثلث وموضع أن نصب، وتجارة بالرفع فاعل تكون وهي تامّة، وقرىء بالنصب خبر تكون وهي ناقصة ﴿**عَنْ تَرَاضٍ مِّنكُمْ**﴾ أي اتفاق وبهذا استدلّ المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفرّق وقال الشافعي: إنما يتمّ بالتفرّق بالأبدان، لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «المتبايعان بالخيار ما لم يتفرّقا» ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾ قال ابن عطية، أجمع المفسّرون أنّ المعنى: لا يقتل بعضكم بعضًا، قلت ولفظها يتناول قتل الإنسان لنفسه، وقد حملها عمرو بن العاص على ذلك، ولم ينكره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ سمعه ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ**﴾ إشارة إلى القتل، لأنه أقرب مذكور،

فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ

وقيل إليه وإلى أكل المال بالباطل، وقيل إلى كل ما تقدّم من المنهيّات من أوّل السورة **﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾** اختلف الناس في الكبائر ما هي، فقال ابن عباس: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب، وقال ابن مسعود الكبائر هي الذنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى أوّل هذه الآية. وقال بعض العلماء: كل ما عصى الله به، فهو كبيرة، وعدّها بعضهم سبعة عشر، وفي البخاري عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اتّقوا السّبع الموبقات: الإشراك بالله، والسّحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصّنات، فلا شك أنّ هذه من الكبائر للنص عليها في الحديث، وزاد بعضهم عليها أشياء، وورد في الأحاديث النص على أنها كبائر، وورد في القرآن أو في الحديث وعيد عليها، فمنها عقوق الوالدين، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والنهبة، والقنوط من رحمة الله، والأمن مكر الله، ومنع ابن السبيل الماء، والإلحاد في البيت الحرام، والنميمة، وترك التحرّز من البول والغلول واستطالة المرء في عرض أخيه، والجور في الحكم **﴿نكفّر عنكم سيئاتكم﴾** وعد بغفران الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر **﴿مُدخلاً كريمًا﴾** اسم مكان وهو هنا الجنة **﴿ولاَ تتمنّوْا﴾** الآية: سببها أن النساء قلن ليتنا استوينا مع الرجال في الميراث وشاركناهم في الغزو فنزلت نهيًا عن ذلك لأن في تمنّيهم ردّ على حكم الشريعة، فيدخل في النهي تمنّي مخالفة الأحكام الشرعية كلها **﴿للرّجالِ نصيبٌ ممّا اكتسبوا﴾** الآية: أي من الأجر والحسنات، وقيل من الميراث، ويردّه لفظ الاكتساب **﴿ولِكلّ جعلْنا موالِي﴾** الآية: في معناه وجهان: أحدهما لكل شيء من الأموال جعلنا موالي يرثونه، فمما ترك على هذا بيان لكل، والآخر لكل أحد جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والأقربون، فمما ترك على هذا: يتعلق بفعل مضمر، والموالي هنا الورثة والعصبة **﴿والّذِين عقدتْ أيمانُكمْ فآتوهمْ نصيبهمْ﴾** اختلف هل هي منسوخة أو محكمة فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا معناها

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ

الميراث بالحلف الذي كان في الجاهلية، وقيل بالمؤاخاة التي آخى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بين أصحابه، ثم نسخها. ﴿وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضهم أولى ببعض﴾ [الأنفال: ٧٥]، فصار الميراث للأقارب والذين قالوا إنها محكمة: اختلفوا، فقال ابن عباس هي في المؤازرة والنصرة بالحلف لا في الميراث به، وقال أبو حنيفة: هي في الميراث، وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر، على أن يتوارثا صحّ ذلك، وإن لم تكن بينهما قرابة.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ قوّام بناء مبالغة من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه، قال ابن عباس: الرجال أمراء على النساء ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ الباء للتعليل، وما مصدرية، والتفضيل بالإمالة والجهاد، وملك الطلاق وكمال العقل وغير ذلك ﴿وبِمَا أنفقوا﴾ هو الصداق والنفقة المستمرة ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ أي النساء الصالحات في دينهنّ مطيعات لأزواجهنّ أو مطيعة لله في حق أزواجهنّ ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي تحفظ كلما غاب عن علم زوجها فيدخل في ذلك صيانة نفسها وحفظ ماله وبيته وحفظ أسراره ﴿بما حفظ الله﴾ أي بحفظ الله ورعايته، أو بأمره للنساء أن يطعن الزوج ويحفظنه، فما مصدرية أو بمعنى الذي ﴿واللاتِي تَخافُونَ نُشوزَهُنَّ﴾ قيل الخوف هنا اليقين ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ واضْرِبُوهُنَّ﴾ هذه أنواع من تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها وهي على مراتب: بالوعظ في النشوز الخفيف والهجران فيما هو أشدّ منه، والضرب فيما هو أشدّ ومتى انتهت عن النشوز بوجه من التأديب: لم يتعدّ إلى ما بعده والهجران هنا هو ترك مضاجعتها، وقيل ترك الجماع إذا ضاجعها، والضرب غير مبرح ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيهِنَّ سَبِيلاً﴾ أي إذا أطاعت المرأة زوجها فليس له أن يؤذيها بهجران ولا ضرب ﴿وَإِنْ خِفتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ الشقاق الشرّ والعداوة وكان الأصل إن خفتم شقاق بينهما، ثم أضيف الظرف إلى الشقاق على طريق الاتّساع لقوله تعالى: ﴿بَلْ مكر اللّيل والنّهار﴾ [سبأ: ٣٣] وأصله مكر بالليل والنهار ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا﴾ الآية. ذكر تعالى الحكم في نشوز المرأة،

حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ

والحكم في طاعتها، ثم ذكر هنا حالة أخرى، وهي ما إذا ساء ما بين الزوجين ولم يقدر على الإصلاح بينهما، ولا علم مَن الظالم منهما، فيبعث حكمان مسلمان لينظر في أمرهما، وينفذ ما ظهر لهما من تطليق وخلع من غير إذن الزوج، وقال أبو حنيفة ليس لهما الفراق إلاّ أن جعل لهما، وإن اختلفا لم يلزم شيء إلاّ باتفاقهما ومشهور مذهب مالك أن الحاكم هو الذي يبعث الحكمين، وقيل يبعثهما الزوجان، وجرت عادة القضاة أن يبعثوا امرأة أمينة، ولا يبعثوا حكمين، قال بعض العلماء هذا تغيير لحكم القرآن والسُّنّة الجارية ﴿**مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا**﴾ يجوز في المذهب أن يكون الحكمان من غير أهل الزوجين، والأكمل أن يكونا من أهلهما كما ذكر الله ﴿**إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾ الضمير في يريدا للحكمين، وفي بينهما للزوجين على الأظهر، وقيل الضميران للزوجين، وقيل للحكمين ﴿**وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ**﴾ قال ابن عباس الجار ذي القربى هو القريب النسب والجار الجنب هو الأجنبي، وقيل ذي القربى القريب المسكن منك، والجنب البعيد المسكن عنك، وحدّ الجوار عند بعضهم أربعون ذراعًا من كل ناحية ﴿**الصَّاحِبِ بِالْجَنبِ**﴾ قال ابن عباس الرفيق في السّعي، وقال علّي بن أبي طالب الزوجة ﴿**مُخْتَالاً**﴾ اسم فاعل وزنه مفتعل من الخيلاء وهو الكبر وإعجاب المرء بنفسه ﴿**فَخُورًا**﴾ شديد الفخر ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ**﴾ بدل من قوله مختالاً أو نصب على الذمّ أو رفع بخبر ابتداء مضمر أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره يعذبون، والآية في اليهود: نزلت في قوم منهم كحييّ بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت كانوا يقولون للأنصار لا تنفقوا أموالكم في الجهاد والصدقات وهي مع ذلك عامّة من فعل هذه الأفعال من المسلمين ﴿**والَّذِينَ يُنفِقُونَ**﴾ عطف على الذين يبخلون، وقيل على الكافرين، والآية في المنافقين الذين كانوا ينفقون في الزكاة والجهاد رياء ومصانعة، وقيل في اليهود، وقيل في مشركي مكة الذين أنفقوا أموالهم في حرب

وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا

المسلمين ﴿**قَرِينًا**﴾ أي ملازمًا له يغويه ﴿**وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ الآية: استدعاء لهم كملاطفة أو توبيخ على ترك الإيمان والإنفاق، كأنه يقول أي مضرّة عليهم في ذلك ﴿**مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾ أي وزنها، وهي النملة الصغيرة، وذلك تمثيل بالقليل تنبيهًا على الكثير ﴿**وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً**﴾ بالرفع فاعل وتك تامّة، وبالنصب خبر على أنها ناقصة واسمها مضمر فيها ﴿**يُضَاعِفْهَا**﴾ أي يكثرها واحد البرّ بعشر إلى سبعمائة أو أكثر ﴿**وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ**﴾ أي من عنده تفضّلاً وزيادة على ثواب العمل ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا**﴾ تقديره كيف يكون الحال إذا جئنا ﴿**بِشَهِيدٍ**﴾ هو نبيّهم يشهد عليهم بأعمالهم ﴿**وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ أي تشهد على قومك، ولما قرأ ابن مسعود هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذرفت عيناه ﴿**لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ**﴾ أي يتمنّون أن يدفنوا فيها، ثم تسوّى بهم كما تسوّى بالموتى وقيل يتمنّون أن يكونوا سواء مع الأرض كقوله: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠] وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة ﴿**وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا**﴾ استئناف إخبار أنهم لا يكتمون يوم القيامة عن الله شيئًا فإن قيل كيف هذا مع قولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؟ فالجواب من وجهين (أحدهما) أن الكتم لا ينفعهم لأنهم إذا كتموا تنطق جوارحهم فكأنهم لم يكتموا، والآخر أنهم طوائف مختلفة، ولهم أوقات مختلفة، وقيل إن قوله: ﴿**وَلَا يَكْتُمُونَ**﴾ عطف على تُسوّى أي يتمنون أن لا يكتموا لأنهم إذا كتموا افتضحوا ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**﴾ سببها أن جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها، ثم قاموا إلى الصلاة وأمّهم أحدهم فخلط في القراءة فمعناها النهي عن الصلاة في حال السكر قال بعض الناس: هي منسوخة بتحريم الخمر، وذلك لا يلزم لأنها ليس فيها ما يقتضي إباحة الخمر وإنما هي نهي عن الصلاة في حال السكر وذلك الحكم الثابت في حين إباحة الخمر وفي حين تحريمها، وقال بعضهم معناها: لا يكن منكم سكر يمنع قرب الصلاة، إذ المرء مأمور بالصلاة فكأنها تقتضي النهي عن السكر وعن سببه وهو الشرب، وهذا بعيد من مقتضى اللفظ ﴿**حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾ حتى تعوه إليكم

جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ

عقولكم فتعلمون ما تقرؤون ويظهر من هذا أن السكران لا يعلم ما يقول فأخذ بعض الناس ذلك أن السكران لا يلزم طلاقه ولا إقراره ﴿وَلاَ جُنُبًا إلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ عطف ولا جنبًا على موضع وأنتم سكارى إذ هو في موضع الحال والجنب هنا غير الطاهر بإنزال أو إيلاج وهو واقع على جماعة بدليل استثناء الجمع منه واختلف في عابري سبيل فقيل إنه المسافر، ومعنى الآية على هذا: نهي أن يقرب الصلاة وهو جنب إلاّ في السفر فيصلّي بالتيمّم دون اغتسال، فمقتضى الآية: إباحة التيمّم للجُنُب في السفر، ويؤخذ إباحة التيمّم للجُنُب في الحضر من الحديث، وقيل عابر السبيل المارّ في المسجد، والصلاة عما يراد بها المسجد، لأنه موضع الصلاة فمعنى الآية على هذا النهي أن يقرب المسجد الجنب إلاّ خاطرًا عليه، وعلى هذا أخذ الشافعي بأنه يجوز للجُنُب أن يمرّ في المسجد، ولا يجوز له أن يقعد فيه، ومنع مالك المرور والقعود، وأجازهما داود ﴿وإن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ الآية سببها عدم الصحابة الماء في غزوة المريسيع فأبيح لهم التيمّم لعدم الماء ثم إن عدم الماء على ثلاثة أوجه: أحدها عدمه في السفر، والثاني عدمه في المرض، فيجوز التيمّم في هذين الوجهين بإجماع، لأن الآية نص في المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما، لقوله: ﴿وإنْ كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾، ثم قال فلم تجدوا ماء. الوجه الثالث: عدم الماء في الحضر دون مرض، فاختلف الفقهاء فيه، فمذهب أبي حنيفة أنه لا يجوز فيه التيمّم، لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر، ومذهب مالك والشافعي أنه يجوز فيه التيمّم فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه فيؤخذ جوازه من السُّنّة وإن قلنا إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها، وهذا هو الأرجح إن شاء الله، وذلك أنه ذكر في أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الإحداث دون مرض ولا سفر ثم قال بعد ذلك كله: فلم تجدوا ماء فيرجع قوله فلم تجدوا ماء إلى المرض وإلى السفر وإلى مَن أحدث في غير مرض ولا سفر، فيجوز التيمّم على هذا لمَن عدم الماء في غير مرض ولا سفر، فيكون في الآية حجة لمالك والشافعي، ويجوز التيمّم أيضًا في مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء ولم يقدر على استعماله لضرر بدنه، فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السُّنّة وإن قلنا إن السُّنّة تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها على أن يتناول قوله إن كنتم مرضى أن معناه مرضى لا تقدرون على مسّ الماء، وحدّ المرض الذي يجوز فيه التيمّم عند مالك، هو أن يخاف الموت أو زيادة المرض أو تأخر البرء، وعند الشافعي خوف الموت لا غير، وحدّ السفر الغيبة عن الحضر كان مما تقصر فيه الصلاة أم لا ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم﴾ في أو هنا تأويلان: أحدهما أن تكون

﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ﴾

للتفصيل والتنويع على بابها، والآخر أنها بمعنى الواو، فعلى القول بأنها على بابها يكون قوله: ﴿فلم تجدوا ماء﴾ راجعًا إلى المريض والمسافر، وإلى مَن جاء من الغائط، وإلى مَن لامس، سواه كانا مريضين أو مسافرين، أم حسبما ذكرنا قبل هذا، فيقتضي ذلك جواز التيمّم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، وهو مذهب مالك والشافعي، فيكون في الآية حجة لهما، وعلى القول بأنها بمعنى الواو يكون قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ راجعًا إلى المريض والمسافر، فيقتضي ذلك أنه لا يجوز التيمّم إلاّ في المرض والسفر مع عدم الماء، وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عَدِمَ الماء، ولكن يؤخذ جواز التيمّم له من موضع آخر، والراجح أن تكون أو على بابها لوجهين؛ أحدهما أن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها وذلك ضعيف، والآخر إن كانت على بابها: كان فيها فائدة إباحة التيمّم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء على ما ظهر لنا فيها، وإن كانت بمعنى الواو لم تعط هذه الفائدة، وحجة مَن جعلها بمعنى الواو أنه لو جعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء كالغائط لعطفه عليها، وهذا لا يلزم، لأن العطف بأو هنا للتنويع والتفصيل ومعنى الآية كأنه قال: يجوز لكم التيمّم إذا لم تجدوا ماء إن كنتم مرضى أو على سفر وأحدثتم في غير مرض ولا سفر ﴿الْغَائِطِ﴾ أصله المكان المنخفض، وهو هنا كناية عن الحدث الخارج من المخرجين، وهو العذرة، والريح، والبول، لأن مَن ذهب إلى الغائط يكون منه هذه الأحداث الثلاث، وقيل إنما هو كناية عن العذرة وأما البول والريح، فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السُّنّة، وكذلك الودي والمذي ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ اختلف في المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال: أحدها أنها الجماع وما دونه من التقبيل واللمس باليد وغيرها، وهو قول مالك، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس الذي هو دون الجماع على تفصيل في المذهب، ويجبّ معه التيمّم إذا عدم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمّم، والقول الثاني أنهما ما دون الجماع، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس، ولا يجوز التيمّم للجنب وقد قال بذلك عمر بن الخطاب ويؤخذ جوازه من الحديث والثالث أنها الجماع فعلى هذا يجوز التيمّم للجُنب ولا يكون ما دون الجماع ناقضًا للوضوء وهو مذهب أبي حنيفة ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ هذا يفيد وجوب طلب الماء وهو مذهب مالك خلافًا لأبي حنيفة فإن وجده بثمن فاختلف هل يجوز له التيمّم أم لا وإن وهب له فاختلف هل يلزم قبوله أم لا ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ التيمّم في اللغة القصد وفي الفقه الطهارة بالتراب وهو منقول من المعنى اللغوي ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ الصعيد عند مالك هو وجه الأرض كان ترابًا أو رملاً أو

كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن

حجارةً فأجاز التيمّم بذلك كله وهو عند الشافعي التراب لا غير والطيب هنا الطاهر واختلف في التيمّم بالمعادن كالذهب وبالملح وبالتراب المنقول كالمجعول في طبق، وبالآجر، وبالجص المطبوخ، وبالجدار، وبالنبات الذي على وجه الأرض، وذلك كله على الاختلاف في معنى الصعيد ﴿**فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ**﴾ لا يكون التيمّم إلاّ في هذين العضوين، ويقدّم الوجه على اليدين لظاهر الآية، وذلك على الندب عند مالك، ويستوعب الوجه بالمسح، وأما اليدان فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين، ولفظ الآية محتمل، لأنه لم يحد، وقد احتجّ مَن قال إلى المرفقين بأن هذا مطلق، فيحمل على المقيد، وهو تحديدها في الوضوء بالمرفقين ﴿**الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ**﴾ هم اليهود هنا وفي الموضع الثاني قال السهيلي: فالموضع الأول نزل في رفاعة بن زيد بن التابوت، وفي الثاني نزل في كعب بن الأشرف ﴿**يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ**﴾ عبارة عن إيثارهم الكفر على الإيمان فالشراء مجاز كقوله: ﴿اشتروا الضلالة بالهدى﴾ [البقرة: ١٦] وفي تكرار قوله كفى بالله مبالغة ﴿**مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا**﴾ من راجعة إلى الذين أوتوا نصيبًا، أو إلى أعدائكم، فهي بيان، وقال الفارسي: هي ابتداء كلام تقديره. من الذين هادوا قوم وقيل هي متعلقة بنصيرًا على قول الفارسي ﴿**يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ**﴾ يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى، وقيل الكَلِم هنا التوراة، وقيل كلام النبي ﷺ ﴿**غَيْرَ مُسْمَعٍ**﴾ معنا لا سمعت ﴿**رَاعِنَا**﴾ ذكر في البقرة ﴿**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾ عوض من قولهم سمعنا وعصينا، واسمع عوض من قولهم اسمع غير مسمع، وانظرنا عوض من قولهم راعنا، وهو النظر أو الانتظار، فهذه الأشياء الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمّهم على قولها لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأُخَر عوضًا عن تلك: لكان خيرًا لهم، فإن هذه ليس فيها سوء أدب.

﴿**مُصَدِّقًا**﴾ ذكر في البقرة ﴿**أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا**﴾ قال ابن عباس طمسها: أن تزال

نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ

العيون منها، وترد في القفا، فيكون ذلك ردًا على الدبر، وقيل طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب حتى تصير كالأدبار في خلوّها عن الحواس ﴿**أَوْ نَلْعَنَهُمْ**﴾ أي نمسخهم كما مسخ أصحاب السبت، وقد ذكر في البقرة، أو يكون من اللعن المعروف، والضمير يعود على الوجوه، والمراد أصحابها، أو على الذين أُوتوا الكتاب على الالتفات ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد وهي المبيّنة لما تعارض فيها من الآيات، وهي الحجة لأهل السُّنّة، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة، وذلك أن مذهب أهل السُّنّة أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، وحجّتهم هذه الآية، فإنها نصّ في هذا المعنى، ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولا بدّ سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون على الكبائر ولا بدّ، ويرد على الطائفتين قوله: ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ**﴾ ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بدّ وأنه لا يضرّ ذنب مع الإيمان، ويردّ عليهم قوله: ﴿**لِمَن يَشَاءُ**﴾، فإنه تخصيص لبعض العصاة، وقد تأوّلت المعتزلة الآية على مذهبهم، فقالوا لمَن يشاء، وهو التائب لا خلاف أنه لا يعذب، وهذا التأويل بعيد، لأن قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**﴾ في غير التائب من الشرك وكذلك قوله: ﴿**ويغفر ما دون ذلك لمَن يشاء**﴾ في غير التائب من العصيان ليكون أول الآية وآخرها على نسق واحد، وتأوّلتها المرجئة على مذهبهم، فقالوا: ﴿**لِمَنْ يَشَاءُ**﴾: معناه لمَن يشاء أن يؤمن، وهذا أيضًا بعيد، لا يقتضيه اللفظ وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد فحملها المعتزلة على العصاة وحملها المرجئة على الكفّار، وحملها أهل السُّنّة على الكفّار، وعلى مَن لا يغفر الله له من العصاة، كما حملوا آية الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا وعلى المذنبين التائبين، وعلى مَن يغفر الله له من العصاة غير التائبين، فعلى مذهب أهل السُّنّة لا يبقى تعارض بين آية الوعد وآية الوعيد، بل يجمع بين معانيها، بخلاف قول غيرهم فإن الآيات فيه تتعارض، وتخليص المذاهب أن الكافر إذا تاب من كفره: غفر له بإجماع، وإن مات على كفره: لم يغفر له، وخلد في النار بإجماع، وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له، وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه ﴿**الَّذِينَ يُزَكُّونَ**

كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ

﴿أَنفُسَهُم﴾ هم اليهود لعنهم الله، وتزكيتهم قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقيل مدحهم لأنفسهم **﴿فَتِيلًا﴾** الفتيل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، وقيل ما يخرج بين أصبعيك وكفّيك إذا فتلتهما، هو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء فيدلّ على الأكثر بطريق الأولى **﴿يَفْتَرُونَ﴾** دليل على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل **﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾** قال ابن عباس: الجبت هو حيي بن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف، وقال عمر بن الخطاب: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان، وقيل الجبت الكاهن، والطاغوت الساحر، وبالجملة هما كل ما عبد وأُطيع من دون الله **﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾** الآية: سببها أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف أو غيرهما من اليهود، قالوا لكفّار قريش أنتم أهدى سبيلاً من محمد وأصحابه **﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾** الهمزة للاستفهام مع الإنكار **﴿نَقِيرًا﴾** النقير هي النقرة في ظهر النواة وهو تمثيل، وعبارة عن أقلّ الأشياء، والمراد وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك، وأنهم حينئذ يبخلون بالنقير الذي هو أقل الأشياء ويبخلون بما هو أكثر منه من باب أولى **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾** وصفهم بالحسد مع البخل، والناس هنا يراد بهم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمته، والفضل النبوّة، وقيل النصر والعزّة، وقيل الناس العرب والفضل كون النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم منهم **﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** المراد بآل إبراهيم ذرّيّته من بني إسرائيل وغيرهم ممّن آتاه الله الكتب التي أنزلها والحكمة التي علمها، والمقصود بالآية الردّ على اليهود في حسدهم لسيّدنا محمد ﷺ ومعناها إلزام لهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم فلأيّ شيء تخصّون محمدًا ﷺ بالحسد دون غيره ممّن أنعم الله عليهم **﴿مُّلْكًا عَظِيمًا﴾** الملك في آل إبراهيم هو ملك يوسف وداود وسليمان **﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾** الآية: قيل المراد من اليهود مَن آمن بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أو بالقرآن المذكور في قوله تعالى: **﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُم﴾** [البقرة: ٤١، والنساء: ٤٧] أو بما ذكر من حديث إبراهيم، فهذه ثلاثة أوجه في ضمير به، وقيل منهم أي من آل إبراهيم مَن آمن بإبراهيم، ومنهم مَن

بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي

كفر: كقوله تعالى: ﴿فَمِنهُم مُهتَدٍ وكَثيرٌ مِنهُم فاسِقُون﴾ [الحديد: ٢٦] **﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾** الآية قيل تبدل لهم جلود بعد جلود أخرى إذ نفوسهم هي المعذّبة وقيل تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار، وقيل الجلود السرابيل وهو بعيد **﴿أزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾** ذكر في البقرة **﴿ظِلاً ظَلِيلاً﴾** صفة من لفظ الظل للتأكيد: أي دائمًا لا تنسخه الشمس وقيل نفي الحرّ والبرد **﴿إن اللَّهَ يَأمُرُكُمْ﴾** الآية: قيل هي خطاب للولاة وقيل النبي ﷺ حين أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ولفظها عامّ، وكذلك حكمها **﴿وأُولي الأمْرِ﴾** هم الولاة، وقيل العلماء نزلت في عبد الله بن حذافة بعثه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في سرية **﴿فَرُدُّوهُ إلى اللَّهِ والرَّسُولِ﴾** الردّ إلى الله هو النظر في كتابه، والردّ إلى الرسول ﷺ هو سؤاله في حياته والنظر في سُنّته بعد وفاته **﴿إن كُنتُمْ﴾** يحتمل أن يكون هذا الشرط راجعًا إلى قوله فردّوه أو إلى قوله: **﴿أطيعوا﴾**، والأوّل أظهر لأنه أقرب إليه **﴿وأحْسَنُ تأْوِيلاً﴾** أي مآلاً وعاقبةً وقيل أحسن نظرًا منكم **﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾** الآية: نزلت في المنافقين، وقيل في منافق ويهودي كان بينهما خصومة فتحاكما إلى كعب بن الأشرف اليهودي وقيل إلى كاهن **﴿رَأَيْتَ المُنافِقِينَ﴾** وضع الظاهر موضع المضمر ليذمّهم بالنفاق، ودلّ ذلك على أنّ الآية المتقدّمة نزلت في المنافقين **﴿فَكَيْفَ إذَا أصابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾** الآية: أي كيف يكون

قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم **﴿ثُمَّ جاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾** يحتمل أن يكون هذا معطوفًا على ما قبله أو يكون معطوفًا على قوله: **﴿يصدّون﴾**، ويكون قوله: **﴿فَكَيفَ إذَا أَصابَتْهُم﴾** اعتراضًا **﴿فَأعْرِضْ عَنهم﴾** أي عن معاقبتهم، وليس المراد بالإعراض القطيعة لقوله: **﴿وعظهم﴾** **﴿وَلَو أَنَّهمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾** الآية: وعد بالمغفرة لمَن استغفر، وفيه استدعاء للاستغفار والتوبة ومعنى جاؤوك أتوك تائبين معتذرين من ذنوبهم يطلبون أن تستغفر لهم الله **﴿فَلاَ وَرَبِّكَ﴾** لا هنا مؤكدة للنفي الذي بعدها **﴿شَجَرَ بَيْنَهُم﴾** أي اختلط واختلفوا فيه، ومعنى الآية أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، ونزلت بسبب المنافقين الذين تخاصموا، وقيل بسبب خصام الزبير مع رجل من الأنصار في الماء وحكمها عامّ **﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيهِمْ﴾** الآية: معناها لو فرض عليهم ما فرض على مَن كان قبلهم من المشقّات لم يفعلوها لقلّة انقيادهم إلاّ القليل منهم الذين هم مؤمنون حقًا، وقد رُوِيَ أن من هؤلاء القليل أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمّار بن ياسر وثابت بن قيس **﴿إلاّ قَلِيلٌ﴾** بالرفع بدل من المضمر وقرأ ابن عامر وحده بالنصب على أصل الاستثناء أو على إلاّ فعلاً قليلاً **﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾** من اتباع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وطاعته والانقياد له **﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾** أي تخفيفًا لإيمانهم **﴿وإذًا لآتيناهُم﴾** جواب لسؤال مقدّر عن حالهم لو فعلوا ذلك **﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾** ثواب على الطاعة أي هم معهم في الجنة، وهذه الآية مفسّرة لقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] والصدّيق فعّيل من الصدق، ومن التصديق، والمراد به المبالغة، والصدّيقون أرفع الناس درجة بعد الأنبياء، والشهداء المقتولون في سبيل الله ومَن جرى مجراهم من سائر الشهداء كالغريق وصاحب الهدم حسبما ورد في الحديث أنهم سبعة **﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾** الإشارة إلى

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

الأصناف الأربعة المذكورة والرفيق يقع على الواحد والجماعة كالخليط، وهو مفرد بيّن به الجنس، ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة التي ينال بها مرافقة هؤلاء **﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ﴾** الإشارة إلى الثواب على الطاعة بمرافقة مَن ذكر في الجنة، والفضل صفة أو خبر **﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾** أي تحرّزوا من عدوّكم واستعدّوا له **﴿فَانفِرُوا ثُبَاتٍ﴾** أي اخرجوا للجهاد جماعات متفرّقين وذلك كناية عن السرايا، وقيل إنّ الثبتة ما فوق العشرة، ووزنها فعلة بفتح العين ولامها محذوفة **﴿أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾** أي مجتمعين في الجيش الكثيف فخيرهم في الخروج إلى الغزو في قلّة أو كثرة **﴿وإنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾** الخطاب للمؤمنين، والمراد بمَن المنافقين وعبّر عنهم بمنكم إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين، ويقولون آمنّا، واللام في لمن للتأكيد، وفي ليبطئنّ جواب قسم محذوف، ومعناه يبطىء غيره يثبطه عن الجهاد ويحمله على التخلّف عن الغزو، وقيل يبطىء يتخلّف هو عن الغزو ويتثاقل **﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾** أي قتل وهزيمة والمعنى أن المنافق تسرّه غيبته عن المؤمنين إذا هزموا وشهيدًا معناه حاضرًا معهم **﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْل من الله﴾** أي نصر وغنيمة، والمعنى أنّ المنافق يندم على ترك الغزو معهم إذا غنموا فيتمنى أن يكون معهم **﴿كأن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾** جملة اعتراض بين العامل ومعموله فلا يجوز الوقف عليها وهذه المودّة في ظاهر المنافق لا في اعتقاده **﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾** أي يبيعون **﴿فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ﴾** ذكر الحالتين للمقاتل ووعد بالأجر على كل واحدة منهما **﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ﴾** تحريض على القتال، وما مبتدأ والجار والمجرور خبر ولا تقاتلون في موضع الحال، والمستضعفين هم الذين حبسهم مشركوا قريش بمكة ليفتنوهم عن الإسلام، وهو عطف على اسم الله أو مفعول معه **﴿الْقَرْيَةِ**

يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ

الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ هي مكة حين كانت للمشركين **﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** وما بعده إخبار قصد به تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال **﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾** الآية: قيل هي في قوم من الصحابة كانوا قد أُمِرُوا بالكفّ عن القتال قبل أن يفرض الجهاد، فتمنّوا أن يؤمروا به، فلما أُمِرُوا به كرهوه، لا شكًّا في دينهم، ولكن خوفًا من الموت، وقيل هي في المنافقين وهو أليق في سياق الكلام **﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾** وما بعده تحقير للدنيا فتضمن الردّ عليهم في كراهتهم للموت **﴿فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾** أي في حصون منيعة، وقيل المشيّدة المطوّلة وقيل المبنية بالشيد وهو الجص **﴿إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾** الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك من المحبوبات، والسيئة الهزيمة والجوع وشبه ذلك، والضمير في تصبهم وفي يقول للذين قيل لهم كفّوا أيديكم، وهذا يدلّ على أنها في المنافقين، لأن المؤمنين لا يقولون للنبي ﷺ إن السيئات من عنده **﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾** ردٌّ على مَن نسب السيئة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإعلام أن السيئة والحسنة والخير والشر من عند الله أي بقضائه وقدره **﴿فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾** توبيخ لهم على قلّة فهمهم **﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ من سَيِّئَةٍ فَمِن نَفْسِك﴾** خطاب للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والمراد به كل مخاطب على الإطلاق فدخل فيه غيره من الناس، وفيه تأويلان: أحدهما نسبة الحسنة إلى الله والسيئة إلى العبد تأدّبًا مع الله في الكلام، وإن كان كل شيء منه في الحقيقة، وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام، «والخير كله بيديك والشر ليس إليك» وأيضًا فنسبة السيئة إلى العبد لأنها بسبب ذنوبه، لقوله: **﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُم﴾** [الشورى: ٣٠]، فهي من العبد بتسبّبه فيها، ومن الله بالخلقة والاختراع، والثاني: أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل، والتقدير يقولون كذا، فمعناها كمعنى التي

بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ

قبلها **﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾** هذه الآية من فضائل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإنما كانت طاعته كطاعة الله لأنه يأمر وينهى عن الله **﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾** أي مَن أعرض عن طاعتك، فما أنت عليه بحفيظ تحفظ أعماله، بل حسابه وجزاؤه على الله، وفي هذا متاركة وموادعة منسوخة بالقتال **﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾** أي أمرنا وشأننا طاعة لك، وهي في المنافقين بإجماع **﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾** بيت أي تدبر الأمر بالليل، والضمير في تقول للمخاطب، وهو النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم أو للطائفة **﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾** أي لا تعاقبهم **﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾** حضّ على التفكّر في معانيه لتظهر أدلّته وبراهينه **﴿اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾** أي تناقضًا كما في كلام البشر أو تفاوتًا في الفصاحة لكن القرآن مُنزّه عن ذلك، فدلّ على أنه كلام الله، وإن عرضت لأحد شُبهة وظن اختلافًا في شيء من القرآن، فالواجب أن يتّهم نظره ويسأل أهل العلم ويطالع تآليفهم، حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ قيل هم المنافقون وقيل قوم من ضعفاء المسلمين كانوا إذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش أو غير ذلك أذاعوا به أي تكلموا به وشهروه قبل أن يعلموا صحته، وكان في إذاعتهم له مفسدة على المسلمين مع ما في ذلك من العجلة وقلّة التثبّت، فأنكر الله ذلك عليهم **﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾** أي لو ترك هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذي بلغهم وردّوه إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم وإلى أُولي الأمر، وهم كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم، لعلمه القوم الذين يستنبطونه أي يستخرجونه من الرسول وأُولي الأمر فالذين يستنبطونه على هذا طائفة من المسلمين يسألون عنه الرسول صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وأُولي الأمر وحرف الجر في قوله يستنبطونه منهم لابتداء الغاية وهو يتعلق بالفعل والضمير المجرور يعود على الرسول وأُولي الأمر، وقيل الذين يستنبطونه هم

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

أُولوا الأمر، كما جاء في الحديث عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ طلّق نساءه، فدخل عليه، فقال: أطلّقت نساءك؟ فقال: «لا»، فقام إلى باب المسجد، فقال إن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم لم يطلّق نساءه، فأنزل الله هذه القصة، قال وأنا الذي استنبطته، فعلى هذا يستنبطونه هم أُولو الأمر، والضمير المجرور يعود عليهم، ومنهم لبيان الجنس، واستنباطه على هذا هو سؤالهم عنه النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم أو بالنظر والبحث، واستنباطه على التأويل الأول وهو سؤال الذين أذاعوه للرسول عليه الصلاة والسلام ولأُولي الأمر **﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾** أي هداه وتوفيقه، أو بعثه للرُسُل، وإنزاله للكتب، والخطاب في هذه الآية للمؤمنين **﴿إلاّ قَلِيلاً﴾** أي إلاّ اتّباعًا قليلاً فالاستثناء من المصدر، والمعنى لولا فضل الله ورحمته لاتّبعتم الشيطان إلاّ في أمور قليلة كنتم لا تتّبعونه فيها، وقيل إنه استثناء من الفاعل في اتّبعتم أي إلاّ قليلاً منكم وهو الذي يقتضيه اللفظ وهم الذين كانوا قبل الإسلام غير متّبعين للشيطان كورقة بن نوفل، والفضل والرحمة على بعث الرسول وإنزال الكتاب، وقيل إن الاستثناء من قوله أذاعوا به **﴿لاَ تُكَلَّفُ إلاَّ نَفْسَكَ﴾** لما تثاقل بعض الناس عن القتال قيل هذا للنبي ﷺ أي إن أفردوك فقاتل وحدك فإنما عليك ذلك **﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي ليس عليك في شأن المؤمنين إلاّ التحريض **﴿عَسَى اللَّهُ أن يَكُفَّ بَأسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** قيل عسى من الله واجبة، والذين كفروا هنا قريش وقد كفّهم الله بهزيمتهم في بدر وغيرها وبفتح مكة **﴿وأشَدُّ تَنكِيلاً﴾** أي عقابًا وعذابًا **﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾** هي الشفاعة في مسلم لتفرج عنه كربة، أو تدفع مظلمة أو يجلب إليه خيرًا والشفاعة السيئة بخلاف ذلك وقيل الشفاعة الحسنة هي الطاعة والشفاعة السيئة هي المعصية، والأول أظهر، والكفل هو النصيب **﴿مُّقِيتًا﴾** قيل قديرًا، وقيل حفيظًا، وقيل الذي يقيت الحيوان أي يرزقهم القوت **﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَو رُدُّوهَا﴾** معنى ذلك الأمر بردّ السلام والتخيير بين أن يرد بمثل ما سلم عليه أو بأحسن منه والأحسن أفضل مثل أن يقال له سلام عليك فيردّ السلام ويزيد الرحمة والبركة، وردّ السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعي، وقال بعض الناس هو فرض عين، واختلف في الردّ على الكفّار،

حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ

فقيل يردّ عليهم لعموم الآية، وقيل لا يردّ عليهم، وقيل يقال لهم عليكم، حسبما جاء في الحديث، وهو مذهب مالك ولا يبتدؤون بالسلام ﴿**لَيَجْمَعَنَّكُمْ**﴾ جواب قسم محذوف، وتضمن معنى الحشر ولذلك تعدّى بإلى ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ**﴾ لفظه استفهام، ومعناه لا أحد أصدق من الله ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ**﴾ ما استفهامية بمعنى التوبيخ، والخطاب للمسلمين، ومعنى فئتين: أي طائفتين مختلفتين، وهو منصوب على الحال، والمراد بالمنافقين هنا ما قال ابن عباس أنها نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا، ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات، فاختلف المسلمون هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتهم لأنهم لم يهاجروا؟ أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنين وقال زيد بن ثابت نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أُحد فاختلف الصحابة في أمرهم، ويردّ هذا قوله: ﴿**حَتَّى يُهَاجِرُوا**﴾ ﴿**أَرْكَسَهُم**﴾ أي أضلّهم، وأهلكهم ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**﴾ الضمير للمنافقين أي تمنّوا أن تكفروا ﴿**فَخُذُوهُم**﴾ يريد به الأسر ﴿**إلاَّ الَّذِيْنَ يَصِلُونَ**﴾ الآية: استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعناها أن مَن وصل من الكفار غير المعاهدين إلى الكفّار المعاهدين وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهد ومهادنة فحكمه كحكمهم في المسالمة وترك قتاله وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخ بالقتال في أول سورة براءة، قال السهيلي وغيره: الذين يصلون هم بنو مدلج بن كنانة إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق بنو خزاعة فدخل بنو مدلج في صلح خزاعة مع رسول الله ﷺ فمعنى يصلون إلى قوم: ينتهون إليهم، ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة وقيل معنى يصلون أي ينتسبون وهذا ضعيف جدًا بدليل قتال رسول الله ﷺ لقريش، وهم أقاربه وأقارب المؤمنين فكيف لا يقاتل أقارب الكفّار المعاهدين أو جاءوهم حصرت صدورهم عطف على يصلون أو عطف على صفة قوم وهي: بينكم وبينهم ميثاق، والمعنى يختلف باختلاف ذلك، والأول أظهر، وحصرت

ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ

صدورهم: في موضع الحال بدليل قراءة يعقوب حصرت، ومعناه ضاقت عن القتال وكرهته، ونزلت الآية في قوم جاؤوا إلى المسلمين، وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين وكرهوا أيضًا أن يقاتلوا قومهم وهم أقاربهم الكفّار فأمر الله بالكفّ عنهم ثم نسخ أيضًا ذلك بالقتال **﴿فَإِنْ اعتَزَلُوكُمْ﴾** أي إن سالموكم فلا تقاتلوهم، والسلم هنا الانقياد **﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾** الآية: نزلت في قوم مخادعين وهم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا من المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا ليأمنوا قومهم والفتنة هنا الكفر على الأظهر، وقيل الاختبار **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إلاَّ خَطَأً﴾** نزلت بسبب قتل عياش بن ربيعة للحارث بن زيد وكان الحارث يعذّبه على الإسلام، ثم أسلم وهاجر ولم يعلم عياش بإسلامه فقتله، وقيل إن الاستثناء هنا منقطع، والمعنى لا يحلّ لمؤمن أن يقتل مؤمنًا بوجه، لكن الخطأ قد يقع، والصحيح أنه متّصل والمعنى لا ينبغي لمؤمن ولا يليق به أن يقتل مؤمنًا إلاّ على وجه الخطأ من غير قصد ولا تعدّ إذ هو مغلوب فيه، وانتصاب خطأ على أنه مفعول من أجله أو حال أو صفة لمصدر محذوف **﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ﴾** هذا بيان ما يجب على القاتل خطأ فأوجب الله عليه التحرير والديّة، فأما التحرير ففي مال القاتل. وأما الديّة ففي مال عاقلته، وجاء ذلك عن النبي ﷺ، وبيان للآية إذ لفظها يحتمل ذلك أو غيره، وأجمع الفقهاء عليه، واشترط مالك في الرقبة التي تعتق أن تكون مؤمنة ليس فيها عقد من عقود الحرية، سالمة من العيوب أما إيمانها فنص هنا، ولذلك أجمع العلماء عليه هنا، واختلفوا في كفّارة الظهار وكفّارة اليمين، وأما سلامتها من عقود الحرية فيظهر من قوله تعالى **﴿فَتَحْرِير رَقَبَة﴾**، لأن ظاهره أنه ابتداء عتق عند التفكير بها وأما سلامتها من العيب، فزعموا أن إطلاق الرقبة يقتضيه وفي ذلك نظر ولم يبيّن في الآية مقدار الديّة وهي عند مالك مائة من الإبل على أهل الإبل، وألف دينار شرعية على أهل الذهب واثنا عشر ألف درهم شرعية على أهل الورق، ورُوِيَ ذلك عن عمر بن الخطاب **﴿مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾** أي مدفوعة إليهم، والأهل هنا الورثة، واختلف في مدة

مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

تسليمها، فقيل هي حالة عليهم، وقيل يؤدّونها في ثلاث سنين، وقيل في أربع، ولفظ التسليم مطلق وهو أظهر في الحلول لولا ما جاء من السُّنّة في ذلك **﴿إلاّ أن يَصَّدَّقُوا﴾** الضمير يعود على أولياء المقتول أي إذا أسقطوا الديّة سقطت، وإذا أسقطها المقتول سقطت أيضًا عند مالك والجمهور، خلافًا لأهل الظاهر، وحجّتهم عود الضمير على الأولياء، وقال الجمهور إنما هذا إذا لم يسقطها المقتول **﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾** معنى الآية: أن المقتول خطأ إن كان مؤمنًا وقومه كفّارًا أعداء وهم المحاربون فإنما في قتله التحرير خاصّة دون الديّة فلا تدفع لهم لئلا يتقوّوا بها على المسلمين، ورأى ابن عباس أن ذلك إنما هو فيمَن آمن وبقي في دار الحرب لم يهاجر وخالفه غيره ورأى مالك أن الديّة في هذا البيت المال فالآية عنده منسوخة، **﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾** الآية: معناها أن المقتول خطأ إن كان قومه كفّارًا معاهدين ففي مثله تحرير رقبة والديّة إلى أهله لأجل معاهدتهم، والمقتول على هذا مؤمن، ولذلك قال مالك لا كفّارة في قتل الذميّ، وقيل إن المقتول في هذه الآية كافر، فعلى هذا تجب الكفّارة في قتل الذميّ، وقيل هي عامّة في المؤمن والكافر، ولفظ الآية مطلق إلاّ أن قيّده قوله وهو مؤمن في الآية التي قبلها وقرأ الحسن هنا وهو مؤمن **﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾** أي مَن لم يجد العتق ولم يقدر عليه فصيام الشهرين المتتابعين عوض منه **﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾** منصوب على المصدرية ومعناه رحمة منه وتخفيفًا **﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾** الآية: نزلت بسبب مقيس بن صبابة كان قد أخذ ديّة أخيه هشام المقتول خطأ، ثم قتل رجلاً من القوم الذين قتلوا أخاه وارتدّ مشركًا، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقتله، والمتعمّد عند الجمهور هو الذي يقصد القتل بحديدة أو حجر أو عصًا أو غير ذلك، وهذه الآية معطّلة على مذهب الأشعرية وغيرهم ممّن يقول لا يخلد عصاة المؤمنين في النار واحتجّ بها المعتزلة وغيرهم ممّن يقول بتخليد العصاة في النار لقوله: **﴿خَالِدًا فِيهَا﴾** وتأوّلها الأشعرية بأربعة أوجه: أحدها أن قالوا إنها في الكافر إذا قتل مؤمنًا، والثاني قالوا معنى المتعمّد هنا المستحل للقتل، وذلك يؤول إلى الكفر، والثالث قالوا الخلود فيها ليس بمعنى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾

الدوام الأبدي، وإنما هو عبارة عن طول المدة، والرابع أنها منسوخة بقوله تعالى: **﴿إنّ اللّه لاَ يَغفُر أن يُشرَك به ويغفر مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشاء﴾**، وأما المعتزلة فحملوها على ظاهرها، ورأوا أنها ناسخة لقوله: **﴿وَيَغفِر مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشاء﴾**، واحتجّوا على ذلك بقول زيد بن ثابت نزلت الشديدة بعد الهيّنة وبقول ابن عباس، الشرك والقتل مَن مات عليهما خلد، وبقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلاّ الرجل يموت كافرًا أو الرجل يقتل المؤمن متعمّدًا، وتقتضي الآية وهذه الآثار أن للقتل حكمًا يخصّه من بين سائر المعاصي، واختلف الناس في القاتل عمدًا إذا تاب، هل تقبل توبته أم لا؟ وكذلك حكى ابن رشد الخلاف في القاتل إذا اقتصّ منه هل يسقط عنه العقاب في الآخرة أم لا؟ والصحيح أنه يسقط عنه، لقول رسول الله ﷺ، مَن أصاب ذنبًا فعوقب به في الدنيا فهو له كفّارة، وبذلك قال جمهور العلماء **﴿ضَرَبتُم فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾** أي سافرتم في الجهاد **﴿فَتَبَيَّنُوا﴾** من البيان وقرىء بالثاء المثلثة من الثبات والتفعّل فيها بمعنى الاستفعال، أي اطلبوا بيان الأمر وثبوته **﴿ألقَى إلَيكُمُ السَّلَمَ﴾** بغير ألف أي انقاد وألقى بيده، وقرىء السلام بمعنى التحية، ونزلت في سرية لقيت رجلاً فسلّم عليهم، وقال لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، فحمل عليه أحدهم فقتله، فشقّ ذلك على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكان القاتل علم بن جثامة والمقتول عامر بن الأغبط، وقيل القاتل أسامة بن زيد والمقتول مرداس بن نهيك **﴿تَبتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنيَا﴾** يعني الغنيمة، وكان للرجل المقتول غنم **﴿فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾** وعد وتزهيد في غنيمة من أظهر الإسلام **﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبلُ﴾** قيل معناه كنتم كفّارًا فهداكم الله للإسلام، وقيل كنتم تخفون إيمانكم من قومكم **﴿فَمَنَّ اللّهُ عَلَيكُمْ﴾** بالعزّة والنصر حتى أظهرتموه **﴿لاَّ يَستَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤمِنينَ﴾** الآية: معناها تفضيل المجاهدين على مَن لم يجاهد وهم القاعدون **﴿غَيرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾** لما نزلت الآية: قام ابن أُم مكتوم الأعمى، فقال يا رسول الله هل من رخصة فإني ضرير البصر، فنزل غير أُولي الضرر وقرىء غير بالحركات الثلاث، بالرفع، صفة للقاعدين، وبالنصب على الاستثناء أو الحال، وبالخفض صفة للمؤمنين **﴿دَرَجَةً﴾** قيل هي تفضيل على

وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا

القاعدين من أهل العذر والدرجات على القاعدين بغير عذر، وقيل إن الدرجات مبالغة وتأكيد الدرجة ﴿**الحُسْنَى**﴾ الجنة ﴿**أَجْرًا**﴾ منصوب على الحال من درجات أو المصدرية من معنى فضل، وانتصب درجات على البدل من الأجر أو بفعل مضمر، وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلها: أي غفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ**﴾ الآية نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا، فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفّار فقتلوا منهم قيس بن الفاكه والحارث بن زمعة، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أميّة بن خلف ويحتمل أن يكون توفّاهم ماضيًا أو مضارعًا، وانتصب ظالمي على الحال ﴿**قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ**﴾ أي في أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿**قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ**﴾ اعتذار عن التوبيخ الذي وبّخهم به الملائكة: أي لم تقدروا على الهجرة وكان اعتذارًا بالباطل ﴿**قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً**﴾ ردّ عليهم؛ وتكذيب لهم في اعتذارهم ﴿**إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ**﴾الذين كان استضعافهم حقًّا، قال ابن عباس: كنت أنا وأبي وأمي ممّن عنى الله بهذه الآية ﴿**مُرَاغَمًا**﴾ أي متحوّلاً وموضعًا يرغم عدوّه بالذهاب إليه ﴿**وَسَعَةً**﴾ أي اتّساع في الأرض وقيل في الرزق ﴿**فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ أي ثبت وصحّ ﴿**وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ**﴾ الآية حكمها على العموم ونزلت في ضمرة بن القيس وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضًا فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة قال أخرجوني فهيىء له فراش فوضع عليه وخرج فمات في الطريق، وقيل نزلت في خالد بن حزام، فإنه هاجر إلى أرض الحبشة فنهشته حيّة في الطريق فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة ﴿**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ**

ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ

كَفَرُوا﴾ اختلف العلماء في تأويلها على خمسة أقوال: أولها أنها في قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين في السفر، ولذلك لا يجوز إلا في حال الخوف على ظاهر الآية، وهو قول عائشة وعثمان رضي الله عنهما، الثاني أن الآية تقتضي ذلك ولكن يؤخذ القصر في السفر دون الخوف من السُنّة، ويؤيّد هذا حديث يعلى بن أُميّة قال قلت لعمر بن الخطاب إن الله يقول: ﴿**إِنْ خِفْتُمْ**﴾ وقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «صدقة تصدّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»، وقد ثبت أن النبي ﷺ قصر في السفر وهو آمن، الثالث أن قوله: ﴿**إِنْ خِفْتُمْ**﴾ راجع إلى قوله: ﴿**وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ**﴾ الآية التي بعد ذلك والواو زائدة وهذا بعيد، الرابع أنها في صلاة الخوف على قول مَن يرى أن تصلّي كل طائفة ركعة خاصّة، قال ابن عباس فرضت الصلاة في الحضر أربعًا وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة، الخامس أنها في صلاة المسايفة، فالقصر على هذا هو من هيأة الصلاة كقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُم فَرِجَالاً أَو رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩] وإذا قلنا إنها في القصر في السفر، فظاهرها أن القصر رخصة، والإتمام أفضل وهو مذهب الشافعي، وقال مالك القصر أفضل، وقيل إنهما سواء، وأوجب أبو حنيفة القصر، وليس في لفظ الآية ما يدلّ على مقدار المسافة التي تقصر فيها الصلاة؛ لأن قوله: ﴿**إذا ضَرَبْتُم فِي الأرضِ**﴾ معناه السفر مطلقًا، ولذلك أجاز الظاهرية القصر في كل سفر طويل أو قصير، ومذهب مالك والشافعي أن مسافة القصر ثمانية وأربعون ميلاً؛ واحتجّوا بآثار عن عمر وابن عباس، وكذلك ليس في الآية ما يدلّ على تخصيص القصر بسفر القربة أو السفر المباح دون سفر المعصية فإن لفظها مطلق في السفر، ولذلك أجاز أبو حنيفة القصر في سفر القربة وفي المباح وفي سفر المعصية، ومنعه مالك في سفر المعصية، ومنعه ابن حنبل في المعصية، وفي المباح. وللقصر أحكام لا تتعلق بالآية فأضربنا عن ذكرها، والمراد بالفتنة في هذه الآية القتال أو التعرّض بما يكره ﴿**وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ**﴾ الآية في صلاة الخوف، وظاهرها يقتضي أنها لا تُصَلّى بعد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لأنه شرط كونه فيهم، وبذلك قال أبو يوسف، وأجازها الجمهور بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم، لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أمته، وقد فعلها الصحابة بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم، واختلف الناس في صلاة الخوف على عشرة أقوال، لاختلاف الأحاديث فيها، ولسنا نضطر إلى ذكرها فإن

وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا

تفسيرها لا يتوقف على ذلك، وكانت صلاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لصلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع **﴿فَلْتَقُمْ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾** يقسم الإمام المسلمين على طائفتين فيصلّي بالأولى نصف الصلاة، وتقف الأخرى تحرس ثم يصلّي بالثانية بقية الصلاة وتقف الأولى تحرس، واختلف هل تتمّ كل طائفة صلاتها وهو مذهب الجمهور، أم لا؟ وعلى القول بالإتمام: اختلف هل يتمّونها في إثر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك **﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾** اختلفوا في المأمور بأخذ الأسلحة، فقيل الطائفة المصلّية وقيل الحارسة والأول أرجح، لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى: وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ويدلّ ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم في الصلاة: جاز لهم أن يقاتلوا مَن قاتلهم، وإلاّ لم يكن لأخذ الأسلحة معنى إذا لم يدفعوا بها مَن قاتلهم **﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ﴾** الضمير في قوله: **﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾** للمصلّين، والمعنى إذا سجدوا معك في الركعة الأولى، وقيل إذا سجدوا في ركعة القضاء، والضمير في قوله: **﴿فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُم﴾**؛ يحتمل أن يكون للذين سجدوا: أي إذا سجدوا فليقوموا وليرجعوا وراءكم، وعلى هذا إن كان السجود في الركعة الأولى فيقتضي ذلك أنهم يقومون للحرابة بعد انقضاء الركعة الأولى، ثم يحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقيّة صلاتهم أو لا يقضونها، وإن كان السجود في ركعة القضاء، فيقتضي ذلك أنهم لا يقومون للحراسة إلاّ بعد القضاء، وهو مذهب مالك والشافعي، ويحتمل أن يكون الضمير في قول: فليكونوا للطائفة الأخرى أن يقفوا وراء المصلّين يحرسونهم **﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى﴾** يعني الطائفة الحارسة **﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** الآية: إخبار عمّا جرى في غزوة ذات الرقاع، من عزم الكفّار على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم، فنزل جبريل على النبي ﷺ، وأخبره بذلك، وشرعت صلاة الخوف حذرًا من الكفّار، وفي قوله: **﴿مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾**: مبالغة أي مفاضلة لا يحتاج منها إلى ثانية **﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾** الآية: نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف، كان مريضًا فوضع سلاحه فعنّفه بعض الناس، فرخّص الله في وضع السلاح في حال المرض والمطر، ويقاس عليهما كل عذر يحدث في ذلك الوقت **﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ

مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾

عَذَابًا مُّهِينًا﴾ إن قيل: كيف طابق الأمر بالحذر للعذاب المهين؟ فالجواب أن الأمر بالحذر من العدوّ: يقتضي توهّم قوّتهم وعزّتهم، فنفي ذلك الوهم بالإخبار أن الله يهينهم ولا ينصرهم لتقوى قلوب المؤمنين، قال ذلك الزمخشري وإنما يصحّ ذلك إذا كان العذاب المهين في الدنيا، والأظهر أنه في الآخرة **﴿فإذا قَضَيتُمُ الصَّلاةَ فَاذكُرُوا اللَّهَ﴾** الآية: أي إذا فرغتم من الصلاة، فاذكروا الله بألسنتكم، وذكر القيام والقعود وعلى الجنوب ليعمّ جميع أحوال الإنسان، وقيل المعنى إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قيامًا فإن لم تقدروا فقعودًا، فإن لم تقدروا فعلى جنوبكم **﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾** أي إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة **﴿كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾** أي محدودًا بالأوقات وقال ابن عباس: فرضًا مفروضًا **﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾** أي لا تضعفوا في طلب الكفّار **﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾** الآية: معناها: إن أصابكم ألم من القتال فكذلك يصيب الكفّار ألم مثله، ومع ذلك فإنكم ترجون إذا قاتلتموهم: النصر في الدنيا، والأجر في الآخرة؛ وذلك تشجيع للمسلمين **﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾** يحتمل أن يريد بالوحي أو بالاجتهاد، أو بهما، وإذا تضمنت الاجتهاد، ففيها دليل على إثبات النظر والقياس خلافًا لمَن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم **﴿وَلاَ تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾** نزلت هذه الآية وما بعدها في قصة طعمة بن الأبيرق إذ سرق طعامًا وسلاحًا لبعض الأنصار، وجاء قومه إلى النبي ﷺ، وقالوا إنه بريء ونسبوا السرقة إلى غيره، وظن رسول الله ﷺ أنهم صادقون، فجادل عنهم ليدفع ما نسب إليهم حتى نزل القرآن فافتضحوا، فالخائنون في الآية: هم السراق بنو الأبيرق، وقال السهيلي هم بشر وبشير ومبشر وأسيد، ومعناها لا تكن لأجل الخائنين مخاصمًا لغيرهم **﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾** أي من خصامك إلى الخائنين، على أنه ﷺ إنما تكلم على الظاهر وهو يعتقد براءتهم **﴿إِذْ**

هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا

﴿يُبَيِّتُونَ﴾ أي يدبرون ليلاً وإنما سمّى التدبير قولاً، لأنه كلام النفس، وربما كان معه كلام باللسان **﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾** قيل إن الخطيئة تكون عن عمد، وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلاّ عن عمد، وقيل هما بمعنى، وكرّر لاختلاف اللفظ **﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾** كان القوم قد نسبوا السرقة إلى لبيد بن سهل **﴿لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾** هم الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ وأبرؤوا ابن الأبيرق من السرقة وهذه الآية وإن كانت إنما نزلت بسبب هذه القصة، فهي أيضًا تتضمن أحكام غيرها، وبقية الآية تشريف للنبي ﷺ، وتقدير لنِعَم الله عليه **﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾** إن كانت النجوى هنا بمعنى الكلام الخفيّ، فالاستثناء الذي بعدها منقطع، وقد يكون متصلاً على حذف مضاف تقديره إلاّ نجوى من أمر، وإن كانت النجوى بمعنى الجماعة فالاستثناء متصل **﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾** أي يعاديه، والشقاق هو العداوة، ونزلت الآية بسبب ابن الأبيرق، لأنه ارتدّ وسار إلى المشركين ومات على الكفر، وهي عامّة فيه وفي غيره **﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** استدلّ الأصوليون بها على صحة إجماع المسلمين وأنه لا يجوز مخالفته، لأنّ من خالفه اتّبع غير سبيل المؤمنين، وفي ذلك نظر **﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾** أي نتركه مع اختياره الفاسد **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾** قد تقدّم الكلام على نظيرتها **﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا﴾** الضمير في

مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾

يدعون للكفّار، ومعنى يدعون يعبدون، واختلف في الإناث هنا، فقيل هي الأصنام، لأن العرب كانت تسمّي الأصنام بأسماء مؤنثة: كاللاّت والعُزى، وقيل المراد الملائكة لقول الكفّار إنهم إناث وكانوا يعبدونهم فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد، وقيل المراد الأصنام، لأنها لا تفعل فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث **﴿إلاّ شَيطَانًا مَّرِيدًا﴾** يعني إبليس، وإنما قال إنهم يعبدونه، لأنهم يطيعونه في الكفر والضلال، والمريد هو الشديد العتوّ والإضلال **﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾** صفة للشيطان **﴿وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾** الضمير للشيطان: أي فرضته لنفسي من قولك فرض للجند وغيرهم، والمراد بهم أهل الضلال **﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ﴾** أي أعدّهم الأماني الكاذبة **﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ﴾** أي يقطعونها، والإشارة بذلك إلى البحيرة وشبّهها **﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خلق الله﴾** التغيير هو الخصاء وشبهه وقد رخّص جماعة من العلماء في خصاء البهائم، إذا كان فيه منفعة، ومنعه بعضهم لظاهر الآية، وقيل التغيير هو الوشم وشبهه، ويدلّ على هذا الحديث الذي لعن فيه الواشمات، والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلّجات للحُسْن، والمغيّرات خلق الله **﴿مَحِيصًا﴾** أي معدلاً ومهربًا **﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾** مصدران: الأوّل مؤكد للوعد الذي يقتضيه قوله: **﴿سَنُدْخِلهم جنّات﴾**، والثاني مؤكد لوعد الله **﴿لَّيس بِأَمَانِيِّكُمْ﴾** الآية: اسم ليس مضمر تقديره الأمر وشبهه، والخطاب للمسلمين، وقيل للمشركين أي لا يكون ما تتمنّون، ولا ما يتمنى أهل الكتاب، بل يحكم الله بين عباده، ويجازيهم بأعمالهم **﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجزَ بِهِ﴾** وعيد حتم في الكفّار، ومقيد بمشيئة الله في المسلمين **﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾** دخلت من للتبعيض رفقًا بالعباد، لأن الصالحات على الكمال لا يطيقها البشر

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تقييد باشتراط الإيمان، فإنه لا يقبل عمل إلاّ به ﴿نَقِيرًا﴾ هو النقرة التي في ظهر نواة التمرة، والمعنى تمثيل بأقلّ الأشياء ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي دين الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال من المتّبع أو من إبراهيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ أي صفيًّا، وهو مشتق من الخلّة بمعنى المودّة، وفي ذلك تشريف لإبراهيم، وترغيب في اتّباعه.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ أي يسئلونك عمّا يجب عليهم في أمر النساء ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ عطف على اسم الله أي يفتيكم الله، والمتلوّ عليكم في الكتاب يعني القرآن ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ كان الرجل من العرب يتزوّج اليتيمة من أقاربه بدون ما تستحقه من الصداق، فقوله ﴿ما كتب لهن﴾ يعني ما تستحقه المرأة من الصداق، وقوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾: يعني لجمالهنّ ومالهنّ من غير توفية حقوقهنّ، فنهاهم الله عزّ وجل عن ذلك أول السورة في قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ الآية، وهذه الآية هي التي تُليَت عليهم في يتامى النساء، والمستضعفين من الولدان: عطف على يتامى النساء، والذي يُتلَى في المستضعفين من الولدان وهو قوله: ﴿يُوصِيكُم اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُم﴾، لأن العرب كانت لا تورث البنت ولا الابن الصغير، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث ﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ عطف على المستضعفين أي والذي يُتلَى عليكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط، ويجوز أن يكون منصوبًا تقديره: ويأمركم أن تقوموا، او الخطاب في ذلك للأولياء، والأوصياء، أو للقضاة وشبههم، والذي تُلِيَ عليهم في ذلك هو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَموالَ اليَتَامَى ظُلمًا﴾ [النساء: ١٠] الآية، وقوله: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَينكم بِالبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] إلى غير ذلك ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ معنى الآية إباحة الصلح بين الزوجين، إذا خافت النشوز أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف كذلك يجوز

ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

بعد وقوع النشوز أو الإعراض وقد تقدّم معنى النشوز، وأما الإعراض فهو أخفّ، ووجوه الصلح كثيرة منها أن يعطيها الزوج شيئًا أو تعطيه هي أو تسقط حقها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك، وسبب الآية أن سودة بنت زمعة لمّا كبرت خافت أنْ يطلّقها رسول الله ﷺ، فقالت له أمسكني في نسائك ولا تقسم لي وقد وهبت يومي لعائشة ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ لفظ عامّ يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما، وقيل معناه صلح الزوجين خير من فراقهما فخير على هذا للتفضيل، واللام في الصلح للعهد ﴿**وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ**﴾ معناه أن الشح جعل حاضرًا مع النفوس لا يغيب عنها لأنها جبلت عليه والشحّ هو أن لا يسمح الإنسان لغيره بشيء من حظوظ نفسه، وشحّ المرأة من هذا هو طلبها لحقّها من النفقة والاستمتاع، وشحّ الزوج هو منع الصداق والتضييق في النفقة وزهده في المرأة لكبر سِنّها أو قُبْح صورتها ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ**﴾ معناه العدل التامّ الكامل في الأقوال والأفعال والمحبة وغير ذلك فرفع الله ذلك عن عباده، فإنهم لا يستطيعون، وقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه ثم يقول اللّهمّ هذا قسمي فيما أملك فلو تؤاخذني بما لا أملك يعني ميله بقلبه وقيل إن الآية نزلت في ميله ﷺ بقلبه إلى عائشة ومعناها اعتذار من الله تعالى عن عباده ﴿**فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ**﴾ أي لا ذات زوج ولا مطلّقة ﴿**وَإِن يَتَفَرَّقَا**﴾ الآية: معناها إن تفرّق الزوجان بطلاق أغنى الله كل واحد منهما من فضله عن صاحبه، وهذا وعد بخير وتأنيس ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا**﴾ الآية: إخبار أن الله وصّى الأوّلين والآخرين بأن يتّقوه ﴿**وَيَأْتِ بِآخَرِينَ**﴾ أي بقوم غيركم، ورُوِيَ أنّ النبي ﷺ لما نزلت ضرب بيده على كتف سلمان الفارسي، وقال: هم قوم هذا ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا**﴾ الآية: تقتضي الترغيب في

كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ

طلب ثواب الآخرة، لأنه خير من ثواب الدنيا، وتقتضي أيضًا أن يطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده، فإنّ ذلك بيده لا بيد غيره، وعلى أحد هذين الوجهين، يرتبط الشرط بجوابه، فالتقدير على الأول، مَن كان يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصّة، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، وعلى الثاني مَن كان يريد ثواب الدنيا فليطلبه من الله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة **﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾** أي مجتهدين في إقامة العدل **﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾** معناه لوجه الله ولمرضاته **﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾** يتعلق بشهد وشهادة الإنسان على نفسه هي إقراره بالحق، ثم ذكر الوالدين والأقربين، إذ هم مظنّة للتعصّب والميل: فإقامة الشهادة على الأجنبيين من باب أولى وأحرى **﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾** جواب إن محذوف على الأظهر أي إن يكن المشهود عليه غنيًّا، فلا تمتنع من الشهادة تعظيمًا له، وإن كان فقيرًا فلا تمتنع من الشهادة عليه اتّفاقًا فإنّ الله أولى بالغني والفقير، أي بالنظر إليهما **﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾** أن مفعول من أجله، ويحتمل أن يكون المعنى من العدل، فالتقدير إرادة أن تعدلوا بين الناس، أو من العدل، فالتقدير كراهة أن تعدلوا عن الحق **﴿وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا﴾** قيل: إن الخطاب للحكّام، وقيل للشهود، واللفظ عامّ في الوجهين، واللّيّ هو تحريف الكلام أي تلووا عن الحكم بالعدل أو عن الشهادة بالحق أو تعرضوا عن صاحب الحق، أو عن المشهود له بالحق، فإنّ الله يجازيكم فإنه خبير بما تعملون، وقرىء تلوا بضم اللام من الولاية: أي إن وليتم إقامة الشهادة، أو أعرضتم عنها **﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾** الآية خطاب للمسلمين: معناه الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكل ما ذكر، أو يكون أمرًا بالدوام على الإيمان، وقيل خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدّمين: معناه الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد ﷺ، وقيل خطاب للمنافقين معناه الأمر بأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾** الآية، قيل هي في المنافقين لتردّدهم بين الإيمان والكفر، وقيل في اليهود والنصارى لأنهم آمنوا بأنبيائهم ثم كفروا بمحمد ﷺ، والأوّل أرجح؛ لأنّ الكلام من هنا فيهم، والأظهر أنها فيمن آمن بمحمد ﷺ، ثم ارتدّ، ثم عاد إلى

ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

الإيمان، ثم ارتدّ وازداد كفرًا **﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾** ذلك فيمن علم الله أن يموت على كفره، وقد يكون إضلالهم عقابًا لهم بسوء أفعالهم **﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾** الآية: إشارة إلى قوله: ﴿وإذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ في آيَاتِنا فأعْرِض عَنهم﴾ [الأنعام: ٦٨] وغيرها، وفي الآية دليل على وجوب تجنّب أهل المعاصي، والضمير في قوله معهم يعود على ما يدلّ عليه سياق الكلام من الكافرين والمنافقين **﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾** صفة للمنافقين: أي ينتظرون بكم دوائر الزمان **﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾** أي نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحمية **﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾** قال علي بن أبي طالب وغيره: ذلك في الآخرة، وقيل السبيل هنا الحجة البالغة **﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾** ذكر في البقرة **﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾** تسمية للعقوبة باسم الذنب، لأنّ وبال خداعهم راجع عليهم **﴿مُذَبْذَبِينَ﴾** أي مضطربين متردّدين، لا إلى المسلمين ولا إلى الكفّار **﴿سُلْطَانًا مُبِينًا﴾** أي حجّة ظاهرة **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ﴾** أي في الطبقة السفلى من جهنم، وهي سبع طبقات وفي ذلك دليل على أنهم شرّ من الكفّار **﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾** استثناء من المنافقين، والتوبة هنا الإيمان الصادق في الظاهر والباطن **﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾** المعنى أي حاجة

أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ

ومنفعة لله بعذابكم وهو الغنيّ عنكم، وقدّم الشكر على الإيمان، لأن العبد ينظر إلى النّعم فيشكر عليها ثم يؤمن بالمُنعِم فكان الشكر سببًا للإيمان: متقدّم عليه، ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدًا واهتمامًا به، والشاكر اسم الله ذكر في اللغات ﴿إلاّ مَن ظُلِمَ﴾ أي إلاّ جهر المظلوم فيجوز له من الجهر أن يدعو على مَن ظلمه، وقيل أن يذكر ما فعل به من الظلم، وقيل أن يردّ عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أو تُخْفُوهُ﴾ الآية: ترغيب في فعل الخير سرًّا وعلانيةً، وفي العفو عن الظلم بعد أن أباح الانتصار لأن العفو أحبّ إلى الله من الانتصار، وأكّد ذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة.

﴿إنَّ الَّذِينَ يَكفُرُونَ﴾ الآية: في اليهود والنصارى، لأنهم آمنوا بأنبيائهم، وكفروا بمحمد ﷺ وغيره، ومعنى التفريق بين الله ورسله الإيمان به، والكفر برسله، وكذلك التفريق بين الرسل هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم، فحكم الله على مَن كان كذلك بحكم الكفر الحقيقي الكامل ﴿والَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية: في أمّة محمد ﷺ لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية، رُوِيَ أن اليهود قالوا للنبي ﷺ لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملةً كما أتى موسى بالتوراة، وقيل كتاب إلى فلان، وكتاب إلى فلان بأنك رسول الله، وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنّت، فيذكر الله سؤالهم من موسى، وسوء أدبهم معه تسلية للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بالتأسّي بغيره، ثم ذكر أفعالهم القبيحة ليبيّن أنّ كفرهم إنما هو عناد، وقد تقدّم في البقرة ذكر طلبهم للرؤيا، واتخاذهم العجل، ورفع الطور فوقهم، واعتدائهم في السبت وغير ذلك بما أُشير إليه هنا

فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ ما زائدة للتأكيد، والباء تتعلق بمحذوف تقديره بسبب نقضهم فعلنا بهم ما فعلنا، أو تتعلق بقوله: **﴿حَرَّمْنَا عَلَيهِم﴾**، ويكون فبظلم على هذا بدلاً من قوله: **﴿فَبِمَا نَقْضهم﴾** **﴿بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾** هو أن رموا مريم بالزنا مع رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد **﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾** عدّد الله في جملة قبائحهم قولهم إنّا قتلنا المسيح لأنهم قالوها افتخارًا وجرأة مع أنهم كذبوا في ذلك، ولزمهم الذنب، وهم لم يقتلوه لأنهم صلبوا الشخص الذي ألقي عليه شبهه، وهم يعتقدون أنه عيسى، ورُوِيَ أن عيسى قال للحواريّين أيّكم يُلْقَى عليه شبهي فيُقتَل ويكون رفيقي في الجنة، فقال أحدهم أنا فألقي عليه شبه عيسى فقتل على أنه عيسى، وقيل بل دلّ على عيسى يهوديّ، فألقى الله شبه عيسى على اليهودي فقتل اليهودي ورفع عيسى إلى السماء حيًّا، حتى ينزل إلى الأرض فيقتل الدجّال **﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾** إن قيل: كيف قالوا فيه رسول الله، وهم يكفرون به ويسبّونه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها أنهم قالوا ذلك على وجه التهكّم والاستهزاء، والثاني أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه كأنهم قالوا رسول الله عندكم أو بزعمكم، والثالث أنه من قول الله لا من قولهم فيوقف قبله، وفائدة تعظيم ذنبهم وتقبيح قولهم إنّا قتلناه **﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾** ردّ عليهم وتكذيب لهم وللنصارى أيضًا في قولهم إنه صلب حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك والعجب كل العجب من تناقضهم في قوله إنه إله أو ابن إله ثم يقولون إنه صلب **﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾** فيه تأويلان: أحدهما ما ذكرناه من إلقاء شبهه على الحواري أو على اليهودي، والآخر أنّ معناه شبّه لهم الأمر أي خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله بأنهم قتلوا رجلاً آخر وصلبوه ومنعوا الناس أن يقربوا منه، حتى تغيّر بحيث لا يعرف، وقالوا للناس هذا عيسى، ولم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم وكانوا متعمّدين للكذب **﴿وإنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾** رُوِيَ أنه لما رفع عيسى وألقى شبهه على

لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن

غيره فقتلوه، قالوا إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى، فاختلفوا، فقال بعضهم هو هو، وقال بعضهم ليس هو، فأجمعوا أن شخصًا قتل، واختلفوا مَن كان ﴿إلاّ اتّبَاعَ الظَّنّ﴾ استثناء منقطع لأنّ العلم تحقيق والظن تردّد، وقال ابن عطية: هو متصل إذ الظن والعلم يجمعهما جنس المعتقدات، فإن قيل: كيف وصفهم بالشك وهو تردّد بين احتمالين على السواء ثم وصفهم بالظنّ وهو ترجيح أحد الاحتمالين؟ فالجواب أنهم كانوا على الشك، ثم لاحت لهم أمارات فظنّوا، قاله الزمخشري، وقد يقال الظنّ بمعنى الشك وبمعنى الوهم الذي هو أضعف من الشك ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي ما قتلوه قتلاً يَقينًا فإعراب يقينًا على هذا صفة لمصدر محذوف، وقيل هي مصدر في موضع الحال: أي ما قتلوه متيقنين، وقيل هو تأكيد للنفي الذي في قوله ما قتلوه أي يتيقن نفي قتله، وهو على هذا منصوب على المصدرية ﴿بَلْ رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى سمائه وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية ﴿وَإنّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ فيها تأويلان: أحدهما أنّ الضمير في موته لعيسى، والمعنى أنه كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قبل أن يموت عيسى وتصير الأديان كلها حينئذ دينًا واحدًا، وهو دين الإسلام، والثاني أنّ الضمير في موته للكتاب الذي تضمنه قوله: ﴿وَإنّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ التقدير: وإن من أهل الكتاب أحد إلاّ ليؤمننّ بعيسى، ويعلم أنه نبيّ قبل أن يموت هذا الإنسان، وذلك حين معاينة الموت، وهو إيمان لا ينفعه، وقد رُوِيَ هذا المعنى عن ابن عباس وغيره، وفي مصحف أُبيّ بن كعب قبل موتهم، وفي هذه القراءة تقوية للقول الثاني، والضمير في به لعيسى على الوجهين، وقيل هو لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَبِصَدّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الإعراض فيكون كثيرًا صفة لمصدر محذوف تقديره صدًّا كثيرًا، أو بمعنى صدّهم لغيرهم، فيكون كثيرًا مفعولاً بالصدّ، أي صدّوا كثيرًا من الناس عن سبيل الله ﴿لَكِنِ الرّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ﴾ هو عبد الله بن سلاّم، ومخيرق، ومَن جرى مجراهم ﴿وَالمُقِيمِينَ﴾ منصوب على المدح بإضمار فعل، وهو جائز كثيرًا في

قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ۞ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

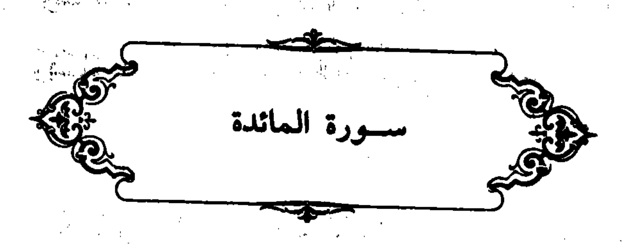
الكلام، وقالت عائشة هو من لحن كتاب المصحف، وفي مصحف ابن مسعود: والمقيمون، على الأصل ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ الآية: ردّ على اليهود الذين سألوا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أن ينزل عليهم كتابًا من السماء، واحتجاج عليهم بأن الذي أتى به وحي: كما أتى مَن تقدّم من الأنبياء بالوحي من غير إنزال الكتاب من السماء، ولذلك أكثر من ذكر الأنبياء الذين كان شأنهم هذا لتقوم بهم الحجة ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ**﴾ منصوب بفعل مضمر أي أرسلنا رسلاً ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ تصريح بالكلام مؤكد بالمصدر، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة إنّ الشجرة هي التي كلّمت موسى ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ**﴾ منصوب بفعل مضمر أو على البدل ﴿**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ أي بعثهم الله ليقطع حجة مَن يقول لو أرسل إليّ رسولاً لآمنت ﴿**لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ**﴾ الآية: معناها أنّ الله يشهد بأن القرآن من عنده، وكذلك تشهد الملائكة بذلك، وسبب الآية: إنكار اليهود للوحي، فجاء الاستدراك على تقدير أنهم قالوا لن نشهد بما أنزل إليك، فقيل لكن الله يشهد بذلك، وفي الآية من أدوات البيان الترديد، وهو ذكر الشهادة أولاً، ثم ذكرها في آخر الآية ﴿**أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ**﴾ في هذا دليل لأهل السُّنّة على إثبات علم الله، خلافًا للمعتزلة في قولهم إنه عالم بلا علم، وقد تأوّلوا الآية بتأويل بعيد ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ خطاب عامّ، لأنّ النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم بعث إلى جميع الناس ﴿**فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ**﴾

حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ

انتصب خبرًا هنا، وفي قوله: **﴿انتَهُوا خَيرًا لَّكُمْ﴾** بفعل مضمر لا يظهر تقديره إيتوا خيرًا لكم هذا مذهب سيبويه، وقال الخليل: انتصب بقوله آمنوا وانتهوا على المعنى، وقال الفرّاء فآمنوا إيمانًا خيرًا لكم فنصبه على النعت لمصدر محذوف، وقال الكوفيون هو خبر كان المحذوفة تقديره يكن الإيمان خيرًا لكم **﴿وَإنْ تَكْفُروا فإن لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالأرْضِ﴾** أي هو في غِنًى عنكم لا يضرّه كفركم **﴿يَا أَهلَ الكِتابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾** هذا خطاب للنصارى لأنهم غلوا في عيسى حتى كفروا، فلفظ أهل الكتاب عموم يراد به الخصوص في النصارى، بدليل ما بعد ذلك والغلو هو الإفراط وتجاوز الحدّ **﴿وَكَلِمَتُهُ﴾** أي مكوّن عن كلمته التي هي كنْ من غير واسطة أب ولا نطفة **﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾** أي ذو روح من الله، فمن هنا لابتداء الغاية، والمعنى من عند الله، وجعله من عند الله لأن الله أرسل به جبريل عليه السلام إلى مريم **﴿وَلاَ تَقولُوا ثَلاثَةٌ﴾** نهى عن التثليث، وهو مذهب النصارى وإعراب ثلاثة خبر مبتدأ مضمر **﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾** برهان على تنزيهه تعالى عن الولد، لأنه مالك كل شيء **﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ﴾** لن يأنف كذلك، ومعناه حيث وقع **﴿وَلاَ المَلاَئِكَةُ﴾** فيه دليل لمَن قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء، لأن المعنى لن يستنكف عيسى ومَن فوقه **﴿قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ﴾** هو القرآن، وهو أيضًا النور المبين، ويحتمل أن يريد بالبرهان الدلائل والحجج، وبالنور النبي ﷺ، لأنه سماه سراجًا **﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾** أي يطلبون

فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

منك الفتيا، ويحتمل أن يكون هذا الفعل طلبًا للكلالة، ويفتيكم أيضًا طلب لها، فيكون من باب الإعمال وإعمال العامل الثاني على اختيار البصريين أو يكون يستفتونك مقطوعًا عن ذلك فيوقف عليه، والأوّل أظهر، وقد تقدّم معنى الكلالة في أوّل السورة والمراد بالأُخت والأخ هنا: الشقائق، والذين للأب إذا عدم الشقائق، وقد تقدّم حكم الإخوة للأُم في قوله وإن كان رجلاً يورث كلالة الآية ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾ ارتفع بفعل مضمر عند البصريين، ولا إشكال فيما ذكر هنا من أحكام المواريث ﴿أن تَضِلُّوا﴾ مفعول من أجله تقديره كراهية أن تضلّوا.



ســورة المائدة

مدنية إلا آية ٣ فنزلت بعرفات
في حجة الوداع: وآياتها ١٢٠ نزلت بعد الفتح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

﴿**أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ قيل إن العقود هنا عقدة الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعتق وشبه ذلك، وقيل ما عقده مع ربه من الطاعات: كالحج والصيام وشبه ذلك، وقيل ما عقده الله عليهم من التحليل والتحريم في دينه ذكر مجملاً ثم فصل بعد ذلك في قوله: ﴿**أُحِلَّتْ لَكُم**﴾ وما بعده ﴿**بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ**﴾ هي الإبل والبقر والغنم، وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخصّ منه؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها، قال الزمخشري: هي الإضافة التي بمعنى من كخاتم من حديد أي البهيمة من الأنعام، وقيل هي الوحش: كالظباء، وبقر الوحش والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لا تقع إلاّ على الإبل والبقر والغنم، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ما عدا الإنسان ﴿**إلاّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ**﴾ يريد الميتة وأخواتها ﴿**غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ**﴾ نصب على الحال من الضمير في لكم ﴿**وَأَنْتُمْ حُرُمٌ**﴾ حال من ﴿**مُحِلِّي الصَّيْدِ**﴾، وحرم جمع حرام وهو المحرم بالحج، فالاستثناء بإلاّ من البهائم

ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ

المحلّلة، والاستثناء بغير من القوم المخاطبين ﴿**لاَ تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ**﴾ قيل هي مناسك الحج، كان المشركون يحجّون ويعتمرون، فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم، فقيل لهم: لا تحلّوا شعائر الله: أي لا تغيروا عليهم ولا تصدّوهم وقيل هي الحرم، وإحلاله الصيد فيه، وقيل هي ما يحرم على الحاج من النساء والطيب والصيد وغير ذلك، وإحلاله فعله ﴿**وَلاَ الشَّهْرَ الحَرَامَ**﴾ قيل هو جنس الأشهر الحرام الأربعة، وهي رجب وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، وقيل أشهر الحج، وهي: شوّال، وذو القعدة وذو الحجة، وإحلالها هو القتال فيها وتغيير حالها ﴿**وَلاَ الهدى**﴾ هو ما يهدى إلى البيت الحرام من الأنعام ويذبح تقرّبًا إلى الله فنهى الله أن يستحلّ بأن يغار عليه أو يصدّ عن البيت ﴿**وَلاَ الْقَلاَئِدَ**﴾ قيل هي التي تعلق قي أعناق الهدي، فنهى عن التعرّض لها، وقيل أراد ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وجدّدها بالذكر بعد دخولها في الهدي اهتمامًا بها وتأكيدًا لأمرها ﴿**وَلاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ**﴾ أي قاصدين إلى البيت لحج أو عمرة ونهى الله عن الإغارة عليهم أو صدّهم عن البيت ونزلت الآية على ما قال السهيلي بسبب الحكم البكري واسمه شريح بن ضبيعة أخذته خيل رسول الله ﷺ وهو يقصد إلى الكعبة ليعتمر، وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء: عامّ في المسلمين والمشركين، ثم نسخ النهي عن قتال المشركين بقوله: ﴿**فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم**﴾ [التوبة: ٥]، وبقوله: ﴿**فَلا يَقْرَبوا المَسْجِد الحَرام**﴾ [التوبة: ٢٨]، وبقوله: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أن يُعَمِّرُوا مَسَاجِدَ الله**﴾ [البقرة: ١٨٧] ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا**﴾ الفضل: الربح في التجارة، والرضوان: الرحمة في الدنيا والآخرة ﴿**وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا**﴾ أي إذا حللتم من إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم، فالأمر هنا إباحة بإجماع ﴿**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَام أَن تَعْتَدُوا**﴾ معنى لا يجرمنّكم لا يكسبنّكم، يقال جرم فلان فلانًا هذا الأمر إذا أكسبه إياه وحمله عليه، والشنآن: هو البغض والحقد، ويقال بفتح النون وإسكانها، و﴿**أَن صَدُّوكُمْ**﴾: مفعول من أجله، و﴿**أَن تَعْتَدُوا**﴾: مفعول ثانٍ ليجرمنّكم، ومعنى الآية: لا تحملنّكم عداوة قوم على أن تعتدوا عليهم من أجل أن صدّوكم عن المسجد الحرام، ونزلت عام الفتح حين ظفر المسلمون بأهل مكة فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل لأنهم كانوا قد صدّوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية، فنهاهم الله عن قتلهم، لأن الله علم أنهم

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن﴾

يؤمنون **﴿وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوَى﴾** وصية عامّة، والفرق بين البرّ والتقوى أن البرّ عامّ في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرّمات، وفي كل ما يقرب إلى الله. والتقوى في الواجبات وترك المحرّمات دون فعل المندوبات فالبرّ أعمّ من التقوى **﴿ولاَ تَعَاوَنُوا على الإثم والعدوان﴾** الفرق بينهما أن الإثم كل ذنب بين العبد وبين الله أو بينه وبين الناس، والعدوان على الناس.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيتَةُ والدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ تقدّم الكلام عليها في البقرة **﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾** هي التي تخنق بحبل وشبهه **﴿والمَوْقُوذَةُ﴾** هي المضروبة بعصا أو حجر وشبهه، والمتردّية هي التي تسقط من جبل أو شبه ذلك، والنطيحة هي التي نطحتها بهيمة أخرى **﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾** أي أكل بعضه، والسّبع كل حيوان مفرس: كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر **﴿إلاّ مَا ذَكَّيتُمْ﴾** قيل إنه استثناء منقطع، وذلك إذا أُريد بالمنخنقة وأخواتها: ما مات من الاختناق والوقذ والتردية والنطح وأكل السبع والمعنى حُرِّمَت عليكم هذه الأشياء، لكن ما ذكّيتم من غيرها، فهو حلال، وهذا قول ضعيف لأنها إن ماتت بهذه الأسباب، فهي ميتة فقد دخلت في عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها، وقيل إنه استثناء متصل، وذلك إن أُريد بالمنخنقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركت ذكاته، والمعنى على هذا: إلى ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال، ثم اختلف أهل هذا القول هل يشترط أن تكون لم تنفذ مقاتلها أم لا، وأما إذا لم تشرف على الموت من هذه الأسباب، فذكاتها جائزة باتفاق **﴿وَمَا ذُبِحَ على النُّصُبِ﴾** عطف على المحرّمات المذكورة، والنصب حجارة كان أهل الجاهلية يعظّمونها ويذبحون عليها، وليست بالأصنام لأن الأصنام مصوّرة والنصب غير مصوّرة وهي الأنصاب، والمفرد نصاب، وقد قيل إن النصب بضمتين مفرد، وجمعه أنصاب **﴿وأَن تَسْتَقْسِمُوا بالأَزْلاَمِ﴾** عطف على المحرّمات أيضًا، والاستقسام. هو طلب ما قسم له، والأزلام هي السّهام. واحدها زلم بضم الزاي وفتحها، وكانت ثلاثة قد كتب على أحدها أفعل، وعلى الآخر لا تفعل، والثالث مهمل، فإذا أراد الإنسان أن يعمل أمرًا جعلها في خريطة، وأدخل يده وأخرج أحدها، فإن خرج له

دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟

الذي فيه افعل: فعل ما أراد، وإن خرج له الذي فيه لا تفعل تركه، وإن خرج المهمل أعاد الضرب ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الإشارة إلى تناول المحرّمات المذكورة كلها، أو إلى الاستقسام بالأزلام، وإنما حرّمه الله وجعله فسقًا: لأنه دخول في علم الغيب الذي انفرد الله به فهو كالكهانة وغيرها مما يرام به الاطّلاع على الغيوب ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ أي يئسوا أن يغلبوه ويطلبوه، ونزلت بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع، فذلك هو اليوم المذكور لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين، ويحتمل أن يكون الزمان الحاضر لا اليوم بعينه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذا الإكمال يحتمل أن يكون بالنصر والظهور أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ راجع إلى المحرّمات المذكورة قبل هذا، أباحها الله عند الاضطرار ﴿في مَخْمَصَةٍ﴾ في مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ هذا بمعنى غير باغٍ ولا عَادٍ وقد تقدّم في البقرة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قام مقام فلا جناح عليه، وتضمن زيادة الوعد ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ سببها أن المسلمين سألوا رسول الله ﷺ عمّا يحلّ لهم من المأكل وقيل لما أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، سألوه ماذا يحلّ لنا من الكلاب فنزلت مبيّنة للصيد بالكلاب ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ هي عند مالك الحلال، وذلك مما لم يرد تحريمه في كتاب ولا سُنّة وعند الشافعي الحلال المستلذ، فحرّم كل مستقذر كالخنافس وشبهها لأنها من الخبائث ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الجَوَارِحِ﴾ عطف على الطيّبات على حذف مضاف تقديره وصيد ما علّمتم، أو مبتدأ وخبره فكلوا مما أمسكن عليكم وهذا أحسن، لأنه لا خلاف فيه، والجوارح هي الكلاب ونحوها مما يصطاد به وسُمّيت جوارح لأنها كواسب لأهلها، فهو من الجرح بمعنى الكسب ولا خلاف في جواز الصيد بالكلاب، واختلف فيمن سواها وذهب الجمهور الجواز للأحاديث الواردة في البازات وغيرها، ومنع بعض ذلك لقوله: ﴿مكلّبين﴾، فإنه مشتق من الكلب الكلب ونزلت الآية بسبب عديّ بن حاتم، كان له كلاب يصطاد بها، فسأل رسول الله ﷺ عمّا يحلّ من الصيد ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أي معلّمين للكلاب الاصطياد، وقيل معناه أصحاب كلاب وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل في علمتم ويقتضي قوله علمتم ومكلبين أنه لا يجوز الصيد إلاّ بجارح معلّم، لقوله وما علّمتم وقوله مكلبين على القول الأول لتأكيده ذلك

﴿مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٤ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾

بقوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾، وحدّ التعليم عند ابن القاسم أن يعلم الجارح الإشلاء والزجر، وقيل الإشلاء خاصّة، وقيل الزجر خاصّة، وقيل أن يجيب إذا دعى ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ أي تعلّمونهنّ من الحيلة في الاصطياد وتأتي تحصيل الصيد، وهذا جزء مما علّمه الله الإنسان، فمن للتبعيض، ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية والجملة في موضع الحال أو استئناف ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ الأمر هنا للإباحة ويحتمل أن يريد مما أمسكن، سواء أكلت الجوارح منه أو لم تأكل، وهو ظاهر إطلاق اللفظ، وبذلك أخذ مالك، ويحتمل أن يريد مما أمسكن ولم يأكل منه، وبذلك فسّره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: «فإن أكل منه فلا تأكل؛ فإنه إنما أمسك على نفسه»، وقد أخذ بهذا بعض العلماء، وقد ورد في حديث آخر إذا أكل فكل، وهو حجّة لمالك ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هذا أمر بالتسمية على الصيد، ويجري الذبح مجراه، وقد اختلف الناس في حكم التسمية، فقال الظاهرية إنها واجبة حملاً للأمر على الوجوب، فإن تركت التسمية عمدًا أو نسيانًا لم تؤكل عندهم وقال الشافعي أنها مستحبة، حملاً للأمر على الندب وتؤكل عنده، سواء تركت التسمية عمدًا أو نسيانًا، وجعل بعضهم الضمير في عليه عائدًا على الأكل فليس فيها على هذا أمر بالتسمية على الصيد ومذهب مالك أنه إن تركت التسمية عمدًا لم تؤكل، وإن تركت نسيانًا أكلت فهي عنده واجبة مع الذكر، ساقطة مع النسيان ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ معنى حلّ: حلال، والذين أُوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى، واختلف في نصارى بني تغلب من العرب، وفيمن كان مسلمًا ثم ارتدّ إلى اليهودية أو النصرانية، هل يحلّ لنا طعامهم أم لا، ولفظ الآية يقتضي الجواز لأنهم من أهل الكتاب، واختلف في المجوس والصابئين، هل هم أهل كتاب أم لا؟ وأما الطعام، فهو على ثلاثة أقسام أحدها الذبائح وقد اتفق العلماء على أنها مُرادة في الآية، فأجازوا كل ذبائح اليهود والنصارى، واختلفوا فيما هو محرّم عليهم في دينهم، هل يحلّ لنا أم لا على ثلاثة أقوال: الجواز، والمنع، والكراهة، وهذا الاختلاف مبني على هل هو من طعامهم أم لا فإن أريد بطعامهم ما ذبحوه جاز، وإن أُريد به ما يحلّ لهم منع، والكراهة توسّط بين القولين القسم الثاني ما لا محاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جائز لنا باتفاق، والثالث ما فيه محاولة: كالخبز، وتعصير الزيت، وعقد الجبن وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه، فمنعه ابن عباس

مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ

لأنه رأى أن طعامهم هو الذبائح خاصّة، ولأنه يمكن أن يكون نجسًا، وأجازه الجمهور، لأنه رأوه داخلاً في طعامهم، هذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملاً، فأما إذا تحققنا استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة، فلا يجوز أصلاً وقد صنّف الطرطوشي في تحريم جبن النصارى، وقال إنه ينجس البائع والمشتري والآلة، لأنهم يعقدونه بأنفحة الميتة، ويجري مجرى ذلك الزيت إذا علمنا أنهم يجعلونه في ظروف الميتة **﴿وطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾** هذه إباحة للمسلمين أن يطعموا أهل الكتاب من طعامهم **﴿والمُحْصَنَاتُ﴾** عطف على الطعام المحلّل، وقد تقدّم أن الإحصان له أربعة معانٍ: الإسلام، والتزوّج، والعفّة، والحرية. فأما الإسلام فلا يصحّ هنا لقوله من **﴿الَّذِينَ أُوتوا الْكِتَابَ﴾**، وأما التزوّج فلا يصحّ أيضًا لأن ذات الزوج لا تحلّ لغيره، ويحتمل هنا العفّة والحرية، فمَن حمله على العفّة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواء كانت حرّة أو أمَة، ومَن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرّة ومنع الأمَة، وهو مذهب مالك، ولا تعارض بين هذه الآية. وبين قوله: ﴿وَلاَ تَنْكِحُوا المُشرِكَات﴾ [البقرة: ٢٢١] لأن هذه في الكتابيات، والأخرى في المشركات، وقد جعل بعض الناس هذه ناسخة لتلك، وقيل بالعكس، وقد تقدّم ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤، والطلاق: ٦] ومعنى الأخدان **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلى الصَّلاَةِ﴾** الآية: نزلت في غزوة المريسيع، حين انقطع عقد عائشة رضي الله عنها، فأقام الناس على التماسه وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فنزلت الرخصة في التيمّم، فقال أسيد بن حضير ما هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر، ولذلك سُمّيت الآية آية التيمّم، وقد كان الوضوء مشروعًا قبلها، ثابتًا بالسُّنّة، وقوله: **﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ﴾** معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤوا ويقتضي ظاهرها وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة ومذهب الجمهور أنه لا يجب، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال: الأول أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله ﷺ إذ صلّى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد، والثاني أن ما تقتضيه الآية من التجديد يحمل على الندب، والثالث أن تقديرها إذا قمتم محدثين فإنما يجب على مَن أحدث، والرابع أن تقديرها إذا قمتم من النوم **﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى المَرَافِقِ﴾** ذكر في

وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ

هذه الآية. أربعة أعضاء اثنين محدودين، وهما اليدان والرجلان واثنين غير محدودين وهما الوجه والرأس أما المحدودان فتغسل اليدان إلى المرفقين، والرجلان إلى الكعبين وجوبًا بإجماع، فإن ذلك هو الحدّ الذي جعل الله لهما، واختلف هل يجب غسل المرفقين مع اليدين، وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا، وذلك مبني على معنى إلى، فمَن جعل إلى بمعنى مع في قوله إلى المرافق وإلى الكعبين أوجب غسلهما ومَن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما؛ واختلف في الكعبين، هل هما اللذان عند معقد الشراك أو العظمان الناتئان في طرف الساق، وهو أظهر لأنه ذكرهما بلفظ التثنية، ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق، لأنه على ذلك في كل رجل كعب واحد وأما غير المحدودين، فاتفق على وجوب إيعاب الوجه. وحدّه طولاً من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية، وحدّه عرضًا من الأُذُن إلى الأُذُن وقيل من العذار إلى العذار، وأما الرأس، فمذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه، ومذهب كثير من العلماء جواز الاقتصار على بعضه، لما ورد في الحديث أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مسح على ناصيته، ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يجزىء على أقوال كثيرة ﴿**وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ**﴾ اختلف في هذه الباء فقال قوم إنها للتبعيض وبنوا على ذلك جواز مسح بعد الرأس، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية وقال القرافي إنها باء الاستعانة التي تدخل على الآلات وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤوسكم، وهذا ضعيف لأن الرأس على هذا ما مسح لا ممسوح، وذلك خلاف المقصود، وقيل إنها زائدة وهو ضعيف، لأن هذا ليس موضع زيادتها والصحيح عندي أنها باء الإلصاق التي توصل الفعل إلى مفعوله لأن المسح تارة يتعدّى بنفسه، وتارة بحرف الجرّ: كقوله: ﴿**فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ**﴾، وكقوله: ﴿**فَطَفِقَ مَسْحًا** بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] ﴿**وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ**﴾ قرىء وأرجلكم بالنصب عطفًا على الوجوه والأيدي فيقتضي ذلك وجوب غسل الرجلين، وقرىء بالخفض فحمله بعضهم على أنه عطف على قوله برؤوسكم، فأجاز مسح الرجلين، رُوِيَ ذلك عن ابن عباس، وقال الجمهور لا يجوز مسحهما بل يجب غسلهما وتأوّلوا قراءة الخفض بثلاثة تأويلات أحدها أنه خفض على الجوار لا على العطف والآخر أنه يراد به المسح على الخُفّين، والثالث أن ذلك منسوخ بالسُّنّة. والفرق بين الغسل والمسح أن المسح إمرار اليدين بالبلل الذي يبقى من الماء، والغسل عند مالك إمرار اليد بالماء، وعند الشافعي إمرار الماء، وإن

أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم

لم يدلك باليد ﴿**وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ**﴾ تقدّم الكلام على نظيرتها في النساء ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيجعلَ عَلَيْكُم من حَرَجٍ**﴾ أي من ضيق ولا مشقّة كقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «دين الله يُسر»، وباقي الآية تفضّل من الله على عباده ورحمة وفي ضمن ذلك ترغيب في الطهارة وتنشيط عليها ﴿**وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ**﴾ هو ما وقع في بيعة العقبة وبيعة الرضوان، وكل موطن قال المسلمون فيه سمعنا وأطعنا ﴿**كُونُوا قَوَّامِينَ**﴾ تقدّم الكلام على نظيرتها في النساء ﴿**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ**﴾ أي لا يحملنّكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ﴿**إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ**﴾ في سببها أربعة أقوال: الأول أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير من اليهود، فهمّوا أن يصبوا عليه صخرة يقتلونه بها، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان ويقوّي هذا القول ما ورد في الآيات بعد هذا في غدر اليهود، والثاني أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سلّ السيف على رسول الله ﷺ حين وجده في سفر وهو وحده وقال له مَن يمنعك منّي قال الله فأغمد السيف وجلس واسمه غورث بن الحارث الغطفاني، والثالث أنها فيما هم به الكفّار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف، والرابع أنها على الإطلاق في دفع الله الكفّار عن المسلمين ﴿**اثْنَى عَشَرَ نَقِيبًا**﴾ النقيب هو كبير القوم القائم بأمورهم ﴿**إِنِّي مَعَكُمْ**﴾ أي بنصري، والخطاب لبني إسرائيل، وقيل للنقباء

بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ﴾ اختلف هل أُريد تحريف الألفاظ أو المعاني ﴿وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي على خيانة فهو مصدر كالعاقبة، وقيل على طائفة خائنة، وهو إخبار بأمر مستقبل ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف والجزية ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ أي ادّعوا أنهم أنصار الله، وسمّوا أنفسهم بذلك ثم كفروا بالله ووصفوه بما لا يليق به، وتتعلق من الذين بأخذنا ميثاقهم والضمير عائد على النصارى ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أي أثبتنا وألصقنا، وهو مأخوذ من الإغراء.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ في الموضعين يعم اليهود والنصارى وقيل إنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة فإنهم كانوا يذكرون رسول الله ﷺ، ويصفونه بصفته فلما حلّ بالمدينة كفروا به ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني محمدًا ﷺ، وفي الآية دلالة على صحة نبوّته لأنه بيّن لهم ما أخفوه مما في كتبهم، وهي أي لم يقرأ كتبهم ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ أي يتركه ولا يفضحكم فيه ﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ محمد ﷺ والقرآن ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾

وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا

الآية: ردّ على الذين قالوا إن الله هو عيسى، وهم فرقة من النصارى **﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾** إشارة إلى خلقه عيسى من غير والد **﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ والنَّصَارى﴾** أي قالت كل فرقة عن نفسها إنهم أبناء الله وأحباؤه والبنوّة هنا بنوّة الحنان والرأفة، وقال الزمخشري المعنى: نحن أشياع أبناء الله عندهم، وهما المسيح وعزير كما يقول حشم الملوك نحن الملوك **﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾** ردّ عليه، لأنهم قد اعترفوا أنهم يدخلون النار أيامًا معدودات، وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحبّ لا يعذّب حبيبه، ففي ذلك بشارة لمَن أحبّه الله **﴿وَجَعَلَكُم مُلُوكًا﴾** قيل جعل منكم ملوكًا أي أمراء، وقيل الملك مَن له مسكن وامرأة وخادم **﴿مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾** قيل يعني المنّ والسلوى والغمام وغير ذلك من الآيات، وعلى هذا يكون العالمين خاصًا بأهل زمانهم، لأن أمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أُوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم، وقيل المراد كثرة الأنبياء، فعلى هذا يكون عامًا، لأن الأنبياء في بني إسرائيل أكثر منهم في سائر الأمم **﴿الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ﴾** أرض بيت المقدس، وقيل الطور، وقيل دمشق **﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾** أي قضى أن تكون لكم **﴿وَلاَ تَرْتَدُوا على أَدْبَارِكُمْ﴾** يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة والرجوع إلى الطريق الذي جاؤوا منه فإنه رُوِيَ أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبّارين الذين فيها، وهمّوا أن يقدّموا على أنفسهم رئيسًا ويرجعوا إلى مصر **﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾** هم العمالقة **﴿قَالَ رَجُلاَنِ﴾** هما يوشع وكالب **﴿يَخافُونَ﴾** أي يخافون الله، وقيل يخافون الجبّارين، ولكن الله أنعم عليهما بالصبر والثبوت لصدق إيمانهما **﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾** أي باب المدينة

دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا

﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ إفراط في العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله، وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ولكن نقول لك اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ﴿لاَ أَمْلِكُ إلاّ نَفْسِي وَأَخِي﴾ قاله موسى عليه السلام ليتبرأ إلى الله من قول بني إسرائيل ويبذل جهده في طاعة الله ويعتذر إلى الله وإعراب أخي عطف على نفسي لأن أخاه هارون كان يطيعه، وقيل عطف على الضمير في لا أملك: أي لا أملك أنا إلاّ نفسي ولا يملك أخي إلاّ نفسه، وقيل مبتدأ، وخبره محذوف أي أخي لا يملك إلا نفسه ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا﴾ أي فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة، وقيل افصل بيننا وبينهم بحكم ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الضمير في قال لله تعالى، وحرّم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة وتركهم في هذه المدّة يتيهون في الأرض أي في أرض التّيه وهو ما بين مصر والشام حتى مات كلّ مَن قال: ﴿إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا﴾. ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلاّ يوشع وكالب ومات هارون في التّيه ومات موسى بعده في التّيه أيضًا. وقيل إن موسى وهارون لم يكونا في التّيه، لقوله: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، وخرج يوشع ببني إسرائيل بعد الأربعين سنة، وقاتل الجبّارين، وفتح المدينة، والعامل في أربعين: محرّمة على الأصح، فيجب وصله معه وقيل العامل فيه يتيهون فعلى هذا يجوز الوقف على قوله: ﴿مُحَرّمة عَلَيهم﴾، وهذا ضعيف لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا مع أن القول الأوّل أكمل معنًى لأنه بيان لمدّة التحريم والتّيه ﴿يَتِيهُونَ﴾ أي يتحيرون، ورُوِيَ أنهم كانوا يسيرون الليل كله، فإذا أصبحوا وجدوا أنهم في الموضع الذي كانوا فيه ﴿فَلاَ تَأْسَ﴾ أي لا تحزن والخطاب لموسى، وقيل لمحمد ﷺ، ويراد بالفاسقين مَن كان في عصره من اليهود ﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾ هما قابيل وهابيل ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ رُوِيَ أن قابيل كان صاحب زرع فقرّب أرذل زرعه، وكان هابيل صاحب غنم فقرّب أحسن كبش عنده، وكانت العادة حينئذ أن يقرّب

يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ

الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلّي، فإذا نزلت نار من السماء وأكلت القربان فذلك دليل على القبول وإلاّ فلا قبول، فنزلت النار فأخذت كبش هابيل ورفعته وتركت زرع قابيل فحسده قابيل فقتله **﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** استدلّ بها المعتزلة وغيرهم على أن صاحب المعاصي لا يتقبل عمله، وتأوّلها الأشعرية بأن التقوى هنا يراد بها تقوى الشرك **﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَى يَدَكَ﴾** الآية، قيل معناها لئن بدأتني بالقتال لم أبدأك به، وقيل إن بدأتني بالقتال لم أدافعك، ثم اختلف على هذا القول هل تركه لدفاعه عن نفسه تورّعًا وفضيلة؟ وهو الأظهر والأشهر، وكان واجباً عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه وهو قول مجاهد، وأما في شرعنا فيجوز دفع الإنسان عن نفسه بل يجب **﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ بِإِثْمِي وإِثْمِكَ﴾** الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة، وإنما هو تخيير في أهون الشرّين كأنه قال إن قتلتني، فذلك أحبّ إليّ من أن أقتلك كما ورد في الأثر كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل، وأما قوله: **﴿بِإِثْمِي وإِثْمِكَ﴾** فمعناه بإثم قتلي لك لو قتلتك، وبإثم قتلك لي، وإنما يحمل القاتل الإثمين، لأنه ظالم، فذلك مثل قوله ﷺ: «المتسابّان ما قالا فهو على البادىء»، وقيل بإثمي: أي تحمل عني سائر ذنوبي، لأن الظالم تجعل عليه في القيامة ذنوب المظلوم، وبإثمك أي في قتلك لي، وفي غير ذلك من ذنوبك **﴿وذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾** يحتمل أن يكون من كلام هابيل، أو استئنافًا من كلام الله تعالى **﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾** الآية: رُوِيَ أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر، ثم جعل القاتل يبحث عن التراب ويواري الميت، وقيل بل كان غرابًا واحدًا يبحث ويلقي التراب على هابيل **﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾** أي عورته وخصّت بالذكر، لأنها أحقّ بالستر من سائر الجسد والضمير في أخيه عائد على ابن آدم، ويظهر من هذه القصة أن هابيل كان أول مَن دُفِنَ من بني آدم **﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا﴾** أصله يا ويلتي، ثم أبدل من الياء ألف وفتحت التاء وكذلك يا أسفي. ويا حسرتي **﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾** على ما وقع فيه من قتل أخيه، واختلف في قابيل هل كان كافرًا أو عاصيًا، والصحيح أنه لم يكن في تلك المدة كافرًا لأنه قصد التقرّب إلى الله بالقربان،

إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ

وأصبح هنا وفي الموضع عبارة عن جميع الأوقات لا مختصّة بالصباح ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ يتعلق بكتبنا، وقيل بالنادمين، وهو ضعيف ﴿كَتَبْنَا على بَني إسْرائيلَ﴾ أي فرضنا عليهم أو كتبناه في كتبهم ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ معناه من غير أن يقتل نفسًا يجب عليه القصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ﴾ يعني الفساد الذي يجب به القتل كالحرابة ﴿فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يتصوّر من ثلاث جهات إحداها القصاص، فإن القصاص في قاتل الواحد والجميع سواء. الثانية انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان، والثالثة الإثم والعذاب الأُخروي قال مجاهد: وعد الله قاتل النفس بجهنم والخلود فيها، والغضب واللعنة والعذاب العظيم، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك، وهذا الوجه هو الأظهر؛ لأن القصد بالآية: تعظيم قتل النفس والتشديد فيه لينزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كثواب إحياء الجميع لتعظيم الأمر والترغيب فيه وإحياؤها هو إنقاذها من الموت كإنقاذ الحريق أو الغريق وشبه ذلك وقيل بترك قتلها، وقيل بالعفو إذا وجب القصاص ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل. والمعنى تقبيح أفعالهم، وفي ذلك إشارة إلى ما همّوا به من قتل رسول الله ﷺ ﴿إِنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية: سببها عند ابن عباس أن قومًا من اليهود كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل، وقال جماعة نزلت في نفر من عكل وعرينة أسلموا ثم إنهم قتلوا راعي النبي ﷺ وأخذوا إبله ثم حكمها بعد ذلك في كل محارب، والمحاربة عند مالك هي حمل السلاح على الناس في بلد أو في خارج بلد، وقال أبو حنيفة لا يكون المحارب إلاّ خارج البلد، وقوله: ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾: تغليظ ومبالغة، وقال بعضهم تقديره يحاربون رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم وذلك ضعيف، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر بعد ذلك وقيل يحاربون عباد الله وهو أحسن ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾ بيان للحرابة وهي على درجات أدناها إخافة الطريق ثم أخذ المال ثم قتل النفس ﴿أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ الصلب مضاف إلى القتل وقيل يقتل ثم يصلب ليراه أهل الفساد فينزجروا، وهو قول أشهب، وقيل يصلب حيًا، ويقتل على الخشبة، وهو قول ابن قاسم ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ

﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ﴾

خِلاَفٍ﴾ معناه أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد: قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى، وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسغ، وقطع الرجل من المفصل، وذلك في الحرابة وفي السرقة **﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾** مشهور مذهب مالك أن ينفى من بلد إلى بلد آخر، ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته، وروى عنه مطرف أنه يسجن في البلد بعينه، وبذلك قال أبو حنيفة، وقيل يُنفَى إلى بلد آخر دون أن يُسجَن فيه، ومذهب مالك أن الإمام مُخَيَّر في المحارب بين أن يقتله ويصلبه، أو يقتله ولا يصلبه أو يقطع يده ورجله، أو ينفيه، إلاّ أنه قال إن كان قتل فلا بدّ من قتله، وإن لم يقتل، فالأحسن أن يأخذ فيه بأيسر العقاب، وقال الشافعي وغيره: هذه العقوبات مرتبة فَمَنْ قتل وأخذ المال قتل وصلب، ومَن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب، ومَن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله، ومَن أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ مالاً نفي، وحجّة مالك عطف هذه العقوبات بأو التي تقتضي التخيير **﴿خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾** هو العقوبة، وعذاب الآخرة النار وظاهر هذا أن العقوبة في الدنيا لا تكون كفّارة للمحارب، بخلاف سائر الحدود، ويحتمل أن يكون الخزي في الدنيا لمَن عُوقِبَ فيها، والعذاب في الآخرة لمَن لم يعاقب **﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾** قيل هي في المشركين وهو ضعيف، لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها، وقيل هي في المحاربين من المسلمين وهو الصحيح، وهم الذين جاءتهم العقوبات المذكورة، فمَن تابَ منهم قبل أن يقدر عليه، فقد سقط عنه حكم الحرابة لقوله: فاعلموا أن الله غفور رحيم واختلف يطالب بما عليه من حقوق الناس في الدماء والأموال أولاً؟ فوجه المطالبة بها أنها زائدة على حدّ الحرابة التي سقطت عنه بالتوبة، ووجه إسقاطها إطلاق قوله: **﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** **﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾** أي ما يتوسّل به ويتقرّب به إليه من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك **﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾** إن قيل لِمَ وحّد الضمير وقد ذكر شيئين وهما ما في الأرض ومثله؟ فالجواب أنه وضع المفرد في موضع الاثنين، وأجرى الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قال ليفتدوا بذلك، أو تكون الواو بمعنى مع **﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾** أي

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٩ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٠ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ﴾

دائم، وكذلك نعيم مقيم ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ عموم الآية يقتضي قطع كل سارق إلاّ أن الفقهاء اشترطوا في القطع شروطًا خصّصوا بها العموم، فمن ذلك مَن اضطره الجوع إلى السرقة لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له، وكذلك مَن سرق مال والده أو سيده، أو مَن سرق من غير حرز، أو سرق أقلّ من النصاب، وهو عند مالك ربع دينار من الذهب، أو ثلاثة دراهم من الفضة، أو ما يساوي أحدهما، وأدلّة التخصيص بهذه الأشياء في غير هذه الآية، وقد قيل إن الحرز مأخوذ من هذه الآية، لأن ما أهمل بغير حرز أو ائتمن عليه، فليس أخذه سرقة وإنما هو اختلاس أو خيانة، وإعراب السارق عند سيبويه مبتدأ، وخبره محذوف: كأنه قال فيما يُتْلَى عليكم السارق والسارقة، والخبر عند المبرّد وغيره فاقطعوا أيديهما، ودخلت الفاء لتضمّنها معنى الشرط ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ الآية: توبة السارق هو أن يندم على ما مضى، ويُقلِع فيما يستقبل، ويردّ ما سرق إلى مَن يستحقه، واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم، هل يسقط عنه القطع وهو مذهب الشافعي لظاهر الآية؟ أو لا يسقط عنه وهو مذهب مالك لأن الحدود عنده لا تسقط بالتوبة إلاّ عن المحارب للنص عليه ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاء﴾ قدّم العذاب على المغفرة لأنه قوبل بذلك تقدّم السرقة على التوبة.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ الآية: خطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ هم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ يحتمل أن يكون عطفًا على الذين قالوا آمنّا، ثم يكون سمّاعون استئناف إخبار عن الصنفين المنافقين واليهود، ويحتمل أن يكون من الذين هادوا: استئنافًا منقطعًا مما قبله، وسمّاعون راجع إليهم خاصة ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أي سمّاعون كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي ﷺ لإفراط البغضة والمجاهرة بالعداوة، فقوله: ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ صفة لقوم آخرين، والمراد بالقوم الآخرين يهود

مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُولَٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا

خيبر، والسمّاعون للكذب بنو قريظة ﴿**يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ**﴾ أي يبدّلونه من بعد أن يوضع في موضعه، وقصدت به وجوهه القويمة، وذلك من صفة اليهود ﴿**يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ**﴾ نزلت بسبب أن يهوديًا زنى بيهودية فسأل رسول الله ﷺ اليهود عن حدّ الزاني عندهم فقالوا نجلدهما ونحمم وجوههما. فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن في التوراة الرجم»، فأنكروا ذلك، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرؤوها، فجعل أحدهم يده على آية الرجم، فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع، فإذا آية الرجم فأمر رسول الله ﷺ باليهودي واليهودية فرجما، فمعنى قولهم: ﴿**إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ**﴾ إن أوتيتم هذا الذي ذكرتم من الجلد والتحميم ﴿**فَخُذُوهُ**﴾ واعملوا به، ﴿**وَإِنْ لَّمْ تُؤْتَوْهُ**﴾ وأفتاكم محمد ﷺ بغيره ﴿**فَاحْذَرُوا**﴾ ﴿**فِتْنَتَهُ**﴾ أي ضلالته في الدنيا أو عذابه في الآخرة ﴿**فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**﴾ الذلّة والمسكنة والجزية ﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ**﴾ إن كان الأول في اليهود فكرّرها هنا تأكيدًا، وإن كان الأول في المنافقين واليهود فهذا في اليهود خاصّة ﴿**أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**﴾ أي للحرام من الرشوة والربا وشبه ذلك ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾ هذا تخيير للنبي ﷺ في أن يحكم بين اليهود أو يتركهم وهو أيضًا يتناول الحاكم، وقيل إنه منسوخ بقوله: ﴿**وَأَنْ احْكُم بَيْنَهم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾ ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ**﴾ الآية: استبعاد لتحكّمهم النبي ﷺ وهم لا يؤمنون به، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التي يدعون الإيمان بها، فمعنى ثم يتولّون من بعد ذلك أي يتولّون عن اتّباع حكم الله في التوراة من بعد كون حكم الله فيها موجودًا عندهم ومعلومًا في قضية الرجم وغيرها ﴿**وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**﴾ يعني أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عليه السلام، وهذا إلزام لهم لأن مَن خالف كتاب الله وبدله فدعواه الإيمان به باطلة ﴿**النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا**﴾ هم الأنبياء الذين بين موسى ومحمد ﷺ، ومعنى

﴿ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ﴾

أسلموا هنا أخلصوا لله وهو صفة مدح أريد به التعريض باليهود لأنهم بخلاف هذه الصفة، وليس المراد هنا الإسلام الذي هو ضدّ الكفر؛ لأن الأنبياء لا يقال فيهم أسلموا على هذا المعنى، لأنهم لم يكفروا قطّ، وإنما هو كقول إبراهيم عليه السلام: أسلمت لربّ العالمين، وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠] ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ متعلق بيحكم أي يحكم الأنبياء بالتوراة للذين هادوا، ويحملونهم عليها، ويتعلق بقوله فيها هدىً ونور ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ أي كُلِّفوا حفظه، والباء هنا سببية قاله الزمخشري، ويحتمل أن تكون بدلاً من المجرور في قوله يحكم بها ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ وما بعده خطابًا لليهود، ويحتمل أن تكون وصية للمسلمين يراد بها التعريض باليهود، لأن ذلك من أفعالهم ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس نزلت الثلاثة في اليهود: الكافرون، والظالمون، والفاسقون، وقد رُوِيَ في هذا أحاديث عن النبي ﷺ، وقال جماعة هي عامّة في كل مَن لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم، إلاّ أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان، وقال الشافعي: الكافرون في المسلمين، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ كتبنا بمعنى الكتابة في الألواح، أو بمعنى الفرض والإلزام، والضمير في عليهم لبني إسرائيل، وفي قوله فيها للتوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي تقتل النفس إذا قتلت نفسًا، وهذا إخبار عمّا في التوراة وهو حكم في شريعتنا بإجماع، إلاّ أن هذا اللفظ عامّ، وقد خصّص العلماء منه أشياء، فقال مالك: لا يقتل مؤمن بكافر للحديث الوارد في ذلك ولا يقتل حرّ بعبد، لقوله الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد، وقد تقدّم الكلام على ذلك في البقرة ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ وما بعده حكم القصاص في الأعضاء، والقراءة بنصب العين وما بعده عطف على النفس، وقرىء بالرفع ولها ثلاثة أوجه: أحدها العطف على موضع النفس لأن المعنى قلنا لهم النفس بالنفس والثاني العطف على الضمير الذي في الخبر وهو بالنفس، والثالث أن يكون مستأنفًا مرفوعًا بالابتداء ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ بالنصب عطف على المنصوبات قبله، وبالرفع على الأوجه الثلاثة التي في رفع العين، وهذا اللفظ عامّ يُراد به الخصوص في الجراح التي لا

ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ

يخاف على النفس منها ﴿**فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ**﴾ فيه تأويلان: أحدهما مَن تصدّق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه، فذلك كفّارة له يكفّر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقّه، والثاني مَن تصدّق وعفا فهو كفّارة للقاتل والجارح بعفو الله عنه في ذلك لأن صاحب الحق قد عفا عنه، فالضمير في له على التأويل الأوّل يعود على من التي هي كناية عن المقتول أو المجروح، أو الولي، وعلى الثاني يعود على القاتل أو الجارح وإن لم يجر له ذكر ولكن سياق الكلام يقتضيه، والأوّل أرجح لعود الضمير على مذكور، وهو من، ومعناها واحد على التأويلين، والصدقة بمعنى العفو على التأويلين، إلاّ أن التأويل الأول بيان لأجر مَن عفا، وترغيب في العفو، والتأويل الثاني: بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عفى عنه ﴿**مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ قد تقدّم معنى مصدّق في البقرة، ولما بين يديه: يعني التوراة، لأنها قبله، والقرآن مصدّق للتوراة والإنجيل، لأنهما قبله، ومصدّقًا: عطف على موضع قوله فيه هدىً ونور، لأنه في موضع الحال ﴿**وَمُهَيْمِنًا**﴾ ابن عباس شاهدًا، وقيل مؤتمنًا ﴿**عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ**﴾ تضمن الكلام معنًى لا تنصرف أو لا تنحرف، ولذلك تعدّى بعن ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ ابن عباس سبيلاً وسُنّة، والخطاب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو الأمم، والمعنى أن الله جعل لكل أمة شريعة يتبعونها، وقد استدلّ بها مَن قال إن شرع مَن قبلنا ليس بشرع لنا، وذلك في الأحكام والفروع، وأما الاعتقاد، فالدين فيها واحد لجميع العالم، وهو الإيمان بالله، وتوحيده وتصديق رسله، والإيمان بالدار الآخرة ﴿**فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ**﴾ استدلّ به قوم على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها، وهذا متّفق عليه في العبادات كلها، إلاّ الصلاة ففيها خلاف، فمذهب الشافعي أن تقديمها في أوّل وقتها أفضل، وعكس أبو حنيفة، وفي مذهب مالك خلاف وتفصيل، واتفقوا أن تقديم

أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ

المغرب أفضل **﴿وأنِ احْكُم بَيْنَهُم﴾** عطف على الكتاب في قوله: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾**، أو على الحق في قوله: **﴿بِالْحَقِّ﴾**، وقال قوم إن هذا وقوله قبله فاحكم بينهم ناسخ لقوله: فاحكم بينهم أو أعرض عنهم: أي ناسخ للتخيير الذي في الآية، وقيل إنه ناسخ للحكم بالتوراة، ونزلت الآية بسبب قوم من اليهود، طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم فأبى من ذلك، ونزلت الآية تقضي أن يحكم بينهم **﴿أَفَحُكْمُ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾** توبيخ لليهود، وقرىء بالياء إخبارًا عنهم، وبالتاء خطابًا لهم **﴿لِّقَوْمِ يُوقِنُونَ﴾** قال الزمخشري اللام للبيان: أي هذا الخطاب لقوم يوقنون، فإنهم الذين يتبين لهم أنه لا أحسن من الله حكمًا **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَى أوْلِيَاءُ﴾** سببها موالاة عبد الله بن أُبيّ ابن سلول ليهود بني قينقاع، وخلع عبادة بن الصامت الحلف الذي كان بينه وبينهم، ولفظها عامّ، وحكمها باقٍ، ولا يدخل فيه معاملتهم في البيع والشراء وشبهه **﴿فَإِنَّهُ مِنهُمْ﴾** تغليظ في الوعيد، فمَن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه ومَن خالفهم في اعتقادهم وأحبّهم فهو منهم في المقت عند الله، واستحاق العقوبة **﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾** هم المنافقون والمراد هنا عبد الله بن أُبيّ ابن سلول ومَن كان معه **﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾** كان عبد الله بن أُبيّ يوالي اليهود ويستكثرهم، ويقول إني رجل أخشى الدوائر **﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾** الفتح هنا هو ظهور النبي ﷺ والمسلمين، والأمر من عنده: فهو هلاك الأعداء بأمراض عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق، أو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل اليهود **﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾** الضمير في فيصبحوا للمنافقين والذي أسروه هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين وإضمار العداوة للمسلمين **﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** قرىء يقل بغير واو استئناف وإخبار، وقرىء بالواو والرفع وهو عطف جملة على جملة، وبالواو والنصب عطفًا على أن يأتي

إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ

الله، أو عطفًا على فيصبحوا **﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا﴾** الإشارة إلى المنافقين، لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين، وانتصب جهد أيمانهم على المصدر المؤكد **﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾** يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين، أو من كلام الله، ويحتمل أن يكون دعاء أو خبر **﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾** خطاب على وجه التحذير والوعيد، وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه، ثم وقع فارتدّ في حياة رسول الله ﷺ بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، وبنو مدلج الأسود العنسي الذي ادّعى النبوّة، وقتل في حياة رسول الله ﷺ وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذي ادّعى النبوّة ثم أسلم وجاهد، ثم كثر المرتدّون، وفشا أمرهم بعد موت رسول الله ﷺ، حتى كفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وكانت القبائل التي ارتدّت بعد وفاة رسول الله ﷺ سبع قبائل بنو فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وكندة، وبنو بكر بن وائل، وبعض بني تميم، ثم ارتدّت غسان في زمان عمر بن الخطاب، وهم جبلة بن الأيهم الذي تنصّر من أجل اللطمة **﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾** رُوِيَ أن رسول الله ﷺ قرأها، وقال: «هم قوم هذا» يعني أبا موسى الأشعري، والإشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن، لأن الأشعريين من أهل اليمن، وقيل المراد أبي بكر الصدّيق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردّة ويقوّي ذلك ما ظهر من أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه من الجدّ في قتالهم، والعزم عليه حين خالفه في ذلك بعض الناس، فاشتدّ عزمه حتى وافقوه وأجمعوا عليه فنصرهم الله على أهل الردّة، ويقوّي ذلك أيضًا أن الصفات التي وصف بها هؤلاء القوم هي أوصاف أبي بكر، ألا ترى قوله: **﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** وكان أبو بكر ضعيفًا في نفسه قويًا في الله، وكذلك قوله: **﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾**: إشارة إلى مَن خالف أبا بكر ولامه في قتال أهل الردّة فلم يرجع عن عزمه **﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾** كقوله أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم، وإنما تعدّى أذلّة بعلى، لأنه تضمن معنى العطف والحنوّ، فإن قيل: أين الراجع من الجزاء إلى الشرط؟ فالجواب: أنه محذوف تقديره مَن يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم يقاتلونهم **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾** ذكر الوليّ بلفظ المفرد إفرادًا لله تعالى بهما ثم عطف على اسمه تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قال

يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ

إنما أولياؤكم لم يكن في الكلام أصل وتبع ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ قيل نزلت في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه سأله سائل وهو راكع في الصلاة، فأعطاه خاتمه، وقيل هي عامة، وذكر الركوع بعد الصلاة لأنه من أشرف أعمالها، فالواو على القول الأول واو الحال، وعلى الثاني للعطف ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر: معناه فإنهم هم الغالبون ﴿وَالْكُفَّارَ﴾ بالنصب عطف على الذين اتخذوا، وقرىء بالخفض عطف على الذين أُوتوا الكتاب، ويعضده قراءة ابن مسعود: ومن الكفار، ويراد بهم المشركون من العرب ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية: رُوِيَ أن رجلاً من النصارى كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أنّ محمدًا رسول الله قال: حرق الله الكاذب، فوقعت النار في بيته فاحترق هو وأهله، واستدلّ بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ جعل قلّة عقولهم علّة لاستهزائهم بالدين ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾ هل تعيبون علينا وتنكرون منّا إلاّ إيماننا بالله، ويجمع كتبه ورسله، وذلك أمر لا يُنكَر ولا يُعاب، ونظير هذا في الاستثناء العجيب قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

ونزلت الآية بسبب أبي ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وجماعة من اليهود سألوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الرسل الذي يؤمن بهم فتلا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ إلى آخر الآية، فلما ذكر عيسى قالوا لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ قيل إنه معطوف على آمنّا، وقيل على ما أنزل، وقيل هو تعليل معطوف على تعليل محذوف تقديره هل تنقمون منا إلاّ لقلّة إنصافكم ولأنّ أكثركم فاسقون ويحتمل أن يكون وأنّ أكثركم مبتدأ وخبره محذوف تقديره فسقكم معلوم، أو ثابت ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ لما ذكر أنّ أهل الكتاب يعيبون المسلمين بالإيمان بالله ورسله ذكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك ردًا عليهم، فالخطاب في أنبئكم لليهود، والإشارة بذلك إلى ما

مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا

تقدّم من حال المؤمنين **﴿مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾** هي من الثواب ووضع الثواب موضع العقاب تهكمًا بهم نحو قوله: فبشرهم بعذاب أليم **﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾** يعني اليهود ومن في موضع رفع بخبر مبتدأ مضمر تقديره هو من لعنه الله، أو في موضع خفض على البدل من بشرّ، ولا بدّ في الكلام من حذف مضاف تقديره بشرّ من أهل ذلك وتقديره دين من لعنه الله **﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ والخَنَازِيرَ﴾** مسخ قوم من اليهود قرودًا حين اعتدوا في السبت، ومسخ قوم منهم خنازير حين كذبوا بعيسى ابن مريم **﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾** القراءة بفتح الباء فعل معطوف على لعنه الله، وقرىء بضم الباء وخفض الطاغوت على أن يكون عبد اسمًا على وجه المبالغة كيقظ أضيف إلى الطاغوت، وقرىء وعابد وعباد، وهو في هذه الوجوه عطف على القردة والخنازير **﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾** أي منزلة ونسب الشرّ للمكان وهو في الحقيقة لأهله، وذلك مبالغة في الذمّ **﴿وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾** نزلت في منافقين من اليهود **﴿وَقَدْ دَّخَلُوا بِالكُفْرِ﴾** تقديره ملتبسين بالكفر، والمعنى دخلوا كفّارًا وخرجوا كفّارًا، ودخلت قد على دخلوا وخرجوا: تقريبًا للماضي من الحال أي ذلك حالهم في دخولهم وخروجهم على الدوام **﴿فِي الإِثْمِ﴾** الكذب وسائر المعاصي **﴿والعُدْوَانِ﴾** الظلم **﴿السُّحْتَ﴾** الحرام **﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ﴾** عرض وتحضيض وتقريع **﴿لَبِئْسَ﴾** اللام في الموضعين للقسم **﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾** غلّ اليد كناية عن البخل وبسطها كناية عن الجود ومنه: ﴿وَلاَ تَجْعَل يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ [الإسراء: ٢٩]: أي لا تبخل كل البخل، ولا تبسطها كل البسط: أي لا تجد كل الجود، ورُوِيَ أنّ اليهود أصابتهم سنة جهد فقالوا هذه المقالة الشنيعة، وكان الذي قالها فنحاص، ونسبت إلى جملة اليهود، لأنهم رضوا بقوله **﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾** يحتمل أن يكون دعاءً أو خبرًا، ويحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة، فإن كان في الدنيا، فيحتمل أن يراد به البخل أو غلّ أيديهم في الأسر، وإن كان في الآخرة، فهو جعل الأغلال في جهنم **﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾** عبارة عن إنعامه وجوده، وإنما ثنّيت اليدان هنا وأفردت في قول اليهود: يد الله مغلولة، ليكون ردًّا عليهم ومبالغة في وصفه تعالى بالجود: كقول العرب فلان يعطي

وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ

بكلتا يديه إذا كان عظيم السخاء ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ**﴾ إيقاد النار عبارة عن محاولة الحرب، وإطفاؤها عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم، ويحتمل أن يراد بذلك أسلافهم، أو يراد مَن كان معاصرًا للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم منهم، ومَن يأتِ بعدهم، فيكون على هذا إخبار بغيب، وبشارة للمسلمين ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ آمَنُوا**﴾ الآية: يحتمل أن يراد أسلافهم والمعاصرون للنبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم، فيكون على هذا ترغيبًا لهم في الإيمان والتقوى ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإِنجِيلَ**﴾ إقامتها بالعلم والعمل؛ وذكر الإنجيل دليل على دخول النصارى في لفظ أهل الكتاب ﴿**لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم**﴾ قيل من فوقهم عبارة عن المطر، ومن تحت أرجلهم: عبارة عن النبات والزرع، وقيل ذلك استعارة في توسعة الرزق من كل وجه ﴿**أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ**﴾ أي معتدلة، ويراد به مَن أسلم منهم: كعبد الله بن سلام، وقيل مَن لم يعاد الأنبياء المتقدمين ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾ أمر بتبليغ جميع ما أُوحي إليه على الاستيفاء والكمال، لأنه كان قد بلغ وإنما أمر هنا ألاّ يتوقف عن شيء مخافة أحد ﴿**وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ، وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان: أحدهما أن المعنى إن تركت منه شيئًا، فكأنك لم تبلغ شيئًا، وصار ما بلغت لا يعتدّ به، فمعنى إن لم تفعل: إن لم تستوفِ التبليغ على الكمال، والآخر أن المعنى إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب مَن كتمها، ووضع السبب موضع المسبّب ﴿**واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ وعد وضمان للعصمة وكان رسول الله ﷺ يخاف أعداءه ويحترس منهم في غزواته وغيرها، فلما نزلت هذه الآية، قال يا أيها الناس انصرفوا فإن الله قد عصمني وترك الاحتراس ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ**﴾ الآية؛ أي لستم على دين يعتدُّ به يسمى شيئًا ﴿**حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ**﴾ ومن إقامتها الإيمان بمحمد صلّى الله تعالى عليه

وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ

وعلى آله وسلّم وقوله: ﴿**وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم**﴾ قال ابن عباس: يعني القرآن، ونزلت الآية بسبب رافع بن حارثة وسلام بن بشكم ورافع بن خزيمة وغيرهم من اليهود جاؤوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقالوا إنّا نتّبع التوراة ولا نتّبع غيرها، ولا نؤمن بك ولا نتّبعك ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا**﴾ تقدّم الكلام على نظيرتها في البقرة ﴿**والصَّابِئُونَ**﴾ قراءة السبعة بالواو وهي مشكلة حتى قالت عائشة: هي من لحن كتاب المصحف، وإعرابها عند أهل البصرة مبتدأ وخبره محذوف تقديره والصابئون كذلك وهو مقدّم في نيّة التأخير، وأجاز بعد الكوفيين أن يكون معطوفًا على موضع اسم إن، وقيل إن هنا بمعنى نعم وما بعدها مرفوع بالابتداء وهو ضعيف ﴿**وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ أي بلاء واختبار، وقرىء تكون بالرفع على أن تكون أن مخفّفة من الثقيلة، وبالنصب على أنها مصدرية ﴿**فَعَمُوا وَصَمُّوا**﴾ عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان ﴿**ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِم**﴾ قيل إن هذه التوبة ردّ ملكهم ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه، ثم أخرجوا المرة الثانية فلم ينجبر حالهم أبدًا، وقيل التوبة بعث عيسى عليه السلام، وقيل بعث محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿**كَثِيرٌ مِّنْهُمْ**﴾ بدل من الضمير أو فاعل على لغة أكلوني البراغيث والبدل أرجح وأفصح ﴿**وَقَالَ الْمَسِيحُ**﴾ الآية: ردّ على النصارى، وتكذيب لهم ﴿**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ يحتمل أن يكون من كلام المسيح، أو من كلام الله ﴿**مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ**

وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟

مَرْيَمَ إلاّ رَسُولٌ﴾ الآية: ردّ على مَن جعله إلهًا **﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾** أي بليغة الصدق في نفسها، أو من التصديق، ووصفها بهذه الصفة دون النبوّة يدفع قول مَن قال إنها نبيّة **﴿كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾** استدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء الذي لا يحتاج إليه إلاّ محدَث مفتقر، ومَن كان كذلك فليس بإله، لأن الإله مُنزّه عن صفة الحدوث، وعن كل ما يحلق البشر، وقيل إن قوله يأكلان الطعام: عبارة عن الاحتياج إلى الغائط، ولا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره، لأن الحجة قائمة بالوجهين **﴿ثُمَّ انظُرْ﴾** دخلت ثم لتفاوت الأمرين ولقصد التعجيب من كفرهم بعد بيان الآيات **﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾** الآية: إقامة حجة على مَن عبد عيسى وأمه وهما لا يملكان ضرًّا ولا نفعًا **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾** خطاب للنصارى والغلوّ الإفراط وسبب ذلك كفر النصارى **﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾** قيل هم أئمتهم في دين النصرانية كانوا على ضلال في عيسى وأضلّوا كثيرًا من الناس، ثم ضلّوا بكفرهم بمحمد ﷺ، وقيل هم اليهود، والأول أرجح لوجهين: أحدهما أن الضلال وصف لازم للنصارى ألا ترى قوله تعالى ولا الضالّين، والآخر أنه يبعد نهي النصارى عن اتّباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق **﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾** أي في الزبور والإنجيل **﴿لاَ يَتَنَاهَوْنَ﴾** أي لا ينهى بعضهم بعضًا **﴿عَن مُّنكَرٍ﴾** فإن قيل: لِمَ وصف المنكر بقوله فعلوه والنهي لا يكون بعد الفعل؟ فالجواب: أن المعنى لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر إن أرادوا فعله **﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾** إن أراد أسلافهم، فالرؤية بالقلب، وإن أراد المعاصرين للنبي ﷺ فاهو

يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا

الأظهر، فهي رؤية عين **﴿وَالنَّبِيّ وَمَا أُنزِلَ إليه﴾** يعني محمدًا ﷺ **﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾** يعني ما اتخذوا الكفّار أولياء **﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾** الآية: إخبار عن شدّة عداوة اليهود وعبدة الأوثان للمسلمين **﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾** الآية: إخبار أن النصارى أقرب إلى مودّة المسلمين، وهذا الأمر باقٍ إلى آخر الدهر فكل يهودي شديد العداوة للإسلام والكيد لأهله **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾** تعليل لقرب مودّتهم، والقسّيس العالم والراهب العابد **﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾** الآية: هي في النجاشي، وفي الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله ﷺ، وهو سبعون رجلاً، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن فبكوا كما بكى النجاشي حين قرأ عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه سورة مريم، وقال السهيلي: نزلت في وفد نجران، وكانوا نصارى عشرين رجلاً. فلما سمعوا القرآن بكوا **﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ﴾** من الأولى سببية والثانية بيان للجنس **﴿آمَنَّا﴾** أي بالقرآن من عند الله **﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾** أي مع المسلمين، وكذلك مع القوم الصالحين **﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾** توقيف لأنفسهم، أو محاجّة لغيرهم **﴿ونَطمع﴾** قال الزمخشري الواو للحال، وقال ابن عطية لعطف جملة على جملة لا لعطف فعل على فعل **﴿لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لكم﴾** سببها أن قومًا من الصحابة غلب عليهم خوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء، وبعضهم النوم بالليل، وبعضهم أكل اللحم، وهم بعضهم أن يختصّوا، أو يسيحوا في الأرض، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآتي النساء،

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ

فمَن رغب عن سُنّتي فليس منّي» **﴿وَلاَ تَعْتَدُوا﴾** أي لا تفرطوا في التشديد على أنفسكم أكثر مما شرع لكم **﴿وَكُلُوا﴾** أي تمتعوا بالمآكل الحلال، وبالنساء وغير ذلك، وإنما خصّ الأكل بالذكر، لأنه أعظم حاجات الإنسان **﴿بِاللَّغْوِ﴾** تقدّم في البقرة **﴿بِمَا عَقَّدْتُّمُ الأَيْمَانَ﴾** أي بما قصدتم عقده بالنيّة، وقرىء عقدتم بالتخفيف، وعاقدتم بالألف **﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾** اشتراط المسكنة دليل على أنه لا يجزي في الكفّارة إطعام غني، فإن أطعم جهلاً لم يجزيه على المشهور من المذهب، واشترط مالك أيضًا أن يكونوا أحرارًا مسلمين، وليس في الآية ما يدلّ على ذلك **﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾** اختلف في هذا التوسّط هل هو في القدر أو في الصنف، واللفظ يحتمل الوجهين، فأما القدر فقال مالك يطعم بالمدينة مدّ بمدّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وبغيرها وسط من الشبع، وقال الشافعي وابن القاسم: يجزي المدّ في كل مكان وقال أبو حنيفة إن غدّاهم وعشّاهم أجزأه، وأما الصنف فاختلف هل يطعم من عيش نفسه، أو من عيش أهل بلده؟ فمعنى الآية على التأويل الثاني من أوسط ما تطعمون أيها الناس أهليكم على الجملة، وعلى الأول يختصّ الخطاب بالكفر **﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾** قال كثير من العلماء يجزي ثوب واحد لمسكين، لأنه يقال فيه كسوة، وقال مالك إنما يجزي ما تصحّ به الصلاة، فللرجل ثوب واحد، وللمرأة قميص وخمار **﴿أو تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾** اشترط مالك فيها أن تكون مؤمنة لتقيدها بذلك في كفّارة القتل، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيّد، وأجاز أبو حنيفة هنا عتق الكافرة، لإطلاق اللفظ هنا، واشترط مالك أيضًا أن تكون سليمة من العيوب وليس في اللفظ ما يدلّ على ذلك **﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾** أي مَن لم يملك ما يعتق ولا ما يطعم ولا ما يكسو فعليه صيام ثلاثة أيام، فالخصال الثلاث على التخيير، والصيام مرتّب بعدها لمَن عدمها، وهو عند مالك مَن لم يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه زيادة **﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ﴾** معناه إذا حلفتم وخشيتم أو أردتم الحنث، واختلف هل يجوز تقديم الكفّارة على الحنث أم لا **﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾** أي احفظوها فبرّوا فيها، ولا تخشوا، وقيل: احفظوها بأن تكفّروها إذا حنثتم، وقيل احفظوها أي لا تنسو هاتها ونابها **﴿الْخَمْرُ والمَيْسِرُ﴾** ذكر في البقرة

﴿وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٩٢ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ﴾

﴿والأَنصَابُ والأَزْلَامُ﴾ مذكوران في أول هذه السورة **﴿رِجْسٌ﴾** هو في اللغة كل مكروه مذموم وقد يطلق بمعنى النجس وبمعنى الحرام وقال ابن عباس معنى رجس سخط **﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾** نص في التحريم والضمير يعود على الرجس الذي هو خبر عن جميع الأشياء المذكورة **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيطَانُ أَن يُوقِعَ بَينَكُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾** تقبيح للخمر والميسر، وذكر لبعض عيوبها، وتعليل لتحريمها، وقد وقعت في زمان الصحابة عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال إن ذلك كان سبب نزول الآية **﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾** توقيف يتضمن الزجر والوعيد ولذلك قال عمر لمّا نزلت: انتهينا انتهينا **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فِيمَا طَعِمُوا﴾** فيها تأويلان: أحدهما أنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة كيف بمَن مات منّا وهو يشربها، فنزلت الآية معلّمة أنه لا جُناح على مَن شربها قبل التحريم، لأنه لم يعصَ الله بشربها حينئذ، والآخر أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها، وعلى هذا أخذها عمر رضي الله عنه حين قال لقدامة: إنك إذا اتّقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، وكان قدامة قد شربها واحتجّ بهذه الآية على رفع الجناح عنه، فقال عمر: أخطأت التأويل **﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا﴾** الآية قيل كرّر التقوى مبالغة، وقيل الرتبة الأولى: اتّقاء الشرك، والثانية اتّقاء المعاصي، والثالثة: اتقاء ما لا بأس به حذرًا مما به البأس، وقيل الأولى للزمان الماضي والثانية للحال، والثالثة للمستقبل **﴿وأَحْسَنُوا﴾** يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس، أو الإحسان في طاعة الله وهو المراقبة، وهذا أرجح لأنه درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة: مقام الإسلام ثم مقام الإيمان ثم مقام الإحسان.

﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ أي يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام وفي الحرم وكان الصيد من معاش العرب ومستعملاً عندهم، فاختبروا

﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ

بتركه كما اختبر بنو إسرائيل بالحوت في السبت وإنما قلّله في قوله: بشيء من الصيد إشعارًا بأنه ليس من الفتن العظيمة، وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ قال مجاهد: الذي تناله الأيدي الفراخ والبيض وما لا يستطيع أن يفر والذي تناله الرماح كبار الصيد، والظاهر عموم هذا التخصيص ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ أي يعلمه علمًا تقوم به الحجة، وذلك إذا ظهر في الوجود ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ أي بقتل الصيد وهو محرم، والعذاب الأليم هنا في الآخرة ﴿لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُم حُرُمٌ﴾ معنى حرم داخلين في الإحرام وفي الحرم، والصيد هنا عامّ خصّص منه الحديث: الغراب والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور، وأدخل مالك في الكلب العقور كل ما يؤذي الناس من السّباع وغيرها، وقاس الشافعي على هذه الخمسة: كل ما لا يؤكل لحمه، ولفظ الصيد يدخل فيه ما صيد وما لم يصدّ مما شأنه أن يُصاد وورد النهي هنا عن القتل قبل أن يُصاد وبعد أن يُصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُم صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُم حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦] ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ مفهوم الآية يقتضي أن جزاء الصيد على المتعمّد لا على الناسي، وبذلك قال أهل الظاهر، وقال جمهور الفقهاء المتعمّد والناسي سواء في وجوب الجزاء، ثم اختلفوا في قوله متعمّدًا على ثلاثة أقوال: أحدها أن المتعمّد إنما ذكر ليُناط به الوعيد في قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾، إذ لا وعيد على الناسي، والثاني أنّ الجزاء على الناسي بالقياس على المتعمّد، والثالث أن الجزاء على المتعمّد ثبت بالقرآن وأن الجزاء على الناسي ثبت بالسُّنّة ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ المعنى فعليه جزاء، وقرىء بإضافة جزاء إلى مثل، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به، وقيل مثل زائدة، كقولك أنا أكرم مثلك أي أكرمك، وقرىء فجزاء بالتنوين، ومثل بالرفع على البدل أو الصفة، والنعم الإبل والبقر والغنم خاصّة، ومعنى الآية عند مالك والشافعي: أنّ مَن قتل صيدًا وهو محرم أنّ عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيد في الخلقة والمنظر، ففي النعامة بدنة، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الغزالة شاة، فالمثلية على هذا هي في الصورة والمقدار، فإن لم يكن له مثل أطعم أو صام، ومذهب أبي حنيفة أنّ المثل القيمة يقوّم الصيد المقتول ويخيّر القاتل بين أن يتصدّق بالقيمة أو يشتري بالقيمة من النعم ما يهديه ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ﴾ هذه الآية تقتضي أنّ التحكيم شرط في إخراج الجزاء، ولا خلاف في ذلك، فإن أخرج أحد

مِنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا

الجزاء قبل الحكم عليه، فعليه إعادته بالحكم إلاّ حمام مكة، فإنه لا يحتاج إلى حكمين، قاله مالك، ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت فيه الصحابة، وفيما لم يحكموا فيه، لعموم الآية، وقال الشافعي: يكتفي في ذلك بما حكمت به الصحابة **﴿هَدْيًا﴾** يقتضي ظاهره أن ما يخرج من النّعم جزاء عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يهدى، وهو الجذع من الضأن والثني مما سواه، وقال الشافعي يخرج المثل في اللحم ولا يشترط السن **﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾** لم يرد الكعبة بعينها، وإنما أراد الحرم، ويقتضي أن يصنع بالجزاء ما يصنع بالهدي من سوقه من الحلّ إلى الحرم، وقال الشافعي وأبو حنيفة إن اشتراه في الحرم أجزأه **﴿أَو كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾** عدّد تعالى ما يجب في قتل المحرم للصيد، فذكر أولاً الجزاء من النّعم، ثم الطعام ثم الصيام، ومذهب مالك والجمهور أنها على التخيير، وهو الذي يقتضيه العطف بأو، ومذهب ابن عباس أنها على الترتيب، ولم يبيّن الله هنا مقدار الطعام، فرأى العلماء أن يقدّر الجزاء من النعم. لأنهم اختلفوا في كيفية التقدير، فقال مالك: يقدّر الصيد المقتول نفسه بالطعام أو الدراهم، ثم تقوّم الدراهم بالطعام، فينظر كم يساوي من طعام أو من دراهم وهو حيّ، وقال بعض أصحاب مالك يقدّر الصيد بالطعام أي يقال: كم كان يشبع الصيد من نفس ثم يخرج قدر شبعهم طعامًا، وقال الشافعي لا يقدر الصيد نفسه، وإنما يقدّر مثله، وهو الجزاء الواجب على القاتل له **﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾** تحتمل الإشارة بذلك أن تكون إلى الطعام وهو أحسن لأنه أقرب أو إلى الصيد، واختلف في تعديل الصيام بالطعام فقال مالك يكون مكان كل مدّ يومًا، وقال أبو حنيفة مكان كل مدّين يوم، وقيل مكان كل صاع يومًا، ولا يحب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام، إلاّ بقتل الصيد لا بأخذه دون قتل لقوله مَن قتله، وفي كل وجه يشترط حكم الحكمين، وإنما لم يذكر الله في الصيام والطعام استغناء بذكره في الجزاء **﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾** الذوق هنا مستعار لأن حقيقته بحاسّة اللسان، والوبال سوء العاقبة، وهو هنا ما لزمه من التكفير **﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾** أي عمّا فعلتم في الجاهلية من قتل الصيد في الحرم **﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾** أي مَن عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد النهي عن ذلك فينتقم الله منه بوجوب الكفّارة عليه أو بعذابه الآخرة **﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾** أحلّ الله بهذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم، والصيد هنا المصيد، والبحر هو الماء الكثير: سواء كان ملحًا أو عذبًا، كالبرك ونحوها، وطعامه هو ما يطفو على الماء وما قذف به البحر لأنّ ذلك طعام

لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ

وليس بصيد، قال أبو بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب، وقال ابن عباس: طعامه ما ملح منه وبقي ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ الخطاب بلكم للحاضرين في البحر، والسيارة المسافرون أي هو متاع ما تدومون به ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ الصيد هنا يحتمل أن يراد به المصدر أو الشيء المصيد أو كلاهما، فنشأ من هذا أن ما صاده المحرم فلا يحلّ له أكله بوجه، ونشأ الخلاف فيما صاد غيره، فإذا اصطاد حلال، فقيل يجوز للمحرم أكله، وقيل لا يجوز إن اصطاده لمحرم، والأقوال الثلاثة مرويّة عن مالك، وإن اصطاد حرام لمَن يجيز لغيره أكله عند مالك خلافًا للشافعي ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ أي أمرًا يقوم للناس بالأمن والمنافع، وقيل موضع قيام بالمناسك ولفظ الناس هنا عامّ، وقيل أراد العرب خاصّة، لأنهم الذين كانوا يعظّمون الكعبة ﴿والشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ يريد جنس الأشهر الحرم الأربعة، لأنهم كانوا يكفّون فيها عن القتال ﴿والْهَدْيَ﴾ يريد أنه أمان لمَن يسوقه لأنه يعلم أنه في عبادة لم يأتِ لحرب ﴿وَالْقَلَائِدَ﴾ كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلّد شيئًا من السَّمَر، وإذا رجع تقلّد شيئًا من أشجار الحرم، ليعلم أنه كان في عبادة، فلا يتعرّض له أحد بشيء، فالقلائد هنا هو ما تقلّده المحرم من الشجر، وقيل أراد قلائد الهدي، قال سعيد بن جبير: جعل الله هذه الأمور للناس في الجاهلية وشدّد في الإسلام ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا﴾ الإشارة إلى جعل هذه الأمور قيامًا للناس، والمعنى جعل الله ذلك لتعلموا أن الله يعلم تفاصيل الأمور ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ لفظ عامّ في جميع الأمور من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك ﴿لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ قيل سببها سؤال عبد الله بن حذافة بن أبيّ، فقال له النبي ﷺ أبوك حذافة، وقال آخر: أين أبيّ، قال في النار، وقيل سببها أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب عليكم الحج فحجّوا»، فقالوا يا رسول الله: أفي كل عام؟ فسكت، فأعادوا، قال: «لا، ولو قلت نعم لوجبت»، فعلى الأول تسؤكم بالإخبار

وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ

بما لا يعجبكم، وعلى الثاني تسؤكم بتكليف ما يشقّ عليكم، ويقوّي هذا قوله عفا الله عنها: أي سكت عن ذكرها ولم يطالبكم بها كقوله ﷺ: «عفا الله عن الزكاة في الخيل»، وقيل إن معنى عفا الله عنها: عفا عنكم فيما تقدّم من سؤالكم فلا تعودوا إليه **﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾** فيه معنى الوعيد على السؤال: كأنه قال: لا تسألوا، وإن سألتم أبدى لكم ما يسوؤكم، والمراد بحين ينزل القرآن: زمان الوحي **﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾** الضمير في سألها راجع إلى المسألة التي دلّ عليها لا تسألوا، وهي مصدر، ولذلك لم يتعدّى بعن كما تعدّى قوله إن تسألوا عنها، وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا، فالكفر هنا عبارة عن ترك ما أمروا به **﴿مَا جَعَلَ الله مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ﴾** لما سأل قوم عن هذه الأمور التي كانت في الجاهلية هل تعظم لتعظيم الكعبة والهدي أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئًا من ذلك لعباده: أي لم يشرعه لهم، وإنما الكفّار جعلوا ذلك، فأما البحيرة: فهي فعيلة بمعنى مفعولة من بحر إذا شقّ، وذلك أن الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقّوا آذانها وتركوها ترعى ولا ينتفع بها، وأما السائبة فكان الرجل يقول إذا قَدِمْتُ من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في عدم الانتفاع بها، وأما الوصيلة فكانوا إذا ولدت الناقة ذكرًا وأُنثى في بطن واحد قالوا وصلت الناقة أخاها فلم يذبحوها، وأما الحامي فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شيء **﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾** أي يكذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرّم الله **﴿وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾** الذين يفترون على الله الكذب هم الذين اخترعوا تحريم تلك الأشياء، والذين لا يعقلون هم أتباعهم المقلّدون لهم **﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾** أي يكفينا دين آبائنا **﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾** قال الزمخشري الواو واو الحال، دخلت عليها همزة الإنكار، كأنه قيل أحسبهم هذا وآباؤهم لا يعقلون، قال ابن عطية ألف التوقيف دخلت على واو العطف، وقول الزمخشري أحسن في المعنى **﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم**

جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِن أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم

﴿مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيل إنها خطاب للمسلمين من ذرّيّة الذين حرّموا البحيرة وأخواتها، كأنه يقول: لا يضرّكم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم، والقول الصحيح فيها ما ورد عن أبي ثعلبة الخشني أنه قال: سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «مُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر»، فإذا رأيتم شحًا مُطاعًا وهوًى مُتّبَعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك وذر عوامّهم، ومثل ذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ليس هذا بزمان هذه الآية قولوا الحق ما قبل منكم، فإذا ردّ عليكم فعليكم أنفسكم.

﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾ قال مكي هذه الآية أشكل آية في القرآن إعرابًا، ومعنًى، وحكمًا، ونحن نبيّن معناها على الجملة، ثم نبيّن أحكامها وإعرابها على التفصيل، وسببها أنّ رجلين خرجا إلى الشام، وخرج معهما رجل آخر بتجارة، فمرض في الطريق فكتب كتابًا قيّد فيه كلّ ما معه، وجعله في متاعه وأوصى الرجلين أن يؤدّيا رحله إلى ورثته فمات فقَدِمَ الرجلان المدينة، ودفعا رحله إلى ورثته، فوجدوا فيه كتابه وفقدوا منه أشياء قد كتبها، فسألوهما فقالا لا ندري هذا الذي قبضناه، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فاستحلفهما رسول الله ﷺ، فبقي الأمر مدّة، ثم عثر على إناء عظيم من فضة، فقيل لمَن وُجِدَ عنده من أين لك هذا، فقال اشتريته من فلان وفلان، يعني الرجلين، فارتفع الأمر في ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأمر رسول الله ﷺ رجلين من أولياء الميت أن يحلفا فحلفا واستحقّا، فمعنى الآية: إذا حضر الموت أحد في السفر، فليشهد عدلين بما معه، فإن وقعت ريبة في شهادتهما حلفا أنهما ما كذبا ولا بدّلا، فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت، وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما، وشهادة بينكم مرفوع بالابتداء وخبره اثنان التقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو مقيم شهادة بينكم اثنان إذا حضر أي قارب الحضور، والعامل في إذا المصدر الذي هو شهادة، وهذا على أن يكون إذا بمنزلة حين لا تحتاج جوابًا، ويجوز أن تكون شرطية، وجوابها محذوف يدلّ عليه ما تقدّم قبلها، فإنّ المعنى: إذا حضر أحدكم الموت، فينبغي أن يشهدا حين الوصية ظرف العامل فيه حضر، ويكون بدلاً من إذا ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفة

مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن

للشاهدين منكم ﴿**أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ**﴾ قيل معنى منكم من عشيرتكم وأقاربكم، ومن غيركم من غير العشيرة والقرابة وقال الجمهور منكم أي من المسلمين، ومن غيركم من الكفّار، إذا لم يوجد مسلم، ثم اختلف على هذا هل هي منسوخة بقوله وأشهدوا ذوي عدل منكم فلا تجوز شهادة الكفّار أصلاً، وهو قول مالك والشافعي والجمهور أو هي محكمة وأن شهادة الكفّار جائزة على الوجه في السفر، وهو قول ابن عباس ﴿**إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ أي سافرتم، وجواب إن محذوف يدلّ عليه ما تقدّم قبلها، والمعنى إن ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت، فشهادة بينكم شهادة اثنين ﴿**تَحْبِسُونَهُمَا**﴾ قال أبو علي الفارسي. هو صفة لآخران، واعترض بين الصفة والموصوف بقوله: إن أنتم إلى قوله الموت ليفيد أن العدول إلى آخرين من غير الملّة، إنما يجوز لضرورة الضرب في الأرض، وحلول الموت في السفر، وقال الزمخشري تحبسونهما استئناف كلام ﴿**مِن بَعْدِ الصَّلاةِ**﴾ قال الجمهور هي صلاة العصر، فاللام للعهد، لأنها وقت اجتماع الناس، وبعدها أمر النبي ﷺ بالأيمان، وقال مَن حلف على سلعة بعد صلاة العصر، وكان التحليف بعدها معروف عندهم، وقال ابن عباس هي صلاة الكافرين في دينهما لأنهما لا يعظمان صلاة العصر ﴿**فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ**﴾ أي يحلفان؛ ومذهب الجمهور أن تحليف الشاهدين منسوخ، وقد استحلفهما عليّ بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري ﴿**إِنِ ارْتَبْتُمْ**﴾ أي شككتم في صدقهما أو أمانتهما، وهذه الكلمة اعتراض بين القسم والمقسوم عليه، وجواب إن محذوف يدلّ عليه يقسمان ﴿**لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا**﴾ هذا هو المقسوم عليه، والضمير في به للقسم، وفي كان للمقسم له: أي لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضًا من الدنيا: أي لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال، ولو كان من نقسم له قريبًا لنا، وهذا لأن عادة الناس الميل إلى أقاربهم ﴿**وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ**﴾ أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وأدائها، وإضافتها إلى الله تعظيمًا لها ﴿**فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا**﴾ أي إن اطّلع بعد ذلك على أنهما فعلا ما أوجب إثمًا، والإثم الكذب والخيانة واستحقاقه الأهلية للوصف به ﴿**فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا**﴾ أي اثنان من أولياء الميت، يقومان مقام الشاهدين في اليمين ﴿**مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ**﴾ أي من الذين استحقّ عليهم الإثم أو المال، ومعناه من الذين جنَا عليهم وهم أولياء الميت

شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ

﴿الأَوْلَيَانِ﴾ تثنية أولى بمعنى أحق: أي الأحقّان بالشهادة لمعرفتهما، والأحقّان بالمال: لقرابتهما، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره هما الأوليان، أو مبتدأ مؤخر تقديره الأوليان آخران يقومان، أو بدل من الضمير في يقومان، ومنع الفارسي أن يسند استحق إلى الأوليان، وأجازه ابن عطية، وأما على قراءة استحق بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل، فالأوليان فاعل باستحق، ومعنى استحق على هذا أخذ المال وجعل يده عليه والأوليان على هذا هما الشاهدان اللذان ظهرت خيانتهما: أي الأوليان بالتحليف والتعنيف والفضيحة، وقرىء الأولين جمع أول، وهو مخفوض على الصفة للذين استحق عليهم، أو منصوبًا بإضمار فعل، ووصفهم بالأولية لتقدّمهم على الأجانب في استحقاق المال وفي صدق الشهادة ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ أي يحلف هذان الآخران أن شهادتهما أحقّ: أي أصحّ من شهادة الشاهدين الذين ظهرت خيانتهما ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي إن اعتدينا، فإنّا من الظالمين وذلك على وجه التبرئة ومثل قول الأوّلين إنا إذًا لَمِنَ الآثمين ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ الإشارة بذلك إلى الحكم الذي وقع في هذه القضية ومعنى أدنى: أقرب، وعلى وجهها أي كما وقعت من غير تغيير ولا تبديل أو يخافوا ﴿أن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي يخافوا أن يحلف غيرهم بعدهم فيفتضحوا ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة، وانتصب الظرف بفعل مضمر أي ماذا أجابكم به الأمم من إيمان وكفر وطاعة ومعصية، والمقصود بهذا السؤال توبيخ مَن كفر من الأمم، وإقامة الحجة عليهم وانتصب ماذا أجبتم انتصاب مصدره، ولو أُريد الجواب، لقيل بماذا أجبتم ﴿قَالُوا لاَ عِلْمَ لَنَا﴾ إنما قالوا ذلك تأدّبًا مع الله فوكّلوا العلم إليه قال ابن عباس: المعنى لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا، وقيل معناه علمنا ساقط في جنب علمك ويقوّي ذلك قوله إنك أنت علاّم الغيوب، لأنّ مَن علم الخفيّات لم تُخفَ عليه الظواهر، وقيل ذهلوا عن الجواب لهول ذلك اليوم، وهذا بعيد، لأنّ الأنبياء في ذلك اليوم آمنون، وقيل أرادوا بذلك توبيخ الكفّار ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يكون إذ بدل من يوم يجمع، ويكون هذا القول يوم القيامة، أو

كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا

يكون العامل في إذ مضمرًا ويحتمل على هذا أن يكون القول في الدنيا أو يوم القيامة وإذا جعلناه يوم القيامة فقوله قال بمعنى يقول، وقد تقدّم تفسير ألفاظ هذه الآية في آل عمران **﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾** الضمير المؤنث عائد على الكاف، لأنها صفة للهيئة، وكذلك الضمير في تكون، وكذلك الضمير المذكور في قوله في آل عمران: **﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾** [آل عمران: ٤٩] عائد على الكاف أيضًا، لأنها بمعنى مثل وإن شئت قلت هو في الموضعين عائد على الموصوف المحذوف الذي وصف بقوله كهيئة فتقديره في التأنيث صورة، وفي التذكير شخصًا أو خلقًا وشبه ذلك، وقيل المؤنث يعود على الهيئة والمذكر يعود على الطير، والطين، وهو بعيد في المعنى **﴿بِإِذْنِي﴾** كرّره مع كل معجزة ردًا على مَن نسب الربوبية إلى عيسى **﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾** يعني اليهود حين همّوا بقتله، فرفعه الله إليه **﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾** معطوف على ما قبله، فهو من جملة نِعَم الله على عيسى والوحي هنا يحتمل أن يكون وحي إلهام أو وحي كلام **﴿واشْهَدْ﴾** يحتمل أن يكون خطابًا لله تعالى أو لعيسى عليه السلام **﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾** نداؤهم له باسمه: دليل على أنهم لم يكونوا يعظّمونه كتعظيم المسلمين لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، فإنهم كانوا لا ينادونه باسمه، وإنما يقولون يا رسول الله يا نبيّ الله، وقولهم ابن مريم: دليل على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبته إلى أُمّ دون والد، بخلاف ما اعتقده النصارى **﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾** ظاهر هذا اللفظ أنهم شكّوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة وعلى هذا أخذه الزمخشري، وقال ما وصفهم الله بالإيمان، ولكن حكى دعواهم في قولهم آمنّا وقال ابن عطية وغيره: ليس كذلك لأنهم شكّوا في قدرة الله لكنه بمعنى هل يفعل ربك هذا، وهل يقع منه إجابة إليه، وهذا أرجح، لأن الله أثنى على الحواريين في مواضع من كتابه، مع أنّ في اللفظ بشاعة تنكر، وقرىء تستطيع بتاء الخطاب ربّك بالنصب أي هل تستطيع سؤال ربك، وهذه القراءة لا تقتضي أنهم شكّوا، وبها قرأت عائشة رضي الله عنها، وقالت كان الحواريون أعرف بربّهم من أن يقولوا: هل يستطيع ربّك **﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾**

وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ

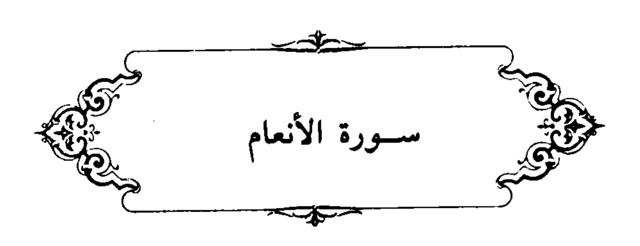
موضع أن مفعول بقوله يستطيع على القراءة بالياء، ومفعول بالمصدر، وهو السؤال المقدّر على القراءة بالتاء، والمائدة هي التي عليها طعام، فإن لم يكن عليها طعام فهي خوان **﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** فقوله لهم اتّقوا الله: يحتمل أن يكون زجرًا عن طلب المائدة، واقتراح الآيات، ويحتمل أن يكون زجرًا عن الشك الذي يقتضيه قولهم هل يستطيع ربك على مذهب الزمخشري، أو عن البشاعة التي في اللفظ وإن لم يكن فيه شك، وقوله إن كنتم مؤمنين: هو على ظاهره على مذهب الزمخشري، وأما على مذهب ابن عطية وغيره، فهو تقرير لهم كما تقول افعل كذا إن كنت رجلاً، ومعلوم أنه رجل، وقيل إن هذه المقالة صدرت منهم في أوّل الأمر قبل أن يروا معجزات عيسى **﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾** أي أكلاً نتشرف به بين الناس، وليس مرادهم شهوة البطن **﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾** أي نعاين الآية فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة، فلا تعرض لنا الشكوك التي تعرض في الاستدلال **﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾** ظاهره يقوّي قول مَن قال إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكّن إيمانهم، ويحتمل أن يكون المعنى نعلم علمًا ضروريًا لا يحتمل الشك **﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** أي نشهد بها عند مَن لم يحضرها من الناس **﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾** أجابهم عيسى إلى سؤال المائدة من الله، ورُوِيَ أنه لبس جُبّة شعر ورداء شعر، وقام يصلّي ويدعو ويبكي **﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾** قيل نتخذ يوم نزولها عيدًا يدور كل عام لأول الأمة، ثم لمَن بعدهم، وقال ابن عباس: المعنى تكون مجتمعًا لجميعنا أوّلنا وآخرنا في يوم نزولها خاصة لا عيدًا يدور **﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾** أي علامة على صدقي **﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾** أجابهم الله إلى ما طلبوا، ونزلت المائدة عليها سمك وخبز، وقيل زيتون وتمر ورمّان وقال ابن عباس: كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا وفي قصّة المائدة قصص كثيرة غير صحيحة **﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾** عادة الله عزّ وجل عقاب مَن كفر بعد اقتراح آية فأعطيته، ولما كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازير، قال عبد الله بن عمر أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة مَن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون والمنافقون **﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي**

ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ

﴿**وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ قال ابن عباس والجمهور: هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، ليرى الكفّار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه، ويعلمون أنهم كانوا على باطل، وقال السدّي لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قالوا، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، وسأل الله حينئذ عن ذلك، فقال سبحانك الآية، فعلى هذا يكون إذ قال ماضيًا في معناه كما هو في لفظه، وعلى قول ابن عباس يكون بمعنى المستقبل ﴿**مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيسَ لِي بِحَقٍّ**﴾ نفي يعضده دليل العقل لأنّ المحدَث لا يكون إلهًا ﴿**إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ**﴾ اعتذار وبراءة من ذلك القول ووكل العلم إلى الله لتظهر براءته، لأن الله علم أنه لم يقل ذلك ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ أي تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة، فقال في نفسك مقابلة لقوله في نفسي وبقية قوله تعظيمًا لله، وإخبار بما قال الناس في الدنيا ﴿**أَنِ اعْبُدُوا**﴾ أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية بدل من الضمير في به ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ فيها سؤالان الأول كيف قال وإن تغفر لهم وهم كفار والكفار لا يغفر لهم والجواب أن المعنى تسليم الأمر إلى الله وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه لأن الخلق عباده، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفّار، وإنما يقتضي جوازها في حكمة الله تعالى وعزّته، وفرّق بين الجواز والوقوع، وأما على قول مَن قال إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء، فلا إشكال، لأن المعنى إن تغفر لهم بالتوبة، وكانوا حينئذ أحياء، وكلّ حيّ مُعَرّض للتوبة، السؤال الثاني: ما مناسبة قوله: ﴿**فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾، لقوله وإن تغفر لهم والأليق مع ذكر المغفرة أن لو قيل، فإنك أنت الغفور الرحيم؟ والجواب من ثلاثة أوجه. الأول يظهر لي أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له، كان قوله: ﴿**فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ أليق، فإن الحكمة تقتضي التسليم له والعزّة تقتضي التعظيم له، فإن العزيز هو الذي يفعل ما يريد؛ ولا يغلبه غيره، ولا يمتنع عليه شيء أراده، فاقتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة لأنه قادر على كِلا الأمرين لعزّته وأيّهما فعل فهو جميل لحكمته. الجواب الثاني

ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير إنما لم يقل الغفور الرحيم لئلا يكون في ذلك تعريض في طلب المغفرة لهم فاقتصر على التسليم والتفويض دون الطلب، إذ لا تطلب المغفرة للكفّار، وهذا قريب من قولنا. الثالث حكى شيخنا الخطيب أبو عبد الله بن رشيد عن شيخه إمام البلغاء في وقته حازم بن حازم أنه كان يقف على قوله: **﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾** ويجعل **﴿فَإِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ﴾** استئنافًا، وجواب إن في قوله فإنهم عبادك، كأنه قال إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال **﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾** عموم في جميع الصادقين وخصوصًا في عيسى ابن مريم فإن في ذلك إشارة إلى صدقه في الكلام الذي حكاه الله عنه، وقرأ غير نافع هذا يوم بالرفع على الابتداء أو الخبر، وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان: أحدهما أن يكون يوم ظرف لقال، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول، وإنما معموله هذا خاصّة والمعنى قال الله هذا القصص أو الخبر في يوم، وهذا بعيد مُزيل لرونق الكلام، والآخر أن يكون هذا مبتدأ، ويوم في موضع خبره والعامل فيه محذوف تقديره هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم، ولا يجوز أن يكون يوم مبنيًا على قراءة نافع، لأنه أُضيف إلى معرب، قاله الفارسي والزمخشري.



سورة الأنعام

مكية إلاّ الآيات ٢٠ و٢٣ و٩١ و٩٣ و١١٤
و١٤١ و١٥١ و١٥٢ و١٥٣ فمدنية وآياتها ١٦٥ نزلت بعد الحجر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرَّحيم

قال كعب: أول الأنعام هو أول التوراة ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾ جعل هنا بمعنى خلق، والظلمات: الليل والنور النهار والضوء الذي في الشمس والقمر وغيرهما، وإنما أفرد النور لأنه أراد الجنس، وفي الآية ردّ على المجوس في عبادتهم للنار وغيرها من الأنوار، وقولهم إن الخير من النور والشر من الظلمة؛ فإن المخلوق لا يكون إلهًا ولا فاعلاً لشيء من الحوادث ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ أي يسوّون ويمثلون من قولك عدلت فلانًا بفلان إذا جعلته نظيره وقرينه ودخلت ثم لتدلّ على استبعاد أن يعدلوا بربهم بعد وضوح آياته في خلق السمٰوات والأرض، والظلمات والنور وكذلك قوله: ﴿**ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ**﴾ استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه أحياهم وأماتهم، وفي ضمن ذلك تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم، والذين كفروا هنا عامّ في كل مشرك. وقد يختصّ بالمجوس بدليل الظلمات والنور، وبعَبَدَة الأصنام، لأنهم المجاورون للنبي ﷺ وعليهم يقع الردّ في أكثر

وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ

القرآن **﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾** أي خلق أباكم آدم من طين **﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾** الأجل الأوّل الموت، والثاني يوم القيامة وجعله عنده: لأنه استأثر بعلمه، وقيل الأول النوم، والثاني الموت، ودخلت ثم هنا لترتيب الأخبار، لا لترتيب الوقوع، لأن القضاء متقدّم على الخلق **﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَٰوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾** يتعلق في السمٰوات بمعنى اسم الله، فالمعنى كقوله: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، كما يقال: أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب، ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر: فيتعلق باسم فاعل محذوف، والمعنى على هذا قريب من الأوّل، وقيل المعنى أنه في السمٰوات والأرض بعلمه كقوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤]، والأول أرجح وأفصح، لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة، وغير ذلك، فقد جمعها مع الإيجاز، ويترجح الثاني بأن سياق الكلام في اطّلاع الله تعالى وعلمه، لقوله بعدها: **﴿يَعلَمُ سِرّكُم وَجَهرَكُم﴾**، وقيل يتعلق بمحذوف تقديره المعبود في السمٰوات وفي الأرض وهذا المحذوف صفة لله: واسم الله على هذا القول وعلى الأول هو خبر المبتدأ وأما إذا كان المجرور الخبر فاسم الله بدل من الضمير **﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾** من الأولى زائدة، والثانية للتبعيض، أو لبيان الجنس **﴿بِالحَقِّ﴾** يعني ما جاء به محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم **﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِم﴾** الآية: وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم **﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾** حضّ للكفّار على الاعتبار بغيرهم، والقرن مائة سنة، وقيل سبعون، وقيل أربعون **﴿مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾** الضمير عائد إلى القرن، لأنه في معنى الجماعة **﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾** الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من المؤمنين والكافرين **﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾** السماء هنا المطر والسحاب أو السماء حقيقة، ومدرارًا بناء مبالغة وتكثير من قولك درّ المطر إذا غزر **﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾** التقدير فكفروا وعصوا فأهلكناهم، وهذا تهديد للكفّار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم **﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾** الآية: إخبار أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات، والمراد بقوله

مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ

فلمسوه بأيديهم لو بالغوا في تمييزه وتقليبه ليرتفع الشك لعاندوا بذلك، يشبه أن يكون سبب هذه الآية قول بعضهم للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لا أومن بك حتى تأتي بكتاب من السماء يأمرني بتصديقك، وما أراني مع هذا أصدقك **﴿وَقَالُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾** حكاية عن طلب بعض العرب، ورُوِيَ أن العاصي بن وائل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود والأسود بن عبد يغوث قالوا للنبي ﷺ يا محمد، لو كان معك ملك **﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ﴾** قال ابن عباس المعنى: لو أنزلنا ملكاً فكفروا بعد ذلك لعجّل لهم العذاب، ففي الكلام على هذا حذف، وقضى الأمر على هذا تعجيل أخذهم، وقيل المعنى لو أنزلنا ملكًا لماتوا من هول رؤيته فقضي الأمر على هذا موتهم **﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾** أي لو جعلنا الرسول ملكًا لكان في صورة رجل، لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته **﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾** أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم، فإنهم لو رأوا الملك في صورة إنسان قالوا هذا إنسان وليس بملك **﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾** الآية: إخبار قصد به تسلية النبي ﷺ عمّا كان يلقى من قومه **﴿فَحَاقَ﴾** أي أحاط بهم، وفي هذا الإخبار تهديد للكفّار **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾** الآية: حضّ على الاعتبار بغيرهم إذا رأوا منازل الكفّار الذين هلكوا قبلهم **﴿ثُمَّ انظُرُوا﴾** قال الزمخشري إن قلت: أي فرّق بين قوله فانظروا، وبين قوله ثم انظروا؟ قلت: جعل النظر سببًا عن السير في قوله: فانظروا، كأنه قال: سيروا لأجل النظر، وأما قوله فسيروا في الأرض ثم انظروا: فمعناه إباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في الهالكين رتّبه على ذلك بثم، لتباعد ما بين الواجب والمباح **﴿قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾** القصد بالآية إقامة البرهان على صحة التوحيد وإبطال الشرك، وجاء ذلك بصفة الاستفهام لإقامة الحجة على الكفّار فسأل أولاً لِمَن ما في السمٰوات والأرض، ثم أجاب عن السؤال بقوله قل لله، لأن الكفّار يوافقون على ذلك بالضرورة فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض، وإنما يحسن أن يكون السائل مُجيبًا عن سؤاله، إذا علم أن خصمه لا يخالفه في الجواب الذي به يقيم

نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ

الحجة عليه ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي قضاها وتفسير ذلك بقول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموٰات والأرض، وفيه إن رحمتي سبقت غضبي»، وفي رواية تغلب غضبي ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مقطوع مما قبله، وهو جواب لقسم محذوف، وقيل هو تفسير للرحمة المذكورة تقديره أن يجمعكم، وهذا ضعيف لدخول النون الثقيلة في غير موضعها، فإنها لا تدخل إلاّ في القسم أو في غير الواجب ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قيل هنا إلى بمعنى في وهو ضعيف، والصحيح أنها للغاية على بابها ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الذين مبتدأ وخبره لا يؤمنون: ودخلت الفاء لما في الكلام في معنى الشرط قاله الزجّاج وهو حسن، وقال الزمخشري الذين نصب على الذمّ أو رفع بخبر ابتداء مضمر، وقيل هو بدل من الضمير في ليجمعنكم وهو ضعيف، وقيل منادى وهو باطل ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ عطف على قوله قل لله، ومعنى سكن: حلّ، فهو من السكنى، وقيل هو من السكون وهو ضعيف لأن الأشياء منها ساكنة ومتحرّكة فلا يعمّ، والمقصود عموم ملكه تعالى لكل شيء ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ إقامة حجة على الكفار وردّ عليهم بصفات الله الكريم التي لا يشاركه غيره فيها ﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي من هذه الأمة لأن النبي ﷺ سابق أمته إلى الإسلام ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ﴾ في الكلام حذف تقديره وقيل لي: ولا تكوننّ من المشركين، أو يكون معطوفًا على معنى أمرت فلا حذف وتقديره أمرت بالإسلام، ونهيت عن الإشراك ﴿مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ أي مَن يصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله، وقرىء يصرف بفتح الياء وفاعله الله ﴿وَذَلِكَ﴾ إشارة إلى صرف العذاب أو إلى الرحمة ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ معنى يمسسك يصبك، والضرّ المرض وغيره على العموم في جميع المضرّات، والخير: العافية وغيرها على العموم أيضًا، والآية برهان على الوحدانية لانفراد الله تعالى بالضر والخير، وكذلك ما بعد هذا من

أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾

الأوصاف براهين وردّ على المشركين **﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾** سؤال يقتضي جوابًا ينبني عليه المقصود، وفيه دليل على أن الله يقال فيه شيء لكن ليس كمثله شيء **﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾** يحتمل وجهين أحدهما أن يكون الله مبتدأ وشهيد خبره، والآخر أن يكون تمام الجواب عند قوله: قل الله، بمعنى أن الله أكبر شهادة، ثم يبتدىء على تقدير هو شهيد بيني وبينكم، والأول أرجح لعدم الإضمار، والثاني أرجح لمطابقته للسؤال، لأنّ السؤال بمنزلة مَن يقول: مَن أكبر الناس؟ فيقال في الجواب، فلان وتقديره فلان أكبر، والمقصود بالكلام استشهاد بالله الذي هو أكبر شهادة على صدق رسول الله ﷺ، وشهادة الله بهذا هي علمه بصحّة نبوّة سيّدنا محمد ﷺ، وإظهار معجزته الدالّة على نبوّته **﴿ومَن بَلَغَ﴾** عطف على ضمير المفعول في لأنذركم والفاعل يبلغ ضمير القرآن والمفعول محذوف يعود على من تقديره، ومن بلغه والمعنى أوحى إليّ هذا القرآن لأنذر به المخاطبين، وهم أهل مكة، وأنذر كل مَن بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة، قال سعيد بن جبير: مَن بلغه القرآن فكأنما رأى سيّدنا محمد ﷺ، وقيل المعنى: ومَن بلغ الحلم وهو بعيد **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾** الآية: تقرير للمشركين على شركهم، ثم تبرّأ من ذلك بقوله: لا أشهد، ثم شهد الله بالوحدانية، ورُوِيَ أنها نزلت بسبب قوم من الكفّار أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد ما تعلم مع الله إلهًا آخر **﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُون أَبْنَاءَهُمْ﴾** تقدّم في البقرة **﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾** الذين مبتدأ وخبره فهم لا يؤمنون وقيل الذين نعت للذين آتيناهم الكتاب وهو فاسد لأن الذين أُوتوا الكتاب ما استشهد بهم هنا إلاّ ليقيم الحجة على الكفّار **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾** لفظه استفهام ومعناه لا أحد أظلم **﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾** وذلك تنصّل من الكذب على الله، وإظهار لبراءة رسول الله ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب، ويحتمل أن يريد بالافتراء، على الله ما نسب إليه الكفّار من الشركاء والأولاد **﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾** أي علاماته وبراهينه **﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾** يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ **﴿تَزْعُمُونَ﴾** أي تزعمون أنهم آلهة فحذفه لدلالة المعنى عليه، والعامل في يوم نحشرهم محذوف **﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾**

﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ﴾

الفتنة هنا تحتمل أن تكون بمعنى الكفر أي لم تكن عاقبة كفرهم إلاّ جحوده والتبرؤ منه، وقيل فتنتهم معذرتهم، وقيل كلامهم، وقرىء فتنتهم بالنصب على خبر كان واسمها أن قالوا، وقرىء بالرفع على اسم كان وخبرها أن قالوا ﴿والله رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ جحود لشركهم، فإن قيل: كيف يجحدونه وقد قال الله ولا يكتمون الله حديثًا، فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن، فيكتم قوم ويقرّ آخرون، ويكتمون في موطن ويقرّون في موطن آخر، لأن يوم القيامة طويل، وقد قال ابن عباس لما سُئِلَ عن هذا السؤال إنهم جحدوا طمعًا في النجاة فختم الله على أفواههم، وتكلمت جوارحهم فلا يكتمون الله حديثًا ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الضمير عائد على الكفّار، وأفرد يستمع وهو فعل جماعة حملاً على لفظ من ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أكنة جمع كنان، وهو الغطاء، وأن يفقهوه في موضع مفعول من أجله تقديره: كراهة أن يفقهوه، ومعنى الآية أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه، وعبّر بالأكنة والوقر مبالغة، وهي استعارة ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أي قصصهم وأخبارهم، وهو جمع أسطار وأسطورة قال السهيلي حيث ما ورد في القرآن أساطير الأوّلين، فإن قائلها هو النضر بن الحارث وكان قد دخل بلد فارس وتعلّم أخبار ملوكهم، فكان يقول حديثي أحسن من حديث محمد ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ هم عائد على الكفّار، والضمير في عنه عائد على القرآن، والمعنى وهم ينهون الناس عن الإيمان، وينأون هم عنه أي يبعدون، والنأي هو البعد، وقيل الضمير في عنه يعود على النبي ﷺ، ومعنى ينهون عنه ينهون الناس عن إذايته، وهم مع ذلك يبعدون عنه، والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومَن كان معه يحمي النبي ﷺ، ولا يسلم وفي قوله ينهون وينأون ضرب من ضروب التجنيس ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ جواب لو محذوف هنا، وفي قوله ولو ترى إذ وقفوا على ربهم، وإنما حذف ليكون أبلغ ما يقدره السامع: أي لو ترى لرأيت أمرًا شنيعًا هائلاً، ومعنى وقفوا: حبسوا، قاله ابن عطية، ويحتمل أن يريد بذلك إذا دخلوا النار، وإذا عاينوها وأشرفوا عليها، ووضع إذ موضع إذا التحقيق ووقوع الفعل حتى كأنه له ماضٍ ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ﴾ قرىء برفع نكذب ونكون على

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ

الاستئناف والقطع على التمنّي، ومثله سيبويه بقولك دعني ولا أعود أي وأنا لا أعود، ويحتمل أن يكون حالاً تقديره نرد غير مكذبين، أو عطف على نرد، وقرىء بالنصب بإضمار أن بعد الواو في جواب التمني **﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُون مِن قَبْلُ﴾** المعنى ظهر لهم يوم القيامة في صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم وقيل هي في أهل الكتاب أي بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد ﷺ، وقيل هي في المنافقين أي بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر، وهذان القولان بعيدان، فإن الكلام أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب، وقيل إن الكفّار كانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف لئلا يشعر بها أتباعهم، فظهر لهم ذلك يوم القيامة **﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾** إخبار بأمر لا يكون لو كان كيف كان يكون وذلك مما انفرد الله بعلمه **﴿وإنَّهُمْ لَكَاذِبُون﴾** يعني في قولهم ولا نكذب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين، ولا يصحّ أن يرجع إلى قولهم يا ليتنا نردّ، لأنّ التمني لا يحتمل الصدق ولا الكذب **﴿وَقَالُوا إنْ هِيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيا﴾** حكاية عن قولهم في إنكار البعث الأُخروي **﴿قَالَ أَلَيسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾** تقرير لهم وتوبيخ.

﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ الضمير فيها للحياة الدنيا لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يجر لها ذكر، وقيل الساعة أي فرّطنا في شأنها، والاستعداد لها، والأول أظهر **﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾** كناية عن تحمّل الذنوب، وقال على ظهورهم، لأن العادة حمل الأثقال على الظهور، وقيل إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة، ورُوِيَ في ذلك أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثّل له في أقبح صورة، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصوّر له في أحسن صورة **﴿أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾** إخبار عن سوء ما يفعلون من الأوزار **﴿قَدْ نَعْلَمُ إنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾** قرأ نافع يحزن حيث وقع بضم الياء من أحزن، إلى قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر. وقرأ الباقون بفتح الياء من حزن الثلاثي وهو أشهر في اللغة. والذي يقولون: قولهم إنه ساحر، شاعر، كاهن **﴿فَإنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ﴾** مَن

نَعلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا

قرأ بالتشديد فالمعنى لا يكذبونك معتقدين لكذبك، وإنما هم يجحدون بالحق مع علمهم به، ومَن قرأ بالتخفيف، فقيل معناه لا يجدونك كاذبًا، يقال أكذبت فلانًا إذا وجدته كاذبًا، كما يقال أحمدته إذا وجدته محمودًا، وقيل هو بمعنى التشديد، يقال كذب فلان فلانًا وأكذبه بمعنى واحد، وهو الأظهر لقوله بعد هذا يجحدون، ويؤيّد هذا ما رُوِيَ أنها نزلت في أبي جهل فإنه قال لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم: إنّا لا نكفر بك ولكن نكذب ما جئت به، وأنه قال للأخنس بن شريق، والله إن محمد الصادق، ولكني أحسده على الشرف **﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾** أي ولكنهم ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم **﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾** الآية: تسلية للنبي ﷺ، وحضّ له على الصبر، ووعد له بالنصر **﴿وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾** أي لمواعيده لرسله: كقوله: ﴿ولَقَد سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنا المُرْسَلِينِ إنّهم لهم المَنْصُورُون﴾ [الصّافّات: ١٧٢]، وفي هذا تقوية للوعد **﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾** أي من أخبارهم ويعني بذلك صبرهم ثم نصرهم، وهذا أيضًا تقوية للوعد والحضّ على الصبر، وفاعل جاءك محذوف تقديره نبأ أو خلاف، وقيل هو المجرور **﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾** الآية: مقصودها حمل النبي ﷺ على الصبر والتسليم لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر، فإنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم كان شديد الحرص على إيمانهم، فقيل له إن استطعت أن تدخل في الأرض أو تصعد إلى السماء فتأتيهم بآية يؤمنون بسببها، فافعل وأنت لا تقدر على ذلك، فاستسلم لأمر الله، والنفق في الأرض، معناه منفذ تنفذ منه إلى ما تحت الأرض، وحذف جواب إن لفهم المعنى **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾** حجة لأهل السُّنّة على القدرية فلا تكوننّ من الجاهلين، أي من الذين يجهلون أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى **﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾** المعنى إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون **﴿والمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾** فيها ثلاث تأويلات: أحدهما أن الموتى عبارة عن الكفّار بموت قلوبهم، والبعث يُراد به الحشر يوم القيامة، فالمعنى أن الكفّار في الدنيا كالموت في قلّة

نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

سمعهم وعدم فهمهم، فيبعثهم الله في الآخرة، وحينئذ يسمعون، والآخر أن الموتى عبارة عن الكفّار، والبعث عبارة عن هدايتهم للفهم والسمع والثالث أن الموتى على حقيقته، والبعث على حقيقته فهو إخبار عن بعث الموتى يوم القيامة **﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾** الضمير في قالوا للكفّار، ولولا عرض، والمعنى أنهم طلبوا أن يأتي النبي ﷺ بآية على نبوّته، فإن قيل؛ فقد أتى بآية ومعجزاته كثيرة فَلِمَ طلبوا آية؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنهم لم يعتدّوا بما أتى به: وكأنه لم يأتِ بشيء عندهم لعنادهم وجحدهم، والآخر أنهم إنما طلبوا آية تضطرهم إلى الإيمان من غير نظر ولا تفكّر **﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً﴾** جواب على قولهم، وقد حُكِيَ هذا القول عنهم في مواضع من القرآن وأُجيب عليه بأجوبة مختلفة، منها ما يقتضي الردّ عليهم في طلبهم الآيات فإنه قد أتاهم بآيات وتحصيل الحاصل لا ينبغي كقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ﴾ [البقرة: ١١٨] وكقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، ومنها ما يقتضي الإعراض عنهم، لأن الخصم إذا تبين عناده سقطت مكالمته، ويحتمل أن يكون من هذا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ على أن يُنزل آيَةً﴾ [الأنعام: ٣٧]، ويحتمل أيضًا أن يكون معناه قادر على أن ينزل آية تضطرّهم إلى الإيمان **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾** حذف مفعول **يعلمون**، وهو يحتمل وجهين: أحدهما لا يعلمون أن الله قادر، والآخر لا يعلمون أن الله إنما منع الآيات التي تضطرهم إلى الإيمان لمصالح العباد، فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا لعوقبوا بالعذاب **﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾** تأكيد وبيان وإزالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة، فقد يقال طائر للسعد والنحس **﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾** أي في الخلق والرزق، والحياة والموت، وغير ذلك، ومناسبة ذكر هذا لما قبله من وجهين: أحدهما أنه تنبيه على مخلوقات الله تعالى، فكأنه يقول: تفكّروا في مخلوقاته، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات، والآخر: تنبيه على البعث، كأنه يقول جميع الدواب والطير يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم، وهو أظهر لقوله بعده، ثم إلى ربّهم يحشرون **﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾** أي ما غفلنا والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ، والكلام على هذا عامّ، وقيل هو القرآن والكلام على هذا خاصّ: أي ما فرّطنا فيه من شيء فيه هدايتكم والبيان لكم **﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾** أي تبعث الدواب والطيور يوم القيامة للجزاء والفصل بينهما **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾** الآية: لما ذكر قدرته على بعث الخلق

يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ

كلهم أتبعه بأن وصف مَن كذب بذلك بالصّمم والبكم، وقوله: ﴿**فِي الظُّلُمَاتِ**﴾ يقوم مقام الوصف بالعمى ﴿**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ**﴾ معناه أخبروني، والضمير الثاني للخطاب، ولا محل له من الإعراب وجواب الشرط محذوف تقديره إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة مَن تدعون؟ ثم وقفهم على أنهم لا يدعون حينئذ إلاّ الله، ولا يدعون آلهتهم، والآية احتجاج عليهم، وإثبات للتوحيد، وإبطال للشرك ﴿**إن شاء**﴾ استثناء أي يكشف ما نزل بكم إن أراد، ويصيبكم به إن أراد ﴿**وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**﴾ يحتمل أن يكون من النسيان أو الترك ﴿**فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾ كان ذلك على وجه التخفيف والتأديب ﴿**فَلَوْلَا**﴾ هذا عرض وتحضيض وفيه دليل على نفع التضرّع حين الشدائد ﴿**فَلَمَّا نَسُوا**﴾ الآية: أي لما تركوا الاتّعاظ بما ذكروا به من الشدائد فتح عليهم أبواب الرزق والنّعم ليشكروا عليها فلم يشكروا فأخذهم الله ﴿**مُبْلِسُونَ**﴾ آيسون من الخير ﴿**دَابِرُ الْقَوْمِ**﴾ آخرهم، وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية ﴿**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ شكر على هلاك الكفّار فإنه نعمة على المؤمنين وقيل إنه إخبار على ما تقدّم من الملاطفة في أخذة لهم بالشر ليزدجروا أو بالخير ليشكروا حتى وجب عليهم العذاب بعد الإنذار والإعذار ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ**﴾ الآية، احتجاج على الكفّار أيضاً ﴿**يَأْتِيكُم بِهِ**﴾ الضمير عائد على المأخوذ ﴿**يَصْدِفُونَ**﴾ أي يعرضون ﴿**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ**﴾ الآية: وعيد وتهديد، والبغتة ما لم يتقدّم لهم شعور به، والجهرة ما بدت لهم مخايله، وقيل بغتة

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن

بالليل، وجهرة بالنهار **﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾** الآية: أي لا أدّعي شيئًا منكرًا ولا يستبعد، إنما أنا نبي رسول كما كان غيري من الرسل **﴿الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾** مثال للضالّ والمهتدي **﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾** الضمير في به يعود على ما يوحى والإنذار عامّ لجميع الناس وإنما خصّص هنا بالذين يخافون، لأنه قد تقدّم في الكلام ما يقتضي اليأس من إيمان غيرهم فكأنه يقول أنذر الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار، وأعرض عمّن تقدّم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون **﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾** في موضع الحال من الضمير في يحشروا، واستئناف إخبار **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** يتعلق بأنذر **﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾** الآية: نزلت في ضعفاء المؤمنين. كبلال، وعمّار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وخباب، وصهيب، وأمثالهم، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء لشرفنا فلو طردتهم لاتّبعناك، فنزلت هذه الآية **﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾** قيل هي الصلاة بمكة قبل فرض الخمس وكانت غدوة وعشية، وقيل هي عبارة عن دوام الفعل، ويدعون هنا من الدعاء وذكر الله أو بمعنى العبادة **﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** إخبار عن إخلاصهم لله وفيه تزكية لهم **﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾** الآية: قيل الضمير في حسابهم للذين يدعون، وقيل للمشركين، والمعنى على هذا لا تحاسب عنهم، ولا يحاسبون عنك، فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم، والأول أرجح، لقوله وما أنا بطارد الذين آمنوا، وقوله إن حسابهم إلاّ على ربّي، والمعنى على هذا أنّ الله هو الذي يحاسبهم فلأي شيء تطردهم **﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾** هذا جواب النفي في قوله ما عليك **﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** هذا جواب النهي في قوله ولا تطرد أو عطف على فتطردهم **﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾** أي ابتلينا الكفّار بالمؤمنين، وذلك أن الكفّار كانوا يقولون أهؤلاء العبيد والفقراء مَنّ الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا، ونحن أشرف أغنياء

بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ

وكان هذا الكلام منهم على وجه الاستبعاد بذلك ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ردّ على الكفّار في قولهم المتقدّم ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ هم الذين نهى النبي ﷺ عن طردهم أمر بأن يسلم عليهم إكرامًا لهم وأن يؤنسهم بما بعد هذا ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي حتّمها وفي الصحيح: إن الله كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا﴾ الآية. وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح، وهو خطاب للقوم المذكورين قبل، وحكمها عامّ فيهم وفي غيرهم والجهالة قد ذكرت في النساء، وقيل نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء عسى أن يسلم الكفّار، فلما نزلت لا تطرد ندم عمر على قوله وتاب منه فنزلت الآية، وقرىء أنه بالفتح على البدل من الرحمة وبالكسر على الاستئناف، وكذلك فإنه غفور رحيم بالكسر على الاستئناف وبالفتح خبر ابتداء مضمر تقديره فأمره أنه غفور رحيم، وقيل تكرار للأولى لطول الكلام ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ﴾ الإشارة إلى ما تقدّم من النهي عن الطرد وغير ذلك، وتفصيل الآيات شرحها وبيانها ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بتاء الخطاب ونصب السبيل على أنه مفعول به، وقرىء بتاء التأنيث ورفع السبيل على أنه فاعل مؤنث وبالياء والرفع على تذكير السبيل، لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي تعبدون ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ أي إن اتبعت أهواءكم ضللت ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ أي على أمر بين من معرفة ربّي والهاء في بينة للمبالغة أو للتأنيث ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ الضمير عائد على الرب أو على البيّنة ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ أي العذاب الذي طلبوه في قولهم: فأمطر علينا حجارة من السماء، وقيل الآيات التي اقترحوها والأول أظهر ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ من القصص وقرىء يقضي بالضاد المعجمة من القضاء وهو أرجح لقوله ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ أي الحاكمين ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي لو كان عندي العذاب

ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ

على التأويل الأوّل. والآيات المقترحة على التأويل الآخر، لوقع الانفصال وزال النزاع لنزول العذاب أو لظهور الآيات **﴿مَفَاتِحُ الغَيْبِ﴾** استعارة وعبارة عن التوصّل إلى الغيب كما يتوصل بالمفاتح إلى ما في الخزائن، وهو جمع مفتح بكسر الميم بمعنى مفتاح، ويحتمل أن يكون جمع مفتح بالفتح وهو المخزن **﴿وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ﴾** تنبيه بها على غيرها لأنها أشدّ تغيبًا من كل شيء **﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾** اللوح المحفوظ، وقيل علم الله **﴿يَتَوَفَّاكُم باللَّيلِ﴾** أي إذا نمتم، وفي ذلك اعتبار واستدلال على البعث الأُخروي **﴿مَا جَرَحْتُمْ﴾** أي ما كسبتم من الأعمال **﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾** أي يوقظكم من النوم، والضمير عائد على النهار لأن غالب اليقظة فيه، وغالب النوم بالليل **﴿أَجَلٌ مُسَمًّى﴾** أجل الموت **﴿حَفَظَةً﴾** جمع حافظ وهم الملائكة الكاتبون **﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾** أي الملائكة الذين مع ملك الموت **﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾** خروج من الخطاب إلى الغيبة والضمير لجميع الخلق **﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾** الآية: إقامة حجة، وظلمات البر والبحر: عبارة عن شدائدهما وأهوالهما كما يقال لليوم الشديد مظلم **﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾** قيل الذي من فوق إمطار الحجارة، ومن تحت الخسف، وقيل من فوقكم: تسليط أكابركم، ومن تحت أرجلكم: تسليط سفلاتكم، وهذا بعيد **﴿أَو يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾** أي يخلطكم فرقًا مختلفين **﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾** بالقتال، واختلف هل الخطاب بهذه الآية للكفّار أو المؤمنين؟ ورُوِيَ أنه لمّا نزلت أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم، قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهه»، فلما

يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا

نزلت من تحت أرجلكم قال: «أعوذ بوجهك»، فلما نزلت أو يلبسكم شيعًا، قال النبي ﷺ: «هذا أهون»، فقضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال إلى يوم القيامة.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ الضمير عائد على القرآن، أو على الوعيد المتقدّم، وقومك هم قريش ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي بحفيظ ومتسلّط، وفي ذلك متاركة نسختها آية القتال ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي في غاية يعرف عندها صدق مَن كذبه ﴿يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ في الاستهزاء بها والطعن فيها ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي قم ولا تجالسهم ﴿وإمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ إما مركّبة من إن الشرطية وما الزائدة، والمعنى إن أنساك الشيطان النهي عن مجالستهم، فلا تقعد بعد أن تذكر النهي ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ الذين يتقون هم المؤمنون والضمير في حسابهم للكفّار والمستهزئين والمعنى ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفّار على استهزائهم وإضلالهم، وقيل إن ذلك يقتضي إباحة جلوس المؤمنين مع الكافرين، لأنهم شقّ عليهم النهي عن ذلك إذا كانوا لا بدّ لهم من مخالطتهم في طلب المعاش وفي الطواف بالبيت وغير ذلك، ثم نسخت بآية النساء، وهي: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٤٠] الآية، وقيل إنها لا تقتضي إباحة القعود ﴿وَلَكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيه وجهان أحدهما أن المعنى ليس على المؤمنين حساب الكفّار، ولكن عليهم تذكيرًا لهم، ووعظ، وإعراب ذكرى على هذا نصب على المصدر وتقديره يذكرونهم ذكرى، أو رفع على المبتدإ تقديره عليهم ذكري، والضمير في لعلّهم عائد على الكفّار: أي يذكرونهم رجاء أن يتّقوا أو عائد على المؤمنين أي يذكرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى الله. الوجه الثاني أن المعنى ليس نهي المؤمنين عن القعود مع الكافرين بسبب أن عليهم من حسابهم شيء وإنما هو ذكرى للمؤمنين، وإعراب ذكرى على هذا خبر ابتداء مضمر تقديره: ولكن نهيهم ذكرى أو مفعول من أجله تقديره إنما نهوا ذكرى، والضمير في لعلّهم على هذا للمؤمنين لا غير ﴿وَذَرِ الَّذِينَ﴾ قيل إنها متاركة منسوخة بالسيف، وقيل بل هي تهديد فلا متاركة ولا نسخ فيها ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا ولَهْوًا﴾

وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ

أي اتخذوا الدين الذي كان ينبغي لهم لعبًا ولهوًا لأنهم سخروا منّا واتخذوا الدين الذي يعتقدونه لعبًا ولهوًا لأنهم لا يؤمنون بالبعث فهم يلعبون ويلهون ﴿**وذَكِّرْ بِهِ**﴾ الضمير عائد على الدين أو على القرآن ﴿**أَن تُبْسَلَ**﴾ قيل معناه أن تحبس، وقيل تفضح، وقيل تهلك وهو في موضع مفعول من أجله أي ذكر به كراهة أن تبسل نفس ﴿**وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ**﴾ أي وإن تعط كل فدية لا يؤخذ منها ﴿**قُلْ أَندْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ الآية: إقامة حجة وتوبيخ للكفّار ﴿**وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا**﴾ أي نرجع من الهدى إلى الضلال وأصل الرجوع على العقب في المشي، ثم استعير في المعاني، وهذه جملة معطوفة على أندعوا، والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ ﴿**كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ**﴾ الكاف في موضع نصب على الحال من الضمير في نرد: أي كيف نرجع مشبهين مَن استهوته الشياطين أو نعت لمصدر محذوف تقديره ردًا كردّ الذي، ومعنى استهوته الشياطين ذهبت به في مهامه الأرس، وأخرجته عن الطريق فهو استفعال من هوى يهوي في الأرض إذا ذهب فيها، وقال الفارسي: استهوى بمعنى أهوى وقد استذلّ بمعنى أذلّ ﴿**حَيرَان**﴾ أي ضالّ عن الطريق، وهو نصب على الحال من المفعول في استهوته ﴿**لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الهدى ائْتِنَا**﴾ أي لهذا المستهوي أصحاب وهم رفقة يدعونه إلى الهدى أي إلى أن يهدوه إلى الطريق، يقولون له ائتنا، وهو قد تاه وبعد عنهم فلا يجيبهم: وهذا كله تمثيل لمَن ضلّ في الدين عن الهدى، وهو يدعى إلى الإسلام فلا يجيب، وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق حين كان أبوه يدعوه إلى الإسلام، ويبطل هذا قول عائشة ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلاّ براءتي ﴿**وَأَنْ أَقِيمُوا**﴾ عطف على لنسلم، أو على مفعول أمرنا ﴿**قَوْلُهُ الْحَقُّ**﴾ مرفوع بالابتداء وخبره يوم يقول، وهو مقدّم عليه والعامل فيه معنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال،

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ

واليوم بمعنى الحين وفاعل يكون مضمر، وهو فاعل كن أي حين يقول لشيء كن فيكون ذلك الشيء ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ظرف لقوله له الملك كقوله لمَن المُلْك اليوم، وقيل في إعراب الآية غير هذا مما هو ضعيف أو تخليط ﴿عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ خبر ابتداء مضمر ﴿لأَبِيهِ آزَرَ﴾ هو اسم أبي إبراهيم، فإعرابه عطف بيان أو بدل، ومنع من الصرف للعجمة والعلمية، لا للوزن لأن وزنه فاعل نحو عابر وشالح، وقرىء بالرفع على النداء، وقيل إنه اسم صنم لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تارخ، فعلى هذا يحتمل أن يكون لقب به لملازمته له، أو أُريد عابد آزر، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد، ولا يبعد أن يكون له اثنان ﴿نُرِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ قيل إنه فرج الله السمٰوات والأرض حتى رأى ببصره الملك الأعلى والأسفل، وهذا يحتاج إلى صحة نقل، وقيل رأى ما يراه الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه ﴿وَلِيَكُونَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره وليكون من الموقنين فعلنا به ذلك ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي ستره يقال جنّ عليه الليل وأجنّه ﴿رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ يحتمل أن يكون هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف. وقد رُوِيَ أن أُمه ولدته في غار خوفًا من نمروذ إذ كان يقتل الأطفال لأن المنجّمين أخبروه أن هلاكه على يد صبي، ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الردّ عليهم والتوبيخ لهم، وهذا أرجح لقوله بعد ذلك ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار لأن ذلك يقتضي محاجّة وردًّا على قومه، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبيّن لهم الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصحّ أن يكون واحدًا منها إلهًا لقيام الدليل على حدوثها وأن الذي أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأُفولها هو الإله الحق وحده، وقوله: هذا ربّي قول مَن ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل لأن ذلك أدعى إلى الحق وأقرب إلى رجوع الخصم، ثم أقام عليهم الحجة بقوله، لا أُحبّ

قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن

الآفلين: أي لا أحبّ عبادة المتغيّرين لأن التغيّر دليل على الحدوث، والحدوث ليس من صفة الإله ثم استمرّ على ذلك المنهاج في القمر وفي الشمس، فلما أوضح البرهان، وأقام عليهم الحجّة، جاهرهم بالبراءة من باطلهم، فقال إني بريء مما تشركون، ثم أعلن لعبادته لله وتوحيده له فقال: ﴿**إني وَجَّهتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ**﴾، ووصف الله تعالى بوصف يقتضي توحيده وانفراده بالمُلْك، فإن قيل: لِمَ احتجّ بالأُفول دون الطلوع، وكلاهما دليل على الحدوث لأنهما انتقال من حال إلى حال؟ فالجواب أنه أظهر في الدلالة، لأنه انتقال مع اختفاء واحتجاب ﴿**أَتحاجُوني في اللَّهِ**﴾ أي في الإيمان بالله وفي توحيده والأصل أتحاجُونني بنونين وقرىء بالتشديد على إدغام أحدهما في الآخر، وبالتخفيف على حذف أحدهما واختلف هل حذفت الأولى أو الثانية ﴿**ولاَ أخَافُ مَا تُشرِكُونَ بِهِ**﴾ ما هنا بمعنى الذي ويريد بها الأصنام، وكانوا قد خوّفوه أن تصيبه أصنامهم بضرّ، فقال لا أخاف منهم لأنهم لا يقدرون على شيء ﴿**إلاَّ أن يَشَاءَ رَبِّي شَيئًا**﴾ استثناء منقطع بمعنى لكن: أي إنما أخاف من ربّي إن أراد بي شيئًا ﴿**وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشرَكْتُمْ**﴾ أي كيف أخاف شركاءكم الذين لا يقدرون على شيء وأنتم لا تخافون ما فيه كل خوف، وهو إشراككم بالله وأنتم تنكرون على الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف، ثم أوقفهم على ذلك بقوله فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن يعني فريق المؤمنين، وفريق الكافرين، ثم أجاب عن السؤال بقوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ الآية: وقيل إن الذين آمنوا: استئناف، وليس من كلام إبراهيم ﴿**وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُم بِظُلْم**﴾ لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقالوا وأيّنا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا**﴾ إشارة إلى ما تقدّم من استدلاله واحتجاجه ﴿**وَمن**

نَشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ

﴿ذُرِّيَّتِهِ﴾ الضمير لإبراهيم أو لنوح عليهما السلام، والأول هو الصحيح لذكر لوط وليس من ذرّيّة إبراهيم ﴿دَاوُدَ﴾ عطف على نوحًا أي وهدينا داود ﴿وَعِيسَى﴾ فيه دليل على أن أولاد البنات يقال فيهم ذرّيّة، لأن عيسى ليس له أب فهو ابن ابنة نوح ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾ في موضع نصب عطف على ﴿كُلاًّ﴾ أي وهدينا بعض آبائهم ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاَءِ﴾ أي أهل مكة ﴿وكّلنا بها قومًا﴾ هم الأنبياء المذكورون، وقيل الصحابة، وقيل كل مؤمن والأول أرجح لدلالة ما بعده على ذلك، ومعنى توكيلهم بها توفيقهم للإيمان بها والقيام بحقوقها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ إشارة إلى الأنبياء المذكورين ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقتده﴾ استدلّ به مَن قال إن شرع مَن قبلنا شرع لنا فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فاتفقت فيه جميع الأمم والشرائع، وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع والخلاف هل يقتدي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فيها بمَن قبله أم لا؟ والهاء في اقتده للوقف فينبغي أن تسقط في الوصل، ولكن مَن أثبتها فيه راعى ثبوتها في خط المصحف ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي ما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم إذ أنكروا بعثه للرُسُل وإنزاله للكتب، والقائلون هم اليهود بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار نبوّة محمد ﷺ، ورُوِيَ أن الذي قالها منهم مالك بن الضيف، فلردّ الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بدّ لهم من الإقرار به وهو إنزال التوراة على موسى، وقيل القائلون قريش، ولزموا ذلك لأنهم كانوا مُقرّين بالتوراة ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ الخطاب لليهود أو

تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ

لقريش على وجه إقامة الحجة والردّ عليهم في قولهم ما أنزل الله على بشر من شيء، فإن كان لليهود، فالذي علموه التوراة، وإن كان لقريش فالذي علموه ما جاء به محمد ﷺ **﴿قُلِ اللَّهُ﴾** جواب من أنزل واسم الله مرفوع بفعل مضمر تقديره أنزله الله أو مرفوع بالابتداء **﴿وَلِتُنذِرَ﴾** عطف على صفة الكتاب **﴿أُمَّ الْقُرَى﴾** مكة، وسُمّيت أمّ القرى، لأنها مكان أوّل بيت وضع للناس، ولأنه جاء أن الأرض دحيت منها ولأنها يحجّ إليها أهل القرى من كل فجّ عميق **﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾** هو مسيلمة وغيره من الكذّابين الذين ادّعوا النبوّة **﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾** هو النضر بن الحرث لأنه عارض القرآن واللفظ عامّ فيه وفي غيره من المستهزئين **﴿وَلَوْ تَرَى﴾** جوابه محذوف تقديره: لرأيت أمرًا عظيمًا، والظالمون: مَن تقدّم ذكره من اليهود والكذّابين والمستهزئين، فتكون اللام للعهد، وأعمّ من ذلك فتكون للجنس **﴿بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾** أي تبسط الملائكة أيديهم إلى الكفّار يقولون لهم أخرجوا أنفسكم، وهذه عبارة عن التعنيف في السياق والشدّة في قبض الأرواح **﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾** يحتمل أن يريد ذلك الوقت بعينه أو الوقت الممتد من حينئذ إلى الأبد **﴿الْهُونِ﴾** الذلّة **﴿فُرَادَى﴾** منفردين عن أموالكم وأولادكم أو عن شركائهم، والأول يترجح لقوله: **﴿تَرَكْتُم مَا خَوَّلْنَاكُم﴾**: أي ما أعطيناكم من الأموال والأولاد، ويترجح الثاني بقوله: وما نرى معكم شفعاءكم **﴿تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾** تفرّق شملكم ومَن قرأه بالرفع أسند الفعل إلى الظرف واستعمله استعمال الأسماء، ويكون البين بمعنى الفرقة، أو بمعنى الوصل، ومَن قرأه بالنصب: فالفاعل مصدر الفعل، أو محذوف تقديره تقطع الاتصال بينكم.

﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ أي يفلق الحبّ تحت الأرض لخروج النبات منها، ويفلق

وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ

النوى لخروج الشجر منها وقيل أراد الشقّين اللذين في النواة والحنطة، والأول أرجح لعمومه في أصناف الحبوب ﴿يُخرِجُ الحَيَّ﴾ تقدّم في آل عمران ﴿وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ معطوف على فالق ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ أي الصبح فهو مصدر سمّي به الصبح، ومعنى فلقه أخرجه من الظلمات، وقيل إن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح، فالتقدير فالق ظلمة الإصباح ﴿سَكَنًا﴾ أي يسكن فيه عن الحركات ويستراح ﴿حُسْبَانًا﴾ أي يعلم بهما حساب الأزمان والليل والنهار ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ما أحسن ذكر هذين الاسمين هنا لأن العزيز يغلب كل شيء ويقهره، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخرهما كيف شاء، والعليم لما في تقدير الشمس والقمر والليل والنهار من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ والبَحْرِ﴾ أي في ظلمات الليل في البرّ والبحر، وأضاف الظلمة إليها لملابستها لهما، أو شبه الطرق المشتبهة بالظلمات ﴿فَمُسْتَقِرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ من كسر القاف من مستقرّ فهو اسم فاعل، ومستودع اسم مفعول، والتقدير فمنكم مستقرّ ومستودع، ومن فتحها؛ فهو اسم مكان أو مصدر، ومستودع مثله، والتقدير على هذا لكم مستقرّ ومستودع، والاستقرار في الرحم والاستيداع في الصلب، وقيل الاستقرار فوق الأرض والاستيداع تحتها ﴿فَأَخرَجْنا بِهِ﴾ الضمير عائد على الماء ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ الضمير عائد على النبات ﴿خَضِرًا﴾ أي أخضر غضًا، وهو يتولّد من أصل النبات من الفراخ ﴿نُّخرِجُ مِنْهُ﴾ الضمير عائد على الخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يعني السنبل لأن حبه بعضه على بعض، وكذلك الرمّان وشبهه ﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قنو، وهو العنقود من التمر، وهو مرفوع بالابتداء وخبره من النخل، ومن طلعها بدل، والطلع أول ما يخرج من التمر في أكمامه ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي قريبة سهلة التناول، وقيل قريبة بعضها من بعض ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ بالنصب عطف على نبات كل شيء وقرىء في غير السبع بالرفع عطف على قنوان ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ نصب على الحال من

ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ

الزيتون والرمّان، أو من كل ما تقدّم من النبات، والمشتبه والمتشابه بمعنى واحد أي من النبات ما يشبه بعضه بعضًا في اللون والطعم والصورة، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضًا، وفي ذلك دليل قاطع على الصانع المختار القدير العليم المريد **﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾** أي انظروا إلى ثمره أول ما يخرج ضعيفًا لا منفعة فيه، ثم ينتقل من حال إلى حال حتى ينيع أي ينضج ويطيب **﴿شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾** نصب الجنّ على أنه مفعول أول لجعلوا وشركاء مفعول ثانٍ، وقدّم لاستعظام الإشراك، أو شركاء مفعول أول، والله في موضع المفعول الثاني والجنّ بدل من شركاء والمراد بهم هنا الملائكة، وذلك ردًا على مَن عبدهم؛ وقيل المراد الجن، والإشراك بهم طاعتهم **﴿وَخَلَقَهُمْ﴾** الواو للحال، والمعنى الردّ عليهم: أي جعلوا لله شركاء، وهو خلقهم، والضمير عائد إلى الجنّ، أو على الجاعلين، والحجة قائمة على الوجهين **﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَات﴾** أي اختلقوا وزوّروا، والبنين قول النصارى في المسيح، واليهود في عزير، والبنات قول العرب في الملائكة **﴿بِغَيْرِ عِلْم﴾** أي قالوا ذلك بغير دليل ولا حجة بل مجرد افتراء **﴿بَدِيع﴾** ذكر معناه في البقرة، ورفعه على أنه خبر ابتداء مضمر أو مبتدأ وخبره: أنّى يكون، وفاعل تعالى، والقصد به الردّ على مَن نسب لله البنين والبنات، وذلك من وجهين: أحدهما أن الولد لا يكون إلاّ من جنس والده، والله تعالى متعالٍ عن الأجناس، لأنه مبدعها، فلا يصحّ أن يكون له ولد والآخر أن الله خلق السمٰوات والأرض ومَن كان هكذا فهو غنيٌّ عن الولد وعن كل شيء **﴿فَاعْبُدُوهُ﴾** مسبّب عن مضمون الجملة أي مَن كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده **﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾** يعني في الدنيا وأما في الآخرة، فالحق أن المؤمنين يرون ربهم بدليل قوله: **﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة﴾** [القيامة: ٢٣]، وقد جاءت في ذلك أحاديث صحيحة صريحة، لا تحتمل التأويل، وقالت الأشعرية إن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة عقلاً، لأن موسى سألها مَن الله، ولا يسأل موسى ما هو مُحال، وقد اختلف الناس هل رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ربّه ليلة الإسراء أم لا **﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾** قال بعضهم الفرق بين الرؤية والإدراك أن الإدراك

فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ

يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى غايته، فلذلك نفى أن تدرك أبصار الخلق ربّهم، ولا يقتضي ذلك نفي الرؤية وحسن على هذا قوله وهو يدرك الأبصار لإحاطة علمه تعالى بالخفيّات ﴿**اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾ أي لطيف عن أن تدركه الأبصار وهو الخبير بكل شيء، وهو يدرك الأبصار ﴿**قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ**﴾ جمع بصيرة، وهو نور القلب، والبصر نور العين، وهذا الكلام على لسان النبي ﷺ وما أنا عليكم بحفيظ ﴿**وَلِيَقُولُوا**﴾ متعلّق بمحذوف تقديره ليقولوا صرفنا الآيات ﴿**دَرَسْتَ**﴾ بإسكان السين وفتح التاء درست العلم وقرأته، ودارست بالألف أي دارست العلم وتعلّمت منه، ودرست بفتح السين وإسكان التاء بمعنى قدمت هذه الآيات ودبرت ﴿**وَلِنُبَيِّنَهُ**﴾ الضمير للآيات وجاء مذكّرًا لأن المراد بها القرآن ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ**﴾ إن كان معناه أعرض عمّا يدعونك إليه؛ أو عن مجادلتهم فهو محكم، وإن كان عن قتالهم وعقابهم فهو منسوخ وكذلك ما أنا عليكم بحفيظ وبوكيل ﴿**وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ أي لا تسبّوا آلهتهم فيكون ذلك سببًا لأن يسبّوا الله، واستدل المالكية بهذا على سدّ الذرائع ﴿**قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ**﴾ أي هي بيد الله لا بيدي ﴿**وَمَا يُشْعِرُكُمْ**﴾ أي ما يدريكم، وهو من الشعور بالشيء، وما نافية أو استفهامية ﴿**أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ مَن قرأ بفتح أنها فهو معمول يشعركم: أي ما يدريكم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها، نحن نعلم ذلك وأنتم لا تعلمونه وقيل لا زائدة، والمعنى ما يشعركم أنهم يؤمنون، وقيل أن هنا بمعنى لعلّ فمَن قرأ بالكسر فهي استئناف إخبار وتمّ الكلام في قوله وما يُشعركم أي ما يشعركم ما يكون منهم فعلى القراءة بالكسر يوقف على ما يشعركم وأما على القراءة بالفتح فإن كانت مصدرية لم يوقف عليه لأنه عامل فيها وإن كانت بمعنى لعلّ فأجاز بعض الناس الوقف ومنعه شيخنا أبو جعفر بن الزبير، لما في لعلّ من معنى التعليل ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُم وَأَبْصَارَهُم**﴾ أي نطبع عليها ونصدّها عن الفهم فلا يفهمون ﴿**كَمَا لَمْ**

وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا

يُؤمِنوا﴾ الكاف للتعليل أي نطبع على أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم على أنهم لا يؤمنون به أول مرة، ويحتمل أن تكون للتشبيه أي نطبع عليها إذا رأوا الآيات مثل طبعنا عليها أول مرة **﴿وَلَوْ أَنَنا نَزَّلْنَا إِلَيهِمُ المَلائِكَةَ﴾** الآية: ردّ عليهم في قسمهم أنهم لو جاءتهم آية ليؤمنون بها أي لو أعطيناهم هذه الآيات التي اقترحوها وكل آية لم يؤمنوا إلاّ أن يشاء الله **﴿قِبلاً﴾** بكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فنصبه على الحال، وقرىء بضمتين، ومعناه مواجهة: كقوله: ﴿قدَّ مَنْ قبل﴾ [يوسف: ٢٦]، وقيل هو جمع قبيل بمعنى كفيل، أي كفلاً بتصديق رسول الله ﷺ **﴿وَكَذَلِكَ جعَلْنا لِكُلِّ نَبِيّ عَدُوًّا﴾** الآية: تسلية للنبي ﷺ بالتأسي لغيره **﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ والْجِنّ﴾** أي المتمردين من الصنفين، ونصب شياطين على البدل من عدوًّا، إذ هو بمعنى الجمع أو مفعول أول، وعدوًّا مفعول ثانٍ **﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾** أي يوسوس ويُلقي الشر **﴿زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا﴾** ما يزينه من القول **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾** الضمير عائد على وحيهم، أو على عداوة الكفّار **﴿فَذَرْهُمْ﴾** وعيد **﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾** ما في موضع نصب على أنها مفعول معه أو عطف على الضمير **﴿وَلِتَصْغَى﴾** أي تميل وهو متعلق بمحذوف واللام لام الصيرورة **﴿إِلَيْهِ﴾** الضمير لوحيهم **﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾** يكتسبوا **﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾** معمول لقول محذوف أي قل لهم **﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾** أي صحّت والكلمات ما نزل على عباده من كتبه **﴿صِدْقًا وَعَدْلاً﴾** أي صدقًا فيما أخبر وعدلاً فيما حكم **﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ**

﴿تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣)﴾

﴿اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ القصد بهذا الأمر إباحة ما ذكر اسم الله عليه، والنهي عمّا ذبح للنصب وغيرها، وعن الميتة وهذا النهي يقتضيه دليل الخطاب من الأمر، ثم صرّح به في قوله ولا تأكلوا مما لم يُذكَر اسم الله عليه؛ وقد استدلّ بذلك من أوجب التسمية على الذبيحة وإنما جاء الكلام في سياق تحريم الميتة وغيرها، فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليل على وجوب التسمية في ذبائح المسلمين، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك، وقال عطاء: لهذه الآية أمر بذكر الله على الذبح والأكل والشرب **﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا﴾** المعنى أن أي غرض لكم في ترك الأكل، مما ذكر اسم الله عليه، وقد بيّن لكم الحلال من الحرام **﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾** استثناء بما حرم **﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾** لفظ يعمّ أنواع المعاصي؛ لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر؛ وقيل الظاهر الأعمال والباطن الاعتقاد **﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾** الضمير لمصدر لا تأكلوا **﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِم لِيُجَادِلُوكُمْ﴾** سببها أن قومًا من الكفّار قالوا إنّا نأكل ما قتلناه، ولا نأكل ما قتل الله يعنون الميتة **﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾** الموت هنا عبارة عن الكفر، والإحياء عبارة عن الإيمان، والنور: نور الإيمان، والظلمات الكفر؛ فهي استعارات وفي قوله ميتًا فأحييناه مطابقة وهي من أدوات البيان، ونزلت الآية في عمّار بن ياسر، وقيل في عمر بن الخطاب والذي في الظلمات أبو جهل، ولفظها أعمّ من ذلك **﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾** مثل هنا بمعنى صفة، وقيل زائدة، والمعنى كمَن هو **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ﴾** أي كما جعلنا في مكة أكابرها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية، وإنما ذكر الأكابر، لأن غيرهم تبع لهم؛ والمقصود تسلية النبي ﷺ **﴿مُجْرِمِيهَا﴾** إعرابه مضاف إليه عند الفارسي وغيره؛ وقال ابن عطية وغيره: إنه مفعول أول بجعلنا وأكابر مفعول ثانٍ مقدّم؛ وهذا جيد في المعنى ضعيف في العربية، لأن أكابر جمع أكبر وهو من

وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا

أفعل فلا يستعمل إلاّ بمن أو بالإضافة ﴿**قالوا لن نؤمن**﴾ الآية: قائل هذه المقالة أبو جهل، وقيل الوليد بن المغيرة، لأنه قال أنا أولى بالنبوّة من محمد ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾ ردّ عليهم فيما طلبوه، والمعنى أن الله علم أن محمدًا صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم أهل للرسالة، فخصّه بها وعلم أنهم ليسوا بأهل لها فحرمهم إياها، وفي الآية من أدوات البيان الترديد لكونه ختم كلامهم باسم الله ثم ردّه في أول كلامه ﴿**صغار**﴾ أي ذلّة ﴿**يشرح صدره للإسلام**﴾ شرح الصدر وضيقه وحرجه: ألفاظ مستعارة ومَن قرأ حرجًا بفتح الراء فهو مصدر وصف به ﴿**كأنما يصّعّد في السماء**﴾ أي كأنما يحاول الصعود إلى السماء، وذلك غير ممكن، فكذلك يصعب عليه الإيمان وأصل يصعد المشدّد يتصعّد، وقرىء بالتخفيف ﴿**دار السلام**﴾ الجنة، والسلام هنا يحتمل أن يكون اسم الله، فأضافها إليه؛ لأنها ملكه وخلقه، أو بمعنى السلامة والتحيّة ﴿**ويوم يحشرهم**﴾ العامل في يوم محذوف تقديره اذكر، وتقديره قلنا، ويكون على هذا عاملاً في يوم وفي ﴿**يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس**﴾ أي أضللتم منهم كثيرًا، وجعلتموهم أتباعكم كما تقول استكثر الأمير من الجيش ﴿**استمتع بعضنا ببعض**﴾ استمتاع الجن بالإنس: طاعتهم لهم واستمتاع الإنس بالجن كقوله: ﴿وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ فإن الرجل كان إذا نزل واديًا قال أعوذ بصاحب هذا الوادي يعني كبير الجن ﴿**وبلغنا أجلنا**﴾ هو الموت وقيل الحشر ﴿**إلاّ ما شاء الله**﴾ قيل الاستثناء من الكاف والميم في مثواكم فما بمعنى من، لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس والمستثنى على هذا مَن آمن منهم، وقيل الاستثناء من مدّة الخلود وهو الزمان الذي بين حشرهم إلى دخول النار، وقيل الاستثناء من النار، وهو

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا

دخولهم الزمهرير، وقيل ليس المراد هنا بالاستثناء الإخراج، وإنما هو على وجه الأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه ﴿نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي نجعل بعضهم وليًا لبعض، وقيل يتبع بعضهم بعضًا في دخول النار، وقيل نسلّط بعضهم على بعض ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾ تقرير للجن والإنس، فقيل إن الجن بعث فيهم رسل منهم لظاهر الآية، وقيل إنما الرسل من الإنس خاصّة، وإنما قال رسل منكم لأنه جمع الثقلين في الخطاب ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ لا تنافي بينه وبين قولهم ما كنّا مشركين، لما تقدّم هناك فإن قيل: لِمَ كرّر شهادتهم على أنفسهم؟ فالجواب أن قولهم شهدنا على أنفسنا قول قالوه هم، وقوله شهدوا على أنفسهم ذلّ لهم وتقبيح لحالهم.

﴿ذَلِكَ﴾ خبر ابتداء مضمر تقديره الأمر ذلك أو مفعول لفعل مضمر تقديره فعلنا ذلك، والإشارة إلى بعث الرسل ﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾ تعليل لبعث الرسل، وهو في موضع مفعول من أجله، أو بدل من ذلك ﴿بظلم﴾ فيه وجهان: أحدهما أن الله لم يكن ليهلك القرى دون بعث الرسل إليهم، فيكون إهلاكهم ظلمًا إذ لم ينذرهم، فهو كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعث رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥]، والآخر أن الله لا يهلك القرى بظلمهم إذا ظلموا، دون أن ينذرهم، ففاعل الظلم على هذا أهل القرى وغفلتهم وعدم إنذارهم، حكى الوجهين ابن عطية والزمخشري والوجه الأول صحيح على مذهب المعتزلة، ولا يصحّ على مذهب أهل السُّنة، لأن الله لو أهلك عباده بغير ذنب: لم يكن ظالمًا عندهم ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ﴾ منازل في الجزاء على أعمالهم من الثواب والعقاب ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ﴾ أين من ذرّية أهل سفينة نوح أو مَن كان قبلهم إلى آدم ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ الأمر هنا للتهديد، والمكانة التمكّن ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد ﴿مَن تَكُونُ لَهُ﴾ يحتمل أن تكون من موصولة في

يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا

موضع نصب على المفعولية أو استفهامية في موضع رفع بالابتداء **﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾** أي الآخرة أو الدنيا، والأول أرجح لقوله: عقبى الدار جنات عدن **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾** الضمير في جعلوا لكفّار العرب قال السهيلي هم حيّ من خولان، يقال لهم الأَديم كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم ومن أنعامهم نصيبًا لله ونصيبًا لأصنامهم ومعنى ذرأ خلق وأنشأ، ففي ذلك ردّ عليهم، لأن الله الذي خلقها وذرأها: هو مالكها لا ربّ غيره **﴿بِزَعْمِهِمْ﴾** أي بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع وأكثر ما يقال الزعم في الكذب، وقرىء بفتح الزاي وضمّها وهما لغتان **﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾** الآية كانوا إذا هبّت لريح فحملت شيئًا من الذي لله إلى الذي للأصنام أقرّوه، وإن حملت شيئًا من الذي للأصنام إلى الذي لله ردّوه وإذا أصابتهم سنة أكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم **﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَاؤُهُم﴾** كانوا يقتلون أولادهم بالوأد ويذبحونهم قربانًا إلى الأصنام وشركاؤهم هنا هم الشياطين، أو القائمون على الأصنام وقرأ الجمهور بفتح الزاي من زين على البناء للفاعل، ونصب قتل على أنه مفعول وخفض أولادهم بالإضافة ورفع شركاؤهم على أنه فاعل بزين، والشركاء على هذه القراءة هم الذين زيّنوا القتل، وقرأ ابن عباس بضم الزاي على البناء للمفعول، ورفع قتل على أنه مفعول لم يُسَمّ فاعله، ونصب أولادهم على أنه مفعول بقتل، وخفض شركائهم على الإضافة إلى قتل إضافة المصدر إلى فاعله، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله: **﴿أَوْلاَدِهِمْ﴾**، وذلك ضعيف في العربية وقد سمع في الشعر، والشركاء على هذه القراءة هم القاتلون للأولاد **﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾** أي ليهلكوهم وهو من الردى بمعنى الهلاك **﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾** أي حرام، وهو فعل بمعنى مفعول، نحو ذبح، فيستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع **﴿لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاءُ﴾** أي لا يأكلها إلاّ مَن شاؤوا وهم القائمون على الأصنام،

وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ

والرجال دون النساء ﴿**وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا**﴾ أي لا تُركَب، وهي السائبة وأخواتها ﴿**وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّه عَلَيْهَا**﴾ قيل معناه لا يحج عليها فلا يذكر اسم الله بالتلبية، وقيل لا يذكر اسم الله عليها إذا ذبحت ﴿**افْتِرَاءً عَلَيْهِ**﴾ كانوا قد قسموا أنعامهم على هذه الأقسام ونسبوا ذلك إلى الله افتراءً وكذبًا ونصب على الحال أو مفعول من أجله، أو مصدر مؤكّد ﴿**وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ**﴾ الآية: كانوا يقولون في أجنة البحيرة والسائبة ما ولد منها حيًا فهو للرجال خاصّة ولا يأكل منها النساء، وما ولد منها ميتًا اشترك فيه الرجال والنساء وأنّث خالصة للحمل على المعنى وهي الأجنة وذكر محرم حملاً على لفظ ما ويجوز أن تكون التاء للمبالغة ﴿**وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ**﴾ أي البحيرة والسائبة وشبهها ﴿**جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ**﴾ مرفوعات على دعائم وشبهها ﴿**وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ**﴾ متروكات على وجه الأرض، وقيل المعروشات ما غرسه الناس في العمران وغير معروشات: ما أنبته الله في الجبال والبراري ﴿**مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ**﴾ في اللون والطعم والرائحة والحجم، وذلك دليل على أن الخالق مختار مريد ﴿**وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ قيل حقه هنا الزكاة وهو ضعيف لوجهين: أحدهما أن الآية مكيّة، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة، والآخر أن الزكاة لا تُعطى يوم الحصاد، وإنما تعطى يوم ضمّ الحبوب والثمار، وقيل حقه ما يصدق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجبًا ثم نسخ بالعشر، وقيل هو ما يسقط من السنبل، والأمر على هذا للندب ﴿**حَمُولَةً وَفَرْشًا**﴾ عطف على جنات، والحمولة الكبار، والفرش الصغار: كالعجاجيل والفصلان وقيل الحمولة الإبل لأنها يحمل عليها، والفرش الغنم لأنها تفرش للذبح ويفرش ما ينسج من صوفها ﴿**ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ**﴾ بدل من حمولة وفرشًا، وسمّاها

أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ

أزواجًا، لأن الذكر زوج للأنثى والأنثى زوج للذكر ﴿**مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ**﴾ يريد الذكر والأنثى، وكذلك فيما بعده ﴿**قُلْ آلذَّكَرَيْنِ**﴾ يعني الذكر من الضأن والذكر من المعز، ويعني بالأنثيين الأنثى من المعز، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر والهمزة للإنكار ﴿**نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ**﴾ تعجيز وتوبيخ ﴿**افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾ يعني في تحريم ما لم يحرم الله، وذلك إشارة إلى العرب في تحريمهم أشياء كالبحيرة وغيرها ﴿**قُل لَّا أَجِدُ**﴾ الآية تقتضي حصر المحرّمات فيما ذكر، وقد جاء في السُّنّة تحريم أشياء لم تذكر هنا كلحوم الحمر فذهب قوم إلى أن السُّنّة نسخت هذا الحصر، وذهب آخرون إلى أن الآية وردت على سبب فلا تقتضي الحصر، وذهب آخرون إلى أن ما عدا ما ذكر إنما نهي عنه على وجه الكراهة لا على وجه التحريم ﴿**أَوْ فِسْقًا**﴾ معطوف على المنصوبات قبله، وهو ما أهلّ به لغير الله سمّاه فسقًا لتوغله في الفسق، وقد تقدّم الكلام على هذه المحرّمات في البقرة ﴿**كُلَّ ذِي ظُفُرٍ**﴾ هو ما له أصبع من دابّة وطائر قاله الزمخشري وقال ابن عطيّة: يراد به الإبل والأوز والنعام ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الأصابع أو له ظفر وقال الماوردي مثله، وحكى النقّاش عن ثعلب أن كل ما لا يصيد فهو ذو ظفر وما يصيد فهو ذو مخلب، وهذا غير مطّرد، لأن الأسد ذو ظفر ﴿**إلاّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُما**﴾ يعني ما في الظهور والجنوب من الشحم ﴿**أو الْحَوَايَا**﴾ هي المباعر، وقيل المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوّى في البطن وواحد حوايا حوية على وزن فعلية فوزن حوايا على هذا فعائل كصحيفة وصحائف، وقيل واحدها حاوية على وزن فاعلة فحوايا على هذا فواعل: كضاربة وضوارب، وهو معطوف على ما في قوله: ﴿**إلاّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا**﴾، فهو من المستثنى من التحريم، وقيل عطف على الظهور، فالمعنى إلاّ

ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

ما حملت الظهور، أو حملت الحوايا، وقيل عطف على الشحوم، فهو من المحرم **﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾** يريد ما في جميع الجسد **﴿وإنَّا لَصَادِقُونَ﴾** أي فيما أخبرنا به من التحريم، وفي ذلك تعريض بكذب مَن حرم ما لم يحرم الله **﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾** أي إن كذّبوك فيما أخبرت به من التحريم فقل لهم ربّكم ذو رحمة واسعة إذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدّة جرمكم، وهذا كما تقول عند رؤية معصية ما أحلم الله: تريد لإمهاله عن مثل ذلك ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله: **﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾** أي لا تغترّوا بسعة رحمته، فإنه لا يردّ بأسه عن مثلكم إما في الدنيا أو في الآخرة **﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾** الآية: معناه أنهم يقولون إن شركهم وتحريمهم لما حرّموا كان بمشيئة الله ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، فاحتجّوا على ذلك بإرادة الله له، وتلك نزغة جبرية، ولا حجة لهم في ذلك، لأنهم مُكلّفون مأمورون ألاّ يشركوا بالله، ولا يحلّلوا ما حرّم الله ولا يحرّموا ما حلّل الله، والإرادة خلاف التكليف، ويحتمل عندي أن يكون قولهم: **﴿لَو شَاءَ اللَّهُ﴾** قولاً يقولونه في الآخرة على وجه التمنّي أن ذلك لم يكن كقولك إذا ندمت على شيء لو شاء الله ما كان هذا أي يتمنى أن ذلك لم يكن، ويؤيّد هذا أنه حكى قولهم بأداة الاستقبال، وهي السين، فذلك دليل على أنهم يقولونه في المستقبل وهي الآخرة **﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾** توقيف لهم وتعجيز **﴿قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ﴾** لما أبطل حجتهم أثبت حجة الله ليظهر الحق ويبطل الباطل **﴿هَلُمَّ﴾** قيل هي بمعنى هات فهي متعدية، وقيل بمعنى أقبل فهي غير متعدّية، وهي عند بعض العرب فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث وعند بعضهم اسم فعل فيخاطب بها الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حدّ سواء، ومقصود الآية تعجيزهم عن إقامة الشهداء **﴿فَإِن شَهِدُوا فَلاَ تَشْهَد مَعَهُمْ﴾** أي إن كذبوا في شهادتهم وزوّروا فلا

بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ

تشهد بمثل شهادتهم ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أمر الله نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أنه يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرّم الله عليهم وذكر في هذه الآيات المحرّمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تنسخ قطّ في ملّة، وقال ابن عباس: هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ قيل أن هنا حرف عبارة وتفسير فلا موضع لها من الإعراب ولا ناهية جزمت الفعل، وقيل أن مصدرية في موضع رفع تقديره: الأمر ألاّ تشركوا، فلا على هذا نافية، وقيل أن في موضع نصب بدلاً من قوله ما حرّم، ولا يصحّ ذلك إلاّ إن كانت لا زائدة وإن لم تكن زائدة فسد المعنى لأن الذي حرّم على ذلك يكون ترك الإشراك، والأحسن عندي أن تكون أن مصدرية في موضع نصب على البدل ولا نافية ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى، لأن قوله ما حرّم ربّكم: معناه ما وصّاكم به ربكم بدليل قوله في آخر الآية: ﴿ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ﴾ فضمّن التحريم معنى الوصية، والوصية في المعنى أعمّ من التحريم لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل، وبوجوب وندب، ولا ينكر أن يريد بالتحريم الوصية لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاصّ وتريد به العموم، كما تذكر اللفظ العامّ وتريد به الخصوص، إذ تقرّر هذا، فتقدير الكلام: قل تعالوا أتلُ ما وصّاكم به ربّكم، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان، فقال أن لا تشركوا به شيئًا أي وصّاكم ألاّ تشركوا به شيئًا ووصّاكم بالإحسان بالوالدين ووصّاكم أن لا تقتلوا أولادكم فجمعت الوصية ترك الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك ويؤيد هذا التأويل الذي تأوّلنا: أن الآيات اشتملت على أوامر: كالإحسان بالوالدين وقول العدل والوفاء في الوزن، وعلى نواهي: كالإشراك وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، فلا بدّ أن يكون اللفظ المقدّم في أولها لفظًا يجمع الأوامر والنواهي، لأنها أجملت فيه، ثم فسّرت بعد ذلك، ويصلح لذلك لفظ الوصية لأنه جامع للأمر والنهي، فلذلك جعلنا التحريم بمعنى الوصية ويدلّ على ذلك ذكر لفظ الوصية بعد ذلك، وإن لم يتأوّل على ما ذكرناه: لزم في الآية إشكال، وهو عطف الأوامر على النواهي، وعطف النواهي على الأوامر، فإن الأوامر طلب فعلها، والنواهي طلب تركها، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ولا يصحّ ذلك إلاّ على الوجه الذي تأوّلناه من عموم الوصية للفعل والترك، وتحتمل الآية عندي تأويلاً آخر، وهو أن يكون لفظ التحريم على ظاهره، ويعمّ

إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ

فعل المحرّمات وترك الواجبات لأن ترك الواجبات حرام **﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ﴾** الإملاق الفاقة، ومن هنا للتعليل تقديره من أجل إملاق، وإنما نهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة، لأن العرب كانوا يفعلون ذلك فخرج مخرج الغالب فلا يفهم منه إباحة قتلهم بغير ذلك الوجه **﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾** قيل ما ظهر: الزنا، وما بطن: اتخاذ الأخدان والصحيح أن ذلك عموم في جميع الفواحش **﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾** فسّره قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا يحلّ دم امرىء مسلم إلاّ بإحدى ثلاث: زنى بعد إحصان، أو كفر بعد إيمان، أو قتل نفس بغير نفس» **﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** النهي عن القرب يعمّ وجوه التصرّف، وفيه سدّ الذريعة، لأنه إذا نهى عن أن يقرب المال، فالنهي عن أكله أولى وأحرى، والتي هي أحسن منفعة اليتيم وتثمير ماله **﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾** هو البلوغ مع الرشد، وليس المقصود هنا السنّ وحده، وإنما المقصود معرفته بمصالحه **﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾** لما أمر بالقسط في الكيل والوزن، وقد علم أن القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج ولا يتحقق الوصول إليه أمر بما في الوسع من ذلك وعفا عمّا سواه **﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾** أي ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل، فلا ينبغي أن يزيد ولا ينقص بل يعدل، **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾** الإشارة بهذا إلى ما تقدّم من الوصايا أو إلى جميع الشريعة، وأن بفتح الهمزة والتشديد عطف على ما تقدّم أو مفعول من أجله: أي فاتّبعوه لأن هذا صراطي مستقيمًا، وقرىء بالكسر على الاستئناف، وبالفتح والتخفيف على العطف، وهي على هذا مخفّفة من الثقيلة **﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾** الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان الباطلة، ويدخل فيه أيضًا البدَع والأهواء المُضِلّة، وفي الحديث أن النبي ﷺ خطّ خطًّا، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه كلها سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» **﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾** أي تفرّقكم عن سبيل الله والفعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة

ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا

ولذلك شدّده البزّي ﴿**ثُمَّ آتَيْنا**﴾ معطوف على وصّاكم به، فإن قيل: فإن إيتاء موسى الكتاب متقدّم على هذه الوصية فكيف عطفه عليها بثم، فالجواب أن هذه الوصية قديمة لكل أمة على لسان نبيّها، فصحّ الترتيب، وقيل إنها هنا لترتيب الأخبار والقول، لا لترتيب الزمان ﴿**تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ**﴾ فيه ثلاث تأويلات: أحدها أن المعنى تمامًا للنعمة على الذي أحسن من قوم موسى ففاعل أحسن ضمير يعود على الذي، والذي أحسن يراد به جنس المحسنين، والآخر: أن المعنى تمامًا أي تفضّلاً، أو جزاء على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربّه وتبليغ رسالته، فالفاعل على هذا ضمير موسى عليه السلام والذي صفة لعمل موسى، والثالث تمامًا أي إكمالاً على ما أحسن الله به إلى عباده، فالعامل على هذا ضمير الله تعالى.

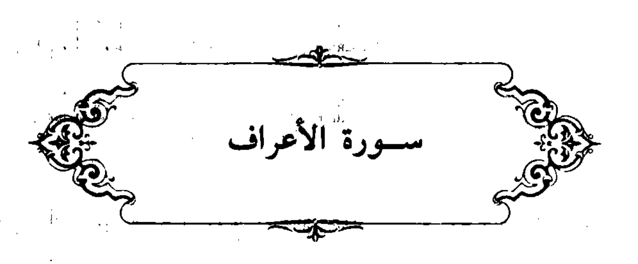
﴿**أَن تَقُولُوا**﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقولوا ﴿**عَلَى طَائِفَتَيْنِ**﴾ أهل التوراة والإنجيل ﴿**وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِم لَغَافِلِينَ**﴾ أي لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف ما درسوا من الكتب فلا حجة علينا، وأن هنا مخفّفة من الثقيلة ﴿**فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ**﴾ إقامة حجة عليهم ﴿**صَدَفَ**﴾ أي أعرض ﴿**هَل يَنظُرُونَ**﴾ الآية: تقدّمت نظيرتها في البقرة ﴿**بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ**﴾ أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها، فحينئذ لا يقبل إيمان كافر ولا توبة عاصٍ، فقوله لا ينفع نفسًا إيمانها يعني أن إيمان الكافر لا ينفعه حينئذ وقوله: ﴿**أَو كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**﴾ يعني أن مَن كان مؤمنًا ولم يكسب حسنات قبل ظهور تلك الآيات، ثم تاب إذا ظهرت: لم ينفعه لأن باب التوبة يغلق حينئذ ﴿**قُلْ انتَظِرُوا**﴾ وعيد ﴿**إِنَّ**

لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ

الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ هم اليهود والنصارى، وقيل أهل الأهواء والبدع، وفي الحديث أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ واحدة» قيل يا رسول الله ومَن تلك الواحدة؟ قال: «مَن كان على ما أنا وأصحابي عليه»، وقرىء فارقوا أي تركوا **﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾** جمع شيعة أي متفرّقين كل فرقة تتشيّع لمذهبها **﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾** أي أنت بريء منهم **﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾** فضل عظيم على العموم في الحسنات، وفي العاملين، وهو أقلّ التضعيف للحسنات فقد تنتهي إلى سبعمائة وأزيد **﴿دِينًا قِيَمًا﴾** بدل من موضع إلى صراط مستقيم، لأن أصله هداني صراطًا بدليل اهدنا الصراط، والقيم فيعل من القيام وهو أبلغ من قائم وقرىء قيماً بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها، وهو على هذا مصدر وصف به **﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾** بدل من دينًا، أو عطف بيان **﴿ونُسُكِي﴾** أي عبادتي، وقيل ذبحي للبهائم، وقيل حجّي، والأول أعمّ وأرجح **﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾** أي أعمالي في حين حياتي وعند موتي **﴿لِلَّهِ﴾** أي خالصًا لوجهه وطلب رضاه، ثم أكد ذلك بقوله لا شريك له: أي لا أُريد بأعمالي غير الله فيكون نفيًا للشرك الأصغر وهو الرياء ويحتمل أن نريد لا أعبد غير الله فيكون نفيًا للشرك الأكبر **﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾** إشارة إلى الإخلاص الذي تقتضيه الآية قبل ذلك **﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** لأنه ﷺ سابق أمته **﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾** تقرير وتوبيخ للكفّار، وسببها أنهم دعوه إلى عبادة آلهتهم **﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾** برهان على التوحيد ونفي الربوبية عن غير الله **﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾** ردّ على الكفّار لأنهم قالوا له اعبد آلهتنا ونحن نتكفّل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وأخراك، فنزلت هذه الآية: أي ليس كما قلتم، وإنما كسب كل نفس عليها خاصّة **﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾** أي لا يحمل أحد ذنوب أحد، وأصل الوزر الثقل، ثم استعمل في الذنوب **﴿خَلاَئِفَ﴾** جمع خليفة: أي يخلف بعضكم بعضًا في السكنى في الأرض أو خلائف عن الله في أرضه، والخطاب على هذا لجميع الناس، وقيل

فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

لأمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنهم خلفوا الأمم المتقدّمة ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ**﴾ عموم في المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد ﴿**لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ**﴾ ليختبر شكركم على ما أعطاكم، وأعمالكم فيما مكّنكم فيه ﴿**إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ جمع بين التخويف والترجية، وسرعة عقابه تعالى: إما في الدنيا بمَن عجّل أخذه، أو في الآخرة لأن كل آتٍ قريب، ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضله ورحمته.



سورة الأعراف

مكية إلاّ من آية ١٦٣ إلى غاية
آية ١٧٠ فمدنية: وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد صٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

﴿**المص**﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة ﴿**حَرَجٌ مِّنْهُ**﴾ أي ضيق من تبليغه مع تكذيب قومك، وقيل الحرج هنا الشك، فتأويله كقوله فلا تكن من الممترين ﴿**لِتُنذِرَ**﴾ متعلق بأنزل ﴿**وذِكْرَى**﴾ منصوب على المصدرية بفعل مضمر تقديره لتنذر وتذكر ذكرى، لأن الذكر بمعنى التذكير، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر، أو مخفوض عطفًا على موضع لتنذر أي للإنذار والذكرى ﴿**قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ انتصب قليلاً بتذكرون أي تذكرون تذكّرًا قليلاً وما زائدة للتوكيد ﴿**أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا**﴾ قيل إنه من المقلوب تقديره: جاءها بأسنا فأهلكناها، وقيل المعنى: أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا لأن مجيء البأس قبل الإهلاك فلا يصحّ عطفه عليه بالفاء ويحتمل أن فجاءها بأسنا استئنافًا على وجه التفسير للإهلاك، فلا يحتاج إلى تكلّف، والمراد أهلكنا أهلها فجاءهم، ثم حذف المضاف بدليل أو هم قائلون ﴿**بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ**﴾ بياتًا مصدر في موضع الحال بمعنى بائتين أي بالليل، وقائلون من

أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن

القائلة: أي بالنهار، وقد أصاب العذاب بعض الكفّار المتقدّمين بالليل، وبعضهم بالنهار، وأو هنا للتنويع **﴿دَعْوَاهُمْ﴾** أي ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلاّ للاعتراف بأنهم ظالمون، وقيل المعنى أن دعواهم هنا ما كانوا يدعونه من دينهم، فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك **﴿أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾** أسند الفعل إلى الجار والمجرور، ومعنى الآية: أن الله يسأل الأمم عمّا أجابوا به رسلهم، ويسأل الرسل عمّا أُجيبوا به **﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾** أي على الرسل والأمم **﴿والوَزْنُ﴾** يعني وزن الأعمال **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** أي يوم يسأل الرسل وأُممهم وهو يوم القيامة **﴿بِآيَاتِنَا يَظْلِمُون﴾** أي يكذبون بها ظلمًا **﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾** قيل المعنى أردنا خلقكم وتصويركم **﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾** وقيل خلقنا أباكم آدم ثم صوّرناه، وإنما احتيج إلى التأويل ليصحّ العطف **﴿أَلاَّ تَسْجُدَ﴾** لا زائدة للتوكيد **﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾** استدلّ به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضي الوجوب والفور، ولذلك وقع العقاب على ترك المبادرة بالسجود **﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾** تعليل علّل به إبليس امتناعه من السجود، وهو يقتضي الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه، وبهذا الاعتراض كفر إبليس إذ ليس كفره كفر جحود **﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾** أي من السماء **﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾** الفاء للتعليل وهي تتعلق بفعل قسم محذوف تقديره أقسم بالله بسبب إغوائك لي لأغوينّ بني آدم، وما مصدرية، وقيل استفهامية ويبطله ثبوت الألف في ما مع حرف الجر **﴿صِرَاطَكَ﴾** يريد طريق الهدى والخير وهو منصوب على الظرفية **﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾** الآية: أي من الجهات الأربع، وذلك عبارة عن تسليطه على بني آدم كيفما

﴿شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ﴾

أمكنه، وقال ابن عباد من بين أيديهم الدنيا، ومن خلفهم الآخرة، وعن أيمانهم الحسنات، وعن شمائلهم السيئات ﴿مَذْءُومًا﴾ من ذأمه بالهمز إذا ذمّه ﴿مَّدْحُورًا﴾ أي مطرودًا حيث وقع ﴿فَوَسْوَسَ﴾ إذا تكلم كلامًا خفيًا يكرّره، فمعنى وسوس لهما: ألقى لهما هذا الكلام ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ أي ليظهر ما ستر من عوراتهما واللام في قوله ليبدي للتعليل إن كان في انكشافهما غرض لإبليس، أو للصيرورة إن وقع ذلك بغير قصد منه إليه ﴿الشَّجَرَةِ﴾ ذكرت في البقرة ﴿إلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أي كراهة أن تكونا ملكين، واستدلّ به مَن قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء، وقرىء ملكين بكسر اللام، ويقوّي هذه القراءة قوله وملك لا يبلى ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي حلف لهما إنه لمن الناصحين وذكر قَسَم إبليس بصيغة المفاعلة التي تكون بين الاثنين لأنه اجتهد فيه أو لأنه أقسم لهما وأقسما له أن يقبلا نصيحته ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ أي أنزلهما إلى الأكل من الشجرة ﴿بِغُرُورٍ﴾ أي غرّهما بحلفه لهما لأنهما ظنّا أنه لا يحلف كاذبًا ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ أي زال عنهما اللباس وظهرت عوراتهما، وكان لا يريانها من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر، وقيل كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النظر ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الجَنَّةِ﴾ أي يصلان بعضه ببعض ليستترا به ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء بواسطة ملك، أو بغير واسطة ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة، وتلك هي الكلمات التي تاب الله عليه بها ﴿اهْبِطُوا﴾ وما بعده مذكور في البقرة ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أي في الأرض ﴿لِبَاسًا﴾ أي الثياب التي تستر، ومعنى أنزلنا خلقنا، وقيل المراد أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر، واستدلّ بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة ﴿وَرِيشًا﴾ أي لباس الزينة وهو مستعار من

أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ

ريش الطائر ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ استعار للتقوى لباسًا كقولهم ألبسك الله قميص تقواه، وقيل لباس التقوى ما يُتقى به في الحرب من الدروع وشبهها، وقرىء بالرفع على الابتداء أو خبره الجملة، وهي ذلك خير ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الإشارة إلى ما أنزل من اللباس، وهذه الآية واردة على وجه الاستطراد عقيب ما ذكر من ظهور السوآت وخصف الورق عليها ليبيّن إنعامه على ما خلق من اللباس ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ أي كان سببًا في نزع لباسهما عنهما ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُم﴾ يعني في غالب الأمر، وقد استدلّ به مَن قال إن الجن لا يرون وقد جاءت في رؤيتهم أحاديث صحيحة، فتحمل الآية على الأكثر جمعًا بينها وبين الأحاديث ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ قيل هي ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة الرجال والنساء، ويحتمل العموم في الفواحش ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا واللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتذروا بعذرين باطلين أحدهما: تقليد آبائهم، والآخر: افتراؤهم على الله ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ قيل المراد إحضار النيّة، والإخلاص لله، وقيل فعل الصلاة والتوجّه فيها ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي في كل مكان سجود أو في وقت كل سجود والأول أظهر، والمعنى إباحة الصلاة في كل موضع كقوله ﷺ: «جُعِلَت لي الأرض مسجدًا» ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ احتجاج على البعث الأُخروي بالبدأة الأولى ﴿فَرِيقًا﴾ الأول منصوب بهدى، والثاني منصوب بفعل مضمر يفسّره ما بعده ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ قيل المراد به الثياب الساترة، واحتجّ به مَن أوجب ستر العورة في الصلاة، وقيل المراد به الزينة زيادة على الستر كالتجمّل للجمعة بأحسن الثياب وبالسِّواك والطّيب ﴿وَكُلُوا واشْرَبُوا﴾ الأمر فيهما للإباحة، لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المآكل ﴿وَلاَ تُسْرِفُوا﴾ أي لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة، وقال

ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟

الأطباء: إن الطب كله مجموع في هذه الآية، وقيل لا تسرفوا بأكل الحرام ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ إنكار لتحريمها وهو ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل، وكان بعض العرب إذا حجّوا يجرّدون الثياب ويطوفون عُراة، ويحرّمون الشحم واللبن، فنزل ذلك ردًّا عليهم ﴿خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ أي الزينة والطّيب في الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم، وفي الآخرة خالصة لهم دون غيرهم، وقرىء خالصة بالنصب على الحال، والرفع على أنه خبر بعد خبر، أو خبر ابتداء مضمر ﴿وَالإِثْمَ﴾ عامّ في كل ذنب ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي تفتروا عليه في التحريم وغيره ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد، ولزمتها النون الشديدة المؤكدة، وجواب الشرط فمَن اتّقى الآية ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ذكر في الأنعام ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم من الكتاب﴾ أي يصل إليهم ما كتب لهم من الأرزاق وغيرها ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾ أي غابوا ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ أي ادخلوا النار في جملة أمم أو مع أمم ﴿ادَّارَكُوا﴾ تلاحقوا واجتمعوا ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ﴾ المراد بأولاهم الرؤساء والقادة، وأُخراهم الأتباع والسّفلَة، والمعنى أن أُخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم لأنهم أضلّوهم، وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطابًا لهم، إنما هو كقولك قال فلان لفلان كذا: أي قاله عنه وإن لم يخاطبه به ﴿وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن

ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ

﴿فَضْلٍ﴾ أي لم يكن لكم علينا فضل في الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابنا أشدّ من عذابكم بل نحن وأنتم سواء **﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾** من قول أولاهم لأُخراهم أو من قول الله تعالى لجميعهم: **﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾** فيه ثلاثة أقوال: أحدهما: لا يصعد عملهم إلى السماء، والثاني لا يدخلون الجنة، فإن الجنة في السماء، والثالث لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين **﴿حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾** أي حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة، والمعنى لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدًا، فلا يدخلونها أبدًا **﴿مِهَادٌ﴾** فراش **﴿غَوَاشٍ﴾** أغطية **﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا﴾** جملة اعتراض بين المبتدأ والخبر ليبيّن أن ما يطلب من الأعمال الصالحة ما في الوسع والطاقة **﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلّ﴾** أي مَن كان في صدره غلّ لأخيه في الدنيا ننزعه منه في الجنة وصاروا إخوانًا أحبابًا، وإنما قال نزعنا بلفظ الماضي وهو مستقبل لتحقّق وقوعه في المستقبل حتى عبّر عنه بما يعبّر عن الواقع، وكذلك كل ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية في اللفظ وهي تقع في الآخرة كقوله: نادى أصحاب الجنة، ونادى أصحاب الأعراف، ونادى أصحاب النار، وغير ذلك **﴿هَدَانَا لِهَذَا﴾** إشارة إلى الجنة أو إلى ما أوجب من الإيمان والتقوى **﴿أَن تِلْكُمُ الجَنَّةُ﴾** وأن قد وجدنا، وأن لعنة وأن سلام: يحتمل أن يكون أن في كل واحدة منها مخفّفة من الثقيلة، فيكون فيها ضمير أو حرف عبارة وتفسير المعنى القول.

﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ حذف مفعول وعد استغناء عنه بمفعول وعدنا أو لإطلاق الوعد فيتناول الثواب والعقاب **﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾** أي أعلم معلم وهو ملك **﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾** أي بين

فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ

الجنة والنار أو بين أصحابهما وهو أرجح لقوله: فضرب بينهم بسور ﴿الأَعْرَافِ﴾ قال ابن عباس هو تلّ بين الجنة والنار، وقيل سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ هم أصحاب الأعراف ورد في الحديث أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم يدخلوا الجنة ولا النار، وقيل هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم، فاستشهدوا، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم، ونجوا من النار للشهادة ﴿يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ﴾ أي يعرفون أهل الجنة بعلامتهم من بياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بعلامتهم من سواد وجوههم، أو غير ذلك من العلامات ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الجَنَّةِ أن سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي سلام أصحاب الأعراف على أهل الجنة ﴿لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي أنّ أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها من بعد ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ الضمير لأصحاب الأعراف أي إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لا يجعلهم معهم ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً﴾ يعني من الكفّار الذين في النار، قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ ﴿جَمْعُكُمْ﴾ يحتمل أن يكون أراد جمعهم للمال أو كثرتهم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي استكباركم على النار أو استكباركم على الرجوع إلى الحق، فما هاهنا مصدرية وما في قوله: ﴿مَا أَغْنَى﴾ استفهامية أو نافية ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ من كلام أصحاب الأعراف خطابًا لأهل النار والإشارة بهؤلاء إلى أهل الجنة، وذلك أن الكفّار كانوا في الدنيا يقسمون أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يعبأ بهم فظهر خلاف ما قالوا، وقيل هي من كلام الملائكة خطابًا لأهل النار، والإشارة بهؤلاء إلى أصحاب الأعراف ﴿ادْخُلُوا الجَنَّةَ﴾ خطابًا لأهل الجنة إن كان من كلام أصحاب الأعراف تقديره قد قيل لهم ادخلوا الجنة، أو خطابًا لأهل الأعراف إن كان من كلام الملائكة ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ﴾ دليل على أنّ الجنة فوق النار ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من سائر

ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾

الأطعمة والأشربة ﴿**فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ**﴾ أي نتركهم ﴿**كَمَا نَسُوا**﴾ الكاف للتعليل ﴿**وَمَا كَانُوا**﴾ عطف على كما نسوا: أي لنسيانهم وجحودهم ﴿**جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ**﴾ يعني القرآن ﴿**فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾ أي علمنا كيف نفصله ﴿**إلاَّ تأْوِيلَهُ**﴾ أي هل ينتظرون إلاّ عاقبة أمره، وما يؤول إليه أمره بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد ﴿**قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**﴾ أي قد تبيّن وظهر الآن أنّ الرسل جاؤوا بالحق ﴿**اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ حيث وقع حمله قوم على ظاهره منهم ابن أبي زيد وغيره، وتأوّله قوم بمعنى قصد كقوله: ثم استوى إلى السماء، ولو كان كذلك لقال ثم استوى إلى العرش، وتأوّلها الأشعرية أنّ معنى استوى استولى بالملك والقدرة، والحق الإيمان به من غير تكييف، فإنّ السلامة في التسليم، ولله درّ مالك بن أنس في قوله للذي سأله عن ذلك: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عن هذا بدعة، وقد رُوِيَ مثل قول مالك عن أبي حنيفة، وجعفر الصادق، والحسن البصري، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل أمسكوا عنه، ولذلك قال مالك السؤال عنه بدعة ﴿**يُغْشِي اللَّيلَ النَّهارَ**﴾ أي يلحق الليل بالنهار، ويحتمل الوجهين، هكذا قال الزمخشري، وأصل اللفظة من الغشاء أي يجعل أحدهم غشاء للآخر يغطيه فتغطّي ظلمة الليل ضوء النهار ﴿**يَطْلُبُهُ حَثِيثًا**﴾ أي سريعًا، والجملة في موضع الحال من الليل أي يطلب الليل النهار فيدركه ﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ والأَمْرُ**﴾ قيل الخلق المخلوقات والأمر مصدر أمر يأمر، وقيل الخلق مصدر خلق، والأمر واحد الأمور: كقوله إلى الله تصير الأمور، والكلّ صحيح ﴿**تَبَارَكَ**﴾ من البركة، وهو فعل غير منصرف لم تنطق له العرب بمضارع ﴿**تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ مصدر في موضع الحال وكذلك خوفًا وطمعًا، وخفية من الإخفاء، وقرىء خيفة من الخوف ﴿**الْمُعْتَدِينَ**﴾ المجاوزين للحدّ، وقيل هنا هو رفع الصوت بالدعاء والتشطّط فيه

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفًا راجيًا، كما قال الله تعالى: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧] فإن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدّة عقابه، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]، وأنّ عذابي هو العذاب الأليم ومَن عرف فضل الله رجاه ومَن عرف عذابه خافه ولذلك جاء في الحديث «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا إلاّ أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله ﷺ: «لا يموتنّ أحدكم إلاّ وهو يُحسِن الظن بالله تعالى» واعلم أن الخوف على ثلاث درجات: الأولى أن يكون ضعيفًا يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر، فوجود هذا كالعدم والثانية أن يكون قويًا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة، والثالثة أن يشتدّ حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز، وخير الأمور أوسطها، والناس في الخوف على ثلاث مقامات: فخوف العامّة من الذنوب، وخوف الخاصّة من الخاتمة، وخوف خاصّة الخاصّة من السابقة، فإن الخاتمة مبنيّة عليها، والرجاء على ثلاث درجات: الأولى رجاء رحمة الله مع التسبّب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود والثانية الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور، والثالثة أن يقوي الرجاء حتى يبلغ الأمن، فهذا حرام، والناس في الرجاء على ثلاث مقامات: فمقام العامّة رجاء ثواب الله، ومقام الخاصّة رجاء رضوان الله، ومقام خاصّة الخاصّة رجاء لقاء الله حبًا فيه وشوقًا إليه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ حذفت تاء التأنيث من قريب وهو خبر عن الرحمة على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحّم أو العفو أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي أو لأنه صفة موصوف محذوف وتقديره شيء قريب أو على تقدير النسب أي ذات قرب، وقيل قريب هنا ليس خبر عن الرحمة إنما هو ظرف لها ﴿الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ قرئ الرياح بالجمع لأنها رياح المطر، وقد اضطرد في القرآن جمعها إذا كانت المرحمة، وإفرادها إذا كانت للعذاب، ومنه ورد في الحديث «اللّهمّ اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا» وقرئ بالإفراد، والمراد الجنس وقرئ نشرًا بفتح النون وإسكان الشين، وهو على هذا مصدر في موضع الحال، وقرئ بضمهما وهو جمع نشر، وقيل جمع منشور، وقرئ بضم النون وإسكان الشين وهو تخفيف من

ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ

الضم: كرسل ورسل، وقرىء بالباء في موضع النون وهو من البشارة ﴿**بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**﴾ أي قبل المطر ﴿**أَقَلَّتْ**﴾ حملت ﴿**سَحَابًا ثِقَالاً**﴾ لأنها تحمل الماء فتثقل به ﴿**سُقْنَاهُ**﴾ الضمير للسحاب ﴿**لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ**﴾ يعني لإنبات فيه من شدّة القحط، وكذلك معناه حيث وقع ﴿**فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ**﴾ الضمير للسحاب أو البلد، على أن تكون الباء ظرفية ﴿**كَذَلِكَ نُخرِجُ المَوْتَى**﴾ تمثيل لإخراج الموتى من القبور بإخراج الزرع من الأرض، وقد وقع ذلك في القرآن في مواضع منها: كذلك النشور، وكذلك الخروج ﴿**والبَلَدُ الطَّيِّبُ**﴾ هو الكريم من الأرض الجيد التراب ﴿**والَّذِي خَبُثَ**﴾ بخلاف ذلك كالسّبخة ونحوها ﴿**بِإِذْنِ رَبِّهِ**﴾ عبارة عن السهولة والطيب. والنكد بخلاف ذلك، فيحتمل أن يكون المراد مال يقتضيه ظاهر اللفظ فتكون متمّمة للمعنى الذي قبلها في المطر، أو تكون تمثيلاً للقلوب، فقيل على هذا الطيب. قلب المؤمن، والخبيث: قلب الكافر وقيل هما للفهيم والبليد ﴿**مِّنْ إِلهٍ غَيْرُهُ**﴾ قرأ الكسائي بالخفض حيث وقع على اللفظ، وقرأ غيره بالرفع على الموضع ﴿**عَذَابَ يَوم عَظِيم**﴾ يعني يوم القيامة أو يوم هلاكهم ﴿**المَلأُ**﴾ أشراف الناس ﴿**لَيسَ بِي ضَلاَلَةٌ**﴾ إنما قال ضلالة ولم يقل ضلال، لأن الضلالة أخصّ من الضلال، كما إذا قيل لك عندك تمر، فتقول ما عندي تمرة فتعمّ بالنفي ﴿**أُبَلِّغُكُمْ**﴾ قرىء بالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد، وهو في موضع رفع صفة لرسول أو استئناف ﴿**أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ أي من صفاته ورحمته وعذابه ﴿**أَوَ عَجِبْتُمْ**﴾ الهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف، كأنه قال أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم: أي على لسان رجل منكم ﴿**فِي الفُلْكِ**﴾ متعلق بمعه والتقدير استقرّوا معه في الفلك ويحتمل أن يتعلق بأنجيناه ﴿**عَمِينَ**﴾

يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم

جمع أعمى وهو من عمى القلب ﴿أَخَاهُمْ﴾ أي واحد من قبيلتهم، وهو عطف على نوحًا، وهودًا بدل منه أو عطف بيان، وكذلك أخاهم صالحًا وما بعده، وما هو مثله حيث وقع ﴿الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيّد هنا بالكفر لأن في الملأ من قوم هود مَن آمن وهو مرثد بن سعيد، بخلاف قوم نوح، فإنهم لم يكن فيهم مؤمن، فأطلق لفظ الملأ ﴿أَمِينٌ﴾ يحتمل أن يريد أمانته على الوحي أو أنهم قد كانوا عرفوه بالأمانة والصدق ﴿خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكًا ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ كانوا عظام الأجسام فكان أقصرهم ستّون ذراعًا، وأطولهم مائة ذراع ﴿آلاءَ اللَّهِ﴾ نعمه حيث وقع ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ استبعدوا توحيد الله مع اعترافهم بربوبيته، ولذلك قال لهم هود ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ أي قد حقّ عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يعني الأصنام: أي تجادلونني في عبادة مُسَمَّيات أسماء، ففي الكلام حذف، وأراد بقوله سمّيتموها أنتم وآباؤكم جعلتم لها أسماء، فدلّ ذلك على أنها محدثة، فلا يصحّ أن تكون آلهة، أو سمّيتموها آلهة من غير دليل على أنها آلهة فقولكم باطل؛ فالجدال على القول الأول في عبادتها، وعلى القول الثاني في تسميتها آلهة، والمراد بالأسماء على القول الأول: المسمى، وعلى القول الثاني: التسمية ﴿دَابِرَ﴾ ذكر في الأنعام ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي آية ظاهرة وهي الناقة، وأضيفت إلى الله تشريفًا لها، أو لأنه خلقها من

بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ

غير فحل، وكانوا قد اقترحوا على صالح عليه السلام أن يخرجها لهم من صخرة، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك، فانشقّت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون، ثم نتجت ولدًا فآمن به قوم منهم وكفر به آخرون ﴿**لَكُمْ آيَةً**﴾ أي معجزة تدلّ على صحّة نبوّة صالح، والمجرور في موضع الحال من آية، لأنه لو تأخر لكان صفة ﴿**وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ**﴾ أي لا تضربوها ولا تطردوها ﴿**وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ**﴾ كانت أرضهم بين الشام والحجاز، وقد دخلها رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين إلاّ وأنتم باكون، مخافة أن يصيبكم مثل الذي أصابهم» ﴿**تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا**﴾ أي تبنون قصورًا في الأرض البسيطة ﴿**وَتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتًا**﴾ أي تتخذون بيوتًا في الجبال، وكانوا يسكنون القصور في الصيف، والجبال في الشتاء، وانتصب بيوتًا على الحال وهو كقولك: خِطْتُ هذا الثوب قميصًا ﴿**لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ**﴾ بدل من الذين استضعفوا ﴿**إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ**﴾ إنما لم يقولوا إنّا بما أُرسِلَ به كما قال الآخرون لئلا يكون اعترافًا برسالته ﴿**فَعَقَرُوا النَّاقَةَ**﴾ نسب العقر إلى جميعهم لأنهم رضوا به، وإن لم يفعله إلاّ واحد منهم وهو الأحيمر ﴿**الرَّجْفَةُ**﴾ الصيحة حيث وقعت، وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحة بين السماء والأرض فماتوا منها ﴿**جَاثِمِينَ**﴾ حيث وقع أي قاعدين لا يتحركون ﴿**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ**﴾ الآية: يحتمل أن يكون تولّيه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم، لأنه رُوِيَ أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم، أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا، وهو ظاهر الآية، وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجّع عليهم، وقوله: ﴿**لاَ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾:

ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ

حكاية حال ماضية ﴿**إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ**﴾ العامل في إذ أرسلنا المضمر، أو يكون بدلاً من لوط ﴿**مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ العَالَمِينَ**﴾ أي لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم، ومن الأولى زائدة، والثانية للتبعيض أو للجنس ﴿**وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ**﴾ الآية: أي أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله ﴿**أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾ أي يتنزهون عن الفاحشة ﴿**مِنَ الغَابِرِينَ**﴾ أي من الهالكين، وقيل من الذين غبروا في ديارهم فهلكوا، أو من الباقين من أترابها يقال غبر بمعنى مضى، وبمعنى بقي، وإنما قال من الغابرين بجمع المذكّر تغليبًا للرجال الغابرين ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا**﴾ يعني الحجارة أُصيب بها مَن كان منهم خارجًا عن بلادهم، وقلبت البلاد بمَن كان فيها ﴿**بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ أي آية ظاهرة، ولم تعين في القرآن آية شعيب ﴿**فَأَوْفُوا الكَيْلَ والمِيزَانَ**﴾ كانوا ينقصون في الكيل والوزن، فبعث شعيب ينهاهم عن ذلك، والكيل هنا بمعنى المكيال الذي يُكال به مناسبة للميزان كما جاء في هود المكيال والميزان، ويجوز أن يكون الكيل والميزان مصدرين ﴿**وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ**﴾ قيل هي هو نهي عن السلب وقطع الطريق، وكان ذلك من فعلهم وكانوا يقعدون على الطريق يردّون الناس عن اتباع شعيب ويوعدونهم إن اتّبعوه ﴿**وَتَصُدُّونَ**﴾ أي تمنعون الناس عن سبيل الله وهو الإيمان، والضمير في به للصراط أو لله ﴿**تَبْغُونَهَا عِوَجًا**﴾ ذكر في آل عمران.

ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْۖ فَكَيْفَ

﴿**أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ أي ليكوننّ أحد الأمرين: إما إخراجهم، أو عودهم إلى مِلّة الكفر، فإن قيل: إن العود إلى الشيء يقتضي أنه قد كان فعل قبل ذلك فيقتضي قولهم لتعودنّ في ملّتنا أن شعيبًا ومَن كان معه كانوا أولاً على ملّة قومهم، ثم خرجوا منها فطلب قومهم أن يعودوا إليها وذلك مُحال، فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوّة وبعدها فالجواب من وجهين: أحدهما قاله ابن عطية وهو أن عاد قد تكون بمعنى صار، فلا يقتضي تقدّم ذلك الحال الذي صار إليه، والثاني قاله الزمخشري وهو أن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب دون شعيب، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك كما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم: لنخرجنّك يا شعيب والذين آمنوا معك، فغلبوا في الخطاب بالعود الجماعة على الواحد، وبمثل ذلك يُجاب عن قوله إن عدنا في ملّتكم، وما يكون لنا أن نعود فيها ﴿**قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ**﴾ الهمزة للاستفهام والإنكار، والواو للحال، تقديره: أنعود في مِلّتكم ويكون لنا أن نعود فيها ونحن كارهون ﴿**قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم**﴾ أي إن عدنا فيها فقد وقعنا في أمر عظيم من الافتراء على الله، وذلك تبرأ من العود فيها ﴿**وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا**﴾ هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأدّب مع الله وإسناد الأمور إليه، وذلك أنه لمّا تبرّأ من مِلّتهم: أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه، فإن القلوب بيده يقلّبها كيف يشاء، فإن قلت: إن ذلك يصحّ في حق قومه وأما في حق نفسه فلا فإنه معصوم من الكفر، فالجواب: أنه قال ذلك تواضعًا وتأدّبًا مع الله تعالى واستسلامًا لأمره كقول نبيّنا ﷺ: «يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك» مع أنه قد علم أنه يثبته ﴿**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا**﴾ أي احكم ﴿**كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا**﴾ أي كأن لم يقيموا في ديارهم ﴿**فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْم كَافِرِينَ**﴾ أي كيف أحزن عليهم وقد

ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ

استحقّوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم ﴿بِالْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ﴾ قد تقدّم ﴿بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ﴾ أي أبدلنا البأساء والضرّاء بالنعيم اختبارًا لهم في الحالتين ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ أي كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم ﴿قَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ والسَّرَّاءُ﴾ أي قد جرى ذلك لآبائنا ولم يضرّهم فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار ﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ﴾ أي بالمطر والزرع ﴿أَوَ أَمِنَ﴾ مَن قرأ بإسكان الواو فهي أو العاطفة، ومَن قرأ بفتحها فهي واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ كما دخلت على الفاء في قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾: أي استدراجه وأخذه للعبد من حيث لا يشعر ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ﴾ أي أو لم يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ﴾ أي يسكنوها ﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ﴾ هو فاعل أو لم يهد، ومقصود الآية الوعيد ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ عطف على أصبناهم لأنه في معنى المستقبل، أو منقطع على معنى الوعيد وأجاز الزمخشري أن يكون عطفًا على يرثون الأرض أو على ما دلّ عليه معنى أو لم يهد كأنه قال يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ الضمير لأهل القرى والمعنى وجدناهم ناقضين للعهود ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ مَن قرأ عليّ بالتشديد على أنها ياء المتكلم فالمعنى ظاهر، وهو أن موسى قال حقيق عليه

جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ

أن لا يقول على الله إلاّ الحق، وموضع أن لا أقول على هذا رفع، على أنه خبر حقيق، وحقيق مبتدأ أو بالعكس ومَن قرأ على بالتخفيف فموضع أن لا أقول خفض بحرف الجر، وحقيق صفة لرسول، وفي المعنى على هذا وجهان، أحدهما أن على بمعنى الباء فمعنى الكلام رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلاّ الحق، والثاني أن معنى حقيق حريص ولذلك تعدّى بعلى **﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾** أي بمعجزة تدل على صدقي وهي العصا أو جنس المعجزات **﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** أي خلّهم يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم، وذلك أنه لمّا توفّي يوسف عليه السلام غلب فرعون على بني إسرائيل واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى، وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عامًا **﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾** وكان موسى عليه السلام شديد الأدمة فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها في جيبه، ثم أخرجها وهي بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشدّ بياضًا وقيل إنها كانت منيرة شفّافة كالشمس، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه **﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾** مبالغة في وصف يده بالبياض وكان الناس يجتمعون للنظر إليها، والتعجّب منها **﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾** حُكِيَ هذا الكلام هنا عن الملأ وفي الشعراء عن فرعون، كأنه قاله هو وهم، أو قاله هو ووافقوه عليه كعادة جلساء الملوك في اتّباعهم لما يقول الملك **﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾** أي يخرجكم منها بالقتال أو بالحِيَل، وقيل المراد إخراج بني إسرائيل وكانوا خدّامًا لهم فتخرب الأرض بخروج الخدّام والعمّار منها **﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾** من قول الملأ أو من قول فرعون وهو من معنى المؤامرة أي المشاورة أو الأمر وهو ضدّ النّهي **﴿أَرْجِهْ﴾** مَن قرأه بالهمزة فهو من أرجأت الرجل إذا أخّرته فمعناه أخّرهما حتى ننظر في أمرهما، وقيل المراد بالإرجاء هنا السجن، ومَن قرأ بغير همز فتحتمل أن تكون بمعنى المهموز وسهلت الهمزة، أو يكون بمعنى الرجاء أي أطمعه، وأما ضمّ الهاء وكسرها فلغتان، وأما إسكانها فلعلّه أجرى فيها الوصل مجرى الوقف **﴿حَاشِرِينَ﴾** يعني الشرطة أي جامعين للسَّحَرَة **﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾** قيل هنا

ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ

محذوف يدلّ عليه سياق الكلام وهو أنه بعث إلى السَّحَرَة **﴿إِنَّ لَنَا لأَجْراً﴾** مَن قرأه بهمزتين فهو استفهام ومَن قرأه بهمزة واحدة فيحتمل أن يكون خبرًا أو استفهامًا حذفت منه الهمزة، والأجر هنا: الأجرة، طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى، فأنعم لهم فرعون بها وزادهم التقريب منه والجاه عنده **﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾** عطف على معنى نعم كأنه قال نعطيكم أجرًا ونقرّبكم، واختلف في عدد السَّحَرَة اختلافًا متباينًا من سبعين رجلاً إلى سبعين ألفًا وكل ذلك لا أصل له في صحة النقل **﴿إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾** خيّروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدؤاهم بإلقاء سحرهم فأمرهم أن يلقوا، وانظر كيف عبّروا عن إلقاء موسى بالفعل، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية، إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه **﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾** أي خوّفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر **﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾** فلما ألقاها صارت ثعبانًا عظيمًا على قدر الحبل وقيل إنه طال حتى جاوز الفيل **﴿تَلْقَفُ﴾** أي تبتلع **﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾** أي ما صوّروا من إفكهم وكذبهم ورُوِيَ أن الثعبان أكل ملء الوادي من حبالهم وعصيّهم ومدّ موسى يده إليه فصار عَصًا كما كان، فعلم السَّحَرَة أن ذلك ليس من السِّحر، وليس في قدرة البشر، فآمنوا بالله وبموسى عليه السلام **﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾** الآية: وعيد من فرعون للسَّحَرَة وليس في القرآن أنه أنفذ ذلك لكن رُوِيَ أنه أنفذه عن ابن عباس وغيره، وقد ذكر معنى من خلاف في العقود **﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾** أي لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى ربّنا **﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا﴾** أي ما تعيب منّا إلاّ إيماننا **﴿لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾** أي يخربوا مُلك فرعون وقومه ويخالفوا دينه **﴿وَيَذَرَكَ﴾** معطوف على ليفسدوا، أو منصوب بإضمار أن بعد الواو **﴿وَآلِهَتَكَ﴾** قيل إن فرعون كان قد جعل للناس

قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ

أصنامًا يعبدونها وجعل نفسه الإله الأكبر فلذلك قال: ﴿أنا رَبّكُم الأعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، فآلهتك على هذا هي تلك الأصنام، وقرأ عليّ بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وإلهتك: أي عبادتك والتذلّل لك ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ﴾ تعليل للصبر ولذا أمرهم به يعني أرض الدنيا هنا وفي قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ وقيل يعني أرض فرعون فأشار لهم موسى أولاً بالنصر في قوله يورثها مَن يشاء من عباده، ثم صرّح في قوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ﴾ الآية ﴿فَيَنظُرَ كَيفَ تَعْمَلُونَ﴾ حضّ على الاستقامة والطاعة بالسنين أي الجدب والقحط ﴿فإذَا جاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ﴾ الآية: إذا جاءهم الخصب والرخاء قالوا هذه لنا وبسعدنا، ونحن مستحقون له وإذا جاءهم الجدب والشدّة تطيّروا بموسى: أي قالوا هذه بشؤمه، فإن قيل لِمَ قال إذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة، فالجواب أن وقوع الحسنة كثير، والسيئة وقوعها نادر فعرّف الكثير الوقوع باللام التي للعهد، وذكره بإذا لأنها تقتضي التحقيق وذكر السيئة بإن لأنها تقتضي الشك ونكرها للتعليل ﴿أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي إنما حظّهم ونصيبهم الذي قدّر لهم من الخير والشرّ عند الله، وهو مأخوذ من زجر الطير ثم سمّى به ما يصيب الإنسان ومقصود الآية الردّ عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم. مهما هي ما الشرطية ضمّت إليها ما الزائدة نحو أينما، ثم قلبت الألف هاء، وقيل هي اسم بسيط غير مركب. والضمير في به يعود على مهما، وإنما قالوا من آية على تسمية موسى لها آية، أو على وجه التهكّم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيهِمُ الطُّوفَانَ﴾ رُوِيَ أنه كان مطرًا شديدًا دائمًا مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم، وكادوا يهلكون وامتنعوا من الزراعة وقيل هو الطاعون ﴿والجَرَادَ﴾ هو المعروف أكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم وأبوابهم وسقف بيوتهم ﴿والقُمَّلَ﴾ قيل هي صغار

وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ الْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا الَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَٰمُوسَى اجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى

الجراد، وقيل البراغيث، وقيل السوس، وقرىء القمل بفتح القاف والتخفيف، فهي على هذا القمل المعروف، وكانت تتعلق بلحومهم وشعورهم **﴿وَالضَّفَادِعَ﴾** هي المعروفة كثرت عندهم حتى امتلأت بها فرشهم وأوانيهم وإذا تكلم أحدهم وثبت الضفدع إلى فمه **﴿وَالدَّمَ﴾** صارت مياههم دمًا فكان يستسقي من البئر القبطي والإسرائيلي في إناء واحد فيخرج ما يلي القبطي دمًا، وما يلي الإسرائيلي ماء **﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾** أي العذاب وهي الأشياء المتقدمة وكانوا مهما نزل بهم أمر منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم، فلما كشفه عنهم نقضوا العهد وتمادوا على كفرهم **﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾** بدعائك إليه ووسائلك، والباء تحتمل أن تكون للقسم وجوابه لنؤمننّ لك أو يتعلق بادع لنا أي توسل إليه بما عهد عندك **﴿فِي الْيَمِّ﴾** البحر حيث وقع **﴿الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾** هم بنو إسرائيل **﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾** الشام ومصر **﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾** أي بالخصب وكثرة الأرزاق **﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** أي تمّت لهم واستقرت، والكلمة هنا ما قضى لهم في الأزل، وقيل هي قوله: ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض **﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾** أي يبنون، وقيل هي الكروم وشبهها فهو على الأول من العرش وعلى الثاني من العريش **﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا﴾** أي اجعل لنا صنمًا نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم ولما تمّ خبر موسى مع فرعون ابتدأ خبره مع بني إسرائيل من هنا إلى قوله وإذ نتقنا الجبل **﴿مُتَبَّرٌ﴾** من التبار وهو الهلاك **﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** وما

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ

بعده مذكور في البقرة ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً﴾ رُوِيَ أن الثلاثين هي شهر ذي القعدة والعشر بعدها هي العشر الأُول من ذي الحجة، وذلك تفصيل الأربعين المذكورة في البقرة ﴿مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ أي ما وقت له من الوقت لمناجاته في الطور ﴿اخْلُفْنِي﴾ أي كن خليفتي على بني إسرائيل مدة مغيبي ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ لما سمع موسى كلام الله طمع في رؤيته، فسألها كما قال الشاعر:

وأفرح ما يكون الشوق يومًا   إذا دنت الديار من الديار

واستدلت الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلاً، وأنها لو كانت مُحالاً لم يسألها موسى، فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل، وتأوّل الزمخشري طلب موسى للرؤية بوجهين: أحدهما أنه إنما سأل ذلك تبكيتًا لمَن خرج معه من بني إسرائيل الذين طلبوا الرؤية فقالوا أرِنَا الله جهرة؛ فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع فيتأوّلوا، والآخر أن معنى أرِني أنظر إليك: عرّفني نفسك تعريفًا واضحًا جليًّا وكِلا الوجهين بعيد، والثاني أبعد وأضعف، فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له انظر إلى الجبل الآية ﴿قَالَ لَن تَرَانِي﴾ قال مجاهد وغيره إن الله قال لموسى لن تراني، لأنك لا تطيق ذلك ولكن سأتجلى للجبل الذي هو أقوى منك وأشدّ، فإن استقرّ وأطاق الصبر لهيبتي أمكن أن تراني أنت، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألاّ تطيق أنت، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالاً لموسى، وقال قوم المعنى سأتجلى لك على الجبل وهذا ضعيف يبطله قوله فلما تجلّى ربّه للجبل فإذا تقرّر هذا، فقوله تعالى لن تراني نفي للرؤية، وليس فيه دليل على أنها مُحال، فإنه إنما جعل علّة النفي عدم إطاقة موسى الرؤية لاستحالتها، ولو كانت الرؤية مستحيلة، لكان في الجواب زجر وإغلاظ كما قال الله لنوح فلا تسألنّ ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين، فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك، وأما في الآخرة، فقد صرّح بوقوع الرؤية كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ فلا

رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا

ينكرها إلاّ مبتدع، وبين أهل السُّنّة والمعتزلة في مسألة الرؤية تنازع طويل، وفي هذه القصة قصص كثيرة تركتها لعدم صحتها، ولما فيه من الأقوال الفاسدة ﴿**جَعَلَهُ دَكًّا**﴾ أي مدكوكًا فهو مصدر بمعنى مفعول كقولك ضربت الأمير، والدك والدق: أخوان، وهو التفتت، وقرىء دكاء بالمدّ والهمز أي أرضا دكًا وقيل ذهب أعلى الجبل وبقي أكثره، وقيل تفتّت حتى صارا غبارًا، وقيل ساخ في الأرض وأفضى إلى البحر ﴿**وخرّ مُوسَىٰ صَعِقًا**﴾ أي مغشيًا عليه ﴿**تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾ معناه تبت من سؤال الرؤية في الدنيا وأنا لا أطيقها ﴿**وَأَنا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أي أول قومه أو أهل زمانه، أو على وجه المبالغة في السبق إلى الإيمان.

﴿**اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وبِكَلاَمِي**﴾ هو عموم يراد به الخصوص، فإنّ جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة، واختلف هل كلّم الله غيره من الرسل أم لا، والصحيح أنه كلّم نبيّنا محمدًا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ليلة الإسراء ﴿**فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ**﴾ تأديبًا أي اقنع بما أعطيتك من رسالتي وكلامي ولا تطلب غير ذلك ﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ**﴾ أي ألواح التوراة وكانت سبعة، وقيل عشرة وقيل اثنان وقيل كانت من زمرّدة وقيل من ياقوت، وقيل من خشب ﴿**مِن كُلِّ شَيْءٍ**﴾ عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه في دينهم، وكذلك تفصيلاً لكل شيء، وموضع كل شيء نصب على أنه مفعول كتبنا، وموعظة بدل منه ﴿**فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ**﴾ أي بجدّ وعزم، والضمير للتوراة ﴿**يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا**﴾ أي فيها ما هو أحسن وأحسن منه كالقصاص مع العفو، وكذلك سائر المُباحات مع المندوبات ﴿**سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ**﴾ أي دار فرعون وقومه وهو مصر، ومعنى أُريكم كيف أقفرت منهم لما هلكوا، وقيل منازل عاد وثمود ومَن هلك من الأمم المتقدّمة ليعتبروا بها، وقيل جهنم، وقرأ ابن عباس سأورثكم بالثاء المثلثة من الوراثة، وهي على هذا مصدر لقوله وأورثناها بني إسرائيل ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ**﴾ الآيات: يحتمل هنا أن يراد بها القرآن

غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا

وغيره من الكتب أو العلامات والبراهين، والصرف يراد به حدّهم عن فهمها وعن الإيمان بها عقوبة لهم على تكبّرهم، وقيل الصرف منعهم من إبطالها ﴿وَلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾ يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقاؤهم الآخرة، أو من إضافة المصدر إلى الظرف ﴿واتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى﴾ هم بنو إسرائيل ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ أي من بعد غيبته في الطور ﴿مِن حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاء والتشديد جمع حليّ نحو ثدي وثدي، وقرىء بكسر الحاء للإتباع وقرىء بفتح الحاء وإسكان اللام، والحليّ هو اسم ما يتزيّن به من الذهب والفضة ﴿جَسَدًا﴾ أي جسمًا من دون روح، وانتصابه على البدل ﴿لَّهُ خُوَارٌ﴾ الخوار هو صوت البقر، وكان السامري قد قبض قبضة من تراب أثر فرس جبريل يوم قطع البحر، فقذفه في العجل فصار له خوار، وقيل كان إبليس يدخل في جوف العجل فيصيح فيه فيُسمع له خوار ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ﴾ ردّ عليهم، وإبطال لمذهبهم الفاسد في عبادته ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ أي اتخذوه إلهًا، فحذف المفعول الثاني للعلم له، وكذلك حذف من قوله واتخذ قوم موسى ﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا يقال سقط في يد فلان إذا عجز عمّا يريد أو وقع فيما يكره ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن على ما فعلوه، وقيل شديد الغضب لقوله فلما آسفونا ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾ أي قمتم مقامي، وفاعل بئس مضمر يفسّره ما واسم المذموم محذوف، والمخاطب بذلك إما القوم الذين عبدوا العجل مع السامري حيث عبدوا غير الله في غيبة موسى عنهم، أو رؤساء بني إسرائيل كهارون عليه السلام حيث لم يكفّوا الذين عبدوا العجل ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ معناه أعجلتم عن أمر ربّكم، وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور، فإنهم لما رأوا أنّ الأمر قد تمّ ظنّوا أن موسى عليه السلام قد مات فعبدوا العجل ﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ﴾ طرحها لما لحقه من الدهش والضجر غضبًا لله من عبادة العجل ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي شعر رأسه ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ لأنه ظن أنه فرط في كفّ الذين عبدوا

تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ

العجل ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ كان هارون شقيق موسى، وإنما دعاه بأمّه، لأنه أدعى إلى العطف والحنوّ، وقرىء ابن أُم بالكسر على الإضافة إلى ياء المتكلم، وحذفت الياء بالفتح تشبيهًا بخمسة عشر جعل الاسمان اسمًا واحدًا فبنى ﴿وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا تظن أني منهم أو لا تجد عليّ في نفسك ما تجد عليهم يعني أصحاب العجل ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ أي غضب في الآخرة وذلّة في الدنيا ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ أي سكن، وكذلك قرأ بعضهم، وقال الزمخشري قوله سكت مثل كأنّ الغضب كان يقول له ألقِ الألواح وجرّ برأس أخيك، ثم سكت عن ذلك ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي فيما ينسخ منها، والنسخة فعلة بمعنى مفعول ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي يخافون، ودخلت اللام لتقدّم المفعول كقوله للرؤيا تعبرون، وقال المبرّد تتعلق بمصدر تقديره رهبتهم لربّهم ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلاً﴾ حملهم معه إلى الطور يسمعون كلام الله لموسى فقالوا أرِنَا الله جهرة فأخذتهم الرجفة عقابًا لهم على قولهم، وقيل إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل أو لسكوتهم على عبادته، والأول أرجح لقوله فقالوا أرِنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم، ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء، والأول أظهر لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ يحتمل أن تكون لو هنا للتمني أي تمنّوا أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك، لأنه خاف من تشغيب بني إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين، ويحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرّع والاستسلام لأمر الله كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت فإنا عبيدك وتحت قهرك، وأنت تفعل ما تشاء، ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرّع والرغبة كأنه قال لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت، ولكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن ما وعدتنا وأحيِ هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ أي أتهلكنا وتهلك سائر بني إسرائيل بما

هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي

فعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية والذين عبدوا العجل، فمعنى هذا إدلاء بحجته، وتبرؤ من فعل السفهاء، ورغبة إلى الله أن لا يعمّ الجميع بالعقوبة **﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾** أي الأمور كلها بيدك **﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاء﴾** ومعنى هذا: اعتذار عن فعل السفهاء، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته **﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيكَ﴾** أي تبنا، وهذا الكلام الذي قاله موسى عليه السلام إنما هو استعطاف ورغبة إلى الله وتضرّع إليه، ولا يقتضي شيئًا مما توهّم الجُهّال فيه من الجفاء في قوله: **﴿أَتُهلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾** لأنّا قد بيّنّا أنه إنما قال ذلك استعطافًا لله وبراءة من فعل السفهاء **﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهَ مَنْ أَشَاءُ﴾** قيل الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة، والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم، وقرىء مَن أساء، بالسين وفتح الهمزة من الإساءة، وأنكرها بعض المقرئين وقال إنها تصحيف **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾** يحتمل أن يريد رحمته في الدنيا فيكون خصوصًا في الرحمة وعمومًا في كل شيء لأنّ المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي: تنالهم رحمة الله ونعمته في الدنيا، ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة فيكون خصوصًا في كل شيء، لأنّ الرحمة في الآخرة مختصّة بالمؤمنين، ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق، فيكون عمومًا في الرحمة، وفي كل شيء **﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾** إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة فهي بلا شك مختصّة بهؤلاء الذين كتب بها الله لهم وهم أمّة محمد ﷺ، وإن كانت رحمة الدنيا، فهي أيضًا مختصّة بهم لأن الله نصرهم على جميع الأمم، وأعلا دينهم على جميع الأديان، ومكّن لهم في الأرض ما لم يمكّن لغيرهم وإن كانت على الإطلاق: فقوله سأكتبها تخصيص للإطلاق **﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾** أي يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء، وليس ذلك لغير هذه الأمة **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾** هذا الوصف خصّص أمّة محمد ﷺ، قال بعضهم: لمّا قال الله ورحمتي وَسِعَت كل شيء طمع فيها كل أحد حتى إبليس، فلما قال فسأكتبها للذين يتّقون فيئس إبليس لعنه الله، وبقيت اليهود والنصارى **﴿النَّبِيَّ الأُمِّيّ﴾** أي الذي لا يقرأ ولا يكتب وذلك من أعظم دلائل نبوّته ﷺ كأنه أتى بالعلوم الجمّة من غير قراءة ولا كتابة، ولذلك قال تعالى: **﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخطّه بيمينك**

ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ

إذًا لارْتَابَ المُبطِلُون﴾ [العنكبوت: ٤٨] قال بعضهم: الأمّيّ منسوب إلى الأمّ وقيل إلى الأمة ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ ضمير الفاعل في يجدونه لبني إسرائيل، وكذلك الضمير في عندهم، ومعنى يجدونه يجدونّ نعته وصفته ولنذكر هنا ما ورد في التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبيّنا محمد ﷺ.

فمن ذلك ما ورد في البخاري وغيره أنّ في التوراة من صفة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا أيّها النبي إنّا أرسلناك شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا، وحِرزًا للأُمّيين أنت عبدي ورسولي أسميتك المتوكّل ليس بفظّ ولا غليظٍ ولا صخّابٍ في الأسواق لا تجزي بالسيئة السيئة، ولكن تعفو وتصفح، ولن أقبضه حتى أُقيم به المِلّة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلاّ الله، فيفتح به عيونًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقُلُوبًا غُلفًا.

ومن ذلك ما في التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب وهو باقٍ بأيديهم إلى الآن إنّ الملك نزل على إبراهيم فقال له: في هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق، فقال إبراهيم يا ربّ ليت إسماعيل يعيش يخدمك فقال الله لإبراهيم ذلك لك قد استجيب لك في إسماعيل وأنا أُباركه وأُنمّيه وأُكبّره وأُعظّمه بماذ ماذ، وتفسير هذه الحروف محمد.

ومن ذلك في التوراة إنّ الربّ تعالى جاء في طور سيناء، وطلع من ساعد وظهر من جبال فاران، ويعني بطور سيناء موضع مناجاة موسى عليه السلام، وساعد موضع عيسى وفاران هي مكة موضع مولد نبيّنا محمد صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم ومبعثه، ومعنى ما ذكر من مجيء الله وطلوعه وظهوره هو ظهور دينه على يد الأنبياء الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع، وتفسير ذلك ما في كتاب شعيا خطابًا لمكة: قومي فأزهري مِصباحك فقد دنا وقتك وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخلّل الأرض الظلام، وعلا على الأمم المصاب، والربّ يشرق عليك إشراقًا، ويظهر كرامته عليك، تسير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك، ارفعي بصرك إلى ما حولك، وتأمّلي فإنهم مستجمعون عندك، وتحجّ إليك عساكر الأمم وفي بعض كتبهم لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود، وامتلأت الأرض من حمده، لأنه ظهر بخلاص أمته.

ومن ذلك في التوراة أنّ هاجر أُمّ إسماعيل لمّا غضبت عليها سارة تراءى لها ملك فقال يا هاجر أين تريدين ومن أين أقبلت فقالت أهرب من سيدتي سارة، فقال لها ارجعي

إلى سارة وستحبلين وتلدين ولدًا اسمه إسماعيل وهو يكون عين الناس، وتكون يده فوق الجميع، وتكون يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع، ووجه دلالة هذا الكلام على نبوّة محمد ﷺ أن هذا الذي وعدها به الملك من أن يد ولدها فوق الجميع وأن يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع إنما ظهرت بمبعث النبي محمد ﷺ وظهور دينه وعلوّ كلمته، ولم يكن ذلك لاسماعيل ولا لغيره قبل محمد ﷺ.

ومن ذلك أيضًا في التوراة أن الرب يقيم لهم نبيًا من إخوتهم، وأيّ رجل لم يسمع ذلك الكلام الذي يؤدّيه ذلك النبي عن الله فينتقم الله منه، ودلالة هذا الكلام ظاهرة بأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم كبني قريظة وبني قينقاع وغيرهم.

ومن ذلك في التوراة: إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام وقد أجبت دعاءك في إسماعيل، وباركت عليه وسيلد اثني عشر عظيمًا، وأجعله لأمة عظيمة.

ومن ذلك في الإنجيل أن المسيح قال للحواريين إني ذاهب عنكم وسيأتيكم الفارقليط الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له وبهذا وصف الله سبحانه نبيّنا محمد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم في قوله: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يُوحى» وتفسير الفارقليط أنه مشتق من الحمد واسم نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم محمد وأحمد وقيل معنى الفارقليط الشافع المشفع.

ومن ذلك في التوراة: مولده بمكة أو مسكنه بطيبة وأمته الحمّادون، وبيان ذلك أن أمته يقرؤون الحمد لله في صلاتهم مرارًا كثيرة في كل يوم وليلة، وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأحبار، وهو من اليمن من حمير أن كعبًا أخبره بأمره وكيف كان ذلك، وقيل كان أبوه من مؤمني أهل التوراة برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكان من عظمائهم وخيّارهم، قال كعب وكان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة، وبكتب الأنبياء، ولم يكن يدّخر عنّي شيئًا مما كان يعلم، فلما حضرته الوفاة دعاني، فقال يا بني: قد علمت أني لم أكن أدّخر عنك شيئًا مما كنت أعلم، إلاّ أني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يُبعَث، وقد أظلّ زمانه، فكرهت أن أُخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذّابين فتتبعه؛ وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما في هذه الكوّة التي ترى وطيّنت عليهما، فلا تتعرّض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا وأقرّهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي، فإذا خرج فاتبعه وانظر فيهما، فإن الله

يزيدك بهذا خيرًا، فلما مات والدي لم يكن شيء أحبّ إليّ من أن ينقضي المأتم حتى أنظر ما في الورقتين فلما انقضى المأتم فتحت الكوّة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيّين، لا نبيّ بعده، مولده بمكة ومهاجره بطيبة، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح أمته الحمّادون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال وتتذلّل بالتكبير ألسنتهم، وينصر الله نبيّهم على كل مَن ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء ويأتزرون على أوساطهم وأناجيلهم في صدورهم ويأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها وتراحمهم بينهم تراحم نبيّ الأم والأب، وهم أول مَن يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، وهم السابقون المقرّبون والشافعون المشفع لهم، فلما قرأت هذا قلت في نفسي: والله ما علمني شيئًا خيرًا من هذا فمكثت ما شاء الله حتى بعث النبي ﷺ وبيني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه، وبلغني أنه خرج في مكة فهو يظهر مرة ويستخفي مرة، فقلت هو هذا وتخوّفت ما كان والدي حذّرني وخوّفني من ذكر الكذّابين، وجعلت أُحبّ أن أتبين وأتثبّت فلم أزل كذلك حتى بلغني أنه أتى المدينة فقلت في نفسي إني لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتمس السبيل إليه فلم يقدّر لي حتى بلغني أنه توفي رسول الله ﷺ، فقلت في نفسي لعلّه لم يكن الذي كنت أظن، ثم بلغني أن خليفة قام مقامه، ثم لم ألبث إلاّ قليلاً حتى جاءتنا جنوده فقلت في نفسي لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأنتظر وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم، وإلى ما تكون عاقبتهم فلم أزل أدفع ذلك وأُؤخّره لأتبين وأتثبت حتى قَدِمَ علينا عمر بن الخطاب، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبِرّهم ووفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر فحدّثت نفسي بالدخول في دين الإسلام، فوالله إني ذات ليلة فوق سطح إذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية ﴿يَا أَيُّها الَّذِين أُوتُوا الكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلنا مُصَدِّقًا لِما مَعَكم من قَبْل أن نَطْمُس وُجُوهًا فنردّها على أَدْبَارِها أو نَلْعَنهم كما لَعَنّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وكَانَ أَمر الله مَفْعُولا﴾ [النساء: ٤٧]، فلما سمعت هذه الآية خشيت الله ألاّ أُصبح حتى يحوّل وجهي في قفاي، فما كان شيء أحبّ إليّ من الصباح، فغدوت على عمر فأسلمت حين أصبحت، وقال كعب لعمر عند انصرافهم إلى الشام يا أمير المؤمنين إنه مكتوب في كتاب الله إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيل، وكانوا أهلها مفتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين سرّه مثل علانيته وعلانيته مثل سرّه، وقوله لا يخالف فعله، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء وأتباعه رهبان بالليل

وأُسد بالنهار، متراحمون متواصلون متبادلون، فقال له عمر: ثكلتك أُمك، أحقّ ما تقول؟ قال إي والذي أنزل التوراة على موسى والذي يسمع ما تقول إنه لحقّ، فقال عمر الحمد لله الذي أعزّنا وشرّفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد ﷺ برحمته التي وَسِعَت كل شيء، ومن ذلك كتاب فروة بن عمر الجذامي إلى رسول الله ﷺ وكان من ملوك العرب بالشام، فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله من فروة بن عمر إني مقرّ بالإسلام مصدّق، أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وأنه الذي بشّر به عيسى ابن مريم عليه السلام، فأخذه هرقل لمّا بلغه إسلامه وسجنه فقال والله لا أُفارق دين محمد أبدًا فإنك تعرف أنه النبي الذي بشّر به عيسى ابن مريم، ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقاءه فقال قيصر صدق والإنجيل، يشهد لهذا ما خرّجه البخاري ومسلم من كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه ﷺ، فلما أُخبِرَ بها علم أنه رسول الله، وقال إنه يملك موضع قدميّ ولو خلصت إليه لغسلت قدميه، ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه وهو عندنا بالإسناد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج زمان الجاهلية مع ناس من قريش في التجارة إلى الشام، قال فإني لفي سوق من أسواقها إذا أنا ببطريق قد قبض على عنقي فذهبت أُنازعه فقيل لي لا تفعل فإنه لا نصيف لك منه فأدخلني كنيسة فإذا تراب عظيم مُلقى فجاءني بزنبيل ومجرفة فقال لي أنقل ما هٰهنا فجعلت أنظر كيف أصنع، فلما كان من الهاجرة وافاني وعليه ثوب أرى سائر جسده منه، فقال أئنك على ما أرى ما نقلت شيئًا، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغي فقلت واثكل أمك يا عمر أبلغت ما أرى ثم وثبت إلى المِجرَفة فضربت بها هامته فنشرت دماغه ثم واريته في التراب وخرجت على وجهي لا أدري أين أسير فسرت بقية يومي وليلتي من العدّ إلى الهاجرة فانتهيت إلى دير فاستظللت بفنائه فخرج إليّ رجل منه فقال لي يا عبد الله ما يقعدك هنا، فقلت أضللت أصحابي، فقال لي ما أنت على طريق وإنك لتنظر بعيني خائف، فادخل فأصب من الطعام واسترح فدخلت فأتاني بطعام وشراب وأطعمني، ثم صعد فيَّ النظر وصوّبه، فقال قد علم والله أهل الكتاب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب منّي، وإني لأرى صفتك الصفة التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه، فقلت يا هذا لقد ذهبت بي في غير مذهب، فقال لي ما اسمك فقلت عمر بن الخطاب، فقال أنت والله صاحبنا فاكتب لي على ديري هذا وما فيه، فقلت يا هذا إنك قد صنعت إليّ صنيعة فلا تكرّرها، فقال إنما هو كتاب في رقّ، فإن كنت صاحبنا فذلك، وإلاّ لم يضرّك شيء فكتب له على ديره وما فيه، فأتاني بثياب ودراهم فدفعها إليّ ثم أوكف أتانًا فقال لي أتراها فقلت نعم، قال سِرْ عليها فإنك لا تمرّ بقوم إلاّ سقوها وعلفوها وأضافوك

فإذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة فإنهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إليّ قال فركبتها فكان كما قال حتى لحقت بأصحابي وهم متوجهون إلى الحجاز، فضربتها مدبرة وانطلقت معهم، فلما وافى عمر الشام في زمان خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس فلما رآه عرفه، فقال قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه، ثم أقبل على أصحابه فحدّثهم بحديثه فلما فرغ منه أقبل على الراهب فقال هل عندكم من نفع للمسلمين، قال نعم يا أمير المؤمنين، قال إن أضفتم المسلمين ومرّضتموهم وأرشدتموهم فعلنا ذلك قال نعم يا أمير المؤمنين فوفى له عمر رضي الله عنه ورحمه. وعن سيف يرفعه إلى سالم بن عبد الله قال: لما دخل عمر الشام تلقّاه رجل من يهود دمشق فقال السلام عليك يا فاروق، أنت صاحب إيلياء؛ والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء.

ومن ذلك أن عمرو بن العاصي قَدِمَ المدينة بعد وفاة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أرسله إلى عمان واليًا عليها فجاءه يومًا يهودي من يهود عمان فقال له أنشدك بالله، مَن أرسلك إلينا، فقال له رسول الله ﷺ، فقال اليهودي والله إنك لتعلم أنه رسول الله، قال عمرو اللّهمَّ نعم، فقال اليهودي لئن كان حقًّا ما تقول لقد مات اليوم فلما سمع عمرو ذلك جمع أصحابه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهوديّ أن النبيّ ﷺ مات فيه. ثم خرج فأخبر بموت النبي ﷺ وهو في الطريق ووجده قد مات في ذلك اليوم صلّى الله تعالى عليه وسلّم وبارك وشرّف وكرّم ومن ذلك أن وفد غسان قاموا على رسول الله ﷺ فلقيهم أبو بكر الصدّيق فقال لهم مَن أنتم؟ قالوا رهط من غسان قَدِموا على محمد لنسمع كلامه، فقال لهم انزلوا حيث تنزل الوفود، ثم ائتوا رسول الله ﷺ فكلّموه، فقالوا وهل نقدر على كلامه كما أردنا فتبسّم أبو بكر، وقال إنه ليطوف بالأسواق ويمشي وحده ولا شرطة معه ويرغب مَن يراه منه فقالوا لأبي بكر مَن أنت أيّها الرجل، فقال أنا أبو بكر بن أبي قحافة، فقالوا أنت تقوم بهذا الأمر بعده فقال أبو بكر الأمر إلى الله، فقال لهم كيف تخدعون عن الإسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء ثم لقوا رسول الله ﷺ فأسلموا ﴿**يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُم عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ يحتمل أن يكون هذا من وصف النبي ﷺ في التوراة، فتكون الجملة في موضع الحال من ضمير المفعول في يجدونه، أو تفسير لما كتب من ذكره أو يكون استئناف وصف من الله تعالى غير مذكور في التوراة والإنجيل ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ مذهب مالك أن الطيّبات هي الحلال، وأن الخبائث هي الحرام، ومذهب الشافعي أن الطيّبات هي المستلذّات إلاّ ما حرّمه الشرع منها كالخمر والخنزير، وأن الخبائث هي المستقذرات:

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ

كالخنافس والعقارب وغيرها ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ**﴾ وهو مثل لما كلفوا في شرعهم من المشقّات كقتل الأنفس في التوبة؛ وقطع موضع النجاسة من الثوب، وكذلك الأغلال عبارة عمّا منعت منه شريعتهم كتحريم الشحوم وتحريم العمل يوم السبت وشبه ذلك ﴿**وَعَزَّرُوهُ**﴾ أي منعوه بالنصر حتى لا يقوى عليه عدوّ ﴿**وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ**﴾ هو القرآن أو الشرع كله، ومعنى معه مع بعثه ورسالته ﴿**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ تفسيره قوله ﷺ: «وكان كل نبيّ يُبعَث إلى قومه خاصّة وبُعِثتُ إلى الناس كافّة» فإعراب جميعًا حال من الضمير في إليكم ﴿**الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأرضِ**﴾ نعت لله أو منصوب على المدح بإضمار فعل أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر ﴿**يُؤْمِنُ باللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ**﴾ هي الكتب التي أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء ﴿**وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ**﴾ هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم في عصر موسى أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ في عصره ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمُ**﴾ أي فرّقناهم ﴿**أَسْبَاطًا**﴾ السبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب وانتصابه على البدل من اثنتي عشرة لا على التمييز فإن تمييز اثنتي عشرة لا يكون إلاّ مفردًا، وقال الزمخشري على التمييز، لأن كل قبيلة أسباطًا لا سبط ﴿**فَانبَجَسَتْ**﴾ أي انفجرت إلاّ أن الانبجاس أخفّ من الانفجار وقال القزويني الانبجاس: أول الانفجار ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيهِمُ الغَمَامَ**﴾ وما بعده إلى قوله بما كانوا يظلمون مذكور في البقرة.

﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ﴾

تنبيه: وقع الاختلاف في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين سورة البقرة في قوله انفجرت وانبجست وقوله وإذ قلنا ادخلوا، وإذ قيل لهم اسكنوا وقوله وكلوا بالواو وفكلوا بالفاء، فقال الزمخشري: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض، وعلّلها شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتاب ملاك التأويل وصاحب الدرّة بتعليلات منها قوية وضعيفة وفيها طول فتركناها لطولها ﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ أي اسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ قيل هي إيلياء، وقيل هي طبرية، وقيل مدين ﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قريبة منه أو على شاطئه ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ أي يتجاوزون حدّ الله فيه، وهو اصطيادهم يوم السبت «وقد نهوا عنه وموضع إذ بدل من القرية والمراد أهلها وهو بدل اشتمال أو منصوب بكانت أو بحاضرة ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى تصل إلى بيوتهم ابتلاء لهم إذ كان صيدها عليهم حرامًا في يوم السبت، وتغيب عنهم في سائر الأيام، وسبتهم مصدر من قولك سبت اليهودي يسبت إذا عظم يوم السبت، ومعنى شرعًا ظاهرة قريبة منهم يقال شرع منّا فلان إذا دنا وإذ في قوله إذ تأتيهم منصوب بيعدون، أو بدل من إذ يعدون ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ للآية: افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق: فرقة عَصَت يوم السبت بالصيد وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت القوم وفرقة سكتت واعتزلت، فلم تنه ولم تعصَ، وأن هذه الفرقة لمّا رأت مهاجرة الناهية وطغيان العاصية قالوا للفرقة الناهية: لِمَ تعظون قومًا يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم، فقالت الناهية تنهاهم معذرة إلى الله ولعلّهم يتّقون، فهلكت الفرقة العاصية، ونجت الناهية، واختلف في الثالثة هل هلكت لسكوتها أو نجت لاعتزالها وتركها العصيان ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي شديد، وقرىء بالهمز وتركه، وقرىء على وزن فعيل وعلى وزن فيعل

تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ

وكلها من معنى البؤس ﴿**فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ**﴾ أي لما تكبّروا عن ما نُهوا عنه ﴿ **قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ ذكر في البقرة، والمعنى أنهم عذّبوا أولاً بعذاب شديد فعتوا بذلك فمسخوا قردة، وقيل لما عتوا تكرار لقوله فلما نسوا، والعذاب البئيس هو المسخ ﴿**تَأَذَّنَ رَبُّكَ**﴾ عزم، وهو من الإيذان بمعنى الإعلام ﴿**لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ**﴾ الآية أي يسلّط عليهم، ومن ذلك أخذ الجزية، وهو أنهم في جميع البلاد ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ**﴾ أي فرّقناهم في البلاد، ففي كل بلدة فرقة منهم، فليس لهم إقليم يملكونه ﴿**مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ**﴾ هم مَن أسلم كعبد الله بن سلام أو مَن كان صالحًا من المتقدّمين منهم ﴿**بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**﴾ أي بالنِّعَم والنقم.

﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ**﴾ أي حدث بعدهم قوم سوء، والخلف بسكون اللام ذم، وبفتحها مدح، والمراد من حدث من اليهود بعد المذكورين، وقيل المراد النصارى ﴿**يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى**﴾ أي عرض الدنيا ﴿**وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا**﴾ ذلك اغترار منهم وكذب ﴿**وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ**﴾ الواو للحال يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم ﴿**مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ**﴾ إشارة إلى كذبهم في قولهم سيغفر لنا وإعراب ألاّ يقولوا عطف بيان على ميثاق الكتاب أو تفسير له أو تكون أن حرف عبارة وتفسير ﴿**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ**﴾ قرىء بالتشديد والتخفيف؛ وهما بمعنى واحد، وإعراب الذين عطف على الذين يتقون، أو مبتدأ وخبره إنّا لا نضيع أجر المصلحين، وأقام ذكر المصلحين مقام الضمير، لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ**﴾ أي اقتلعنا الجبل ورفعناه فوق بني إسرائيل وقلنا لهم خذوا التوراة حين أبوا من أخذها، وقد تقدّم في البقرة تفسير الظلّة و﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّة**﴾ ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي**

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ

آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية: في معناها قولان: أحدهما أن الله لمّا خلق آدم أخرج ذريّته من صلبه وهم مثل الذرّ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربّهم، فأقرّوا بذلك والتزموه، رُوِيَ هذا المعنى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم، والثاني أن ذلك من باب التمثيل، وأن أخذ الذرّيّة عبارة عن إيجادهم في الدنيا وأما إشهادهم فمعناه أن الله نصب لبني آدم الأدلّة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم، وقال لهم ألست بربكم وكأنّهم قالوا بلسان الحال بلى أنت ربّنا، والأول هو الصحيح لتواتر الأخبار به، إلاّ أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها، فلذلك عدل عنه مَن قال بالقول الآخر، وإنما تطابقه بتأويل وذلك أن أخذ الذرّيّة إنما كان من صلب آدم، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرّيّة من بني آدم، والجمع بينهما أنه ذكر بني آدم في الآية والمراد آدم كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُم ثُمّ صَوَّرْنَاكُم﴾ [الأعراف: ١١] الآية، وعلى تأويل لقد خلقنا أباكم آدم من صورته، وقال الزمخشري: إن المراد ببني آدم أسلاف اليهود، والمراد بذرّيّتهم مَن كان في عصر النبي ﷺ، وفي الصحيح المشهور أن المراد جمع بني آدم حسبما ذكرناه ﴿قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ قولهم بلى إقرار منهم بأن الله ربّهم، فإن تقديره أنت ربّنا، فإن بلى بعد التقرير تقتضي الإثبات، بخلاف نعم فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضي الإيجاب وإذا وردت بعد التقرير تقتضي النفي، ولذلك قال ابن عباس في هذه الآية لو قالوا نعم لكفروا، وأما قولهم شهدنا: فمعناه شهدنا بربوبيتك فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عند الله، وقيل إن شهدنا من قول الله والملائكة أي شهدنا على بني آدم باعترافهم ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ في موضع مفعول من أجله: أي فعلنا ذلك كراهية أن تقولوا، فهو من قول الله لا من قولهم، وقرىء بالتاء على الخطاب لبني آدم، وبالياء على الإخبار عنهم ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ فَانسَلَخَ مِنهَا﴾ قال ابن مسعود: هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعيًا إلى الله فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل، وأضلّ الناس بذلك وقال ابن عباس هو رجل من الكنعانيين

فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ

اسمه بلعم بن باعوراء كان عنده اسم الله الأعظم، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبّارون: سألوا من بلعم أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى فألحّوا عليه حتى دعا عليه ألاّ يدخل المدينة ودعا عليه موسى فالآيات التي أعطيها على هذا القول: هي اسم الله الأعظم وعلى قول ابن مسعود هي ما علمه موسى من الشريعة، وقيل كان عنده من صحف إبراهيم، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: هو أميّة بن أبي الصلت، وكان قد أوتي علمًا وحكمةً وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر، ثم رجع عن ذلك ومات كافرًا، وفيه قال النبي ﷺ كاد أُميّة بن أبي الصلت أن يسلم، فالآية على هذا ما كان عنده من العلم والانسلاخ عبارة عن البعد والانفصال منها كالانسلاخ من الثياب والجلد ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بها**﴾ أي لرفعنا منزلته بالآيات التي كانت عنده ﴿**وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إلى الأَرْضِ**﴾ عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ**﴾ أي صفته كصفة الكلب، وذلك غاية في الخسة والرداءة ﴿**إن تَحْمِلْ عَلَيهِ يَلْهَثْ أو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**﴾ اللهث هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات مع الحرّ والتعب، وهي حالة دائمة للكلب، ومعنى إن تحمل عليه إن تفعل معه ما يشقّ عليه من طرد أو غيره أو تتركه دون أن تحمل عليه، فهو يلهث على كل حال، ووجه تشبيه ذلك الرجل به أنه إن وعظته فهو ضالّ وإن لم تعظه فهو ضالّ، فضلالته على كل حال كما أن لهث الكلب على كل حال وقيل إنّ ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب في صورته ولهثه حقيقة ﴿**ذَٰلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾ أي صفة المكذبين كصفة الكلب في لهثه وصفة الرجل المشبّه به لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا، وإن تركوا لم يهتدوا، وشبّههم بالرجل في أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم، كما أن الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات ﴿**سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ**﴾ الآية: قدّم هذا المفعول للاختصاص والحصر ﴿**كَثِيرًا مِّنَ الجِنِّ والإِنْسِ**﴾ هم الذين علم الله أنهم يدخلون النار بكفرهم، فأخبر أنه خلقهم لذلك كما جاء في قوله هؤلاء للجنة ولا أُبالي، وهؤلاء للنار ولا أُبالي ﴿**لاَ**

ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾

﴿يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ ليس المعنى نفي السمع والبصر جملةً، وإنما المعنى نفيها عمّا ينفع في الدين **﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾** قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ لله تسعة وتسعون اسمًا مَن أحصاها دخل الجنة». وسبب نزول الآية: أن أبا جهل لعنه الله سمع بعض الصحابة يقرأ فيذكر الله مرة، والرحمن أخرى، فقال يزعم محمد أنّ الإله واحد وها هو يعبد آلهة كثيرة، فنزلت الآية مبيّنة أنّ تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمّى واحد، والحسنى مصدر وصف به أو تأنيث أحسن وحسن أسماء الله هي أنها صفة مدح وتعظيم وتحميد **﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾** أي سمّوه بأسمائه، وهذا إباحة لإطلاق الأسماء على الله تعالى، فأما ما ورد منها في القرآن أو الحديث، فيجوز إطلاقه على الله إجماعًا وأما ما لم يرد فيه مدح لا تتعلق به شبهة، فأجاز أبو بكر بن الطيب إطلاقه على الله ومنع ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره، ورأوا أن أسماء الله موقوفة على ما ورد في القرآن والحديث، وقد ورد في كتاب الترمذي عدّتها أعني تعيين التسعة والتسعين، واختلف المحدّثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم أو موقوفة على أبي هريرة، وإنما الذي ورد في الصحيح كونها تسعة وتسعين من غير تعيين **﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾** قيل معنى ذوروا اتركوهم لا تحاجّوهم ولا تتعرّضوا لهم، فالآية على هذا منسوخة بالقتال، وقيل معنى ذروا الوعيد والتهديد كقوله: وذرني والمكذبين، وهو الأظهر لما بعده وإلحادهم في أسماء الله: هو ما قال أبو جهل فنزلت الآية بسببه، وقيل تسميته بما لا يليق، وقيل تسمية الأصنام باسمه كاشتقاقهم اللات من الله، والعزّى من العزيز **﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ﴾** الآية رُوِيَ أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «هذه الآية لكم، وقد تقدّم مثلها لقوم موسى» **﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾** الاستدراج استفعال من الدرجة أي نسوقهم إلى الهلاك شيئًا بعد شيء وهم لا يشعرون، والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة **﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾** سمّى فعله بهم كيدًا لأنه شبيه بالكيد في أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان **﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾** يعني بصاحبهم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فنفى عنه ما نسب له المشركون من الجنون، ويحتمل أن يكون قوله ما بصاحبهم من جِنّة معمولاً لقوله: **﴿أَوَ لَمْ**

أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي

﴿**يَتَفَكَّرُوا**﴾ فيوصل به، والمعنى: أو لم يتفكروا فيلعمون أن ما بصاحبهم من جِنّة، ويحتمل أن يكون الكلام قد تمّ في قوله: ﴿**أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا**﴾ ثم ابتدأ إخبارًا استئنافًا لقوله ما بصاحبهم من جِنّة، والأوّل أحسن ﴿**أَوَ لَمْ يَنظُرُوا**﴾ يعني نظر استدلال ﴿**مَا خَلَقَ**﴾ عطف على الملكوت ويعني بقوله من شيء: جميع المخلوقات إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها ﴿**وَأَن عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ**﴾ أن الأولى مخفّفة من الثقيلة، وهي عطف على الملكوت، وأن الثانية مصدرية في موضع رفع بعسى، وأجلهم يعني موتهم، والمعنى لعلّهم يموتون عن قريب، فينبغي لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل ﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ**﴾ الضمير للقرآن ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ**﴾ السائلون اليهود أو قريش، وسُمّيت القيامة ساعة لسرعة حسابها كقوله: وما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب ﴿**أَيَّانَ مُرْسَاهَا**﴾ معنى أيّان: متى، ومرساها: وقوعها وحدوثها، وهي من الإرساء بمعنى الثبوت ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي**﴾ أي استأثر الله بعلم وقوعها ولم يطّلع عليه أحد ﴿**لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ**﴾ معنى يجليها يظهرها، فهو من الجلاء ضدّ الخفاء، واللام في لوقتها ظرفية: أي عند وقتها، والمعنى لا يظهر الساعة عند مجيء وقتها إلاّ الله ﴿**ثَقُلَتْ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ في معناه ثلاثة أقوال: الأوّل ثقلت على أهل السمٰوات والأرض لهيبتها عندهم وخوفهم منها، والثاني ثقلت على أهل السمٰوات والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض، والثالث معنى ثقلت: أي ثقل علمها أي خفي ﴿**يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا**﴾ الحفيّ بالشيء هو المهتبل به المعتني به، والمعنى: يسألونك عنها كأنك حفيّ بعلمها وقيل المعنى يسألونك عنها كأنك حفيّ بهم لقرابتك منهم، فعنها على هذين القولين يتعلق بيسألونك، وقيل المعنى يسألونك كأنك حفيّ بالسؤال عنها ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ**﴾ براءة من علم الغيب، واستدلال على عدم علمه ﴿**وَمَا مَسَّنِيَ**

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ

السُّوءُ﴾ عطف على لاستكثرت من الخير أي لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير، واحترست من السوء ولكن لا أعلمه فيصبني ما قدر لي من الخير والشر، وقيل إن قوله وما مسّني السوء: استئناف إخبار، والسوء على هذا هو الجنون واتصاله بما قبله أحسن **﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** يجوز أن يتعلق ببشير ونذير معًا أي أبشر المؤمنين وأنذرهم، وخصّ بهم البشارة والنذارة، لأنهم هم الذين ينتفعون بها، ويجوز أن يتعلق بالبشارة وحدها، ويكون المتعلق بنذير محذوف أي نذير للكافرين، والأول أحسن **﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** يعني آدم **﴿زَوْجَهَا﴾** يعني حوّاء **﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾** يميل إليها ويستأنس بها **﴿تَغَشَّاهَا﴾** كناية عن الجماع **﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا﴾** أي خفّ عليها ولم تَلْقَ منه ما يلقى بعد الحوامل من حملهنّ من الأذى والكرب، وقيل الحمل الخفيف المني في فرجها **﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾** قيل معناه استمرّت به إلى حين ميلاده، وقيل معناه قامت وقعدت **﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾** أي ثقل حملها وصارت به ثقيلة **﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾** أي ولدًا صالحًا سالمًا في بدنه **﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾** أي لمّا آتاهما ولدًا صالحًا كما طلبا: جعل أولادهما له شركاء فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك فيما آتاهما: أي فيما آتى أولادهما وذرّيتهما، وقيل إن حوّاء لمّا حملت جاءها إبليس وقال لها: إن أطعتيني وسمّيت ما في بطنك عبد الحارث، فسأخلصه لك، وكان اسم إبليس الحارث، وإن عصيتيني في ذلك قتلته، فأخبرت بذلك آدم، فقال لها إنه عدوّنا الذي أخرجنا من الجنة، فلما ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك، فعصته فمات الولد ثم حملت مرة ثالثة فسمّياه عبد الحارث طمعًا في حياته، فقوله جعلا له شركاء فيما آتاهما: أي في التسمية لا غير، لا في عبادة غير الله، والقول الأول أصحّ لثلاثة أوجه: أحدها أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثاني أنه يدلّ على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذرّيته لقوله تعالى: **﴿فَتَعَالَي اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** بضمير الجمع، والثالث أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة، وقيل من نفس واحدة هو قصيّ بن كلاب وزوجته وجعلا له شركاء أي سمّوا أولادهما عبد العزّى وعبد الدار وعبد

﴿يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ۝١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝١٩٤ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝١٩٥ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾

مناف، وهذا القول بعيد لوجهين أحدهما أن الخطاب على هذا خاصّ بذرّيّة قصيّ من قريش والظاهر أن الخطاب عامّ لبني آدم، والآخر أن قوله وجعل منها زوجها، فإن هذا يصحّ في حوّاء لأنها خلقت من ضلع آدم، ولا يصحّ في زوجة قصيّ **﴿أيُشرِكُونَ مَا لاَ يَخلُقُ شَيئًا وَهُمْ يُخلَقُونَ﴾** هذه الآية ردّ على المشركين من بني آدم، والمراد بقوله ما لا يخلق شيئًا الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله، والمعنى أنها مخلوقة غير خالقة، والله تعالى خالق غير مخلوق فهو الإله وحده **﴿وَلاَ يَستَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أنفُسَهُمْ يَنصُرُون﴾** يعني أن الأصنام لا ينصرون من عبدهم، ولا ينصرون أنفسهم فهم في غاية العجز والذلّة، فكيف يكونون آلهة.

﴿وإن تَدْعُوهُمْ إلى الهُدَى لا يتبعوكم﴾ يعني أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدي أو إلى أن تهدى، لأنها جمادات **﴿سَوَاءٌ عَلَيكُم أدَعَوْتُمُوهُم أَمْ أَنْتُم صَامِتُونَ﴾** تأكيد وبيان لما قبلها، فإن قيل: لِمَ قال أم أنتم صامتون فوضع الجملة الاسمية موضع الجملة الفعلية وهلاّ قال أو صمتم؟ فالجواب إن صمتم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة، فعبّر هنا بجملة اسمية لتقتضي الاستمرار على ذلك **﴿إنَّ الَّذِين تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أمْثَالُكُمْ﴾** ردّ على المشركين بأن آلهتهم عباد؛ فكيف يعبد العبد مع ربّه **﴿فَادْعُوهُم فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾** أمر على جهة التعجيز **﴿أمْ لَهُمْ أرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾** وما بعده: معناه أن الأصنام جمادات عادمة للحسّ والجوارح والحياة والقدرة، ومَن كان كذلك: لا يكون إلهًا، فإن مَن وصف الإله الإدراك والحياة والقدرة؛ وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام، لأن المشركين مُقرّون أن أصنامهم لا تمشي ولا تبطش، ولا تبصر، ولا تسمع، فلزمته الحجة، والهمزة في قوله: **﴿ألَهُمْ﴾** للاستفهام مع التوبيخ، وأم في المواضع الثلاثة تضمنت معنى الهمزة، ومعنى بل وليست عاطفة **﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُم ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُون﴾** المعنى استنجدوا أصنامكم لمضرّتي والكيد عليّ، ولا تؤخّروني، فإنكم وأصنامكم لا تقدرون على مضرّتي، ومقصد

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

الآية الردّ عليهم ببيان عجز أصنامهم وعدم قدرتها على المضرّة، وفيها إشارة إلى التوكّل على الله والاعتصام به وحده وأن غيره لا يقدر على شيء ثم أفصح بذلك في قوله ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ**﴾ الآية: أي هو حافظي وناصري منكم فلا تضرّونني ولو حرصتم أنتم وآلهتكم على مضرّتي، ثم وصف الله بأنه الذي أنزل الكتاب، وبأنه يتولّى الصالحين، وفي هذين الوصفين استدلال على صدق النبي ﷺ بإنزال الكتاب عليه، وبأن الله تولّى حفظه، ومَن تولّى حفظه فهو من الصالحين والصالح لا بدّ أن يكون صادقًا في قوله ولا سيما فيما يقوله عن الله ﴿**والَّذِين تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ**﴾ الآية: ردّ على المشركين، وقد تقدّم معناه ﴿**وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الهُدَى لاَ يَسْمَعُوا**﴾ يحتمل أن يريد الأصنام فيكون تحقيرًا لهم، وردًا على مَن عبدها، فإنها جمادات لا تسمع شيئًا، فيكون المعنى كالذي تقدّم، أو يريد الكفّار، ووصفهم بأنهم لا يسمعون يعني سماعًا ينتفعون به، لإفراط نفورهم، أو لأن الله طبع على قلوبهم ﴿**وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾ إن كان هذا من وصف الأصنام، فقوله ينظرون مجاز، وقوله لا يبصرون حقيقة، لأن لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئًا، وإن كان من وصف الكفّار فينظرون حقيقة ولا يبصرون مجازًا على وجه المبالغة كما وصفهم بأنهم لا يسمعون ﴿**خُذِ الْعَفْوَ**﴾ فيه قولان أحدهما أن المعنى خذ من الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما تيسر لا ما يشقّ عليهم، لئلا ينفروا فالعفو على هذا بمعنى السهل والصفح عنهم، وهو ضدّ الجهل والتكليف كقول الشاعر:

خذي العفو مني تستديمي مودّتي

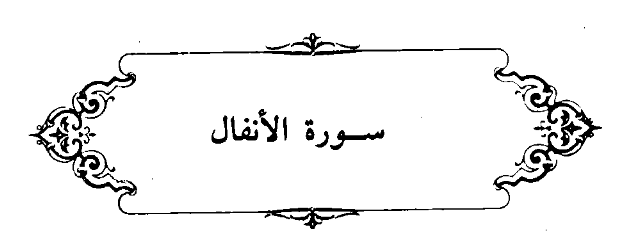
والآخر أن المعنى خذ من الصدقات ما سهل على الناس في أموالهم أو ما فضل لهم، وذلك قبل فرض الزكاة، فالعفو على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ أي بالمعروف وهو فعل الخير وقيل العفو الجاري بين الناس من العوائد، واحتجّ المالكية بذلك على الحكم بالعوائد ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ أي لا تكافىء السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم واحلم عنهم، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم عنها، فقال: «لا أدري حتى أسأل»، ثم رجع فقال يا محمد إن ربّك يأمرك أن تَصِل مَن قطعك، وتعطي مَن حرمك، وتعفو عمّن ظلمك، وعن جعفر الصادق: أمر الله نبيّه ﷺ فيها بمكارم الأخلاق، وهي على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح، وقيل كانت

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟

مداراة للكفّار، ثم نسخت بالقتال ﴿**وإمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطَانِ نَزْغٌ**﴾ نزغ الشيطان وسوسته بالتشكيك في الحق والأمر بالمعاصي أو تحريك الغضب، فأمر الله بالاستغاذة منه عند مالك كما ورد في الحديث أن رجلاً اشتدّ غضبه فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به: نعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ﴿**طَائِفٌ مِّنَ الشَّيطَانِ**﴾ معناه لمّة منه، كما جاء إنّ الشيطان لمّة وللملك لمّة، ومَن قرأ طائف بالألف، فهو اسم فاعل ومَن قرأ طيف بياء ساكنة، فهو مصدر أو تخفيف من طيف المشدّد، كميت وميت ﴿**تَذَكَّرُوا**﴾ حذف مفعوله ليعمّ كل ما يذكر من خوف عقاب الله، أو رجاء ثوابه أو مراقبته والحياء منه، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه والنظر والاعتبار وغير ذلك ﴿**فَإِذَا هُم مُّبصِرُونَ**﴾ هو من بصيرة القلب ﴿**وَإِخوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ**﴾ الضمير في إخوانهم للشياطين، وأُريد بقوله طائف من الشيطان: الجنس، ولذلك أُعيد عليه ضمير الجماعة وإخوانهم هم الكفّار، ومعنى يمدّونهم: يكونون مددًا لهم: يعضدونهم، وضمير المفعول في يمدّونهم للكفّار، وضمير الفاعل للشيطان، ويحتمل أن يريد بالإخوان: الشياطين، ويكون الضمير في إخوانهم للكفّار، والمعنى على الوجهين: أنّ الكفّار يمدّهم الشيطان وقرىء يمدّونهم بضم الياء وفتحها، والمعنى واحد، وفي الغيّ يتعلق بيمدّونهم، وقيل يتعلق بإخوانهم كما تقول إخوة في الله، أو في الشيطان ﴿**ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ**﴾ أي لا يقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم الكفّار أو لا يقصر الكفّار عن غيّهم، وفي الآية من إدراك البيان لزوم ما لا يلزم بالالتزام الصاد قبل الراء في مبصرون ولا يقصرون ﴿**وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا**﴾ الضمير في لم تأتهم للكفّار، ولولا هنا عوض، وفي معنى اجتبيتها قولان: أحدهما اخترعتها من قبل نفسك، فالآية على هذا من القرآن، وكان النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم يتأخر عنه الوحي أحيانًا، فيقول الكفّار هلاّ جئت بقرآن من قولك، والآخر معناه طلبتها من الله، وتخيّرتها عليه، فالآية على هذا معجزة، أي يقولون اطلب المعجزة من الله ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي**﴾ معناه لا أخترع القرآن على القول الأول ولا أطلب آية من الله على القول الثاني ﴿**هَذَا بَصَائِرُ**﴾ أي علامات هدى والإشارة إلى

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾

القرآن ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة، والثاني أنه الإنصات للخطبة، والثالث أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق وهو الراجح لوجهين: أحدهما أن اللفظ عامّ ولا دليل على تخصيصه، والثاني أن الآية مكيّة، والخطبة إنما شرعت بالمدينة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قال بعضهم الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان أو الذكر باللسان سرًّا، فعلى الأول يكون قوله: ودون الجهر من القول؛ عطف متغاير أي حالة أخرى، وعلى الثاني يكون بيانًا وتفسيرًا للأول ﴿بِالْغُدُوِّ وَالأَصَالِ﴾ أي في الصباح والعشي والآصال جمع أصل والأصل جمع أصيل، قيل المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل فرض الخمس والأظهر الإطلاق ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة عليهم السلام، وفي ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض للكفّار ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ قدّم المجرور لمعنى الحصر أي لا يسجدون إلاّ لله والله أعلم.



سورة الأنفال

مدنية إلاّ من آية ٣٠ إلى غاية
آية ٣٦ فمكيّة وآياتها ٧٥ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرَّحيم

نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغنائمها **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ﴾** الخطاب للنبي ﷺ والسائلون هم الصحابة، والأنفال هي الغنائم، وذلك أنهم كانوا يوم بدر ثلاث فِرَق: فرقة مع النبي ﷺ في العريش تحرسه، وفرقة اتّبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا، فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة أنها أحقّ بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم، فنزلت الآية ومعناها يسألونك عن حكم الغنيمة ومَن يستحقّها، وقيل الأنفال هنا ما ينفله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه، وقد اختلف الفقهاء هل يكون ذلك التنفيل من الخمس وهو قول مالك، او من الأربعة الأخماس، أو من رأس النغمة، قبل إخراج الخمس **﴿قُلِ الأنفَالُ لِلَّهِ والرَّسُولِ﴾** أي الحكم فيهما لله والرسول لا لكم **﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾** أي اتفقوا وائتلفوا، ولا تنازعوا، وذات هنا بمعنى الأحوال، قاله الزمخشري، وقال ابن عطية يراد بها في هذا الموضع نفس

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا

الشيء وحقيقته وقال الزبيري إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب **﴿وأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** يريد في الحكم في الغنائم، قال عبادة بن الصامت نزلت فينا أصحاب، بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسول الله ﷺ فقسمها على السواء، فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾** الآية: أي الكاملون الإيمان فإنما هنا للتأكيد والمبالغة والحصر **﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾** أي خافت وقرأ أُبيّ بن كعب فزعت **﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾** أي قوي تصديقهم ويقينهم خلافًا لِمَن قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وإن زيادته إنما هي بالعمل **﴿لَّهُمْ دَرَجَاتٌ﴾** يعني في الجنة **﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾** فيه ثلاث تأويلات أحدها أن تكون الكاف في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهة تنفيل الغنائم كحالهم في حالة خروجك للحرب، والثاني أن يكون في موضع الكاف نصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدّر في قوله الأنفال لله والرسول أي استقرّت الأنفال لله والرسول استقرارًا مثل استقرار خروجك، والثالث أن تتعلق الكاف بقوله يجادلونك **﴿مِن بَيْتِكَ﴾** يعني مسكنه بالمدينة إذ أخرجه الله لغزوة بدر **﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾** أي كرهوا قتال العدو، وذلك أن عِير قريش أقبلت من الشام فيها أموال عظيمة، ومعها أربعون راكبًا فأخبر بذلك جبريل النبي ﷺ فخرج بالمسلمين فسمع بذلك أهل مكة فاجتمعوا وخرجوا في عدد كثير ليمنعوا عِيرهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين، إما العِير وإما قريش، فاستشار النبي ﷺ أصحابه، فقالوا العِير أحبّ إلينا من لقاء العدو، فقال إن العِير قد مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل، فقال له سعد بن عبادة: امضِ لما شئت فإنّا مُتّبعوك وقال سعد بن معاذ والذي بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك فسر بنا على بركة الله **﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾** كان جدالهم في لقاء قريش بإيثارهم لقاء العير إذ كانت أكثر أموالاً وأقل رجالاً؛ وتبيّن الحق: هو إعلام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بأنهم ينصرون **﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾** تشبيه لحالهم في إفراط جزعهم من لقاء قريش **﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾**

لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ

اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ يعني قريش أو عِيرهم، والعامل في إذ محذوف تقديره اذكروا **﴿أَنَّها لَكُمْ﴾** بدل من إحدى الطائفتين **﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾** الشوكة عبارة عن السلاح، سُمّيت بذلك لحدّتها، والمعنى تحبّون أن تلقوا الطائفة التي لا سلاح لها وهي العِير **﴿أن يُحِقَّ الْحَقَّ﴾** يعني يظهر الإسلام بقتل الكفّار وإهلاكهم يوم بدلا **﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾** متعلق بمحذوف تقديره ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل فعل ذلك وليس تكراراً للأول لأن الأول مفعول يريد، وهذا تعليل لفعل الله تعالى، ويحتمل أن يريد بالحق الأول الوعد بالنصرة، وبالحق الثاني الإسلام فيكون المعنى أن نصرهم، ليظهر الإسلام، ويؤيّد هذا قوله: ويبطل الباطل أي يبطل الكفر **﴿إذ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾** إذ بدل من إذ يعدكم: وقيل يتعلق بقوله ليحقّ الحقّ أو بفعل مضمر واستغاثتهم دعاؤهم بالغوث والنصر **﴿مُمِدُّكُم﴾** أي مكثركم **﴿مُرْدِفِينَ﴾** من قولك ردفه إذا تبعه، وأردفته إياه إذا أتبعته إياه والمعنى يتبع بعضهم بعضًا، فمَن قرأه بفتح الدال فهو اسم مفعول، ومَن قرأه بالكسر فهو اسم فاعل، وصحّ معنى القراءتين لأن الملائكة المنزلين يتبع بعضهم بعضًا فمنهم تابعون ومتبوعون **﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾** الضمير عائد على الوعد، أو على الإمداد بالملائكة **﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾** إذ بدل من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر، أو بما عند الله من معنى النصر، أو بإضمار فعل تقديره اذكر، ومَن قرأ يغشاكم بضمّ الياء والتخفيف فهو من أغشى، ومَن قرأ بالضم والتشديد فهو من غشى المشدّد، وكلاهما يتعدّى إلى مفعولين فنصب النعاس على أنه المفعول والثاني، والمعنى يغطيكم به فهو استعارة، من الغشاء، ومَن قرأ بفتح الياء والشين فهو من غشي المتعدّي إلى واحد أي ينزل عليكم النعاس **﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾** أي أمنًا، والضمير المجرور يعود على الله تعالى، وانتصاب أمنة على أنه مفعول من أجله قال ابن مسعود النعاس عند حضور القتال علامة أمن من العدو **﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾** تعديد لنعمة أخرى، وذلك أنهم عدموا الماء في غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر، وقيل بعد وصولهم، فأنزل الله لهم المطر حتى سالت الأودية **﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾** كان منهم مَن أصابته جنابة فتطهّر بماء المطر،

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ﴾

وتوضأ به سائرهم، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطّهر ولا للوضوء ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ كان الشيطان قد ألقى في نفوس بعضهم وسوسة بسبب عدم الماء، فقالوا نحن أولياء الله وفينا رسوله فكيف نبقى بلا ماء، فأنزل الله المطر وأزال عنهم وسوسة الشيطان ﴿وليربط على قلوبهم﴾ أي يثبتها بزوال ما وسوس لها الشيطان وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ الضمير في به عائد على الماء، وذلك أنهم كانوا في رملة دهمة لا يثبت فيها قدم، فلما نزل المطر تلبدت وتدقت الطريق، وسهل المشي عليها والوقوف، ورُوِيَ أن ذلك المطر بعينه صعب الطريق على المشركين فتبيّن أن ذلك من لطف الله.

﴿إِذْ يُوحِي﴾ يحتمل أن يكون ذلك بدلاً من إذ المتقدمة كما أنها بدل من التي قبلها، أو يكون العامل فيه يثبت ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يحتمل أن يكون التثبيت بقتال الملائكة مع المؤمنين أو بأقوال مؤنسة مقوية للقلب قالوها إذا تصوّروا بصور بني آدم أو بإلقاء الأمن في نفوس المؤمنين ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ يحتمل أن يكون من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر تكميلاً لتثبيت المؤمنين، أو استئناف إخبار عمّا يفعله الله في المستقبل ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ يحتمل أيضًا أن يكون خطابًا للملائكة أو للمؤمنين، ومعنى فوق الأعناق أي على الأعناق، حيث المفصل بين الرأس والعنق لأنه مذبح، والضرب فيها يطير الرأس، وقيل المراد الرؤوس، لأنها فوق الأعناق، وقيل المراد الأعناق وفوق زائدة ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ قيل هي المفاصل، وقيل الأصابع وهو الأشهر في اللغة، وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسره وقتله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الإشارة إلى ما أصاب الكفّار يوم بدر، والباء للتعليل، وشاقوا من الشقاق وهو العداوة والمقاطعة ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ الخطاب هنا للكفّار، وذلكم مرفوع تقديره ذلكم العقاب أو العذاب، ويحتمل أن يكون منصوبًا بقوله: فذوقوه، كقولك زيدًا فاضربه ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ عطف على ذلكم على تقدير رفعه، أو نصبه، أو مفعول معه، والواو بمعنى مع ﴿زَحْفًا﴾ حال من الذين كفروا، أو من الفاعل في لقيتم، ومعناه متقابلي الصفوف

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ

والأشخاص، وأصل الزحف الاندفاع ﴿**فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ**﴾ نهي عن الفرار مقيدًا بأن يكون الكفّار أكثر من مثلي المسلمين حسبما يذكره في موضعه ﴿**وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ**﴾ أي يوم اللقاء في أيّ عصر كان ﴿**إلاّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ**﴾ هو الكرّ بعد الفرّ ليرى عدوّه أنه منهزم، ثم يعطف عليه، وذلك من الخداع في الحرب ﴿**أَو مُتَحَيِّزًا إلى فِئَةٍ**﴾ أي منحازًا إلى جماعة من المسلمين، فإن كانت الجماعة حاضرة في الحرب، فالتحيّز إليها جائز باتفاق، واختلف في التحيّز إلى المدينة، والإمام والجماعة إذا لم يكن شيئًا من ذلك حاضرًا، ويروى عن عمر بن الخطاب، أنه قال: أنا فئة لكل مسلم، وهذا إباحة لذلك، والفرار من الذنوب الكبائر، وانتصب قوله متحرّفًا على الاستثناء من قوله ومَن يولّهم، وقال الزمخشري انتصب على الحال وإلاّ لغو، ووزن متحيّز متفيعلاً، ولو كان على متفعّل لقال متحوّز، لأنه من حاز يحوز ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ**﴾ أي لم يكن قتلهم في قدرتكم لأنهم أكثر منكم وأقوى ولكن الله قتلهم بتأييدكم عليهم وبالملائكة ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ**﴾ كان رسول الله ﷺ قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب وحصى ورمى بها وجوه الكفّار فانهزموا، فمعنى الآية أن ذلك من الله في الحقيقة ﴿**بَلاَءً حَسَنًا**﴾ يعني الأجر والنصر والغنيمة ﴿**مُوهِنُ**﴾ من الوهن وهو الضعف، وقرىء بالتشديد والتخفيف وهو بمعنى واحد ﴿**إن تَسْتَفْتِحُوا**﴾ الآية: خطاب لكفّار قريش، وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحبّ الطائفتين له، ورُوِيَ أن الذي دعا بذلك أبو جهل فنصر الله المؤمنين، وفتح لهم، ومعنى إن تستفتحوا تطلبوا الفتح، ويحتمل أن يكون الفتح الذي طلبوه بمعنى النصر أو بمعنى الحكم، وقيل إن الخطاب للمؤمنين ﴿**فَقَدْ جَاءَكُمُ الفَتْحُ**﴾ إن كان الخطاب للكفّار فالفتح هنا بمعنى الحكم: أي قد جاءكم الحكم الذي حكم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسْر، وإن كان الخطاب للمؤمنين، فالفتح هنا يحتمل أن يكون بمعنى الحكم، لأن الله حكم لهم، أو بمعنى النصر ﴿**وإن تَنتَهُوا**﴾ أي ترجعوا عن الكفر وهذا يدلّ على أن الخطاب للكفّار ﴿**وَإن تَعُودُوا نعد**﴾ أي إن تعودوا إلى الاستفتاح أو

فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ

القتال نعدّ لقتالكم والنصر عليكم **﴿وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾** الضمير لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو للأمر بالطاعة **﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾** أي تسمعون القرآن والمواعظ **﴿كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾** هم الكفّار سمعوا بآذانهم دون قلوبهم فسماعهم كلا سماع **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾** أي كلّ مَن يدبّ، والمقصود أن الكفّار شرّ الخلق، قال ابن قتيبة: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار، فإنهم جدّوا في القتال مع المشركين **﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾** أي للطاعة، وقيل للجهاد لأنه يحيا بالنصر **﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾** قيل يميته، وقيل يصرف قلبه كيف يشاء فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان وشبه ذلك **﴿فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾** أي لا تصيب الظالمين وحدهم، بل تصيب معهم مَن لم يغيّر المنكر ولم ينهَ عن الظلم. وإن كان لم يظلم، وحكى الطبري أنها نزلت في علي بن أبي طالب، وعمّار بن ياسر، وطلحة والزبير، وأن الفتنة ما جرى لهم يوم الجمل، ودخلت النون في تصيبنّ لأنه بمعنى النهي **﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾** الآية: أي حين كانوا بمكة وآواكم بالمدينة، وأيّدكم بنصره في بدر وغيرها **﴿لاَ تَخُونُوا اللَّهَ﴾** نزلت في قصة أبي لبابة حين أشار إلى بني قريظة أن ليس عند رسول الله ﷺ إلاّ الذبح، وقيل المعنى لا تخونوا بغلول الغنائم ولفظها عامّ **﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾** عطف على لا تخونوا أو منصوب **﴿يجعل لكم فرقانًا﴾** أي تفرقة بين الحق والباطل وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب، وتشرح

وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ

الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** عطف على إذ أنتم قليل، أو استئناف، وهي إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدي الحديث بطوله **﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾** أي ليسجنونك **﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾** قيل نزلت في النضر بن الحارث كان قد تعلم من أخبار فارس والروم فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال لو شئت لقلت مثل هذا، وقيل هي في سائر قريش **﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾** أي أخبارهم المسطورة **﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾** الآية: قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذبوا النبي ﷺ دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق، والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل رواه البخاري ومسلم في كتابيهما وانتصب الحق لأنه خبر كان وقال الزمخشري معنى كلامهم جحود أي إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابًا، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم، إنما مرادهم نفي العقوبة عن أنفسهم **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾** إكرامًا للنبي ﷺ **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** أي لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمان من العذاب، قال بعض السلف: كان لنا أمانان من العذاب وهما وجود النبي ﷺ والاستغفار، فلما مات النبي ﷺ ذهب الأمان الواحد، وبقي الآخر، وقيل الضمير في يعذبهم للكفار، وفي وهم يستغفرون للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم **﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾** المعنى أيّ شيء يمنع من عذابهم وهم يصدّون أي يمنعون المؤمنين من المسجد الحرام والجملة في موضع الحال وذلك من الموجب لعذابهم **﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾** الضمير للمسجد الحرام أو لله تعالى **﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾** المكاء التصفير بالفم، والتصدية التصفيق باليد. وكانوا يفعلونهما إذا صلّى

لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن

المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم **﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾** الآية نزلت في إنفاق قريش في غزوة أُحد وقيل إنها نزلت في أبي سفيان بن حرب فإنه استأجر العير من الأحباش فقاتل بهم النبي ﷺ يوم أُحد **﴿تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾** أي يتأسفون على إنفاقها من غير فائدة أو يتأسفون في الآخرة **﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾** إخبار بالغيب **﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾** معنى يميز يفرّق بين الخبيث والطيب والخبيث هنا الكفّار والطيب المؤمنون وقيل الخبيث ما أنفقه الكفّار، والطيب ما أنفقه المؤمنون، واللام في ليميز على هذا تتعلق بيغلبون، وعلى الأوّل بيحشرون **﴿فَيَرْكُمَهُ﴾** أي يضمّه ويجعل بعضه فوق بعض **﴿إِن يَنتَهُوا﴾** يعني عن الكفر إلى الإسلام لأن الإسلام يجب ما قبله، ولا تصحّ المغفرة إلاّ به **﴿وَإِن يَعُودُوا﴾** يعني إلى القتال **﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾** تهديد وبما جرى لهم يوم بدر بما جرى للأمم السالفة **﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾** الفتنة هنا الكفر، فالمعنى قاتلوهم حتى لا يبقى كافر، وهو كقوله ﷺ: «أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله» **﴿واعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾** لفظه عامّ يراد به الخصوص لأن الأموال التي تؤخذ من الكفّار منها ما يخمس: وهو ما أخذ على وجه الغلبة بعد القتال، ومنها ما لا يخمس بل يكون جميعه لمَن أخذه، وهو ما أخذه مَن كان ببلاد الحرب من غير إيجاف، وما طرحه العدو خوف الغرق، ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته، ويصرف سائره في مصالح المسلمين وهي الفيء الذي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب **﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾** الآية: اختلف في قسم الخمس على هذه الأصناف فقال قوم يصرف على ستّة أسهم سهم لله في عمارة الكعبة، وسهم للنبي ﷺ في مصالح المسلمين، وقيل للوالي بعده؛ وسهم لذوي القربى الذين لا تحلّ لهم الصدقة، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل وقال الشافعي على خمسة أسهم، ولا يجعل

كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟

الله سهمًا مختصًا، وإنما بدأ عنده بالله، لأن الكل ملكه، وقال أبو حنيفة على ثلاثة أسهم: لليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وقال مالك الخمس إلى اجتهاد الإمام يأخذ منه كفايته ويصرف الباقي في المصالح ﴿**إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُم باللّهِ**﴾ راجع إلى ما تقدّم والمعنى إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذكر الله لكم من قسمة الخمس، واعملوا بحسب ذلك ولا تخالفوه ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنا**﴾ يعني النبي ﷺ والذي أنزل عليه القرآن والنصر ﴿**يَوْمَ الْفُرْقَانِ**﴾ أي التفرقة بين الحق والباطل وهو يوم بدر ﴿**الْتَقَى الْجَمْعَانِ**﴾ يعني المسلمين والكفّار ﴿**إذْ أَنْتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنيَا**﴾ العامل في إذا التقى والعدوة شفير الوادي، وقرىء بالضم والكسر وهما لغتان، والدنيا القريبة من المدينة والقصوى البعيدة ﴿**والرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾ يعني العير التي كان فيها أبو سفيان، وكان قد نكب عن الطريق خوفًا من النبي ﷺ، وكان جمع قريش المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير ﴿**وَلَوْ تَوَاعَدتُّم لاَخْتَلَفْتُمْ فِي المِيعَادِ**﴾ أي لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقلّتكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم أو لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه ﴿**لِّيَهلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ**﴾ أي يموت مَن مات ببدر عن إعذار وإقامة الحجة عليه ويعيش مَن عاش بعد البيان له، وقيل ليهلك مَن يكفر ويحيي مَن يؤمن، وقرىء من حيي بالإظهار والإدغام هما لغتان ﴿**إذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ**﴾ الآية: كان رسول الله ﷺ قد رأى الكفّار في نومه قليلاً فأخبر بذلك أصحابه فقويت أنفسهم ﴿**لَّفَشِلْتُمْ**﴾ أي جبنتم عن اللقاء ﴿**وَإذْ يُرِيكُمُوهُمْ**﴾ الآية معناها أن الله أظهر كل طائفة قليلة في عين الأخرى ليقع التجاسر على القتال ﴿**رِيحُكُمْ**﴾ أي قوّتكم ونشاطكم، وذلك استعارة

مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ

﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ يعني كفّار قريش حين خرجوا لبدر **﴿بَطَرًا﴾** أي عتوًّا وتكبّرا **﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾** الآية: لما خرجت قريش إلى بدر تصوّر لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك فقال لهم إني جار لكم من قومي وكانوا قد خافوا من قومه ووعدهم بالنصر **﴿نَكَصَ﴾** أي رجع إلى وراء **﴿إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ﴾** رأى الملائكة تقاتل **﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾** الذين كانوا بالمدينة وقيل إن الذين كانوا مع الكفّار وهم نفر من قريش منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن ربيعة بن الأسود وعليّ بن أُميّة بن خلف والعاصي بن أُميّة بن الحجّاج وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفّار فقالوا هذه المقالة **﴿غَرَّ هَؤُلاَءِ دِينُهُمْ﴾** أي اغترّ المسلمون بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلاَئِكَةُ﴾** ذلك فيمَن قتل يوم بدر **﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾** أي استاههم، وقيل ظهورهم **﴿وَذُوقُوا﴾** هذا من قول الملائكة لهم تقديره ويقولون لهم ذوقوا والقول المحذوف معموله معطوف على يضربون، ويحتمل أن يكون ما بعده من قول الملائكة أو يكون مستأنفًا **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾** تقديره عند سيبويه الأمر ذلك، والباء سببية، والمعنى أن الله لا يغيّر نعمة على عباده حتى يغيّروا هم بالكفر والمعاصي **﴿كَدَأْبِ﴾** ذكر في آل عمران **﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ﴾**

يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن

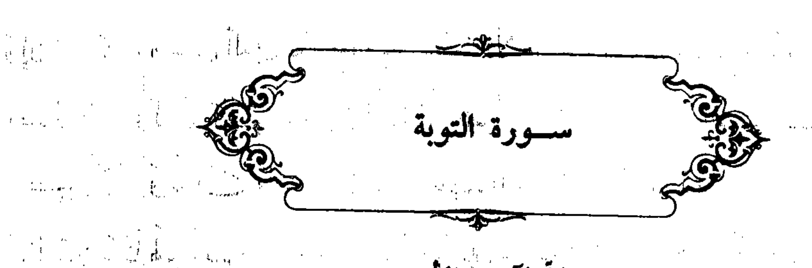
يريد بني قريظة **﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾** أي افعل بهم من النقمة ما يزجر غيرهم **﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾** أي نقضًا للعهد **﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾** أي ردّ العهد الذي بينك وبينهم والمفعول محذوف تقديره فانبذ إليهم عهدهم **﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾** أي على معادلة، وقيل معناه إن تستوي معهم في العلم بنقض العهد **﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾** أي لا تظن أنهم فاتوا ونجوا بأنفسهم **﴿إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ﴾** أي لا يفوتون في الدنيا ولا في الآخرة **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾** الضمير للذين ينبذ لهم العهد أو للذين لا يعجزون، وحكمه عامّ في جميع الكفار **﴿مِّنْ قُوَّةٍ﴾** قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ألا إن القوة الرمي» **﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾** قال الزمخشري الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله وقال ابن عطية رباط الخيل جمع ربط أو مصدر **﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** يعني الكفار **﴿وَآخَرِينَ﴾** يعني المنافقين. وقيل بني قريظة، وقيل الجنّ لأنها تنفر من صهيل الخيل، وقيل فارس، والأول أرجح لقوله مردوا على النفاق **﴿لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾** قال السهيلي: لا ينبغي أن يقال فيهم شيء، لأن الله تعالى قال لا تعلمونهم، فكيف يعلمهم أحد، وهذا لا يلزم، لأن معنى قوله لا تعلمونهم: لا تعرفونهم: أي لا تعرفون آحادهم وأعيانهم وقد يعرف صنفهم من الناس، ألا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين **﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾** السلم هنا المهادنة، والآية منسوخة بآية القتال في براءة، لأن مهادنة كفّار العرب لا تجوز **﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِم﴾** قيل المراد بين قلوب الأوس والخزرج إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام، واللفظ عامّ.

يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ

﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على اسم الله، وقال الزمخشري مفعول معه والواو بمعنى مع أي حسبك وحسب مَن اتّبعك الله ﴿إن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ الآية: إخبار يتضمن وعدًا بشرط الصبر ووجود ثبوت الواحد للعشرة ثم نسخ بثبوت الواحد للاثنين ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ أي يقاتلون على غير دين ولا بصيرة فلا يثبتون ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر بحياتهم، وأشار عمر بقتلهم. فنزلت الآية عتابًا على استبقائهم ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ أي يبالغ في القتال ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ عتاب لِمَن رغب في فداء الأسرى ﴿لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ الكتاب ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم، وقيل ما قضاه الله من تحليل الغنائم لهم ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ يريد به الأسرى وفداؤهم، ولما نزلت الآية قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر» ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ إباحة للغنائم ولفداء الأسارى ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ أي إن علم في قلوبكم إيمانًا جبر عليكم ما أخذ منكم من الفدية، قال العباس فيّ نزلت وكان قد افتدى يوم بدر ثم أعطاه رسول الله ﷺ من المال ما لا يقدر أن يحمله، فقال قد أعطاني الله خيرًا ممّا أخذ منّي، وأنا أرجو أن يغفر لي ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ الآية تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى آخر السورة مقصدها بيان منازل المهاجرين والأنصار والذين آمنوا ولم يهاجروا والذين هاجروا

وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾

بعد الحديبية، فبدأ أولاً بالمهاجرين، ثم ذكر الأنصار وهم الذين آووا ونصروا، وأثبت الولاية بينهم، وهي ولاية التعاون ثم نسخت بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض **﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ﴾** لما نفي الولاية بين المؤمنين والتناصر، وقيل هي ولاية الميراث الذين هاجروا بين المؤمنين الذين لم يهاجروا: أمر بنصرهم إن استنصروا بالمؤمنين: إلاّ إذا استنصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد فلا ينصرونهم عليهم **﴿إلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ﴾** إلاّ هنا مركّبة من إن الشرطية ولا النافية والضمير في تفعلوه لولاية المؤمنين ومعاونتهم أو لحفظ الميثاق الذي في قوله: إلاّ على قوم بينكم وبينهم ميثاق، أو النصر الذي في قوله فعليكم النصر، والمعنى إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾** الآية: ثناء على المهاجرين والأنصار، ووعد لهم، والرزق الكريم في الجنة **﴿والَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ﴾** يعني الذين هاجروا بعد الحديبية وبيعة الرضوان **﴿وَأُولُوا الأَرْحَام بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾** قيل هي ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار، قال مالك ليست في الميراث، وقال أبو حنيفة هي في الميراث وأوجب بها ميراث الخال والعمّة وغيرهما من ذوي الأرحام **﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾** أي القرآن وقيل اللوح المحفوظ.



سورة التوبة

مدنيّة إلاّ الآيتين الأخيرتين

فمكيتان وآياتها ١٢٩ : نزلت بعد المائدة

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ

وتسمى سورة التوبة، وتسمى أيضًا الفاضحة: لأنها كشفت أسرار المنافقين، واتفقت المصاحف والقرّاء على إسقاط البسملة من أولها، واختلف في سبب ذلك، فقال عثمان بن عفان اشتبهت معانيها بمعاني الأنفال وكانت تدعى القرينتين في زمان رسول الله ﷺ فلذلك قرنت بينهما فوضعتهما في السبع الطوال وكان الصحابة قد اختلفوا هل هما سورتان أو سورة واحدة فتركت البسملة بينهما لذلك وقال علي بن أبي طالب البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف، فلذلك لم تبدأ بالأمان **﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** المراد بالبراءة التبرّؤ من المشركين وارتفاع براءة على أنه خبر ابتداء أو مبتدأ **﴿إِلَى الَّذِين عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** تقدير الكلام براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فمن وإلى يتعلقان بمحذوف لا ببراءة، وإنما أسند العهد إلى المسلمين في قوله عاهدتم، لأن فعل النبي ﷺ لازم للمسلمين، فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين، وكان النبي ﷺ قد عاهد

ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ

المشركين إلى آجالٍ محدودة، فمنهم مَن وفى فأمر الله أن يتم عهده إلى مدّته، ومنهم مَن نقض، أو قارب النقض فجعل له أجل أربعة أشهر، وبعدها لا يكون له عهد **﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ﴾** أي سيروا آمنين أربعة أشهر وهي الأجل الذي جعل لهم، واختلف في وقتها فقيل هي شوّال وذو القعدة وذو الحجة والمحرّم، لأن السورة نزلت حينئذ وذلك عام تسعة، وقيل هي من عيد الأضحى إلى العشر الأول من ربيع الآخر، لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ وذلك أن رسول الله ﷺ بعث تلك السنة أبا بكر الصدّيق يحجّ بالناس ثم بعث بعده عليّ بن أبي طالب فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة وقيل يوم النحر **﴿غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾** أي لا تفوتونه **﴿وَأَذَانٌ﴾** أي إعلام بتبرّيء الله تعالى ورسوله من المشركين **﴿إِلَى النَّاسِ﴾** جعل البراءة مختصّة بالمعاهدين من المشركين، وجعل الإعلام بالبراءة عامًّا لجميع الناس: مَن عاهد، ومَن لم يعاهد، والمشركين وغيرهم **﴿الحَجِّ الأَكْبَرِ﴾** هو يوم عرفة أو يوم النحر، وقيل أيام الموسم كلها، وعبّر عنها بيوم كقولك يوم صفّين والجمل، وكانت أيامًا كثيرة **﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** تقديره أذان بأن الله بريء، وحذفت الباء تخفيفًا، وقرىء إن الله بالكسر، لأن الأذان في معنى القول **﴿وَرَسُولُهُ﴾** ارتفع بالعطف على الضمير في بريء، أو بالعطف على موضع اسم إن، أو بالابتداء وخبره محذوف وقرىء بالنصب على اسم إن، وأما الخفض فلا يجوز فيه العطف على المشركين لأنه معنى فاسد ويجوز على الجوار أو القسم، وهو مع ذلك بعيد والقراءة به شاذّة **﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾** يعني التوبة من الكفر **﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُم﴾** يريد الذين لم ينقضوا العهد **﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأشهر الحُرُمُ﴾** يعني الأشهر الأربعة التي جعلت لهم، فمَن قال إنها شوّال وذو القعدة وذو الحجة والمحرّم فهي الحرم المعروفة زاد فيها شوّال ونقص رجب، وسُمّيت حُرُمًا تغليبًا للأكثر ومَن قال إنها إلى ربيع الثاني: فسُمّيت حرمًا لحُرمتها ومنع القتال فيها حينئذ **﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾** ناسخة لكل موادعة في القرآن وقيل إنها نسخت أيضًا فإمّا منًّا بعد وإمّا فِداء، وقيل بل نسختها هي فيجوز المنّ والفداء **﴿وَخُذُوهُمْ﴾** معناه الأسر، والأخيذ هو الأسير **﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾** كل طريق ونصبه على الظرفية **﴿فَإِن تَابُوا﴾** يريد من الكفر، ثم قرن بالإيمان

وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَٰمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَٰنَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

الصلاة والزكاة، فذلك دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة كما فعل أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، والآية في معنى قوله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ تأمين لهم ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ هو من الجوار أي استأمنك فأمّنه حتى يسمع القرآن ليرى هل يسلم أم لا ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي إن لم يسلم فردّه إلى موضعه، وهذا الحكم ثابت عند قوم، وقال قوم نسخ بالقتال ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ لفظ استفهام، ومعناه استنكار واستبعاد ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل المراد قريش، وقيل قبائل بني بكر ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا﴾ ما ظرفية ﴿كَيْفَ﴾ تأكيد للأولى، وحذف الفعل بعدها للعلم به تقديره كيف يكون لهم عهد ﴿لاَ يَرْقُبُوا﴾ أي لا يراعوا ﴿إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ الإل القرابة، وقيل الحلف، والذمّة العهد ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ استثنى من قضى له بالإيمان ﴿أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ أي رؤساء أهله قيل إنهم أبو جهل لعنه الله، وأُميّة بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وحكى ذلك الطبري وهو ضعيف لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة، والأحسن أنها على العموم ﴿لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ أي لا أيمان لهم يوفون بها، وقرىء لا إيمان بكسر الهمزة ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ يتعلق بقاتلوا ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾

أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا

قيل يعني إخراجه من المدينة حين قاتلوه بالخندق وأُحد، وقيل يعني إخراجه من مكة إذا تشاوروا فيه بدار الندوة ثم خرج هو بنفسه **﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** يعني إذايتهم للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والمسلمين بمكة **﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾** يريد بالقتل والأسر وفي ذلك وعد للمسلمين بالظفر **﴿قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾** قيل إنهم خزاعة والإطلاق أحسن **﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾** استئناف إخبار فإن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفّار فيسلم **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾** الآية: معناها أن الله لا يتركهم دون تمحيص يظهر فيه الطيب من الخبيث، وأم هنا بمعنى بل والهمزة، **﴿يَعْلَمِ اللَّهُ﴾** أي يعلم ذلك موجبًا لتقوم به الحجة **﴿وَلِيجَةً﴾** أي بطانة **﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾** أي ليس لهم ذلك بالحق والواجب وإن كانوا قد عمّروها تغلبيًا وظلمًا، ومَن قرأ مساجد بالجمع أراد جميع المساجد، ومَن قرأ بالتوحيد أراد المسجد الحرام **﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾** أي أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر، وقيل الإشارة إلى قولهم في التلبية لا شريك لك إلاّ شريك هولك **﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾** الآية: سببها أن قومًا من قريش افتخروا بسقاية الحاجّ، وبعمارة المسجد الحرام؛ فبيّن الله أن الجهاد أفضل من ذلك، ونزلت الآية في عليّ بن أبي طالب والعباس بن عبد المطّلب وطلحة بن منبّه افتخروا فقال أنا صاحب البيت وعندي مفاتحه، وقال

﴿الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا﴾

العباس: أنا صاحب السقاية، وقال عليّ لقد أسلمت قبل الناس وجاهدت مع رسول الله ﷺ ﴿لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ﴾ الآية قيل نزلت فيمَن ثبط عن الهجرة ولفظها عامّ وكذلك حكمها ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ وعيد لمَن آثر أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد ﴿بِأَمْرِهِ﴾ قيل يعني فتح مكة، وقيل هو إشارة إلى عذاب أو عقاب ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ عطف على مواطن أو منصوب بفعل مضمر، وهذا أحسن لوجهين: أحدهما أن قوله إذ أعجبتكم كثرتكم مختصّ بحُنَين، ولا يصحّ في غيره من المواطن فيضعف عطف يوم حنين على المواطن للاختلاف الذي بينهما في ذلك، والآخر أن المواطن ظرف مكان، ويوم حُنَيْن ظرف زمان فيضعف عطف أحدهما على الآخر، إلاّ أن يريد بالمواطن الأوقات، وحُنَيْن اسم عَلَم لموضع عُرِفَ برجل اسمه حُنَين وانصرف لأنه مذكّر ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ كانوا يومئذ اثنا عشر ألفًا، فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلّة فأراد الله إظهار عجزهم ففر الناس عن رسول الله ﷺ حتى بقي على بغلته في نفر قليل، ثم استنصر بالله وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفّار وقال شاهت الوجوه، ونادى بأصحابه فرجعوا إليه وهزم الله الكفّار وقصّة حُنَيْن مذكورة في السير ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي ضاقت على كثرة اتّساعها وما هنا مصدرية ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحُنَين ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قيل إن نجاستهم بكفرهم وقيل بالجنابة ﴿فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ نص على منع المشركين وهم عَبَدَة الأوثان من المسجد الحرام، فأجمع العلماء على ذلك، وقاسَ مالك على المشركين جميع الكفّار من أهل الكتاب

﴿ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى﴾

وغيرهم، وقاس على المسجد الحرام سائر المسجد، فمنع جميع الكفّار من جميع المساجد وجعلها الشافعي عامّة في الكفّار خاصّة بالمسجد الحرام فمنع جميع الكفّار دخول المسجد الحرام خاصّة وأباح لهم دخول غيره. وقصرها أبو حنيفة على موضع النص فمنع المشركين خاصّة من دخول المسجد الحرام خاصّة وأباح لهم دخول سائر المسجد وأباح دخول أهل الكتاب في المسجد الحرام وغيره ﴿**بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾ يريد عام تسعة من الهجرة حين حجّ أبو بكر بالناس، وقرأ عليهم على سورة براءة ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً**﴾ أي فقرًا، كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة فخاف الناس قلّة القوت بها إذ منع المشركون منها، فوعدهم الله بأن يُغنيهم من فضله، فأسلمت العرب كلها وتمادى جلب الأطعمة إلى مكة ثم فتح الله سائر الأمصار ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ أمر بقتال أهل الكتاب ونفى عنهم الإيمان بالله لقول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر لأن اعتقادهم فيه فاسد، فإنهم لا يقولون بالمعاد والحساب ﴿**وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾ لأنهم يستحلّون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك ﴿**وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ**﴾ أي لا يدخلون في الإسلام ﴿**مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾ بيان للذين أمر بقتالهم وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم إلى غزوة تبوك لقتال النصارى ﴿**حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ**﴾ اتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى، ويلحق بهم المجوس، لقوله ﷺ: «سنوا بهم سُنّة أهل الكتاب»، واختلفوا في قبولها من عبدة الأوثان والصابئين ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين، وقدرها عند مالك أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهمًا على أهل الورق، ويؤخذ ذلك من كل رأس ﴿**عَن يَدٍ**﴾ فيه تأويلان: أحدهما دفع الذميّ لها بيده لا يبعثها مع أحد ولا يمطل بها كقولك يدًا بيد، الثاني عن استسلام وانقياد كقولك ألقى فلان بيده ﴿**وهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ أذلاّء ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ**﴾ قال ابن عباس إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود، وهم سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، وقيل لم يقلها إلاّ فنحاص، ونسب ذلك إلى جميعهم لأنهم متّبعون لمَن قالها، والظاهر أن جماعتهم

ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

قالوها إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم، وكان سبب قولهم ذلك أنهم فقدوا التوراة فحفظها عزيرًا وحده فعلمها لهم فقالوا ما علم الله عزير التوراة إلاّ أنه ابنه، وعزير مبتدأ، وابن الله خبره، ومنع عزير التنوين لأنه أعجمي لا ينصرف وقيل بل هو منصرف وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وهذا ضعيف، وأما مَن نوّنه فجعله عربيًا **﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾** قال أبو المعالي: أطبقت النصارى على أن المسيح إله وابن إله وذلك كفر شنيع **﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾** يتضمن معنيين أحدهما إلزامهم هذه المقالة والتأكيد في ذلك، والثاني أنهم لا حجّة لهم في ذلك، وإنما هو مجرد دعوى كقولك لمَن تكذّبه هذا قول بلسانك **﴿يُضَاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾** معنى يضاهؤن يشابهون، فإن كان الضمير لليهود والنصارى، فالإشارة بقوله الذين كفروا من قبل للمشركين من العرب إذ قالوا الملائكة بنات الله، وهم أول كافر. أو للصابئين أو لأمم متقدمة وإن كان الضمير للمعاصرين للنبي ﷺ من اليهود والنصارى، فالذين كفروا من قبل هم أسلافهم المتقدمون **﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾** دعاء عليهم، وقيل معناه لعنهم الله **﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾** تعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ أي أطاعوهم كما يطاع الربّ وإن كانوا لم يعبدوهم **﴿وَالْمَسِيحَ﴾** معطوف على الأحبار والرهبان **﴿وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا إلهًا وَاحِدًا﴾** أي أمرهم بذلك عيسى ومحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم **﴿يُرِيدُونَ أن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾** أي يريدون أن يطفئوا نبوّة محمد صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم وما جاء به من عبادة الله وتوحيده **﴿بِأَفوَاهِهِمْ﴾** إشارة إلى أقوالهم كقولهم ساحر وشاعر، وفيه أيضًا إشارة إلى ضعف حيلتهم فيما أرادوا **﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ﴾** الضمير للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو للدين، وإظهاره جعله أعلى الأديان وأقواها حتى يعمّ المشارق والمغارب، وقيل ذلك عند

ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِۖ يُضَلُّ

نزول عيسى ابن مريم حتى لا يبقى إلاّ دين الإسلام ﴿**لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ**﴾ هو الرشا على الأحكام وغير ذلك ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ**﴾ ورد في الحديث أن كل مَن أدّيت زكاته فليس بكنز، وما لم تؤدّ زكاته فهو كنز، وقال أبو ذرّ وجماعة من الزهّاد كلما فضل عن حاجة الإنسان فهو كنز ﴿**وَلاَ يُنفِقُونَهَا**﴾ الضمير للأموال والكنوز التي يتضمنها المعنى، وقيل هي الفضة، واكتفى في ذلك عن الذهب إذ الحكم فيهما واحد ﴿**يَوْمَ يُحْمَى**﴾ العامل في الظرف أليم أو محذوف ﴿**عَلَيْهَا**﴾ الضمير يعود على ما يعود عليه ضمير ينفقونها ﴿**اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا**﴾ هي الأشهر المعروفة أولها المحرم وآخرها ذو الحجة، وكان الذي جعل المحرّم أول شهر من العام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿**فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾ أي في اللوح المحفوظ، وقيل في القرآن والأوّل أرجح لقوله يوم خلق السمٰوات والأرض ﴿**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**﴾ هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ﴿**ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ يعني أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم، دين إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب قد تمسكت به حتى غيّره بعضهم ﴿**فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ**﴾ الضمير في قوله فيهنّ للأشهر الحرم تعظيمًا لأمرها وتغليظًا للذنوب فيها، وإن كان الظلم ممنوعًا في غيرها، وقيل الضمير للاثني عشر شهرًا، أو الزمان كله، والأوّل أظهر ﴿**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً**﴾ أي قاتلوهم في الأشهر الحرم، فهذا نسخ لتحريم القتال فيها، وكافّة حال من الفاعل أو المفعول ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ**﴾ وهو تأخير حرمة الشهر إلى الشهر الآخر، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات، وكانت محرّمة عليهم في الأشهر الحرم فيشقّ عليهم تركها فيجعلونها في شهر حرام ويحرّمون شهرًا آخر بدلاً منه، وربما أحلّوا المحرم وحرموا صفر حتى تكمل في العام أربعة أشهر محرّمة ﴿**يُحِلُّونَهُ عامًا ويُحَرِّمُونَهُ عَامًا**﴾ أي تارة يحلّون

بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى

وتارة يحرّمون، ولم يرد العامَ حقيقة **﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾** أي ليوافقوا عدد الأشهر الحرم وهي أربعة **﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾** يعني إحلالهم القتال في الأشهر الحرم **﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا﴾** عتاب لمَن تخلّف عن غزوة تبوك **﴿اثَّاقَلْتُم إِلَى الأَرْضِ﴾** عبارة عن تخلّفهم، وأصل اثّاقلتم تثاقلتم **﴿إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ﴾** شرط وجزاء وهو العذاب في الدنيا والآخرة **﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾** شرط وجواب، والضمير لرسول الله ﷺ، فإن قيل: كيف ارتبط هذا الشرط مع جوابه، فالجواب أن المعنى: إن لم تنصروه أنتم فسننصره الله الذي نصره حين كان ثاني اثنين، فدلّ بقوله نصره الله على نصره في المستقبل **﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** يعني خروجه من مكة مهاجرًا إلى المدينة، وأسند إخراجه إلى الكفّار، لأنهم فعلوا معه من الأذى ما اقتضى خروجه **﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾** هو أبو بكر الصدّيق **﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ﴾** يعني أبا بكر **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾** يعني بالنصر واللطف **﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾** الضمير للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وقيل لأبي بكر، لأن النبي ﷺ لنزل معه السكينة، ويضعف ذلك بأنّ الضمائر بعدها للرسول عليه السلام **﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾** يعني الملائكة يوم بدر وغيره **﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾** يريد إذلالها ودحضها **﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾** قيل هي لا إله إلاّ الله، وقيل الدين كله **﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾** أمر بالتنفير إلى الغزو، والخفّة استعارة لمَن يمكنه السفر بسهولة، والثقل مَن يمكنه بصعوبة، وقال بعض العلماء الخفيف الغني والثقيل الفقير، وقيل الخفيف الشاب، والثقيل الشيخ، وقيل الخفيف النشيط، والثقيل الكسلان، وهذه الأقوال أمثلة في الثقل والخفّة، وقيل إن

سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾

هذه الآية منسوخة بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية **﴿لَو كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾** الآية: نزلت هي وكثير مما بعدها في هذه السورة في المنافقين الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك، وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة وكانت في شدّة الحرّ وطيب الثمار والظلال، فثقلت عليهم فأخبر الله في هذه الآية أن السفر لو كان لعرض من الدنيا، أو إلى مسافة قريبة لفعلوه **﴿بَعُدَتْ عَلَيهِمُ الشُّقَّةُ﴾** أي الطريق والمسافة **﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾** إخبار بغيب وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون **﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾** أي يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذبة، أو تخلّفهم عن الغزو **﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتْ لَهُمْ﴾** الآية: كان بعض المنافقين قد استأذن النبي ﷺ في التخلّف عن غزوة تبوك فأذِنَ لهم، فعاتبه الله تعالى على إذنه له، وقدّم العفو على العتاب إكرامًا له ﷺ وقيل إن قوله عفا الله عنك ليس لذنب ولا عتاب ولكنه استفتاح كلام كما يقول أصلحك الله **﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾** كانوا قد قالوا استأذنوه في القعود، فإن أذِنَ لنا قعدنا، وإن لم يأذن لنا قعدنا، وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم، فحينئذ كان يقعد العاصي والمنافق ويسافر المطيع **﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** الآية: لا يستأذنك في التخلّف عن الغزو لغير عذر مَن يؤمن بالله واليوم الآخر **﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾** أي شكّت، ونزلت الآية في عبد الله بن أُبيّ ابن سلّول والجدّ بن قيس **﴿وَلَوْ أَرَادُوا الخُرُوجَ﴾** الآية. أي لو كانت لهم نيّة في الغزو والاستعداد له قبل أوانه **﴿انْبِعَاثَهُمْ﴾** أي خروجهم **﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾** أي كسر عزمهم وجعل في قلوبهم الكسل **﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾** يحتمل أن يكون القائل لهم اقعدوا هو الله تعالى، وذلك عبارة عن قضائه عليهم بالقعود، ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض **﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾** أي مع النساء والصبيان وأهل الأعذار، وفي ذلك ذمّ لهم لاختلاطهم في القعود

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩) إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢) قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣)﴾

مع هؤلاء ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً**﴾ أي شرًا وفسادًا ﴿**وَلأَوْضَعُوا**﴾ أي أسرعوا السير، والإيضاع سرعة السير، والمعنى أنهم يسرعون للفساد والنميمة ﴿**خِلاَلَكُمْ**﴾ أي بينكم ﴿**يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ**﴾ أي يحاولون أن يفتنوكم ﴿**سَمَّاعُونَ لَهُمْ**﴾ وقيل يسمعون أخبارهم وينقلونها إليهم ﴿**لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ**﴾ أي طلبوا الفساد، ورُوِيَ أنها نزلت في عبد الله بن أُبيّ ابن سلول وأصحابه من المنافقين ﴿**وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ**﴾ أي دبّروها من كل وجه، فأبطل الله سعيهم ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي**﴾ لما دعا النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم إلى غزوة تبوك قال الجدّ بن قيس وكان من المنافقين: ائذن لي في القعود ولا تفتنّي برؤية بني الأصفر فإني لا أصبر عن النساء ﴿**أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾ أي وقعوا في الفتنة التي فرّوا منها ﴿**إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ**﴾ الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك ﴿**يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ**﴾ أي قد حذرنا وتأهبنا من قبل ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾ أي ما قدّر وقضى، وهذا ردّ على المنافقين ﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ**﴾ أي هل تنتظرون بنا إلاّ إحدى أمرين: إما الظفر والنصر، وإما الموت في سبيل الله وكل واحد من الخصلتين حسن ﴿**بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ**﴾ المصائب وما ينزل من السماء أو عذاب الآخرة ﴿**أَوْ بِأَيْدِينَا**﴾ يعني القتل ﴿**فَتَرَبَّصُوا**﴾ تهديد: ﴿**قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ**﴾ تضمن الأمر هنا معنى الشرط، فاحتاج إلى جواب: والمعنى لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعًا أو كرهًا، والطوع والكره عموم في الإنفاق أي لن يتقبل على كل حال

وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقبَلَ مِنهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ تعليل لعدم قبول نفقاتهم بكفرهم، ويحتمل أن يكون إنهم كفروا فاعل ما منعهم، أو في موضع مفعول من أجله والفاعل الله **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾** قيل العذاب في الدنيا بالمصائب، وقيل ما ألزموا من أداء الزكاة **﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾** إخبار بأنهم يموتون على الكفر **﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾** أي من المؤمنين **﴿يَفرَقُونَ﴾** يخافون **﴿لَو يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾** أي ما يلجأ إليه من المواضع **﴿أَو مَغَارَاتٍ﴾** هي الغيران في الجبل **﴿أَوْ مُدَّخَلاً﴾** وزنه مفتعل من الدخول ومعناه نفق أو سرب في الأرض **﴿يَجْمَحُونَ﴾** أي يسارعون **﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾** أي يعيبك على قسمتها والآية في المنافقين كالتي قبلها وبعدها؛ وقيل في ذي الخويصرة الذي قال اعدل يا محمد فإنك لم تعدل فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم: «ويلك إن لم أعدل فمَن يعدل الحديث» **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا﴾** الآية: ترغيب لهم فيما هو خير لهم، وجواب لو محذوف تقديره لكان ذلك خيرًا لهم **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾** الآية: إنما هنا تقتضي حصر الصدقات وهي الزكاة في هذه الأصناف الثمانية فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم، ومذهب مالك أن تفريقها في هؤلاء الأصناف إلى اجتهاد الإمام، فله أن يجعلها في بعض دون بعض، ومذهب الشافعي أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء، واختلف العلماء هل الفقير أشد حاجة من المسكين أو بالعكس؟ فقيل هما سواء، وقيل الفقير الذي يسأل الناس ويعلم حاله، والمسكين ليس كذلك **﴿وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾** أي الذين يقبضونها ويفرقونها **﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾** كفّار يعطون ترغيبًا في الإسلام، وقيل هم مسلمون يعطون ليتمكّن إيمانهم، واختلف هل بقي حكمهم أو سقط للاستغناء

ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن

عنهم ﴿**وَفِي الرِّقَابِ**﴾ يعني العبيد يشترون ويعتقون ﴿**وَالْغَارِمِينَ**﴾ يعني من عليه دَيْن، ويشترط أن يكون استدان في غير فساد ولا سرف ﴿**وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ يعني الجهاد فيعطى منها المجاهدون ويشتري منها آلات الحرب واختلف هل تصرف في بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل ﴿**وابْنِ السَّبِيلِ**﴾ هو الغريب المحتاج ﴿**فَرِيضَةً**﴾ أي حقًّا محدودًا: ونصبه على المصدر، فإن قيل: لِمَ ذكر مصرف الزكاة في تضاعيف ذكر المنافقين، فالجواب أنه حصرَ مصرف الزكاة في تلك الأصناف ليقطع طمع المنافقين فيها، فاتصلت هذه الآية في المعنى بقوله ومنهم مَن يلمزك في الصدقات الآية ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ**﴾ يعني من المنافقين وإذايتهم للنبي ﷺ بالأقوال والأفعال ﴿**وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ**﴾ أي يسمع كل ما يقال له ويصدّقه، ويقال إنّ قائل هذه المقالة هو نبيل بن الحارث وكان من مَرَدة المنافقين وقيل عتاب بن قيس ﴿**قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ**﴾ أي يسمع الخير والحق ﴿**وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ أي يصدقهم يقال آمنت لك إذا صدقتك، ولذلك تعدّى هذا الفعل بإلى وتعدّى يؤمن بالله بالباء ﴿**وَرَحْمَةٌ**﴾ بالرفع عطف على أُذن، وبالخفض على خير ﴿**يَحْلِفُونَ**﴾ يعني المنافقين ﴿**وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ**﴾ تقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك، فهما جملتان حذف الضمير من الثانية لدلالة الأولى عليها، وقيل إنما وحّد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحد ﴿**مَن يُحَادِدِ اللَّهَ**﴾ يعني مَن يعادي ويخالف ﴿**فَأَنَّ لَهُ**﴾ إن هنا مكررة تأكيدًا للأولى، وقيل بدل منها، وقيل التقدير فواجب أن له، فهي في موضع خبر مبتدأ محذوف ﴿**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ**﴾ يعني في شأنهم سورة على النبي ﷺ والضمائر في عليهم وتنبئهم وقلوبهم تعود على المنافقين، وقال الزمخشري إن الضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين، وفي قلوبهم للمنافقين، والأول أظهر ﴿**قُلِ اسْتَهْزِءُوا**﴾ تهديد ﴿**إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ**﴾ صنع ذلك بهم في هذه السورة، لأنها فضحتهم ﴿**إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾

سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

نزلت في وديعة بن ثابت بلغ النبي ﷺ أنه قال هذا يريد أن يفتح قصور الشام هيهات هيهات، فسأله عن ذلك فقال إنَّما كُنَّا نخوض ونلعب ﴿**إن نَّعفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ**﴾ كان رجل منهم اسمه مخشن تاب ومات شهيدًا.

﴿**بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ**﴾ نفي لأن يكونوا من المؤمنين ﴿**وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**﴾ كناية عن البخل ﴿**نَسُوا اللَّهَ**﴾ أي غفلوا عن ذكره ﴿**فَنَسِيَهُمْ**﴾ تركهم من رحمته وفضله ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ**﴾ الأصل في الشرّ أن يقال أوعد، وإنما يقال فيه وعد إذا صرّح بالشرّ ﴿**وَالْكُفَّارَ**﴾ يعني المجاهدين بالكفر ﴿**كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ خطاب للمنافقين والكاف في موضع نصب والتقدير فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم، أو في موضع خبر مبتدأ تقديره أنتم كالذين من قبلكم ﴿**وَخُضْتُمْ**﴾ أي خلطتم وهو مستعار من الخوض في الماء، ولا يقال إلاّ في الباطل من الكلام ﴿**كَالَّذِي خَاضُوا**﴾ تقديره كالخوض الذي خاضوا، وقيل كالذين خاضوا، فالذي هنا على هذا بمعنى الجميع ﴿**أَلَمْ يَأْتِهِمْ**﴾ الآية: تهديد لهم بما أصاب الأمم المتقدّمة ﴿**وَالْمُؤْتَفِكَاتِ**﴾ يعني مدائن قوم لوط ﴿**بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ أي بالمعجزات ﴿**بعضهم أولياء بعض**﴾

وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ

في مقابلة قوله المنافقون بعضهم من بعض ولكنه خصّ المؤمنين بالوصف بالولاية **﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾** قيل عدن هي مدينة الجنة وأعظمها، وقال الزمخشري هو اسم علم **﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾** أي رضوان من الله أكبر من كل ما ذكر وذلك معنى ما ذكر في الحديث أنّ الله تعالى يقول لأهل الجنة أتريدون شيئًا أزيدكم، فيقولون يا ربّنا أيّ شيء تزيدنا؟ فيقول رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا **﴿جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ﴾** جهاد الكفّار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان ما لم يظهر ما يدلّ على كفرهم، فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم كحكم الزنديق، وقد اختلف هل يقتل أم لا **﴿واغْلُظْ عَلَيهِم﴾** الغلظة ضدّ الرحمة والرأفة، وقد تكون بالقول والفعل وغير ذلك **﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾** نزلت في الجلاس بن سويد، فإنه قال إن كان ما يقول محمد حقًّا فنحن شرّ من الحمير، فبلغ ذلك النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم فقرأه عليه فحلف أنه ما قاله **﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ﴾** يعني ما تقدّم من قول الجلاس لأن ذلك يقتضي التكذيب **﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾** لم يقل بعد إيمانهم؛ لأنهم كانوا يقولون بألسنتهم آمنّا ولم يدخل الإيمان في قلوبهم **﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾** هم الجلاس بقتل مَن بلغ تلك الكلمة عنه، وقيل همّ بقتل النبي ﷺ؛ وقيل الآية نزلت في عبد الله بن أُبيّ ابن سلّول، وكلمة الكفر التي قالها قوله سمّن كلبك يأكلك، وعمّه بما لم يناله قوله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ **﴿وَمَا نَقَمُوا إلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ﴾** أي ما عابوا إلاّ الغني الذي كان حقه أن يشكروا عليه، وذلك في الجلاس أو في عبد الله بن أُبيّ **﴿فَإِن يَتُوبُوا﴾** فتح الله لهم باب التوبة فتاب الجلاس وحَسُنَ حاله **﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾** الآية: نزلت في ثعلبة بن حاطب، وذلك أنه قال يا رسول الله ادعُ الله أن يكثر مالي فقال له رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم قليل تؤدّي شكره خير من

﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

كثير لا تطيقه، فأعاد عليه حتى دعا له فكثر ماله فتشاغل به حتى ترك الصلوات ثم امتنع من أداء الزكاة، فنزلت فيه الآية فجاء بزكاته إلى النبي ﷺ فأعرض عنه ولم يأخذها منه، وقال إن الله أمرني أن لا آخذ زكاتك ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ﴿**بَخِلُوا بِهِ**﴾ إشارة إلى منعه الزكاة ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا**﴾ عقوبة على العصيان بما هو أشدّ منه ﴿**إلى يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ**﴾ حكم بوفاته على النفاق ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِين**﴾ نزلت في المنافقين حين تصدّق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا ما هذا إلاّ رياء وأصل المطوعين المتطوعين والمراد به هنا مَن تصدّق بكثير ﴿**والَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ**﴾ هم الذين لا يقدرون إلاّ على القليل فيتصدقون به نزلت في أبي عقيل تصدّق بصاع من تمر، فقال المنافقون إن الله غنيٌّ عن صدقة هذا ﴿**فَيَسْخَرُون مِنهُمْ**﴾ أي يستخفّون بهم ﴿**سَخِرَ اللَّهُ مِنهُمْ**﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾ يحتمل معنيين. أحدهما أن يكون لفظه أمر، ومعناه الشرط، ومعناه إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة المنافقين، والآخر أن يكون تخيير كأنه قال إن شئت فاستغفر لهم، وإن شئت فلا تستغفر لهم، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم، وهذا أرجح لقول رسول الله ﷺ إن الله خيّرني فاخترت، وذلك حين قال عمر أتصلّي على عبد الله بن أُبيّ وقد نهاك الله عن الصلاة عليه ﴿**سَبْعِينَ مَرَّةً**﴾ ذكرها على وجه التمثيل للعدد الكثير ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ**﴾ أي الذين خلفهم الله عن بدر وأقعدهم عنه، وفي هذا تحقير وذمّ لهم، ولذلك لم يقل المتخلفون ﴿**بِمَقْعَدِهِمْ**﴾ أي بقعودهم ﴿**خَلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ أي بعده حين خرج إلى تبوك، فخلاف على هذا ظرف، وقيل هو مصدر من خلف فهو على هذا مفعول من أجله

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَٰهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَـْٔذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ جَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَٰتُ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ

﴿وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ قائل هذه المقالة رجل من بني سلمة ممّن صعب عليه السفر إلى تبوك في الحرّ **﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾** أمر بمعنى الخبر فضحكهم القليل في الدنيا مدة بقائهم فيها وبكاؤهم الكثير في الآخرة؛ وقيل هو بمعنى الأمر أي يجب أن يكونوا يضحكون قليلاً ويبكون كثيرًا في الدنيا لما وقعوا فيه **﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾** إنما لم يقل إليهم، لأن منهم مَن تاب من النفاق وندم على التخلّف **﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾** عقوبة لهم فيها خزي وتوبيخ **﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** يعني في غزوة تبوك **﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾** أي مع القاعدين وهم النساء والصبيان **﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾** نزلت في شأن عبدالله بن أُبيّ ابن سلول، وصلاة رسول الله ﷺ عليه حين مات، ورُوِيَ أنه صلّى عليه فنزلت الآية، ورُوِيَ أنه ﷺ لمّا تقدّم ليصلّي عليه جاءه جبريل فجبذ ثوبه، وتلا عليه: **﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾** الآية، فانصرف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يُصَلِّ عليه **﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾** قيل يعني براءة والأرجح أنه على الإطلاق **﴿أَنْ آمِنُوا﴾** أن هنا مفسّرة **﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾** أي أُولوا الغنى والمال الكثير **﴿لَكِنِ الرَّسُولُ﴾** الآية أي إن تخلّف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومَن معه **﴿الْخَيْرَاتُ﴾** تعمّم منافع الدارين وقيل هي الحور العين لقوله خيرات حِسان **﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾** هم المعتذرون ثم أدغمت التاء في الذال ونقلت حركتها إلى العين واختلف هل كانوا في اعتذارهم صادقين أو كاذبين وقيل هم المقصرون من عذر في الأمر إذا قصر فيه ولم يجد فوزنه على هذا المفعلون

لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ۞ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ

ورُوِيَ أنها نزلت في قوم من غفار **﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** هم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلّفهم فكذبوا في دعواهم الإيمان **﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾** أي من المعذرين **﴿لَيسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى المَرْضَى﴾** هذا رفع للحرج عن أهل الأعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذا تركوا الغزو وقيل إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان وهذا بعيد **﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾** قيل نزلت في بني مقرن وهم ستّة إخوة صحبوا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وقيل في عبد الله بن مغفل المزني **﴿إذا نَصَحُوا لِلَّهِ﴾** يعني بنيّاتهم وأقوالهم وإن لم يخرجوا للغزو **﴿مَا عَلَى المُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾** وصفهم بالمحسنين لأنهم نصحوا لله ورسوله ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم **﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا آتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾** قيل هم بنو مقرن وقيل ابن مغفل وقيل سبعة نفر من بطون شتّى وهم البكّاؤون ومعنى لتحملهم على الإبل وجواب إذا يحتمل أن يكون قلت **﴿لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ﴾** أو تولّوا إذا رجعتم يعني من غزوة تبوك **﴿لَن نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾** لن نصدقكم **﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾** نعت لمحذوف وهو المفعول الثاني تقديره قد نبّأنا الله جملة من أخباركم **﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾** هم أهل البوادي من العرب **﴿وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ**

مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا

﴿اللَّهُ﴾ يعني أنهم أحقّ أن لا يعلموا الشرائع لبُعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم **﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾** أي تثقل عليهم الزكاة والنفقة في سبيل الله ثقل المغرم الذي ليس بحق عليه **﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾** أي ينتظر بكم مصائب الدنيا **﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾** خبر أو دعاء **﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾** أي دعواته لهم وهو عطف على قربات أي يقصدون بنفقاتهم التقرّب إلى الله واغتنام دعاء الرسول لهم وقيل نزلت في بني مقرن **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ﴾** قيل هم مَن صلّى للقِبلتين وقيل مَن شهد بدرًا وقيل مَن حضر بيعة الرضوان **﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم﴾** سائر الصحابة ويدخل في ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم القيامة بشرط الإحسان **﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾** أي اجترؤوا عليه وقيل أقاموا عليه **﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾** العذاب العظيم هو عذاب النار وأما المرتان قبله فالثانية منهما عذاب القبر والأولى عذابهم بإقامة الحدود عليهم وقيل بفضيحتهم بالنفاق **﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾** الآية: قيل إنها نزلت في أبي لبابة فعمله الصالح الجهاد وعمله السيىء نصيحته لبني قريظة وقيل هو لمَن تخلّف عن تبوك من المؤمنين فعملهم الصالح ما سبق لهم وعملهم السيىء تخلّفهم عن تبوك ورُوِيَ أنهم ربطوا أنفسهم إلى سواري المسجد وقالوا لا نحلّ أنفسنا حتى يحلّنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وقيل هي عامّة في الأمة إلى يوم القيامة قال بعضهم ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾** قيل نزلت في المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم لما تاب الله عليهم قالوا يا رسول الله إنّا نريد أن نتصدّق بأموالنا فنزلت هذه الآية وأخذ ثلث أموالهم وقيل هي الزكاة المفروضة فالضمير على العموم لجميع المسلمين **﴿تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِم بِهَا﴾** خطاب للنبي صلّى الله عليه

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ﴾

وآله وسلّم في موضع صفة لصدقة أو حال من الضمير في خذ **﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾** أي ادعُ لهم **﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾** أي تسكن به نفوسهم فهو عبارة عن صحة الاعتقاد أو عن طمأنينة نفوسهم إذا علموا أن الله تاب عليهم **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾** الضمير في يعلموا للتائبين من التخلّف وقيل للذين تخلّفوا ولم يتوبوا وقيل عامّ وفائدة الضمير المؤكد تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره **﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾** قيل معناه يأمر بها وقيل يقبلها من عباده **﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ﴾** قيل هم الثلاثة الذين خلفوا قبل أن يتوب الله عليهم وقيل هم الذين بنوا مسجد الضرار، وقرىء مرجئون بالهمز وتركه وهما لغتان ومعناه التأخير **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾** قرىء الذين بغير واو صفة لقوله وآخرون مرجون أو على تقديرهم الذين وهذه القراءة جارية على قول مَن قال في المرجون لأمر الله هم أهل مسجد الضرار، وقرىء والذين بالواو عطف على آخرون مرجون وهذه القراءة جارية على قول مَن قال في المرجئين أنهم الثلاثة الذين خلفوا **﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾** كانوا بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يأتيه ويصلّي فيه فحسدهم على ذلك قومهم بنو غنم بن عوف وبنو سالم بن عوف فبنوا مسجدًا آخر مجاورًا له ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قباء وذلك هو الضرار الذي قصدوا وسألوا من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أن يأتيه ويصلّي لهم فيه فنزلت عليه فيه هذه الآية **﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أرادوا أن يتفرّق المؤمنون عن مسجد قباء **﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾** أي انتظارًا لِمَن حارب الله ورسوله وهو أبو عامر الراهب الذي سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الفاسق وكان من أهل المدينة فلما قَدِمها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جاهد بالكفر والنفاق ثم خرج إلى مكة فحزب الأحزاب من المشركين فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بقيصر فهلك هناك وكان أهل مسجد الضرار يقولون إذا قَدِمَ أبو عامر المدينة يصلّي في هذا المسجد والإشارة بقوله من قبل إلى ما فعل معه الأحزاب **﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ**

إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ

﴿الْحُسْنَى﴾ أي الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله فأكذبهم الله في ذلك **﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾** نهى عن إتيانه والصلاة فيه فكان رسول الله ﷺ لا يمرّ بطريقه **﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾** قيل هو مسجد قباء، وقيل مسجد النبي ﷺ بالمدينة، وقد رُوِيَ ذلك عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم **﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾** كانوا يستنجون بالماء ونزلت في الأنصار على قول مَن قال إنّ المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى هو مسجد المدينة، ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصّة على قول مَن قال إنّ المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى هو مسجد قباء **﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾** الآية: استفهام بمعنى التقرير، والذي أُسِّس على التقوى والرضوان: مسجد المدينة أو مسجد قباء، والذي أُسِّس على شفا جرفٍ هارٍ: هو مسجد الضرار، وتأسيس البناء على التقوى والرضوان: هو بحُسْن النيّة فيه، وقصد وجه الله، وإظهار شرعه، والتأسيس على شفا جرفٍ هارٍ: هو بفساد النيّة، وقصد الرياء، والتفريق بين المؤمنين، فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البديع، ومعنى شفا جرف: طرفه، ومعنى هارٍ: ساقط أو واهي، بحيث أشفى على السقوط، وأصل هارٍ: هائر، فهو من المقلوب، لأن لامه جعلت في موضع العين **﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾** أي طاح في جهنّم، وهذا ترشيح للمجاز، فإنه لمّا شبّه بالجرف وصف بالانهيار الذي هو من شأن الجرف، وقيل إن ذلك حقيقة، وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه، والصحيح أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم أمر بهدمه فهدم **﴿لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾** أي لا يزال في قلوب أهل مسجد الضرار ريبة من بنيانه: أي شك في الإسلام بسبب بنيانه، لاعتقادهم صواب فعلهم: أو غيظ بسبب هدمه **﴿إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾** أي إلاّ أن يموتوا.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ قيل إنها نزلت في بيعة العقبة

اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ

وحكمها عامّ في كل مؤمن مجاهد في سبيل الله إلى يوم القيامة، قال بعضهم ما أكرم الله، فإن أنفسنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منّا بهذا الثمن الغالي، فإنها لصفقة رابحة **﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** جملة في موضع الحال بيان للشراء **﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾** قال بعضهم ناهيك عن بيع: البائع فيه ربّ العلا والثمن جنّة المأوى، والواسطة محمد المصطفى ﷺ **﴿التَّائِبُونَ﴾** وما بعده: أوصاف للمؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم: تقديره هم التائبون **﴿السَّائِحُونَ﴾** قيل معناه الصائمون، ويقال ساح في الأرض: أي ذهب **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾** نزلت في شأن أبي طالب فإنه لمّا امتنع أن يقول لا إله إلاّ الله عند موته، قال له رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لأستغفرنّ لك ما لم أنهَ عنك، فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية، وقيل إن النبي ﷺ استأذن ربّه أن يستغفر لأمه فنزلت الآية، وقيل إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين فنزلت الآية **﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ﴾** المعنى لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم لأبيه، فإن ذلك لم يكن إلاّ لوعد تقدّم، وهو قوله سأستغفر لك ربّي **﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾** قيل تبيّن له ذلك بموت أبيه على الكفر، وقيل لأنه نهى عن الاستغفار له **﴿لأَوَّاهٌ﴾** قيل كثير الدعاء، وقيل موقن، وقيل فقيه، وقيل كثير الذكر لله، وقيل كثير التأوّه من خوف الله **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾** الآية: نزلت في قوم من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن، فخافوا على أنفسهم من ذلك فنزلت الآية تأنيسًا لهم أي ما كان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبيّن

لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ

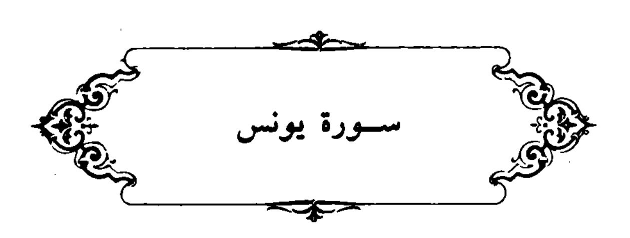
لكم المنع من ذلك ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ يعني حين محاولة غزوة تبوك، والساعة هنا بمعنى الحين والوقت، وإن كان مدة، والعسرة الشدّة وضيق الحال ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني تزيغ عن الثبات على الإيمان، أو عن الخروج في تلك الغزوة لما رأوا من الضيق والمشقّة، وفي كاد ضمير الأمر والشأن، أو ترتفع بها القلوب ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني على هذا الفريق أي رجع بهم عمّا كادوا يقعون فيه ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ هم كعب بن مالك، وهلال بن أُميّة، ومرارة بن الربيع، تخلّفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولا قصد للمخالفة، فلما رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عتب عليهم، وأمر أن لا يكلّمهم أحد، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم فبقوا على ذلك مدّة إلى أن أنزل الله توبتهم، وقد روى حديثهم في البخاري ومسلم والسير، ومعنى خلفوا هنا: أي عن الغزوة، وقال كعب بن مالك معناه خلفوا عن قبول الضرّ، وليس بالتخلّف عن الغزو يقوّي ذلك كونه جعل إذا ضاقت غاية للتخلّف ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ عبارة عمّا أصابهم من الغمّ والخوف من الله ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ أي رجع بهم ليستقيموا على التوبة ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يحتمل أن يريد صدق اللسان إذا كانوا هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب فنفعهم الله بذلك، ويحتمل أن يريد أعمّ من صدق اللسان وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم، والمراد بالصادقين المهاجرون لقول الله في الحشر للفقراء المهاجرين، إلى قوله: هم الصادقون وقد احتجّ بها أبو بكر الصدّيق على الأنصار يوم السقيفة، فقال نحن الصادقون، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا أي تابعين لنا ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ الآية: عتاب لمَن تخلّف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومَن جاورها من قبائل العرب ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ أي لا يمتنعوا من اقتحام المشقّات التي تحمّلها هو

ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ

صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ﴾** تعليل لما يجب من عدم التخلّف **﴿ظَمَأٌ﴾** أي عطش **﴿وَلاَ نَصَبٌ﴾** أي تعب **﴿وَلا مَخْمَصَةٌ﴾** أي جوع **﴿وَلاَ يَطَؤُونَ﴾** أي بأرجلهم أو بدوابّهم **﴿وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً﴾** عموم في كل ما يصيب الكفّار **﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾** قال ابن عباس: هذه الآية في البعوث إلى الغزو والسرايا: أي لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله ﷺ بنفسه، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدّمة على التخلّف عنه، فالآية الأولى في الخروج معه ﷺ، وهذه في السرايا التي كان يبعثها، وقيل هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين، وقيل في طلب العلم ومعناها: أنه لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع، بل على البعض لأنه فرض كفاية **﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾** تحضيض على نفر بعض المؤمنين للجهاد أو لطلب العلم **﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾** إن قلنا إن الآية في الخروج إلى طلب العلم، فالضمير في يتفقهوا للفرقة التي تنفر أي ترحل، وكذلك الضمير في ينذروا وفي رجعوا: أي ليعلموا قومهم إذا رجعوا إليه من الرحلة، وإن قلنا إن الآية في السرايا، فالضمير في يتفقهوا للفرقة التي تقعد في المدينة ولا تخرج مع السرايا، وأما الضمير في رجعوا فهو للفرقة التي خرجت مع السرايا **﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾** الضمير للقوم **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾** أمر بقتال الأقرب فالأقرب على تدريج، وقيل إنها إشارة إلى قتال الروم بالشام، لأنهم كانوا أقرب الكفّار إلى أرض العرب، وكانت أرض العرب قد عمّها الإسلام، وكانت العراق حينئذ بعيدة **﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾** أي من المنافقين مَن يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه إيمانًا على وجه الاستخفاف بالقرآن كأنهم يقولون أيّ

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

عجب في هذا وأي دليل في هذا ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل سورة ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ المرض عبارة عن الشك والنفاق والمعنى زادتهم رجسًا إلى رجسهم أو زادتهم كفرًا ونفاقًا إلى كفرهم ونفاقهم ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾ قيل يفتنون أي يختبرون بالأمراض والجوع، وقيل بالأمر بالجهاد، واختار ابن عطية أن يكون المعنى يفضحون بما يكشف من سرائرهم ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي تغامزوا وأشار بعضهم إلى بعض على وجه الاستخفاف بالقرآن ثم قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد كأن سبب خوفهم أن ينقل عنهم ذلك وقيل معنى نظر بعضهم إلى بعض على وجه التعجب مما ينزل في القرآن من كشف أسرارهم ثم قال بعضهم لبعض ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي هل رأى أحوالكم فنقلها عنكم أو علمت من غير نقل فهذا أيضًا على وجه التعجب ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ يحتمل أن يراد الانصراف بالأبدان، أو الانصراف بالقلوب عن الهدى ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ دعاء أو خبر ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ تعليل لصرف قلوبهم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني النبي ﷺ، والخطاب للعرب أو لقريش خاصة أي من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته أو لبني آدم كلهم: أي من جنسكم وقرىء من أنفسكم بفتح الفاء أي من أشرفكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يشق عليه عنتكم، والعنت: هو ما يضرهم في دينهم أو دنياهم وعزيز صفة للرسول، وما عنتم فاعل بعزيز، وما مصدرية أو ما عنتم مصدر، وعزيز خبر مقدم والجملة في موضع الصفة ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي حريص على إيمانكم وسعادتكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سماه الله هنا باسمين من أسمائه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي إن أعرضوا عن الإيمان، فاستعن بالله وتوكل عليه وقيل إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة.



سورة يونس

مكية إلاّ الآيات ٤٠ و٩٤ و٩٥
و٩٦ فمدنية وآياتها ١٠٩ نزلت بعد الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرّحيم

﴿**الر**﴾ تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء التي في أوائل السور ﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ**﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، والكتاب هنا القرآن ﴿**الحَكِيم**﴾ من الحكمة أو من الحكم أو من الأحكام للأمر أي أحكمه الله ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مُنهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ**﴾ الهمزة للإنكار، وعجبًا خبر كان، وأن أوحينا اسمها، وأن أنذر: تفسير للوحي، والمراد بالناس هنا كفّار قريش وغيرهم، وإلى رجل هنا رسول الله ﷺ، ومعنى الآية: الردّ على مَن استبعد النبوّة أو تعجّب من أن يبعث الله رجلاً ﴿**قَدَمَ صِدْقٍ**﴾ أي عمل صالح فرموه، وقال ابن عباس السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ ﴿**قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ**﴾ يعنون ما جاء به من القرآن، وقرىء لساحر يعنون به النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسير لما ذكر قبل من تعجّبهم من النبوّة، ويكون خبرًا مستأنفًا ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ**﴾ تعريف بالله وصفاته ليعبدوه ولا

رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ

يشركوا به، وفيه ردّ على مَن أنكر النبوّة كأنه يقول إنما أدعوكم إلى عبادة ربّكم الذي خلق السموات والأرض فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين **﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾** أي ما يشفع إليه أحد إلاّ بعد أن يأذن هو له في الشفاعة، وفي هذا ردّ على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم **﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾** نصب وعد على المصدر المذكور المؤكّد للرجوع إلى الله، ونصب حقًّا على المصدر المؤكّد لوعد الله **﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾** أي يبدؤه في الدنيا ويُعيده بعد الموت في الآخرة، والبداءة دليل على العودة **﴿لِيَجْزِيَ﴾** تعليل للعودة وهي البعثة **﴿بِالْقِسْطِ﴾** أي بعدله في جزائهم أو بقسطهم في أعمالهم الصالحة **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾** وصف أفعال الله وقدرته وحكمته والضياء أعظم من النور **﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾** الضمير للقمر والمعنى قدّر سيره في منازل **﴿وَالْحِسَابَ﴾** يعني حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي **﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾** أي ما خلقه عبثًا، والإشارة بذلك إلى ما تقدّم من المخلوقات **﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾** قيل معنى يرجون هنا يخافون، وقيل لا يرجون حُسْن لقاءنا، فالرجاء على أصله، وقيل لا يرجون: لا يتوقعون أصلاً، ولا يخطر ببالهم **﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** أي قنعوا أن تكون حظّهم ونصيبهم **﴿واطْمَأَنُّوا بِهَا﴾** أي سكنت أنفسهم عن ذكر الانتقال عنها **﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾** يحتمل أن تكون هي الفرقة الأولى، فيكون من عطف الصفات، أو تكون غيرها **﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾** أي يسدّدهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة أو يهديهم في الآخرة

ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

إلى طريق الجنة، وهو أرجح لما بعده **﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾** أي دعاؤهم **﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيرِ لَقُضِيَ إِلَيهِمْ أَجَلُهُمْ﴾** أي لو يعجّل الله للناس الشرّ كما يحبّون تعجيل الخير لهلكوا سريعًا، ونزلت الآية عند قوم في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده، وقيل نزلت في الذين قالوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء **﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾** عتاب في ضمنه نهي لمَن يدعو الله عند الضرّ، ويغفل عنه عند العافية **﴿لِجَنبِهِ﴾** أي مضطجعًا، ورُوِيَ أنها نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة لمرض كان به **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا القُرُونَ﴾** إخبار ضمّنه وعيد للكفّار **﴿لِنَنظُرَ﴾** معناه ليظهر في الوجود فتقوم عليكم الحجة به **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾** يعني على قريش **﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾** أي ما تلوته إلاّ بمشيئة الله، لأنه من عنده وما هو من عندي **﴿وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ﴾** أي ولا أعلمكم به **﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾** أي بقيت بينكم أربعين سنة قبل البعث ما تكلمت في هذا حتى جاءني من عند الله **﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾** تنصّل من الافتراء على الله وبيان لبراءته صلّى الله عليه وآله وسلّم مما نسبوه إليه من الكذب وإشارة إلى كذبهم على الله في نسبة الشركاء له **﴿أَو كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾** بيان لظلمهم في تكذيبهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم **﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ﴾** الضمير في

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا﴾

يعبدون لكفّار العرب، وما لا يضرّهم ولا ينفعهم هي الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ﴾ ردّ عليهم في قولهم بشفاعة الأصنام، والمعنى أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومة لله الذي هو عالم بما في السمٰوات والأرض، وكل ما ليس بمعلوم لله فهو عدم محض ليس بشيء فقوله أتنبئون الله تقرير لهم على وجه التوبيخ والتهكّم أي كيف تعلمون الله بما لا يعلم ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ تقدّم في البقرة في قوله كان الناس أمة واحدة ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني القضاء ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ كانوا يطلبون آية من الآيات التي اقترحوها، ولقد نزل عليه آيات عظام فما اعتدوا بها لعنادهم وشدّة ضلالهم ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل لا يطلع على ذلك أحد ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ أي انتظروا نزول ما اقترحتموه ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ أي منتظر لعقابكم على كفركم ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ هذه الآية في الكفّار وتضمنت النهي لمَن كان كذلك من غيرهم، والمكر هنا الطعن في آيات الله وترك شكره، ومكر الله الموصوف بالسرعة هو عقابه لهم سمّاه مكرًا مُشاكلة لفعلهم، وتسمية للعقوبة باسم الذنب ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ الضمير المؤنث في جرين للفلك، والضمير في بهم للناس، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة، وهو يسمى الالتفات، وجواب إذا كنتم: قوله جاءتها ريح عاصف، وقوله دعوا الله، قال الزمخشري هو بدل من

﴿مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٦) وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾

ظنّوا، ومعناه دعوا الله وحده وكفروا بمَن دونه ﴿**مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ رفع على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره: وذلك متاع، أو يكون خبر إنما بغيكم، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب.

﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ**﴾ معنى الآية تحقير الدنيا وبيان سرعة فنائها وشبّهها بالمطر الذي يخرج به النبات، ثم تصيب ذلك النبات آفة عند حسنه وكماله ﴿**مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ**﴾ كالزرع والفواكه ﴿**وَالأَنْعَامِ**﴾ يعني المرعى التي ترعاها من العشب وغيره ﴿**أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا**﴾ تمثيل بالعروس إذا تزينت بالحليّ والثياب ﴿**قَادِرُونَ عَلَيْهَا**﴾ أي متمكّنون من الانتفاع بها ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا**﴾ أي بعض الجوائح كالريح، والصر، وغير ذلك ﴿**فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا**﴾ أي جعلنا زرعها كالذي حصد وإن كان لم يحصد ﴿**كَأَن لَّمْ تَغْنَ**﴾ كأن لم تنعم ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ**﴾ أي إلى الجنة، وسُمّيت دار السلام أي دار السلامة من العناء والتعب، وقيل السلام هنا اسم الله: أي يدعو إلى داره ﴿**وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ ذكر الدعوة إلى الجنة عامّة مطلقة والهدايا خاصّة بمَن يشاء ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله، وقيل الحسنى جزاء الحسنة بعشر أمثالها والزيادة التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة، والأول أصحّ لوروده في الحديث وكثرة القائلين به ﴿**قَتَرٌ**﴾ أي غبار يغيّر الوجه ﴿**وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ**﴾ مبتدأ على حذف مضاف تقديره جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أو على تقدير لهم جزاء سيئة بمثلها، أو معطوفًا على الذين أحسنوا، ويكون جزاء سيئة مبتدأ وخبره بمثلها ﴿**مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**﴾ أي لا يعصمهم أحد من عذاب الله ﴿**قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا**﴾ مَن قرأ بفتح الطاء فهو جمع قطعة وإعراب مظلمًا على هذه القراءة: حال من الليل، ومَن قرأ قطعاً بإسكان الطاء،

مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

فمظلمًا صفة له أو حال من الليل ﴿**مَكَانَكُمْ**﴾ تقديره الزموا مكانكم أي لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل الله بكم ﴿**فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ**﴾ أي فرقنا ﴿**تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ**﴾ أي تختبر بما قدّمت من الأعمال وقرىء تتلو بتاءين بمعنى تتبع أو تقرأه في المصاحف ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم**﴾ الآية: احتجاج على الكفّار بحجج كثيرة واضحة لا محيص لهم عن الإقرار بها ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ**﴾ مذكور في آل عمران ﴿**رَبُّكُمُ الْحَقُّ**﴾ أي الثابت الربوبية بخلاف ما تعبدون من دونه ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ**﴾ أي عبادة غير الله ضلال بعد وضوح الحق، وتدلّ الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات، إذ الحق فيها في طرف واحد، بخلاف مسائل الفروع ﴿**كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا**﴾ المعنى كما حقّ الحق في الاعتقادات كذلك حقّت كلمة ربك على الذين عتوا وتمرّدوا في كفرهم أنهم لا يؤمنون، والكلمات يُراد بها القدر والقضاء ﴿**قُلْ هَلْ من شركائكم مَن يبدؤا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾ الآية: احتجاج على الكفّار، فإن قيل: كيف يحتجّ عليهم بإعادة الخلق وهم لا يعترفون بها؟ فالجواب، أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون على الابتداء ولا على الإعادة، وفي ذلك إبطال لربوبيتهم، وأيضًا فوضعت الإعادة موضع المتّفق عليه لظهور برهانها ﴿**أَمَّن لا يَهِدِّي**﴾ بتشديد الدال معناه لا يهتدي في نفسه، فكيف يهدي غيره، وقرىء بالتخفيف بمعنى يهدي غيره والقراءة الأولى أبلغ في الاحتجاج ﴿**فَمَا لَكُمْ**﴾ ما استفهامية معناها تقرير وتوبيخ ولكم خبرها ويوقف عليه ﴿**كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ أي تحكمون

وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ

بالباطل في عبادتكم لغير الله ﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إلاَّ ظَنًّا**﴾ أي غير تحقيق، لأنه لا يستند إلى برهان ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾ ذلك في الاعتقادات إذ المطلوب فيها اليقين بخلاف الفروع ﴿**تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ مذكور في البقرة ﴿**أَمْ يَقُولُونَ**﴾ أم هنا بمعنى بل والهمزة ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ**﴾ تعجيز لهم وإقامة حجّة عليهم ﴿**مَنِ اسْتَطَعْتُم**﴾ يعني من شركائكم وغيرهم من الجنّ والإنس ﴿**مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ أي غير الله ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**﴾ أي سارعوا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره ﴿**وَلَمَّا يَأْتِهِم تَأْوِيلُهُ**﴾ أي علم تأويله ويعني بتأويله الوعيد الذي لهم فيه ﴿**وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ**﴾ الآية: فيها قولان أحدهما إخبار بما يكون منهم في المستقبل وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى على الكفر، والآخر أنها إخبار عن حالهم أن منهم مَن هو مؤمن به ويكتم إيمانه، ومنهم مَن هو مكذّب ﴿**فَقُل لِّي عَمَلِي**﴾ الآية: موادعة منسوخة بالقتال ﴿**مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ**﴾ أي يستمعون القرآن، وجمع الضمير بالحمل على معنى من ﴿**أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ**﴾ المعنى أتريد أن تسمع الصُّمَّ وذلك لا يكون. لا سيما إذا انضاف إلى الصّمم عدم العقل ﴿**أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ**﴾ المعنى أتريد أن تهدي العمي، وذلك لا يكون لا سيما إذا انضاف إلى عدم البصر عمى البصيرة، والصّمم والعمي عبارة عن قلّة فهمهم ﴿**لَّمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً**﴾ تقليل لمدّة بقائهم في الدنيا أو في القبور و﴿**يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ**﴾ يعني يوم الحشر فهو على هذا حال من الضمير في يلبثوا ﴿**وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ**﴾ شرط جوابه وإلينا مرجعهم. والمعنى إن أريناك بعض عذابهم في الدنيا

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ۚ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾

فذلك وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا مرجعهم **﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾** ذكرت ثم لترتيب الأخبار، لا لترتيب الأمر، قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب، فالترتيب على هذا صحيح **﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾** قيل مجيئه في الآخرة للفصل، وقيل مجيئه في الدنيا وهو بعثه **﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾** كلام فيه استبعاد واستخفاف **﴿بَيَاتًا﴾** أي بالليل **﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾** المعنى أيّ شيء يستعجلون من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به، وقوله ماذا جواب إن أتاكم، والجملة متعلقة بأرأيتم **﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ﴾** دخلت همزة التقرير على ثم العاطفة، والمعنى إذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به الآن، وذلك لا ينفعكم لأنكم كنتم تستعجلونه ومكذبين به **﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾** أي يسألونك هل الوعيد حق أو هل الشرع والدين حق، والأول أرجح، لقوله وما أنتم بمعجزين: أي لا تفوتون من الوعيد **﴿قُلْ إِي﴾** أي نعم **﴿ظَلَمَتْ﴾** صفة لنفس أي لو ملك الظالم الدنيا لا أفتدى بها من عذاب الآخرة **﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾** أي أخفوها في نفوسهم، وقيل أظهروها **﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾** يعني القرآن **﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾** أي يشفي ما فيها من الجهل والشك **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾** يتعلق بفضل قوله فليفرحوا، وكرّر الباء في قوله فبذلك تأكيداً والمعنى الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بغيرهما، والفضل والرحمة عموم، وقد قيل الفضل الإسلام، والرحمة القرآن **﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا﴾**

وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ

﴿يَجْمَعُونَ﴾ أي فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدينا **﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾** الآية: مخاطبة لكفّار العرب الذين حرّموا البحيرة والسائبة وغير ذلك **﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾** متعلق بأرأيتم، وكرّر قل للتأكيد، ولمّا قسم الأمر إلى إذن الله لهم وافترائهم ثبّت افتراؤهم، لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم في ذلك **﴿وَمَا ظَنُّ﴾** وعيد للذين يفترون **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** ظرف منصوب بالظن، والمعنى: أي شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم **﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾** الشأن الأمر، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وجميع الخلق، ولذلك قال في آخرها: وما تعملون من عمل بمخاطبة الجماعة، ومعنى الآية إحاطة علم الله بكل شيء **﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ﴾** الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدّم ذكره لدلالة ما بعده عليه، كأنه قال: ما تتلوا شيئًا من القرآن، وقيل يعود على الشأن، والأول أرجح، لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشيء **﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾** يقال أفاض الرجل في الأمر إذا أخذ فيه بجدّ **﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾** ما يغيب **﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾** وزنها والذرّة صغار النمل، قال الزمخشري، إن قلت لِمَ قدّمت الأرض على السماء بخلاف سورة سبأ، فالجواب أن السماء تقدّمت في سبأ لأن حقّها التقديم، وقدّمت الأرض هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض **﴿وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ﴾** مَن قرأهما بالفتح فهو عطف على لفظ مثقال، ومَن قرأهما بالرفع فهو عطف على موضعه أو رفع بالابتداء أولياء الله اختلف الناس في معنى الوليّ اختلافًا كثيرًا، والحق فيه ما فسّره الله بعد هذا بقوله: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾**، فمَن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الوليّ، وإعراب الذين آمنوا صفة للأولياء، أو منصوب على التخصيص، أو مرفوع بإضمارهم الذين ولا يكون ابتداء مستأنفًا لئلا ينقطع مما قبله **﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾** أما بشرى الآخرة فهي الجنة اتفاقًا، وأما بشرى الدنيا

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ﴾

فهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، رُوِيَ ذلك عن رسول الله ﷺ، وقيل محبة الناس للرجل الصالح، وقيل ما بشّر به في القرآن من الثواب ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي لا تغيير لأقواله ولا خلف لمواعيده، وقد استدلّ ابن عمر على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدله ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني ما يقوله الكفّار من التكذيب ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ إخبار في ضمنه وعد للنبي ﷺ بالنصر، وتسلية له ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ فيها وجهان: أحدهما أن تكون ما نافية وأوجبت بقوله إلاّ الظن وكرّر إن يتبعون توكيدًا، والمعنى ما يتبع الكفّار إلاّ الظن، والوجه الثاني أن تكون ما استفهامية، ويتمّ الكلام عند قوله شركاء، والمعنى أيّ شيء يتّبعون على وجه التحقير لما يتبعونه، ثم ابتدأ الإخبار بقوله إن يتّبعون إلاّ الظن، والعامل في شركاء على الوجهين يدعون ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ من السكون وهو ضدّ الحركة ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي مضيئًا تبصرون فيه الأشياء ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ الضمير للنصارى ولِمَن قال إن الملائكة بنات الله ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ وصْف يقتضي نفي الولد والردّ على مَن نسبه إليه، لأن الغنى المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ بيان وتأكيد للغنى، وباقي الآية توبيخ للكفّار ووعيد لهم ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ تقديره لهم متاع في الدنيا ﴿نُوحٍ﴾ رُوِيَ أن اسمه عبد الغفار، وإنما سُمّي نُوحًا لكثرة نوحه على نفسه من خوف الله ﴿كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾ أي صعب وشق ﴿مَّقَامِي﴾ أي قيامي لوعظكم والكلام معكم، وقيل معناه مكاني يعني نفسه، كقولك فعلت ذلك لمكان فلان ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ بقطع الهمزة من أجمع الأمر إذا عزم عليه، وقُرِئَ بألف وصل من

ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

الجمع ﴿**وَشُرَكَاءَكُمْ**﴾ أي ما تعبدون من دون الله وإعرابه مفعول معه أو مفعول بفعل مضمر تقديره ادعوا شركاءكم، وهذا على القراءة بقطع الهمزة وأما على الوصل فهو معطوف ﴿**ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً**﴾ أي لا يكون قصدكم إلى هلاكي مستورًا ولكن مكشوفًا تجاهرونني به وهو من قولك غمّ الهلال إذا لم يظهر، والمراد بقوله أمركم في الموضعين إهلاككم لنوح عليه السلام، أي لا تقصروا في إهلاكي إن قدرتم على ذلك ﴿**ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ**﴾ أي انفذوا فيما تريدون، ومعنى الآية أن نوحًا عليه السلام قال لقومه إن صعب عليكم دعائي لكم إلى الله فاصنعوا بي غاية ما تريدون وإني لا أُبالي بكم لتوكّلي على الله وثقتي به سبحانه ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ**﴾ أي يخلفون مَن هلك بالغرق ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً**﴾ يعني هودًا وصالِحًا وإبراهيم وغيرهم ﴿**أَسِحْرٌ هَذَا**﴾ قيل إنه معمول أتقولون، فهو من كلام قوم فرعون وهذا ضعيف لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر لقولهم: إن هذا لسحر مبين، فكيف يستفهمون عنه، وقيل إنه من كلام موسى تقريرًا وتوبيخًا لهم فيوقف على قوله أتقولون للحق لمّا جاءكم، ويكون معمول أتقولون محذوف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر ويدلّ على هذا المحذوف ما حُكِيَ عنهم من قولهم إن هذا لسحر مبين، فلما تمّ الكلام ابتدأ موسى توبيخهم بقوله: ﴿**أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر بن الزبير رحمه الله ﴿**لِتَلْفِتَنَا**﴾ أي لتصرفنا وتردّنا عن دين آبائنا ﴿**وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ**﴾ أي الملك، والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام ﴿**مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ**﴾ ما موصولة مرفوعة بالابتداء والسحر الخبر وقرىء السحر بالاستفهام فما

يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا

على هذا استفهامية، والسحر خبر ابتداء مضمر ﴿**وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ**﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى أو إخبار من الله تعالى ﴿**فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ**﴾ الضمير عائد على موسى ومعنى الذرّيّة شبّان وفتيان من بني إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون، وقيل إن الضمير عائد على فرعون، فالذرّيّة على هذا من قوم فرعون، ورُوِيَ في هذا أنها امرأة فرعون وخازنته وامرأة خازنه، وهذا بعيد، لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرّيّة، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور ﴿**عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِمْ**﴾ الضمير يعود على الذرّيّة أي آمنت الذرّيّة من بني إسرائيل على خوف من فرعون وملإٍ من بني إسرائيل لأن الأكابر من بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان خوفًا من فرعون، وقيل يعود على فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له ﴿**أَن يَفْتِنَهُمْ**﴾ بدل من فرعون ﴿**لَعَالٍ فِي الأَرْضِ**﴾ أي متكبّر قاهر ﴿**رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ أي لا تمكّنهم من عذابنا فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما عذّبناهم فيفتنون بذلك.

﴿**أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا**﴾ أي اتخذ لهم بيوتًا للصلاة والعبادة، وقيل إنه أراد الإسكندرية ﴿**وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً**﴾ أي مساجد وقيل موجّهة إلى جهة القِبلة، فإن قيل لِمَ خَصّ موسى وهارون بالخطاب في قوله أن تبوّآ. ثم خاطب معهما بنو إسرائيل في قوله واجعلوا، والجواب أن قوله تبوّآ من الأمور التي يختصّ بها الأنبياء وأُولوا الأمر ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أمر لموسى عليه السلام، وقيل لمحمد ﷺ ﴿**رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ**﴾ دعاء بلفظ الأمر، وقيل اللام لام كي وتتعلق بقوله آتيت ﴿**اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ**﴾ أي أهلكها ﴿**وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾ أي اجعلها شديدة القسوة ﴿**فَلاَ يُؤْمِنُوا**﴾ جواب للدعاء الذي هو

حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ

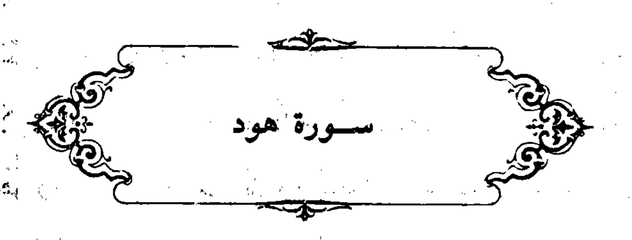
اشدد، ودعاء بلفظ النفي **﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾** الخطاب لموسى وهارون على أنه لم يذكر الدعاء إلاّ عن موسى وحده لكن كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه، **﴿فَاسْتَقِيمَا﴾** أي اثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله **﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنَ﴾** أي لحقهم يقال تبعه حتى أتبعه، هكذا قال الزمخشري، وقال ابن عطية أتبع بمعنى تبع، وأما اتبع بالتشديد فهو طلب الأثر سواء أدرك أو لم يدرك **﴿لاَ إلهَ إلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ﴾** يعني الله عزّ وجلّ، وفي لفظ فرعون مجهلة وتعنّت لأنه لم يصرّح باسم الله **﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾** أي قيل له أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار وذلك لا يقبل منك **﴿نُنَجِّيكَ﴾** أي نبعدك مما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر، وقيل نلقيك على نجوة من الأرض أي على موضع مرتفع **﴿بِبَدَنِكَ﴾** أي بجسدك جسدًا بدون روح، وقيل بدرعك، وكانت له درع من ذهب يعرف بها ولمحذوف في موضع الحال والباء للمصاحبة **﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾** أي لمَن وراءك آية وهم بنو إسرائيل **﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾** منزلاً حسنًا وهو مصر والشام **﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ العِلْمُ﴾** قيل يريد اختلافهم في دينهم وقيل اختلافهم في أمر محمد ﷺ **﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّ﴾** قيل الخطاب للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، والمراد غيره، وقيل ذلك كقول القائل لابنه: إن كنت ابني فبرّني مع أنه لا يشك أنه ابنه، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم، فأمره بسؤالهم، قال ابن عباس لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل، وقال الزمخشري إن ذلك على وجه الفرض والتقدير، أي إن فرضت أن تقع في شكّ فاسأل **﴿مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾** قيل يعني القرآن أو الشرع بجملته، وهذا أظهر، وقيل يعني ما تقدّم من أن بني إسرائيل ما اختلفوا إلاّ من بعد ما جاءهم الحق **﴿فَاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾** يعني الذين يقرؤون التوراة والإنجيل، قال السهيلي هم عبد الله بن

جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى

سلام ومخيرق ومَن أسلم من الأحبار، وهذا بعيد، لأن الآية مكيّة، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة، فحمل الآية على الإطلاق، أولى ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ﴾ خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أي قضى أنهم لا يؤمنون ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ لولا هنا للتحضيض بمعنى هلاّ، وقرىء في الشاذ هلاّ، والمعنى هلاّ كانت قرية من القرى المتقدّمة آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها: إذ لا ينفع الإيمان بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون ﴿إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناء من القرى، لأن المراد أهلها، وهو استثناء منقطع بمعنى: ولكن قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم العذاب، ويجوز أن يكون متّصلاً، والجملة في معنى النفي كأنه قال ما آمنت قرية إلاّ قوم يونس، ورُوِيَ في قصصهم أن يونس عليه السلام أنذرهم بالعذاب، فلما رأوه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم فتابوا وتضرّعوا إلى الله تعالى فرفعه عنهم ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ يريد إلى آجالهم المكتوبة في الأزل ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الهمزة للإنكار أي أتريد أنت أن تُكرِه الناس في إدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك، وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله، وقيل المعنى أفأنت تُكرِه الناس بالقتال حتى يؤمنوا أو كان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد ثم نسخت بالسيف ﴿انْظُرُوا﴾ أمر بالاعتبار والنظر في آيات الله ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني مَن قضى الله عليه أن لا يؤمن، وما نافية أو استفهامية يراد بها النفي ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ الآية: تهديد ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراض بين العامل

فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

ومعموله وهما كذلك، وننجّ المؤمنين **﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾** الوجه هنا بمعنى القصد والدين **﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾** منسوخ بالقتال، وكذلك قوله واصبر حتى يحكم الله وعد بالنصر والظهور على الكفّار.



مكية إلاّ الآيات ١٢ و١٧ و١١٤

فمدنيّة وآياتها ١٢٣ نزلت بعد سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ

بِسْمِ اللّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿الر﴾ **﴿كِتَابٌ﴾** يعني القرآن، وهو خبر ابتداء مضمر **﴿أُحْكِمَتْ﴾** أي أُتقنت فهو من الإحكام للشيء **﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾** قيل معناه بيّنت وقيل قطعت سورة سورة، وثم هنا ليست للترتيب في الزمان، وإنما هي لترتيب الأحوال: كقولك فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل **﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾** أن مفسّرة وقيل مصدرية في موضع مفعول من أجله، أو بدل من الآيات أو يكون كلامًا مستأنفًا منقطعًا عمّا قبله على لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ويدلّ على ذلك قوله: **﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾** **﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾** أي استغفروه مما تقدّم من الشرك والمعاصي، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها **﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾** أي ينفعكم في الدنيا بالأرزاق، والنِّعَم، والخيرات، وقيل هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه، لأن الكافر قد يتمتع في الدنيا بالأرزاق **﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾** يعني إلى الموت **﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾** أي يعطي في الآخرة

فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ

كل ذي عمل جزاء عمله، والضمير يحتمل أن يعود على الله تعالى أو على ذي فضل **﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾** خطاب للناس وهو فعل مستقبل حذفت منه إحدى التاءين **﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾** يعني يوم القيامة أو غيره كيوم بدر **﴿أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾** قيل كان الكفّار إذا لقيهم رسول الله ﷺ يردّون إليه ظهورهم لئلا يرونه من شدّة البغض والعداوة، والضمير في منه على هذا يعود إلى رسول الله ﷺ، وقيل إن ذلك عبارة عمّا تنطوي عليه صدورهم من البغض والغلّ، وقيل هو عبارة عن إعراضهم لأن مَن أعرض عن شيء انثنى عنه وانحرف والضمير في منه على هذا يعود على الله تعالى أي يريدون أن يستخفّوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله ولا المؤمنون على ما في قلوبهم **﴿أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾** أي يجعلونها أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن، والعامل في حين يعلم ما يسرّون، وقيل المعنى يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم، فيوقف عليه هذا، ويكون يعلم استئنافًا **﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾** وعد وضمان صادق، فإن قيل: كيف قال على الله بلفظ الوجوب، وإنما هو تفضّل، لأن الله لا يجب عليه شيء؟ فالجواب: أنه ذكره كذلك تأكيدًا في الضمان، لأنه لمّا وعد به صار واقعًا لا محالة لأنه لا يخلف الميعاد **﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾** المستودع صلب الأب والمستقر بطن المرأة وقيل المستقر المكان في الدنيا والمستودع القبر **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾** دليل على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السمٰوات والأرض **﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾** أي ليختبركم اختبارًا تقوم به الحجّة عليكم ولأنه كان عالمًا بأعمالكم قبل خلقكم ويتعلق ليبلوكم بخلق **﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾** يحتمل أن يشيروا إلى القرآن، أو إلى القول بالبعث يعنون أنه باطل كبطلان السّحر **﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾** يحتمل أن يريد عذاب الدنيا أو الآخرة **﴿إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾** أي إلى وقت محدود **﴿لَّيَقُولُنَّ مَا**

﴿يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٢ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝١٣ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ﴾

﴿يَحْبِسُهُ﴾ أي أيّ شيء يمنع هذا العذاب الموعود به، وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا﴾ الآية: ذم لمَن يقنط عند الشدائد، ولمَن يفتخر ويتكبّر عند النّعَم، والرحمة هنا والنعماء يراد بهما الخيرات الدنيوية، والإنسان عامّ يراد به الجنس والاستثناء على هذا متصل، وقيل المراد بالإنسان الكافر فالاستثناء منقطع ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ الآية: كان الكفّار يقترحون على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يأتي بكنز أو يأتي معه مَلَك، وكانوا يستهزؤون بالقرآن فقال الله تعالى له: فلعلك تارك أن تلقي إليهم بعض ما أُنزل إليك ويثقل عليك تبليغهم من أجل استهزائهم، أو لعلك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه مَلَك، والمقصود بالآية تسلية النبي ﷺ عن قولهم حتى يبلغ الرسالة، ولا يبالي بهم، وإنما قال ضائق، ولم يقل ضيق ليدلّ على اتّساع صدره عليه السلام وقلّة ضيقه ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي ليس عليك إلاّ الإنذار والتبليغ والله هو الوكيل الذي يقضي بما شاء من إيمانهم أو كفرهم ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة والضمير في افتراه لما يوحى إليه ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ تحدّاهم أوّلاً بعشر سور فلما بانَ عجزهم تحدّاهم بسورة واحدة فقال فأتوا بسورة من مثله، والمماثلة المطلوبة في فصاحته وعلومه ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ صفة لعشر سور، وذلك مقابلة لقولهم افتراه، وليست المماثلة في الافتراء ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ أي استعينوا بمَن شئتم ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ فيها وجهان: أحدهما أن تكون مخاطبة من الله للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وللمؤمنين: أي إن لم يستجب الكفّار إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله، وهذا على معنى دوموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقينًا به، والثاني أن يكون خطابًا من النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم للكفّار أي إن لم يستجب مَن تدعونه من دون الله إلى شيء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليه؛ فاعلموا أنه

بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ

من عند الله، وهذا أقوى من الأول لقوله: فهل أنتم مسلمون، ومعنى بعلم الله: بإذنه، أو بما لا يعلمه إلاّ الله من الغيوب وقوله فهل أنتم مسلمون لفظه استفهام، ومعناه استدعاء إلى الإسلام وإلزام للكفّار أن يسلموا لما قام الدليل على صحة الإسلام لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا**﴾ الآية: نزلت في الكفّار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة إذ هم لا يصدّقون بها، وقيل نزلت في أهل الربا من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا حسبما ورد في الحديث في القارىء والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يُقال لهم ذلك إنهم أول مَن تسعر بهم النار، والأول أرجح لتقدّم ذكر الكفار المناقضين للقرآن فإنما قصد بهذه الآية أولئك ﴿**نُوَفِّ إِلَيهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا**﴾ نُوَفِّ إليهم أجور أعمالهم بما يغبطهم فيها من الصحة والرزق، والضمير في فيها يعود على الدنيا والمجرور متعلق بقوله نوف أو بأعمالهم ﴿**وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا**﴾ الضمير في فيها هنا يعود على الآخرة إن تعلق المجرور بحبط ويعود على الدنيا إن تعلق بصنعوا.

﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ**﴾ الآية معادلة لما تقدّم، والمعنى أفمَن كان يريد الحياة الدنيا كمَن كان على بيّنة من ربّه، والمراد بمَن كان على بيّنة من ربّه: النبي ﷺ والمؤمنون لقوله بعد ذلك: ﴿**أولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾، ومعنى البيّنة البرهان العقلي والأمر الجليّ ﴿**وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ**﴾ الضمير في يتلوه للبرهان وهو البيّنة ولمَن كان على بيّنة من ربّه، والضمير في منه للربّ تعالى، ويتلوه هنا بمعنى يتبعه والشاهد يريد به القرآن فالمعنى يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القرآن، فيزيد وضوحه وتعظم دلالته، وقيل إن الشاهد المذكور هنا هو عليّ بن أبي طالب ﴿**وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى**﴾ أي ومن قبل ذلك الكتاب الشاهد كتاب موسى، وهو أيضًا دليل آخر متقدّم، وقد قيل أقوال كثيرة في معنى هذه الآية وأرجحها ما ذكرنا ﴿**وَمِنَ الأَحْزَابِ**﴾ أي من أهل مكة ﴿**وَيَقُولُ الأَشْهَادُ**﴾ جمع شاهد كأصحاب،

﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۢ بَلۡ﴾

ويحتمل أن يكون من الشهادة فيراد به الملائكة والأنبياء أو من الشهود بمعنى الحضور، فيراد به كل مَن حضر الموقف ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ أي يطلبون اعوجاجها أو يصفونها بالاعوجاج ﴿لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ أي لا يفلتون ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ إخبار عن تشديد عذابهم وليس بصفة لأولياء ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ الآية: ما نافية والضمير للكفّار، والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون كقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البقرة: ٧] الآية. وقيل غير ذلك، وهو بعيد ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لا بدّ ولا شك ﴿أَخۡبَتُوٓاْ﴾ أي خشعوا وقيل أنابوا ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ يعني المؤمنين والكافرين ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ شبّه الكفّار بالأعمى والأصم، وشبّه المؤمنين بالبصير والسميع فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين، وتمثيل للكافرين بمثالين، وقيل التقدير كالأعمى والأصم، والبصير والسميع، فالواو لعطف الصفات فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثال واحد وهو مَن جمع بين السمع والبصر، وتمثيل للكفّار بمثال واحد وهو مَن جمع بين العمى والصّمم ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ وصف اليوم بالأليم على وجه المجاز لوقوع الألم فيه ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ جمع أرذل وهم سفلة الناس، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلاً منهم واعتقاد أن الشرف هو بالمال والجاه، وليس الأمر كما اعتقدوا، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم في الدنيا، وقيل إنهم كانوا حاكة وحجّامين، والمختار ابن عطية أنهم أرادوا أنهم أراذل في أفعالهم لقول نوح: وَمَا علمي بما كانوا يعملون ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ أي أول الرأي من غير نظر ولا تدبير، وبادي منصوب على الظرفية: أصله وقت حدوث أول رأيهم، والعامل

نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ

فيه اتّبعوك على أصحّ الأقوال، والمعنى اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تشبث، وقيل هو صفة لبشرًا مثلنا: أي غير مثبت في الرأي **﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾** أي من مِزية وشرف، والخطاب لنوح عليه السلام ومَن معه **﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾** أي على برهان وأمر جليّ، وكذلك في قصة صالح وشعيب **﴿وآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾** يعني النبوّة **﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُم﴾** أي خفيت عليكم، والفاعل على هذا البيّنة أو الرحمة **﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾** أي أنكرهكم على قبولها قهرًا وهذا هو جواب أرأيتم: ومعنى الآية أن نوحًا عليه السلام قال لقومه أرأيتم إن هداني الله وأضلّكم أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون **﴿لاَ أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً﴾** الضمير في عليه عائد على التبليغ **﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** يقتضي أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء **﴿إِنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ﴾** المعنى أنه يجازيهم على إيمانهم **﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدْتُّهُمْ﴾** أي مَن يدفع عني عقاب الله إن ظلمتهم بالطّرد **﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾** الآية: أي لا أدّعي ما ليس لي فتنكرون قولي **﴿تَزْدَرِي﴾** أي تحتقر من قولك زريت الرجل إذا قصرت به، والمراد بالذين تزدري أعينهم ضعفاء المؤمنين **﴿إِنّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾** أي إن قلت للمؤمنين لن يؤتيهم الله خيرًا، والخير هنا يحتمل أن يريد به خير الدنيا والآخرة **﴿جَادَلْتَنَا﴾** الجدال هو المخاصمة والمراجعة في الحجة **﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾** أي بالعذاب **﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي﴾** الآية: جزاء قوله إن أردت أن أنصح لكم، هو ما دلّ عليه قوله نصحي وجزاء قوله إن كان الله يريد أن يغويكم: هو ما دلّ عليه قوله لا ينفعكم نصحي، فتقديرها: إن أراد الله أن يغويكم لن ينفعكم نصحي إن نصحت لكم، ثم استأنف قوله هو ربّكم، ولا يجوز أن يكون ربكم هو جواب الشرط **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾** الآية:

إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ

الضمير في يقولون لكفّار قريش، وفي افتراه لمحمد صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم، هذا قول جميع المفسّرين، واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح عليه السلام، فيكون الضمير في يقولون لقوم نوح، وفي افتراه لنوح لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها وهو بعيد ﴿**إِجْرَامِي**﴾ أي ذنبي ﴿**فَلاَ تَبْتَئِسْ**﴾ أي فلا تحزن ﴿**وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ أي تحت نظرنا وحفظنا ﴿**وَوَحْيِنَا**﴾ أي وتعليمنا لك كيف تصنع الفُلْك ﴿**وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ أي لا تشفع لي فيهم، فإني قد قضيت عليهم بالغرق ﴿**كُلَّمَا**﴾ يحتمل أن يكون جوابها سخروا منه، أو قال إن تسخروا ﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ تهديد و﴿**مَن يَأْتِيهِ**﴾ منصوب بتعلمون ﴿**عَذَابٌ يُخْزِيهِ**﴾ هو الغرق والعذاب المقيم عذاب النار ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا**﴾ غاية لقوله ويصنع الفُلْك ﴿**وَفَارَ التَّنُّورُ**﴾ أي فار بالماء وجعل الله تلك العلامة لنوح ليركب حينئذ في السفينة، والمراد بالتنّور الذي يوقد فيه عند ابن عباس وغيره، ورُوِيَ أنه كان تنّور آدم خلص إلى نوح، وقيل التنّور وجه الأرض ﴿**قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا من كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**﴾ المراد بالزوجين الذَّكر والأنثى من الحيوان، وقرىء من كل بغير تنوين فعملُ احمل في اثنين ومَن قرأ بالتنوين عمل احمل في زوجين وجعل اثنين نعت له على جهة التأكيد ﴿**وَأَهْلَكَ**﴾ أي قرابتك، وهو معطوف على ما عمل فيه احمل ﴿**إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيهِ القَوْلُ**﴾ أي مَن قُضِيَ عليه بالعذاب فهو مستثنى من أهله، والمراد بذلك ابنه الكافر وامرأته ﴿**وَمَنْ آمَنَ**﴾ معطوف على أهلك، أي احمل أهلك ومَن آمن من غيرهم ﴿**وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾ قيل كانوا ثمانين وقيل عشرة وقيل ثمانية ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا**﴾ الضمير في قال لنوح، والخطاب لمن كان معه، والضمير في فيها للسفينة، ورُوِيَ أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب، واستقرت على الجودي يوم عاشوراء ﴿**بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا**﴾ اشتقاق مُجراها من الجري،

نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ

واشتقاق مرساها من الإرساء، وهو الثبوت. أو من وقوف السفينة، ويمكن أن يكونا ظرفين للزمان أو المكان، أو مصدرين، ويحتمل الإعراب من وجهين: أحدهما أن يكون اسم الله في موضع الحال من الضمير في اركبوا، والتقدير اركبوا متبرّكين باسم الله أو قائلين بسم الله، فيكون مجراها ومرساها على هذا ظرفين للزمان بمعنى وقت إجرائها وإرسائها أو ظرفين للمكان، ويكون العامل فيه ما في قوله بسم الله من معنى الفعل في موضع خبر ويكون قوله بسم الله متّصلاً مع ما قبله، والجملة كلام واحد، والوجه الثاني: أن يكون كلامين فيوقف على اركبوا فيها ويكون بسم الله في موضع خبر، ومجراها ومرساها مبتدأ بمعنى المصدر أي إجراؤها وإرساؤها ويكون بسم الله على هذا مستأنفًا غير متصل بما قبله ولكنه من كلام نوح حسبما رُوِيَ أن نوحًا كان إذا أراد أن يجري بالسفينة قال بسم الله فتجري، وإذا أراد وقوفها قال بسم الله فتقف ﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ**﴾ رُوِيَ أن الماء طبق ما بين السماء والأرض فصار الكل كالبحر قال ابن عطيّة وهذا ضعيف، وأين كان الموج كالجبال على هذا، وصوّبه الزمخشري، وقال كانت تجري في موج كالجبال قبل التطبيق، وقبل أن يغمر الماء الجبال ﴿**وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ**﴾ كان اسمه كنعان، وقيل يام وكان له ثلاث بنون سواه وهم سام وحام ويافث، ومنهم تناسل الخلق ﴿**فِي مَعْزِلٍ**﴾ أي في ناحية ﴿**لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إلاَّ مَن رَّحِمَ**﴾ يحتمل أربعة أوجه: أحدها أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم كذلك بمعنى الراحم فالمعنى لا عاصم إلاّ الراحم وهو الله تعالى، والثاني أن يكون عاصم بمعنى ذي عصمة أي معصوم ومن رحم: بمعنى مفعول أي من رحم الله. فالمعنى لا معصوم إلاّ مَن رحمه الله، والاستثناء على هذين الوجهين متصل، والثالث أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم بمعنى المفعول، والمعنى لا عاصم من أمر الله لكن مَن رحمه الله فهو المعصوم، والرابع عكسه والاستثناء على هذين منقطع ﴿**ابْلَعِي مَاءَكِ**﴾ عبارة عن جفوف الأرض من الماء ﴿**أَقْلِعِي**﴾ أي أمسكي عن المطر ورُوِيَ أنها أمطرت من كل موضع منها ﴿**وَغِيضَ الْمَاءُ**﴾ أي نقص ﴿**وَقُضِيَ الأَمْرُ**﴾ أي تمّ وكمل ﴿**واسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ**﴾ أي استقرّت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل ﴿**وَقِيلَ بُعْدًا**﴾ أي هلاكًا، وانتصب على المصدر.

وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء قبل الغرق فيكون العطف من غير ترتيب، أو يكون بعده **﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾** أي وقد وعدتني أن تنجي أهلي **﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾** أي ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم، لأنه كافر، وقال الزمخشري: لم يكن ابنه ولكنه خانته أمّه، وكان لغير رشده وهذا ضعيف، لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم ولقوله ونادى نوح ابنه **﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾** فيه ثلاث تأويلات على قراءة الجمهور: أحدها أن يكون الضمير في إنه لسؤال نوح نجاة ابنه، والثاني أن يكون الضمير لابن نوح وحذف المضاف من الكلام تقديره إنه ذو عمل غير صالح، والثالث أن يكون الضمير لابن نوح، وعمل: مصدر وصف به مبالغة كقولك رجل صوم، وقرأ الكسائي «عمل» بفعل ماض «غير صالح» بالنصب، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال **﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾** أي لا تطلب مني أمرًا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب، حتى تقف على كنهه، فإن قيل: لِمَ سمّى نداءه سؤالاً، ولا سؤال فيه؟ فالجواب أنه تضمن السؤال وإن لم يصرّح به **﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾** أن في موضع مفعول من أجله تقديره أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين، وليس في ذلك وصف له بالجهل، بل فيه ملاطفة وإكرام **﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾** أي اهبط من السفينة بسلامة **﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾** أي ممّن معك في السفينة واختار الزمخشري أن يكون المعنى من ذرّيّة من معك، ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة، فمن على هذا لابتداء الغاية، والتقدير على أمم ناشئة ممّن معك، وعلى الأول تكون من لبيان الجنس **﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾** يعني نمتّعهم متاع الدنيا وهم الكفّار إلى يوم القيامة **﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾** إشارة إلى القصة، وفي الآية دليل على أن القرآن من عند الله لأن النبي صلّى الله عليه وآله

غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم

وسلّم لم يكن يعلم ذلك قبل الوحي **﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾** يعني في عبادتهم لغير الله **﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾** السماء هنا المطر ومدرارًا بناء تكثير من الدرّ يقال درّ المطر واللبن وغيره، وفي الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار، ورُوِيَ أن عادًا كان حبس عنهم المطر ثلاث سنين، فأمرهم بالتوبة والاستغفار ووعدهم على ذلك بالمطر، والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الكفر، ثم عن الذنوب، لأن التوبة من الذنوب لا تصحّ إلاّ بعد الإيمان **﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾** أي بمعجزة، وذلك كذب منهم وجحود أو يكون معناه بآية تضطرنا إلى الإيمان بك، وإن كان قد أتاهم بآية نظرية **﴿عَن قَوْلِكَ﴾** أي بسبب قولك **﴿إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾** معناه ما نقول إلاّ أن بعض آلهتنا أصابك بجنون لما سببتها ونهيتنا عن عبادتها **﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾** هذا أمر بمعنى التعجيز أي لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شيء، ثم ذكر سبب قوته في نفسه وعدم مُبالاته بهم، فقال إني توكّلت على الله الآية **﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾** أي هي في قبضته وتحت قهره، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك، وهذه الجملة تعليل لقوة توكّله على الله وعدم مُبالاته بالخلق **﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** يريد أن أفعال الله جميلة وقوله صدق ووعده حقّ، فالاستقامة تامّة **﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم﴾** أصل تولّوا هنا تتولّوا لأنه فعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة، فإن قيل: كيف وقع الإبلاغ جوابًا للشرط، وقد كان الإبلاغ قبل التولّي؟ فالجواب: أن المعنى إن تتولوا فلا عتب عليّ لأني قد أبلغتكم رسالة ربّي **﴿وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾** أي لا تنقصونه شيئًا: أي إذا أهلككم واستخلف غيركم **﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾** إن قيل لِمَ قال هنا وفي قصة شعيب ولما بالواو وقال في قصة صالح ولوط فلما

مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ

بالفاء؟ فالجواب على ما قال الزمخشري أنه وقع ذلك في قصة صالح ولوط بعد الوعيد فجيء بالفاء التي تقتضي التسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد بخلاف قصة هود وشعيب، فإنه لم يتقدّم ذلك فيهما فعطف بالواو ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يحتمل أن يريد به عذاب الآخرة، ولذلك عطفه على النجاة الأولى التي أراد بها النجاة من الريح، ويحتمل أن يريد بالثاني أيضًا الريح، وكرّره إعلامًا بأنه عذاب غليظ وتعديدًا للنعمة في نجاتهم ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ في جميع الرسل هنا وجهان: أحدهما أن مَن عصى رسولاً واحدًا لزمه عصيان جميعهم فإنهم متفقون على الإيمان بالله وعلى توحيده، والثاني أن يراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسًا واحدًا ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ هذا تشنيع لكفرهم وتهويل بحرف التنبيه وبتكرار اسم عاد ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ أي هلاكًا وهذا دعاء عليهم وانتصابه بفعل مضمر، فإن قيل: كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلكوا؟ فالجواب أن المراد أنهم أهل لذلك ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ بيان لأن عادًا اثنان: إحداهما قوم هود، والأخرى إرم ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ لأن آدم خلق من تراب ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي جعلكم تعمرونها، فهو من العمران للأرض، وقيل هو من العمر نحو استبقاكم من البقاء ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ أي كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ما قلت، وقيل المعنى كنّا نرجو أن تدخل في ديننا ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي بلدكم ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ قيل إنها الخميس والجمعة والسبت، لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء، وأخذهم العذاب يوم الأحد ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾

يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ

معطوف على نجّينا أي نجيناهم من خزي يومئذ ﴿**جَاثِمِينَ**﴾ ذكر في الأعراف ﴿**كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا**﴾ أي كأن لم يقيموا فيها والضمير للدار، وكذلك في قصة شعيب ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا**﴾ الرّسل هنا الملائكة ﴿**إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى**﴾ بشّروه بالولد ﴿**قَالُوا سَلَامًا**﴾ نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر تقديره سلّمنا عليكم سلامًا ﴿**قَالَ سَلَامٌ**﴾ تقديره عليكم سلام وسلام عليكم، وهذا على أن يكون بمعنى التحية، وإنما رفع جوابه ليدلّ على إثبات السلام، فيكون قد حيّاهم بأحسن مما حيّوه، ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة، ونصب الأول لأنه بمعنى الطلب، ورفع الثاني لأنه في معنى الخبر ﴿**فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ**﴾ أي ما لبث مجيئه بل عجّل وما نافية وأن جاء فاعل لبث ﴿**بِعِجْلٍ حَنِيذٍ**﴾ أي مشويّ، وفعيل هنا بمعنى مفعول ﴿**نَكِرَهُمْ**﴾ أي أنكرهم ولم يعرفهم، يقال نكر وأنكر بمعنى واحد ﴿**وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً**﴾ قيل إنه لم يعرفهم فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه، وقيل عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا بما يخاف فأمنوه بقولهم لا تخف ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ**﴾ قيل قائمة خلف الستر، وقيل قائمة في الصلاة، وقيل قائمة تخدم القوم، واسمها سارة ﴿**فَضَحِكَتْ**﴾ قيل معناه حاضت وهو ضعيف، وقال الجمهور هو الضحك المعروف واختلفوا من أيّ شيء ضحكت، فقيل سرورًا بالولد الذي بُشِّرَت به ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير وقيل سرورًا بالأمن بعد الخوف، وقيل سرورًا بهلاك قوم لوط ﴿**فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ**﴾ أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى، لأنها كانت بأمره ﴿**وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ**﴾ أي من بعده وهو ولده، وقيل الوراء ولد الولد ويعقوب بالرفع مبتدأ، وبالفتح معطوف على إسحاق ﴿**قَالَتْ يَا وَيْلَتَا**﴾ الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم، وكذلك في يا لهفي ويا أسفي ويا عجبًا، ومعناه التعجّب من الولادة، ورُوِيَ أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة ﴿**رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ**﴾ يحتمل الدعاء والخبر ﴿**أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ أي أهل بيت إبراهيم،

وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ

وهو منصوب بفعل مضمر على الاختصاص أو منادى ﴿حَمِيدٌ﴾ أي محمود ﴿مَّجِيدٌ﴾ من المجد وهو العلو والشرف ﴿يُجَادِلُنَا﴾ هو جواب لما على أن يكون المضارع في موضع الماضي أو على تقدير ظلّ أو أخذ يجادلنا ويكون يجادلنا مستأنفًا والجواب محذوف، ومعنى جداله كلامه مع الملائكة في رفع العذاب عن قوم لوط، وقد ذكر في اللغات ﴿لَحَلِيمٌ﴾ وفي براءة ﴿أَوَّاهٌ﴾ ﴿يَا إِبْرَاهِيمَ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي قلنا يا إبراهيم أعرض عن هذا يعني عن المجادلة فيهم فقد نفذ القضاء بعذابهم ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ الرسل هم الملائكة ومعنى سيء بهم أصابه سوء وضجر لما ظن أنه من بني آدم وخاف عليهم من قومه ﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي شديد ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي يسرعون وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم بنزول الأضياف عنده، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي كانت عادتهم إتيان الفواحش في الرجال ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ المعنى فتزوّجوهنّ، وإنما قال ذلك لبقي أضيافه ببناته، وقيل اسم بناته الواحدة رثيا، والأخرى غوثا وأن اسم امرأته الهالكة والهة، واسم امرأة نوح والقة ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أي ما لنا فيهم أرب ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ يعنون نكاح الذكور ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ جواب لو محذوف تقديره: لو كانت لي قدرة على دفعكم لفعلت، ويحتمل أن تكون لو للتمني ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ معنى آوي ألجأ، والمراد بالركن الشديد ما يلجأ إليه من عشيرة وأنصار يحمونه من قومه وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول يرحم الله أخي لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد: يعني إلى الله والملائكة ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ الضمير في قالوا للملائكة، والضمير في لن يصلوا لقوم لوط، وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أي اخرج بهم

مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن

بالليل، فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن، وقرىء فاسْرِ بوصل الألف وقطعها، وهما لغتان يقال سرى وأسرى ﴿**بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيلِ**﴾ أي قطعة منه ﴿**وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ**﴾ نهوا عن الالتفات لئلا تتفطر أكبادهم على قريتهم، وقيل يلتفت معناه يلتوي ﴿**إِلاَّ امْرَأَتَكَ**﴾ قرىء بالنصب والرفع، فالنصب استثناء من قوله فأسر بأهلك، فيقتضي هذا أنه لم يُخرجها مع أهله، والرفع بدل من ولا يلتفت منكم أحد، ورُوِيَ على هذا أنه أخرجها معه، وأنها التفتت وقالت يا قوماه فأصابها حجر فقتلها ﴿**إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ**﴾ أي وقت عذابهم الصبح ﴿**أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**﴾ ذكر أنهم لما قالوا إن موعدهم الصبح قال لهم لوط هلاّ عُذِّبوا الآن، فقالوا له أليس الصبح بقريب ﴿**جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا**﴾ الضمير للمدائن رُوِيَ أن جبريل أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط واقتلعها فرفعها حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً**﴾ أي على المدائن، والمراد أهلها رُوِيَ أنه مَن كان منهم خارج المدائن أصابته حجارة من السماء، وأما مَن كان في المدائن فهلك لمّا قُلِبَت ﴿**مِّن سِجِّيلٍ**﴾ قيل معناه من ماء وطين، وإنما كان من الآجر المطبوخ وقيل من سجله إذا أرسله، وقيل هو لفظ أعجمي ﴿**مَّنْضُودٍ**﴾ أي مضموم بعضه فوق بعض ﴿**مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ**﴾ معناه معلّمة بعلامة، رُوِيَ أنه كان فيها بياض وحمرة، وقيل كان في كل حجر اسم صاحبه ﴿**وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**﴾ الضمير للحجارة والمراد بالظالمين كفّار قريش، فهذا تهديد لهم أي ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم، وقيل الضمير للمدائن، فالمعنى ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها كقوله: ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ [الفرقان: ٤٠] وقيل إن الظالمين على العموم ﴿**إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ**﴾ يعني رخْص الأسعار وكثرة الأرزاق ﴿**عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ**﴾ يوم القيامة أو يوم عذابهم في الدنيا ﴿**بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ أي ما أبقاه الله لكم من رزقه ونعمته.

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا

﴿أَصَلاتَكَ تَأْمُرُكَ﴾ الصلاة هي المعروفة ونسب الأمر إليها مجاز كقوله: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] والمعنى أصلاتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان، وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء **﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾** يعنون ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان، وأن نفعل عطف على أن نترك **﴿إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** قيل إنهم قالوا ذلك على وجه التهكّم والاستهزاء، وقيل معناه الحليم الرشيد عند نفسك **﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾** أي سالمًا من الفساد الذي أدخلتم أنتم في أموالكم، وجواب أرأيتم محذوف يدلّ عليه المعنى وتقديره: أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي أيصلح لي ترك تبليغ رسالته **﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾** يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مولٍ عنه، وخالفني عنه إذا ولّى عنه وأنت قاصده **﴿وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُمْ مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾** أي لا يكسبنّكم عداوتي أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة، وشقاقي فاعل، وأن يصيبكم مفعول **﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾** يعني في الزمان لأنهم كانوا أقرب الأمم الهالكين إليهم، ويحتمل أن يراد ببعيد في البلاد **﴿مَا نَفْقَهُ﴾** أي ما نفهم **﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾** أي ضعيف الانتصار والقدرة، وقيل نحيل البدن، وقيل أعمى **﴿وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾** الرهط القرابة والرجم بالحجارة أو بالسب **﴿أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾** هذا توبيخ لهم فإن قيل إنما وقع كلامهم فيه وفي رهطه وأنهم هم الأعزّة دونه فكيف طابق جوابه كلامهم؟ فالجواب أن تهاونهم به وهو رسول الله تهاون بالله فلذلك قال أرهطي أعزّ عليكم من الله **﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾** الضمير في اتخذتموه لله تعالى أو لدينه وأمره، والظهري ما يطرح وراء الظهر ولا

تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ

يعبأ به، وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب ﴿**اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ**﴾ تهديد ومعنى مكانتكم تمكّنكم في الدنيا وعزّتكم فيها ﴿**مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ**﴾ عذاب الدنيا والآخرة ﴿**وَارْتَقِبُوا**﴾ تهديد ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا**﴾ أي بالمعجزات ﴿**وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾ أي برهان بيّن ﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُ**﴾ أي يتقدّم قدّامهم في النار كما كانوا في الدنيا يتبعونه على الضلال والكفر ﴿**فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ**﴾ الورود هنا بمعنى الدخول، وذكره بلفظ الماضي لتحقّق وقوعه ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ عطف على في هذه فإن المراد به في الدنيا ﴿**وَبِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ**﴾ أي العطية المعطاة ﴿**قَائِمٌ وَحَصِيدٌ**﴾ باقٍ ودائر ﴿**فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ**﴾ حجة على التوحيد ونفي الشريك ﴿**تَتْبِيبٍ**﴾ أي تخسير ﴿**يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ**﴾ أي يجمعون فيه للحساب والثواب والعقاب، وإنما عبّر باسم المفعول دون الفعل ليدلّ على ثبوت الجمع لذلك اليوم، لأن لفظ مجموع أبلغ من لفظ يجمع ﴿**يَوْمٌ مَشْهُودٌ**﴾ أي يحضره الأوّلون والآخرون ﴿**يَوْمَ يَأْتِ**﴾ العامل في الظرف لا تكلم أو فعل مضمر؛ وفاعل يأتِ ضمير يعود على يوم مشهود وقال الزمخشري يعود على الله تعالى كقوله: ﴿**أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ**﴾ [الأنعام: ١٥٨] ويعضده عَوْد الضمير عليه في قوله بإذنه ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾ الضمير يعود على أهل الموقف الذين دلّ عليهم قوله لا تكلّم نفس ﴿**زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**﴾ الزفير إخراج النفس، والشهيق ردّه وقيل الزفير

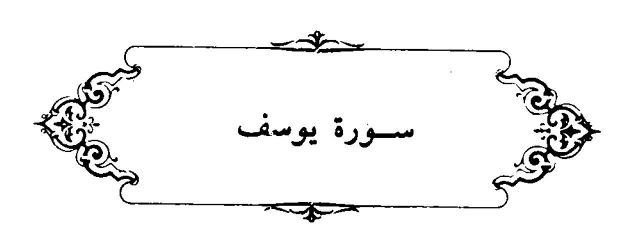
شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ

صوت المحزون، والشهيق صوت الباكي، وقيل الزفير من الحلق، والشهيق من الصدر ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ فيه وجهان أحدهما أن يُراد به سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة أبدًا، والآخر أن يكون عبارة عن التأبيد كقول العرب ما لاح كوكب وما ناح الحمام وشبّه ذلك مما يقصد به الدوام ﴿إلاّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال: قيل إنه على طريق التأدّب مع الله كقولك إن شاء الله، وإن كان الأمر واجبًا، وقيل المراد به زمان خروج المذنبين من النار، ويكون الذين شقوا على هذا يعمّ الكفّار والمذنبين، وقيل استثنى مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ، وأما الاستثناء في أهل الجنة فيصحّ فيه القول الأول والثالث دون الثاني ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع ﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاَءِ﴾ المرية الشك والإشارة إلى عَبَدَة الأصنام أي لا تشك في فساد دين هؤلاء ﴿مَا يَعْبُدُونَ إلاّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم﴾ أي هم متبعون لآبائهم تقليدًا مع غير برهان ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ يعني من العذاب ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني القدر وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة فلا يفصل في الدنيا ﴿وَإِنَّ كُلاًّ﴾ قرىء بتشديد إن وبتخفيفها، وإعمالها عمل الثقيلة، والتنوين في كل عوضًا من المضاف إليه يعني كلهم، واللام في لما موطئة للقسم، وما زائدة، وليوفينّهم خبر إن، وقرىء لما بالتشديد على أن تكون إن نافية، ولما بمعنى إلاّ ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي جزاء أعمالهم ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني الكفّار، وقيل إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم ﴿ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ مستأنف غير معطوف، وإنما قال ثم لبعد النصرة ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ﴾ الآية: يراد بها الصلوات المفروضة،

ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

فالطرف الأول الصبح والطرف الثاني الظهر والعصر، والزلف من الليل المغرب والعشاء **﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾** لفظه عامّ، وخصّصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل، رُوِيَ أن رجلاً قبّل امرأة ثم ندم فذكر ذلك للنبي ﷺ وصلّى معه الصلاة؛ فنزلت الآية فقال النبي ﷺ: «أين السائل»، فقال ها أنذا؛ فقال: «قد غفر لك»، فقال الرجل إليّ خاصّة أو للمسلمين عامّة، فقال بل للمسلمين عامّة، والآية على هذا مدنية، وقيل إن الآية كانت قبل ذلك ذكرها النبي ﷺ للرجل مستدلاً بها، فالآية على هذا مكيّة كسائر السورة، وإنما تذهب الحسنات عند الجمهور الصغائر إذا اجتنبت الكبائر **﴿ذَلِكَ﴾** إشارة إلى الصلوات، أو إلى كل ما تقدم من وعظ ووعد ووعيد **﴿فَلَوْلاَ﴾** تحضيض بمعنى هلاّ **﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾** أي أولو خير ودين بقي لهم دون غيرهم **﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾** استثناء منقطع معناه ولكن قليلاً ممّن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد في الأرض، وقيل هو متّصل فإن الكلام الذي قبله في حكم النفي كأنه قال: ما كان فيهم مَن ينهى عن الفساد في الأرض إلا قليلاً، على أن الوجه في مثل هذا البدل ويجوز فيه النصب **﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** يعني الذين لم ينهوا عن الفساد **﴿بِظُلْمٍ﴾** هذا المجرور في موضع الحال من ربك والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى ظالمًا لهم، تعالى الله عن ذلك **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾** يعني مؤمنة لا خلاف بينهم في الإيمان **﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾** يعني في الأديان والمِلَل والمذاهب **﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾** قيل الإشارة إلى الاختلاف، وقيل إلى الرحمة وقيل إليهما **﴿وَكُلاً نَقُصُّ﴾** انتصب كُلاً بنقصّ وما بدل من

كلاً ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ الإشارة إلى السورة ﴿اعْمَلُوا﴾ ﴿وَانْتَظِرُوا﴾ تهديد لهم وإقامة حجّة عليهم.



سورة يوسف

مكيّة إلاّ الآيات ١ و٢ و٣ و٧
فمدنيّة وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني القرآن، والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين، فيكون غير متعدٍّ، أو يكون متعدّيًا بمعنى أنه أبان الحق أي أظهره **﴿لَعَلَّكُمْ﴾** يتعلق بأنزلناه أو بعربيًا **﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾** يعني قصة يوسف، أو قصص الأنبياء على الإطلاق، والقصص يكون مصدرًا أو اسم مفعول بمعنى المقصوص، فإن أُريد به هنا المصدر فمفعول نقص محذوف، لأن ذكر القرآن يدلّ عليه **﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾** الضمير في قبله للقصص أي من الغافلين عن معرفته، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله لكونه جاء به من غير تعليم **﴿إِذْ قَالَ﴾** العامل فيه اذكر المضمر، أو القصص **﴿يَا أَبَتِ﴾** أي يا أبي والتاء للمبالغة، وقيل للتأنيث وكسرت دلالة على ياء المتكلم والتاء عوض من ياء المتكلّم **﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾** كرّر الفعل لطول الكلام وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء في ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل، وهو السجود وتأويل الكواكب في

قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا

المنام إخوته، والشمس والقمر أبواه؛ وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك ﴿**لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ**﴾ إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته فخاف عليه من الحسد ﴿**يَجْتَبِيكَ**﴾ يختارك ﴿**وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾ قيل هي عبارة الرؤيا، واللفظ أعمّ من ذلك ﴿**آلِ يَعْقُوبَ**﴾ يعني ذرّيته ﴿**آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ**﴾ أي لمَن سأل عنها، رُوِيَ أن اليهود سألوا رسول الله عن قصّة يوسف أو أمروا قريشًا أن يسألوه عنها، فهم السائلون على هذا، واللفظ أعمّ من ذلك ﴿**لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ**﴾ هو بنيامين، وهو أصغر من يوسف، ويقال إنه شقيق يوسف، وكان أصغر أولاد يعقوب ﴿**وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**﴾ أي جماعة نقدر على النفع والضرّ بخلاف الصغيرين، والعصبة: العشرة فما فوقها إلى الأربعين ﴿**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾ أي خطأ وخروج عن الصواب بإفراط حبّه ليوسف وأخيه ﴿**يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ**﴾ أي لا يشارككم غيره في محبّته لكم وإقباله عليكم ﴿**قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾ أي بالتوبة والاستقامة وقيل هو صلاح حالهم مع أبيهم ﴿**قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ**﴾ هو يهوذا، وقيل روبيل ﴿**غَيَابَتِ الْجُبِّ**﴾ غوره وما غاب منه ﴿**السَّيَّارَةِ**﴾ جمع سيارة وهم القوم الذين يسيرون في الأرض للتجارة، وغيرها ﴿**إِن كُنتُم فَاعِلِينَ**﴾ أي هذا هو الرأي إن فعلتموه ﴿**مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ**﴾ أي لِمَ تخاف عليه منّا، وقرأ السبع تأمنّا، بالإدغام والإشمام؛ لأن أصله بضم النون الأولى ﴿**يَرْتَعْ**﴾ مَن قرأه بكسر العين فهو من الرعي أي من رعي

ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا

الإبل، أو من رعي بعضهم لبعض، وحراسته، ومَن قرأه بالإسكان، فهو من الرتع وهو الإقامة في الخصب والتنعّم، والتاء على هذا أصلية، ووزن الفعل يفعل، ووزنه على الأول نفتعل، ومَن قرأ يرتع ويلعب بالياء فالضمير ليوسف، ومَن قرأ بالنون فالضمير للمتكلمين وهم إخوته، وإنما قالوا نلعب، لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء، وكان اللعب من المُباح للتعلّم كالمسابقة بالخيل ﴿**وَأَجْمَعُوا**﴾ أي عزموا، وجواب لما محذوف، وقيل إنه أجمعوا، أو وأوحينا على زيادة الواو ﴿**وَأَوْحَيْنَا**﴾ يحتمل أن يكون هذا الوحي بواسطة ملك، أو بإلهام، والضمير في إليه ليوسف وقيل ليعقوب والأول هو الصحيح، ﴿**وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ في موضع الحال من لتنبئنهم أي لا يشعرون حين لنبئهم فيكون خطابًا ليوسف عليه السلام، أو من أوحينا أي لا يشعرون حين أوحينا إليه فيكون خطابًا للنبي ﷺ ﴿**نَسْتَبِقُ**﴾ أي نجري على أقدامنا لننظر أيّنا يسبق ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا**﴾ أي بمصدّق لمقالتنا ﴿**وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾ أي لا تصدّقنا ولو كنّا عندك من أهل الصدق، فكيف وأنت تتهمنا، وقيل معناه لا تصدّقنا وإن كنّا صادقين في هذه المقالة، فذلك على وجه المغالطة منهم، والأول أظهر ﴿**وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ**﴾ أي ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة، ورُوِيَ أنهم لطّخوا قميصه بدم جدي، وقالوا ليعقوب هذا دمه في قميصه فقال لهم: مال الذئب أكله ولم يخرق قميصه، فاستدلّ بذلك على كذبهم ﴿**سَوَّلَتْ**﴾ أي زيّنت ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾ وعد من نفسه بالصبر، وارتفاعه على أنه مبتدأ تقديره صبر جميل أمثل، أو خبر مبتدأ تقديره شأني صبر جميل ﴿**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ**﴾ رُوِيَ أن هؤلاء السيّارة من مدين، وقيل هم أعراب ﴿**وَارِدَهُمْ**﴾ الوارد هو الذي يستقّي الماء لجماعة، ونقل السهيلي أن اسم هذا الوارد مالك بن دعر من العرب العاربة، ولم يكن له ولد فسأل يوسف أن يدعو له بالولد فدعا له فرزقه الله اثني عشر ولدًا، أعقب كل واحد منهم قبيلة ﴿**قَالَ يَا بُشْرَايَ**﴾ أي نادى البشرى كقولك يا حسرة، وأضافها إلى نفسه، وقرىء يا بشرى بحذف ياء المتكلم، والمعنى كذلك وقيل على هذه القراءة نادى رجلاً منهم اسمه بشرى، وهذا بعيد، ولما أدلى الوارد الحبل

يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ

في الجبّ تعلق به يوسف فحينئذ قال يا بشراي هذا غلام ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ الضمير الفاعل للسيارة والضمير المفعول ليوسف أي أخفوه من الرفقة، أو قالوا لهم دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر ﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي باعوه، والضمير أيضًا للذين أخذوه، وقيل الضمير لإخوة يوسف وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيّارة هذا عبدنا ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي ناقص عن قيمته، وقيل البخس هنا الظلم ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عبارة عن قلّتها ﴿وَكَانُوا﴾ الضمير للذين أخذوه أو لإخوته ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾ يعني العزيز، وكان حاجب الملك وخازنه، وقال السهيلي اسمه قطفير ﴿مِن مِّصْرَ﴾ هو البلد المعروف، ولذلك لم ينصرف، وكان يوسف قد سبق إلى مصر فنودي عليه في السوق حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهبًا، وقيل فضة فاشتراه العزيز ﴿تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ قد تقدّم ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ في عَوْد الضمير وجهان: أحدهما أن يعود على الله فالمعنى أنه يفعل ما يشاء لا رادّ لأمره، والثاني أنه يعود على يوسف أي يدبّر الله أمره بالحفظ له والكرامة.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قيل الأشدّ البلوغ، وقيل ثمانِ عشرة سنة؛ وقيل ثلاث وثلاثون، وقيل أربعون ﴿حُكْمًا﴾ هي الحكمة والنبوّة ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ أي طلبت منه ما يكون من الرجال إلى المرأة وهي زليخا امرأة العزيز ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ رُوِيَ أنها كانت سبعة أبواب ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ اسم فعل معناه تعال وأقبل، وقرىء بفتح الهاء وكسرها وبفتح التاء وضمّها، والمعنى في ذلك كله واحد، وحركة التاء للبناء، وأما مَن قرأ بالهمز فهو فعل من تهيأت كقولك جئت ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدرية، والمعنى أعوذ بالله ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ يحتمل أن يكون الضمير لله تعالى، أو للذي اشتراه، لأن السيد يقال له ربّ، فالمعنى لا ينبغي لي أن أخونه ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن، ويحتمل ذلك في الأوّل أي الضمير ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ أكثر الناس الكلام في هذه الآية حتى

كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن

ألّفوا فيها التآليف، فمنهم مفرط ومفرّط، وذلك أن منهم مَن جعل همّ المرأة وهمّ يوسف من حيث الفعل الذي أرادته وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجليها وحلّه التكّة وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله، ومنهم مَن جعل أنها همّت به لتضربه على امتناعه وهمّ بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها وهو بعيد يردّه قوله لولا أن رأى برهان ربّه، ومنهم مَن جعل همّها به من حيث مرادها وهمّه بها ليدفعها، وهذا أيضًا بعيد لاختلاف سياق الكلام، والصواب إن شاء الله: أنها همّت به من حيث مرادها وهمّ بها كذلك لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ما ذكر من حلّ التكّة وغيرها بل كان همّه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربّه، ولا يقدح هذا في عصمة الأنبياء لأن الهمّ بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه في ذلك، فإنه مَن همّ بذنب ثم تركه كُتِبَت له حسنة **﴿لَوْلاَ أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾** جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربّه لخالطها، وإنما حذف لأن قوله همّ بها يدلّ عليه، وقد قيل إن **﴿هَمَّ بِهَا﴾** هو الجواب، وهذا ضعيف لأن جواب لولا لا يتقدّم عليها، واختلف في البرهان الذي رآه، فقيل ناداه جبريل يا يوسف أتكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء، وقيل رأى يعقوب ينهاه، وقيل تفكّر فاستبصر، وقيل رأى زليخا غطّت وجه صنم لها حياء منه، فقال أنا أولى أن أستحي من الله **﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ﴾** الكاف في موضع نصب متعلقة بفعل مضمر، التقدير ثبّتناه مثل ذلك التثبيت، أو في موضع رفع تقديره الأمر مثل ذلك **﴿السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾** خيانة سيده والوقوع في الزنا **﴿الْمُخْلَصِينَ﴾** قرىء بفتح اللام حيث وقع أي الذين أخلصهم الله لطاعته وبالكسر أي الذين أخلصوا دينهم لله **﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾** معناه سبق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب فقصد هو الخروج والهروب عنها، وقصدت هي أن تردّه، فإن قيل كيف قال هنا الباب بالإفراد وقد قال بالجمع وغلقت الأبواب؟ فالجواب أن المراد هنا الباب البرّاني الذي هو المخرج من الدار **﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾** أي قطعته من وراء، وذلك أنها قبضت قميصه من خلفه لتردّه فتمزّق القميص، والقدّ القطع بالطول، والقطع بالعرض **﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾** أي وجدا زوجها عند الباب **﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إلاَّ أَن يُسْجَنَ﴾** لما رأت الفضيحة عكست القضية، وادّعت أن يوسف راودها عن نفسها فذكرت جزاء كل مَن فعل

يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ

ذلك على العموم، ولم تصرّح بذكر يوسف لدخوله في العموم، وبناء على أن الذنب ثابت عليه بدعواها وما جزاء يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية **﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾** برّأ نفسه من دعواها **﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾** قيل هو ابن عمّها وقيل كان طفلاً في المهد فتكلم، وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف، وكونه لم يتكلّم قطّ، ثم تكلم بذلك كرامة ليوسف عليه السلام، والتقدير شهد شاهد فقال، أو ضمنت الشهادة معنى القول **﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾** لأنها كانت تدافعه فتقدّ قميصه من قُبُل **﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾** لأنها جذبته إلى نفسها حين فرّ منها فقدّت قميصه من دُبُر **﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾** فاعل رأى زوجها أو الشاهد **﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ﴾** الضمير للأمر أو لقولها ما جزاء **﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾** أي اكتمه ولا تحدّث به، ويوسف منادى حذف منه حرف النداء لأنه قريب، وفي حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته **﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾** خطاب لها، وذلك من كلام زوجها أو من كلام الشاهد **﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾** جاء بلفظ التذكير، ولم يقل من الخاطئات تغليبًا للذكور **﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾** أي في مصر، رُوِيَ أنهنّ خمس نسوة: امرأة الساقي، وامرأة الخبّاز، وامرأة صاحب الدوابّ، وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب **﴿فَتَاهَا﴾** أي خادمها، والفتى يقال بمعنى الشاب، وبمعنى الخادم **﴿شَغَفَهَا﴾** بلغ شغاف قلبها وهو غلافه، وقيل السويداء منه، وقيل الشغاف داء يصل إلى القلب **﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾** أي بقولهنّ وسمّاه مكرًا لأنه كان في خفية، وقيل كانت قد استكتمتهنّ سرّها فأفشينه عليها **﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾** أي أعتدت لهنّ ما يتكأ عليه من الفراش ونحوها، وقيل المتكأ طعام، وقرىء في الشاذ «مُتْكًى» بسكون التاء وتنوين الكاف، وهو الأترج، وإعطاؤها السكاكين لهنّ يدلّ على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج، وقيل كان لحمًا **﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾** أمر ليوسف، وإنما

فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ

أطاعها لأنه كان مملوك زوجها ﴿**أَكْبَرْنَهُ**﴾ أي عظمن شأنه وجماله، وقيل معنى أكبرن حضن، والهاء للسكت، وهذا بعيد جدًا ﴿**وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾ أي اشتغلن بالنظر إليه وبهتن من جماله حتى قطعن أيديهنّ وهنّ لا يشعرن كما يقطع الطعام ﴿**حَاشَ لِلَّهِ**﴾ معناه براءة وتنزيه: أي تنزيه لله وتعجّب من قدرته على خلقة مثله، وحاش في باب الاستثناء تخفض على أنها حرف، وأجاز المبرّد النصب بها على أن تكون فعلاً، وأما هنا فقال أبو علي الفارسي إنها فعل، والدليل على ذلك من وجهين: أحدهما أنها دخلت على لام الخبر وهو اللام في قوله لله، ولا يدخل الحرف على حرف، والآخر أنها حذفت منها الألف على قراءة الجماعة والحروف لا يحذف منها شيء وقرأها أبو عمرو بالألف على الأصل وإنما تحذف من الأفعال كقولك لم يَكُ ولا أدري، والفاعل بحاشَ ضمير يعود على يوسف تقديره بعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله، وقال الزمخشري إن حاشَ وضع موضع المصدر كأنه قال تنزيهًا، ثم قال الله ليبيّن مَن ينزّه قال وإنما حذف منه التنوين مراعاة لأصله من الحرفية ﴿**مَا هَذَا بَشَرًا**﴾ أخرجنه من البشر وجعلنه من الملائكة مبالغة في وصف الحُسْن ﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ**﴾ توبيخ لهنّ على اللوم ﴿**فَاسْتَعْصَمَ**﴾ أي طلب العصمة وامتنع مما أرادت منه ﴿**أَصْبُ إِلَيْهِنَّ**﴾ أي أميل وكلامه هذا تضرّع إلى الله ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ**﴾ أي ظهر والفاعل محذوف تقديره رأى والضمير في لهم لزوجها وأهلها أو مَن تشاور معه في ذلك ﴿**رَأَوُا الآيَاتِ**﴾ أي الأدلّة على براءته ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ**﴾ أي شابّان، وقيل هنا محذوف لا بدّ منه وهو فسجنوه، وكان يوسف قد قال لأهل السجن إني أعبر الرؤيا، وكذلك سأله الفتيان عن منامهما، وقيل إنهما استعملاها ليجرّباه، وقيل رأيا ذلك حقًّا ﴿**أَعْصِرُ خَمْرًا**﴾ قيل فيه سمّي العنب خمرًا بما يؤول إليه وقيل هي لغة ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ قيل معناه في تأويل الرؤيا، وقيل إحسانه إلى أهل السجن ﴿**قَالَ لاَ**

مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ

يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ الآية: تقتضي أنه وصف لهما نفسه بكثرة العلم ليجعل ذلك وصلة إلى دعائهما لتوحيد الله، وفيه وجهان: أحدهما أنه قال يخبرهما بكل ما يأتيهما في الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما، وذلك من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزة الأنبياء، والآخر أنه قال لا يأتيكما طعام في المنام إلاّ أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا **﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾** رُوِيَ أنهما قالا له من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجّم، فقال: **﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلاً لما قبله من قوله علّمني ربّي أو يكون استئنافًا **﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾** نسبهما إلى السجن إما لأنهما سكناه أو لأنهما صاحباه فيه، كأنه قال يا صاحبي في السجن **﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾** الآية: دعاهما إلى توحيد الله، وأقامَ عليهما الحجّة رغبة في إيمانهما **﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إلاَّ أَسْمَاءً﴾** أوقع الأسماء هنا موقع المسمّيات والمعنى سمّيتم ما لا يستحق الألوهية آلهة ثم عبدتموها **﴿مِن سُلْطَانٍ﴾** أي حجّة وبرهان **﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾** يعني الملك **﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾** الظن هنا يحتمل أن يكون بمعنى اليقين، لأن قوله قضي الأمر يقتضي ذلك، أو يكون على بابه، لأن عبارة الرؤيا ظن **﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾** يعني الملك **﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾** قيل الضمير ليوسف أي نسي في ذلك الوقت أن يذكر الله، ورجا غيره فعاقبه الله على ذلك بأن لبث في السجن، وقيل الضمير للذي نجا منهما وهو الساقي أي نسي ذكر يوسف عند ربّه، فأضاف الذكر إلى ربّه إذ هو عنده، والربّ على هذا التأويل الملك **﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾** البضع من الثلاثة إلى العشرة، وقيل

ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا

إلى التسعة، ورُوِيَ أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين أولاً ثم سجن بعد قوله ذلك سبع سنين **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾** هو ملك مصر الذي كان العزيز خادمًا له واسمه ريّان بن الوليد، وقيل مصعب بن الريّان، وكان من الفراعنة، وقيل إنه فرعون موسى عمّر أربعمائة سنة حتى أدركه موسى وهذا بعيد **﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾** يعني في المنام **﴿عِجَافٌ﴾** أي ضعاف في غاية الهزال **﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ﴾** خطاب لجلسائه وأهل دولته **﴿لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾** أي تعرفون تأويلها، يقال عبرت الرؤيا بتخفيف الباء وأنكر بعضهم التشديد، وهو مسموع من العرب، وأدخلت اللام على المفعول به لما تقدّم على الفعل **﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾** أي تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر، وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات، واحدة ضغث، فإن قيل: لِمَ قال أضغاث أحلام بالجمع، وإنما كانت الرؤيا واحدة؟ فالجواب أن هذا كقولك فلان يركب الخيل وإن ركب فرسًا واحدًا **﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾** إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة أو تأويل الأحلام على الإطلاق وهو الأظهر **﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾** هو ساقي الملك **﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾** أي بعد حين **﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾** يقدّر قبله محذوف لا بدّ منه وهو فأرسلوه فقال يا يوسف، وسمّاه صديقًا لأنه كان قد جرّب صدقه في تعبير الرؤيا وغيرها، والصديق مبالغة من الصدق **﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾** أي فيمن رأى سبع بقرات وكان الملك قد رأى سبع بقرات سِمان أكلتهنّ سبع عجاف فعجب كيف علّتهنّ وكيف وسعت في بطونهنّ، ورأى سبع سنبلات خضر، وقد التفت بها سبع يابسات حتى غطّت خضرتها **﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾** هذا تعبير للرؤيا، وذلك أنه عبر البقرات السمان بسبع سنين مخصبة وعبر البقرات العجاف بسبع سنين مجدبة فكذلك السنبلات الخضر واليابسة **﴿دَأَبًا﴾** بسكون الهمزة وفتحها مصدر دأب على العمل إذا داوم عليه، وهو مصدر في موضع الحال **﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ**

تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ

﴿فِي سُنبُلِهِ﴾ هذا رأي أرشدهم يوسف إليه، وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين، فعلّمهم حيلة يبقى بها من السنين المجدبة إلى السنين المجدبة، وهي أن يتركوه في سنبله غير مدروس، فإن الحبة إذا بقيت في غشائها انحفظت **﴿إلاّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾** أي لا تدرسوا منه إلاّ ما يحتاج إلى الأكل خاصّة **﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾** يعني سبع سنين ذات شدّة وجوع **﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾** أي تأكلون فيهنّ ما اخترتم من الطعام في سنبله، وأسند الأكل إلى السنين مجازًا **﴿مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾** أي تخزنون وتخبئون **﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾** هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا، وهو الإخبار بالعام الثامن **﴿يُغَاثُ النَّاسُ﴾** يحتمل أن يكون من الغيث أي يمطرون، أو من الغوث: أي يفرج الله عنهم **﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾** أي يعصرون الزيتون والعنب والسمسم وغير ذلك مما يعصر.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ قيل هنا محذوف، وهو فرجع الرسول إلى الملك فقصّ عليه مقالة يوسف فرأى علمه وعقله، فقال ائتوني به **﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ﴾** لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه أراد يوسف أن يبرىء نفسه مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها، وأن يعلم الملك وغيره أنه سجن ظلمًا فذكر طرفًا من قصته لينظر الملك فيها فيتبيّن له الأمر، وكان هذا الفعل من يوسف صبرًا وحلمًا، إذ لم يجب إلى الخروج من السجن ساعة دُعِيَ إلى ذلك بعد طول المدّة، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز رعيًا لذمام زوجها وسترًا لها، بل ذكر النسوة اللاّتي قطعن أيديهنّ **﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾** الآية جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهنّ، فسألهنّ عن قصة يوسف، وأسند المراودة إلى جميعهنّ، لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هي التي راودته وحدها **﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾** تبرئة ليوسف أو تبرئة لأنفسهنّ من مراودته وتكون تبرئة ليوسف بقولهنّ: ما علمنا عليه من سوء **﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾** أي تبيّن وظهر، ثم اعترفت على نفسها بالحق **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾** قيل إنه من كلام امرأة العزيز متّصلاً بما قبله، والضمير في يعلم

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ

وأخنه على هذا ليوسف عليه السلام أي ليعلم يوسف أني لم أكذب عليه في حال غيبته، والإشارة بذلك إلى توبتها وإقرارها، وقيل إنه من كلام يوسف عليه السلام، فالضمير للعزيز أي لم أخنه في زوجته في غيبته، بل تعفّفت عنها والإشارة بذلك إلى توقفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته ﴿**وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي**﴾ اختلف أيضًا هل هو من كلام امرأة العزيز، أو من كلام يوسف، فإن كان من كلامها فهو اعتراف بعد الاعتراف، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما همّ به على وجه خطوره على قلبه، لا على وجه العزم والقصد، وقاله في عموم الأحوال على وجه التواضع ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ النفس هنا للجنس والنفوس ثلاثة أنواع: أمّارة بالسوء، ولوّامة وهي التي تلوم صاحبها ومطمئنة ﴿**إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ**﴾ استثناء من النفس إذ هي بمعنى النفوس أي الأنفس المرحومة وهي المطمئنة، فما على هذا بمعنى الذي، ويحتمل أن تكون ظرفية أي إلاّ حين رحمة الله ﴿**أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي**﴾ أي أجعله خاصّتي وخلاصتي قال أولاً ائتوني به فلما تبيّن له حاله قال أستخلصه لنفسي ﴿**فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ**﴾ أي فلما رأى حُسْن كلامه وعرف وفور عقله وعلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين، والمكين من التمكين، والأمين من الأمانة ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ**﴾ لما فهم يوسف من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به قال له ذلك، وإنما طلب منه الولاية رغبة منه في العدل وإقامة الحق والإحسان، وكان هذا الملك كافرًا، ويستدلّ بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال، وقيل إن الملك أسلم، وأراد بقوله خزائن الأرض: أرض مصر إذ لم يكن للملك غيرها، والخزائن كل ما يخزن من طعام ومال وغير ذلك ﴿**إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ صفتان تعمّان وجوه المعرفة والضبط للخزائن وقيل حفيظ للحساب عليم بالألسن، واللفظ أعمّ من ذلك، ويستدلّ بذلك أنه يجوز للرجل أن يعرّف بنفسه ويمدح نفسه بالحق إذا جهل أمره وإذا كان في ذلك فائدة ﴿**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ**﴾ الإشارة بذلك إلى ما تقدّم من جميل صنع الله به، ورُوِيَ أن الملك ولاّه في موضع العزيز وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلّب على أمره وأن امرأة العزيز شاخت وافتقرت فتزوّجها يوسف ودعا الله فردّ عليها جمالها وشبابها وأنه باع من أهل مصر في أعوام القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة

يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ

الأولى حتى لم يبقَ لهم شيء منها، ثم بالحليّ، ثم بالدوابّ، ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم حتى تملّكهم جميعًا ثم أعتقهم وردّ عليهم أملاكهم **﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ﴾** الرحمة هنا يراد بها الدنيا وكذلك الأجر في قوله ولا نضيع أجر المحسنين بدليل قوله بعد ذلك ولأجر الآخرة خير، فأخبر تعالى أن رحمته في الدنيا يصيب بها مَن يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاصٍ، وأن المُحسِن لا بدّ له من أجره في الدنيا، فالأوّل في المشيئة، والثاني واقع لا محالة، ثم أخبر أن أجر الآخرة خير من ذلك كله: للذين آمنوا، وكانوا يتّقون، وفي الآية إشارة إلى أن يوسف عليه السلام جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة **﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾** كان سبب مجيئهم أنهم أصابتهم مجاعة في بلادهم، فخرجوا إلى مصر ليشتروا بها من الطعام الذي ادّخره يوسف **﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾** إنما أنكروه لبُعد العهد به وتغيير سنّه أو لأنه كان متلثّمًا، رُوِيَ أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من المُلْك وأنه سألهم عن أحوالهم، وأخبروه أنهم تركوا أخاً لهم، فحينئذ قال لهم ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم وهو بنيامين شقيق يوسف **﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾** الجهاز ما يحتاج إليه المسافر من زادٍ وغيره، والمراد به هنا الطعام الذي باع منهم **﴿خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾** أي المضيفين **﴿وإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾** أي نفعل ذلك لا محالة **﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾** جمع فتى وهو الخادم سواء كان حرًّا أو عبدًا **﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾** أمر أن يجعلوا البضاعة التي اشتروا منه بها الطعام في أوعيتهم **﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾** أي لعلّهم يعرفون اليد والكرامة في ردّ البضاعة إليهم، وليس الضمير للبضاعة **﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** أي لعلّ معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع وقصد بردّ البضاعة إليهم مع الطعام استئلافهم بالإحسان إليهم **﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾** إشارة إلى قولهم وإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي فهو خوف من المنع في المستقبل

فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا

﴿**نَكْتَلْ**﴾ وزنه نفتعل من الكيل ﴿**مَا نَبْغِي**﴾ ما استفهامية ونبغي بمعنى نطلب، والمعنى أي شيء نطلبه بعد هذه الكرامة وهي ردّ البضاعة مع الطعام، ويحتمل أن تكون ما نافية ونبغي من البغي: أي لا نتعدّى على أخينا ولا نكذب على الملك ﴿**وَنَمِيرُ أَهْلَنَا**﴾ أي نسوق لهم الطعام ﴿**وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ**﴾ يريدون بعير أخيهم إذ كان يوسف لا يعطي إلاّ كيل بعير من الطعام لإنسان فأعطاهم عشرة أبعرة ومنعهم الحادي عشر لغيبة صاحبه حتى يأتي والبعير الجمل ﴿**ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ**﴾ إن كانت الإشارة إلى الأحمال فالمعنى أنها قليلة لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير، وإن كانت الإشارة إلى كيل بعير، فالمعنى أنه يسير على يوسف أي قليل عنده أو سهل عليه، فلا يمنعهم منه ﴿**حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ**﴾ أراد أن يحلفوا له ولتأتنني به جواب اليمين ﴿**إِلاّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ**﴾ أي إلاّ أن تغلبوا فلا تطيقون الإتيان به ﴿**يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ**﴾ خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين إذ كانوا أهل جمال وهيبة ﴿**مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم**﴾ جواب لمّا والمعنى أن ذلك لا يدفع ما قضاه الله ﴿**إِلاَّ حَاجَةً**﴾ استثناء منقطع، والحاجة هنا هي شفقته عليهم ووصيّته لهم ﴿**آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ**﴾ أي ضمّه ﴿**قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ**﴾ أخبره بأنه أخوه، واستكتمه ذلك ﴿**فَلاَ تَبْتَئِسْ**﴾ أي لا تحزن فهو من البؤس ﴿**بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الضمير لإخوة يوسف، ويعني ما فعلوا بيوسف وأخيه، ويحتمل أن يكون لفتيانه: أي لا تبالي بما تراه من تحيّلي في أخذك ﴿**جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ**﴾ السقاية هي الصواع، وهي إناء يشرب فيه الملك ويأكل فيه الطعام، وكان من فضة، وقيل من ذهب، وقصد بجعله في رَحْل أخيه أن يحتال على إمساكه معه إذ كان شرع

ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ

يعقوب أن مَن سرق استعبده المسروق له **﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾** أي نادى مُنادٍ **﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾** أي أيّتها الرفقة **﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾** خطاب لإخوة يوسف، وإنما استحلّ أن يرميهم بالسرقة لما في ذلك من المصلحة من إمساك أخيه، وقيل إن حافظ السقاية نادى: إنكم لسارقون، بغير أمر يوسف وهذا بعيد لتفتيش الأوعية **﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾** أي لمَن جبره وردّه حمل بعير من طعام على وجه الجعل **﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾** أي ضامن لحمل البعير لمَن ردّ الصواع، وهذا من كلام المنادى **﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ﴾** أي استشهدوا بعلمهم لما ظهر لهم من ديانتهم في دخولهم أرضهم حتى كانوا يجعلون الأكمة في أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس **﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾** أي قال فتيان يوسف ما جزاء آخذ الصّواع إن كنتم كاذبين في قولكم وما كنّا سارقين، فالضمير في قوله جزاؤه يعود على الأخذ المفهوم من الكلام **﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾** المعنى أن إخوة يوسف أفتوا فيما سُئِلوا عنه فقالوا جزاء السارق أن يُستعبَد، ويؤخذ في السرقة، وأما الإعراب فيحتمل وجهين: الأول: أن يكون جزاؤه الأول مبتدأ ومن مبتدأ ثانٍ وهي شرطية أو موصولة، وخبرها فهو جزاؤه، والجملة خبر جزاؤه الأول، والوجه الثاني: أن يكون من خبر المبتدأ الأول على حذف مضاف، وتقديره جزائه أخذ مَن وجد في رحله وتمّ الكلام. ثم قال فهو جزاؤه أي هذا الحكم جزاؤه **﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾** من كلام إخوة يوسف أي هذا حكمنا في السرّاق، وقد كان هذا الحكم في أول الإسلام، ثم نسلخ بقطع الأيدي **﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾** هذا تمكين للحيلة ورفع للتهمة **﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾** ليصحّ له بذلك إمساكه معه، وإنما أنّث الصواع في هذا الموضع لأنه سقاية، أو لأن الصواع يُذكّر ويُؤنّث **﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾** أي صنعنا له هذا الصنع **﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾** أي في شرعه أو عادته، لأنه إنما كان جزاء السارق عنده أن يُضرب ويُضاعَف عليه الغرم، ولكن حكم في هذه القضية آل يعقوب **﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾** يعني الرفعة بالعلم

دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى

بدليل ما بعده ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْم عَلِيمٌ**﴾ أي فوق كل عالم مَن هو أعلم منه من البشر، أو الله عزّ وجلّ ﴿**قَالُوا إن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبْلُ**﴾ الضمير في قالوا لإخوة يوسف، وأشاروا إلى يوسف، ومعنى كلامهم إن يسرق بنيامين، فقد سرق أخوه يوسف من قبل، فهذا الأمر إنما صدر من ابني راحيل لامنا، وقصدوا بذلك رفع المعرّة عن أنفسهم، ورموا بها يوسف وشقيقه، واختلف في السرقة التي رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال: الأول أن عمّته ربّته، فأراد والده أن يأخذه منها، وكانت تحبّه ولا تصبر عنه، فجعلت عليه منطقة لها، ثم قالت إنه أخذها فاستعبدته بذلك وبقي عندها إلى أن ماتت، والثاني أنه أخذ صنمًا لجدّه والد أُمه فكسره، والثالث أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين ﴿**فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ**﴾ قال الزمخشري الضمير للجملة التي بعد ذلك وهي قوله أنتم شرّ مكانًا، والمعنى قال في قوله أنتم شرّ مكانًا وقال ابن عطية: الضمير للحرارة التي وجد في نفسه من قولهم فقد سرق أخ له من قبل وأسرّ كراهية مقالتهم ثم جاهرهم بقوله أنتم شرّ مكانًا أي لسوء أفعالكم ﴿**واللّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ**﴾ إشارة إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة ﴿**إنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا**﴾ استعطافًا وكانوا قد أعلموه بشدّة محبة أبيه فيه ﴿**فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ**﴾ على وجه الضمان والاسترهان، والانقياد، وهذا هو الأظهر لقوله معاذ الله أن نأخذ إلاّ مَن وجدنا متاعنا عنده ﴿**مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ أي أحسنت إلينا فيما فعلت معنا من قبل أو على الإطلاق و﴿**اسْتَيْئَسُوا**﴾ أي يئسوا ﴿**خَلَصُوا نَجِيًا**﴾ أي انفردوا عن غيرهم يناجي بعضهم بعضًا، والنجي يكون بمعنى المناجي أو مصدرًا ﴿**قَالَ كَبِيرُهُمْ**﴾ قيل كبيرهم في السنّ وهو روبيل، وقيل كبيرهم في الرأي وهو شمعون، وقيل يهوذا ﴿**وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ**﴾ تحتمل ﴿**مَا**﴾ وجوهًا: الأول أن تكون زائدة، والثاني أن تكون مصدرية ومحلها الرفع بالابتداء تقديره وقع من قبل تفريطكم في يوسف، والثالث أن تكون موصولة ومحلها أيضًا

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨٠ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۝٨١ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٨٢ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ﴾

الرفع كذلك، والأول أظهر ﴿فَلَنْ أَبرَحَ الأَرْضَ﴾ يريد الموضع الذي وقعت فيه القصة ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ﴾ من قول كبيرهم، وقيل من قول يوسف وهو بعيد ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ قرأ الجمهور بفتح الراء والسين، ورُوِيَ عن الكسائي سرق بضم السين وكسر وتشديد الراء أي نسبت له السرقة ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾ أي قولنا لك إن ابنك: إنما هو شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ أي لا نعلم الغيب هل ذلك حق في نفس الأمر، أم لا، إذ يمكن أن يدسّ الصّواع في رحله من غير علمه وقال الزمخشري المعنى ما شهدنا إلاّ بما علمنا من سرقته وتيقّناه، لأن الصواع استخرج من وعائه، وما كنّا للغيب حافظين أي ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق، وقراءة سرق بالفتح تعضد قول الزمخشري، والقراءة بالضم تعضد القول الأول﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ تقديره واسأل أهل القرية، وكذلك أهل العير: يعنون الرفقة، هذا هو قول الجمهور وقيل المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ولا يبعد أن تخبره الجمادات لأنه نبيّ والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز، والقرية هنا هي مصر ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾ قبله محذوف تقديره: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام فقال بل سوّلت الآية ﴿بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يعني يوسف وأخاه بنيامين، وأخاهم الكبير الذي قال لن أبرح الأرض ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ لما لم يصدقهم، أعرض عنهم ورجع إلى التأسّف ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَى يُوسُفَ﴾ تأسف على يوسف دون أخيه الثاني والثالث، الذاهبين، لأن حزنه عليه كان أشدّ لإفراط محبته ولأن مصيبته كانت السابقة ﴿وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ﴾ أي من البكاء الذي هو ثمرة الحزن، فقيل إنه عمي، وقيل إنه كان يدرك إدراكًا ضعيفًا، ورُوِيَ عن النبي ﷺ أن يعقوب حزن حزن سبعين ثكلى وأُعطِيَ أَجر مَائة شهيد، وما ساء ظنه بالله قطّ ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ قيل إنه فعيل بمعنى فاعل أي كاظم لحزنه لا يُظهِره لأحد، ولا يشكو إلاّ لله وقيل بمعنى مفعول كقوله: ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي مملوء القلب بالحزن، أو بالغيظ على أولاده، وقيل الكظيم: الشديد الحزن ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا﴾ أي لا تفتؤ، والمعنى لا تزال، وحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات:

تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠

لأنه لو كان إثباتًا لكان مؤكدًا باللام والنون **﴿حَرَضًا﴾** أي مشرفًا على الهلاك **﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلى اللَّهِ﴾** ردّ عليهم في تفنيدهم له: أي إنما أشكو إلى الله لا إليكم ولا إلى غيركم، والبثّ: أشدّ الحزن **﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾** أي أعلم من لطفه ورأفته ورحمته ما يوجب حُسْن ظنّي به وقوة رجائي فيه.

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا﴾ يعني إلى الأرض التي تركتم بها أخويكم **﴿فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وأَخِيهِ﴾** أي تعرّفوا خبرهما، والتحسّس طلب الشيء بالحواسّ السمع والبصر، وإنما لم يذكر الولد الثالث، لأنه بقي هناك اختيارًا منه، ولأن يوسف وأخاه كانا أحبّ إليه **﴿وَلاَ تَيأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾** أي من رحمة الله **﴿إِنَّهُ لاَ يَيأَسُ من رَّوْحِ اللَّهِ إلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرونَ﴾** إنما جعل اليأس من صفة الكافر، لأن سببه تكذيب الربوبية أو جهلاً بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته **﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾** أي على يوسف وقيل هذا محذوف تقديره فرجعوا إلى مصر **﴿الضُّرُّ﴾** يريدون به المجاعة أو الهمّ على إخوتهم **﴿بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾** يعنون الدراهم التي جاؤوا بها لشراء الطعام، والمزجاة القليلة، وقيل الرديئة، وقيل الناقصة، وقيل إن بضاعتهم كانت عروضًا فلذلك قالوا هذا **﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾** قيل يعنون بما بين الدراهم الجياد ودراهمهم، وقيل أوفِ لنا الكيل الذي هو حقنا وزدنا على حقنا، وسمّوا الزيادة صدقة، ويقتضي هذا أن الصدقة كانت حلالاً للأنبياء قبل محمد ﷺ وقيل تصدّق علينا بردّ أخينا إلينا **﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾** قال النقّاش: هو من المعاريض وذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه كافر، لأنهم لم يعرفوه، فظنّوا أنه على دين أهل مصر، فلو قالوا إن الله يجزيك بصدقتك كذبوا، فقالوا لفظًا يوهم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه **﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾** لما شكوا إليه رقّ لهم وعرّفهم بنفسه، وَرُوِيَ أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لِثام، ثم أزال اللِّثام ليعرفوه، وأراد بقوله ما فعلتم بيوسف وأخيه: التفريق بينهما في الصغر، ومضرّتهم ليوسف وإذايتهم أخيه من بعده، فإنهم كانوا يذلّونه ويشتمونه **﴿إِذْ أَنْتُم**

يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ

﴿جَاهِلُونَ﴾ اعتذار عنهم، فيحتمل أن يريد الجهل بقبح ما فعلوه أو جهل الشباب **﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ﴾** قرىء بالاستفهام والخبر، فالخبر على أنهم عرفوه؛ والاستفهام على أنهم توهّموا أنه هو ولم يحققوه **﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾** قيل إنه أراد مَن يتّقِ في ترك المعصية، ويصبر على السجن، واللفظ أعمّ من ذلك **﴿آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾** أي فضّلك **﴿لَخَاطِئِينَ﴾** أي عاصين، وفي كلامهم استعطاف واعتراف **﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾** عفو جميل، والتثريب التعنيف والعقوبة، وقوله اليوم راجع إلى ما قبله فيوقف عليه، وهو يتعلق بالتثريب أو بالمقدّر في عليكم من معنى الاستقرار؛ وقيل إنه يتعلق بيغفر، وهذا بعيد لأنه تحكّم على الله؛ وإنما يغفر دعاء، فكأنه أسقط حق نفسه بقوله لا تثريب عليكم اليوم، ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه **﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾** رُوِيَ أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أُخرِجَ من النار، وكان من ثياب الجنة، ثم صار لإسحاق، ثم ليعقوب، ثم دفعه يعقوب ليوسف، وهذا يحتاج إلى سند يوثق به، والظاهر أنه كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كل أحد **﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾** الظاهر أنه علم ذلك بوحي من الله **﴿فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾** أي خرجت من مصر متوجّهة إلى يعقوب **﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾** كان يعقوب ببيت المقدس ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة **﴿لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾** أي تلومونني أو تردّون عليّ قولي، وقيل معناه تقولون ذهب عقلك لأن الفند هو الخرف **﴿فِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ﴾** أي ذهابك عن الصواب بإفراط محبتك في يوسف قديمًا **﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾** رُوِيَ أن البشير يهوذا لأنه كان جاء بقميص الدم فقال لإخوته: إني ذهبت إليه بقميص القرحة فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة **﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾** وعدهم بالاستغفار لهم، فقيل

وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ

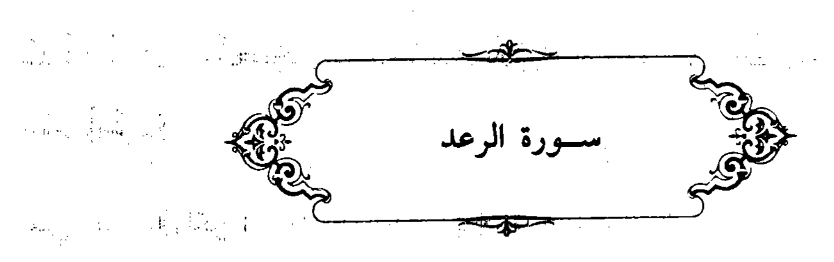
سوّفهم إلى السحر لأن الدعاء يستجاب فيه، وقيل إلى ليلة الجمعة **﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾** هنا محذوفات يدلّ عليها الكلام، وهي فرحل يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف **﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾** أي ضمّهما، وأراد بالأبوين أباه وأُمّه، وقيل أباه وخالته لأن أمه كانت قد ماتت، وسمّى الخالة على هذا أُمًّا **﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾** راجع إلى الأمن الذي في قوله آمنين **﴿رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾** أي على سرير الملك **﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾** كان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة **﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾** يعني حين رأى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له، وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عامًا، وقيل أربعون **﴿أَحْسَنَ بِيَ﴾** يقال أحسن إليه وبه **﴿أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾** إنما لم يقل أخرجني من الجبّ لوجهين: أحدهما أن في ذكر الجبّ خزي لإخوته وتعريفهم بما فعلوه فترك ذكره توقيرًا لهم والآخر أنه خرج من الجبّ إلى الرقّ، ومن السجن إلى الملك، فالنعمة به أكثر **﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾** أي من البادية وكانوا أصحاب إبل وغنم فعدّ من النِّعَم مجيئهم للحاضرة **﴿نَّزَغَ الشَّيْطَانُ﴾** أي أفسد وأغوى **﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾** أي لطيف التدبير لما يشاء من الأمور **﴿مِنَ الْمُلْكِ﴾** من للتبعيض، لأنه لم يعطه إلاّ بعض ملك الدنيا بل بعض ملك مصر **﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾** لمّا عدّد النِّعَم التي أنعم الله بها عليه اشتاق إلى لقاء ربّه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم، فدعا بالموت وقيل ليس ذلك دعاء بالموت، وإنما دعا أن الله يتم عليه النِّعَم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجَلَه **﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾** احتجاج على صحّة نبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بإخباره بالغيوب **﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾** الخطاب للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم تأكيدًا لحجّته والضمير لإخوة يوسف **﴿إِذْ أَجْمَعُوا﴾** أي عزموا **﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾** يعني فعلهم بيوسف **﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾** عموم لأن الكفّار أكثر من المؤمنين وقيل أراد أهل مكة **﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾** اعتراض أي لا يؤمنون ولو حرصت

حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ

على إيمانهم ﴿**وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**﴾ أي لست تسألهم أجرًا على الإيمان فيثقل عليهم بسبب ذلك وهكذا معناه حيث وقع ﴿**وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ**﴾ يعني المخلوقات والحوادث الدالّة على الله سبحانه ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ نزلت في كفّار العرب الّذين يقرّون بالله ويعبدون معه غيره، وقيل في أهل الكتاب لقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ﴿**غَاشِيَةٌ**﴾ هي ما يغشى ويعمّ ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي**﴾ إشارة إلى شريعة الإسلام ﴿**أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ**﴾ أي أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بصيرة من أمري وحجّة واضحة ﴿**أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ أنا تأكيد للضمير في أدعو، ومَن اتبعني معطوف عليه وعلى بصيرة في موضع الحال وقيل أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبره فعلى هذا يوقف على قوله أدعو إلى الله، وهذا ضعيف ﴿**وسُبْحَانَ اللَّهِ**﴾ تقديره وأقول سبحان الله ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاّ رِجَالاً**﴾ ردّ على مَن أنكر أن يكون النبي من البشر، وقيل فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولاً من النساء ﴿**مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى**﴾ أي من أهل المدن لا من أهل البوادي، فإن الله لم يبعث رسولاً من أهل البادية لجفائهم ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ**﴾ متصل بالمعنى بقوله وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً إلى قوله عاقبة الذين من قبلهم، ويأسهم: يحتمل أن يكون من إيمان قومهم أو من النصر، والأول أحسن ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا**﴾ قرىء بتشديد الذال وتخفيفها، فأما التشديد فالضمير في ظنوا وكذبوا للرسل، والظن يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين: أي علم الرسل أن قومهم قد كذّبوهم فيئسوا من إيمانهم، وأما التخفيف، فالضميران فيه للقوم المرسل إليهم أي ظنوا أن الرُّسُل قد كذبوهم فيما ادّعوه من الرسالة، أو من النصرة عليهم ﴿**فِي قَصَصِهِمْ**﴾ الضمير للرسل على الإطلاق أو ليوسف وإخوته ﴿**مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى**﴾

حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

يعني القرآن ﴿وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدّم معناه في البقرة.



سورة الرعد

مدنية وآياتها ٤٣ نزلت بعد سورة محمد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ**﴾ أي آيات هذه السورة ويحتمل أن يريد آيات الكتب على الإطلاق ويحتمل أن يريد القرآن على الإطلاق وهذا بعيد لتكرار القرآن بعد ذلك ﴿**وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ**﴾ يعني القرآن وإعرابه مبتدأ وخبره الحق ﴿**بِغَيْرِ عَمَدٍ**﴾ أي بغير شيء تقف عليه إلاّ قدرة الله ﴿**تَرَوْنَهَا**﴾ قيل الضمير للسمٰوات وترونها على هذا في موضع الحال أو استئنافًا وقيل الضمير للعمد أي ليس لها عمد مرئية فيقتضي المفهوم من أن لها عمدًا لا ترى وقيل إن عمدها جبل قاف المحيط بالدنيا، وقال الجمهور لا عمد لها البتّة فالمراد نفي العمد ونفي رؤيتها ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ ثم هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب وقوع الأمر، فإن العرش كان قبل خلق السمٰوات، وتقدّم الكلام على الاستواء في الأعراف ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ**﴾ يعني أمر الملكوت ﴿**يُفَصِّلُ الآيَاتِ**﴾ يعني آيات كتبه ﴿**مَدَّ الأَرْضَ**﴾ يقتضي أنها بسيطة لا مكوّرة، وهو ظاهر الشريعة، وقد يترتب لفظ البسط والمدّ مع التكوير لأن كل قطعة من

يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

الأرض ممدودة على حدّتها، وإنما التكوير لجملة الأرض ﴿**رَوَاسِيَ**﴾ يعني الجبال الثابتة ﴿**زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**﴾ يعني صنفين من الثمر: كالأسود والأبيض، والحلو والحامض، فإن قيل: تقتضي الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين، وقد خلق من كثير من الثمرات أصناف كثيرة، والجواب: أن ذلك زيادة في الاعتبار وأعظم في الدلالة على القدرة، فذكر الاثنين، لأن دلالة غيرهما من باب أولى، وقيل إن الكلام تمّ في قوله من كل الثمرات ثم ابتدأ بقوله جعل فيها زوجين يعني الذَّكر والأنثى والأول أحسن ﴿**يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ**﴾ أي يلبسه إياه فيصير له كالغشاء، وذلك تشبيه ﴿**قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ**﴾ يعني قطع متلاصقة ومع تلاصقها، فإن أرضها تتنوّع إلى طيب ورديء وصلب ورخو، وغير ذلك، وكل ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر ﴿**صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ**﴾ الصنوان هي النخلات الكثيرة ويكون أصلها واحد وغير الصنوان المفترق فردًا فردًا، وواحد الصنوان صنو ﴿**يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ**﴾ حجة وبرهان على أنه تعالى قدير ومريد لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء الذي تُسقى به: دليل على القدرة والإرادة، وفي ذلك ردّ على القائلين بالطبيعة ﴿**وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ**﴾ أي إن تعجب يا محمد فإن إنكارهم للبعث حقيق أن يتعجب منه، فإن الذي قدر على إنشاء ما ذكرنا من السمٰوات والأرض والثمار قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم ﴿**أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ هذا هو قول الكفّار المنكرين للبعث، واختلف القرّاء في هذا الموضع وفي سائر المواضع التي فيها استفهامان، وهي أحد عشر موضعًا، أولها هذا، وفي الإسراء موضعان، وفي المؤمنين موضع، وفي النمل موضع، وفي العنكبوت موضع، وفي الم السجدة، وفي الصّافّات موضعان، وفي الواقعة موضع، وفي النازعات موضع، فمنهم مَن قرأ بالاستفهام في الأول والثاني ومنهم مَن قرأ بالاستفهام في الأول فقط وهو نافع ومنهم مَن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط، وأصل الاستفهام في المعنى، وإنما هو عن الثاني في مثل هذا الموضع، فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقًا جديدًا ولم ينكروا أن يكونوا

كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٦ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٞ

ترابًا، فمَن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط فهو على الأصل ومَن قرأ بالاستفهام في الأول، فالقصد بالاستفهام الثاني، ومَن قرأ بالاستفهام فيهما فذلك للتأكيد ﴿**وَأُولَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ**﴾ يحتمل أن يريد الأغلال في الآخرة فيكون حقيقة أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان كقولك إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً، فيكون مجازًا يجري مجرى الطبع والختم على القلوب ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ**﴾ أي بالنقمة قبل العافية، والمعنى أنهم طلبوا العذاب على وجه الاستخفاف ﴿**وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ**﴾ جمع مَثُلة على وزن ثمرة وهي العقوبة العظيمة التي تجعل الإنسان مثلاً، والمعنى كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوبات الأمم الذين كانوا قبلهم أفلا يخافون مثل ذلك ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ**﴾ يريد ستره وإمهاله في الدنيا للكفّار والعصاة، وقيل يريد مغفرته لمَن تاب، والأول أظهر هنا ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ الآية: اقترحوا نزول آية على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من نزول مَلَك معه أو شبه ذلك، ولم يعتبروا بالقرآن ولا بغيره من الآيات العظام التي جاء بها، وذلك منهم معاندة ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ**﴾ أي إنما عليك إنذارهم، وليس عليك أن تأتيهم بآية إنما ذلك إلى الله ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها أن يراد بالهادي الله تعالى، فالمعنى إنما عليك الإنذار والله هو الهادي لمَن يشاء إذا شاء، والوجه الثاني أن يريد بالهادي النبي ﷺ، فالمعنى إنما أنت نبيّ منذر، ولكل قوم هادٍ من الأنبياء ينذرهم فليس أمرك ببدع ولا مستنكر. الثالث رُوِيَ أنها لمّا نزلت قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذر وأنت يا عليّ الهادي».

﴿**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى**﴾ كقوله يعلم ما في الأرحام، وهي من الخمس التي لا يعلمها إلاّ الله، ويعني يعلم هل هو ذكر أو أُنثى أو تامّ أو خداج أو حسن أو قبيح، أو غير ذلك ﴿**وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ**﴾ معنى تغيض تنقص، ومعنى تزداد من الزيادة، وقيل إن الإشارة بدم الحيض فإنه يقلّ ويكبر وقيل للولد فالغيض السقط، أو الولادة لأقل من

مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ

تسعة أشهر، والزيادة إبقاؤه أكثر من تسعة أشهر، ويحتمل أن تكون ما في قوله ما تحمل وما تغيض وما تزداد: موصولة أو مصدرية ﴿**سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ**﴾ المعنى إن الله يسمع كل شيء فالجهر والإسرار عنده سواء وفي هذا وما بعده تقسيم، وهو من أدوات البيان، فإنه ذكر أربعة أقسام، وفيه أيضًا مطابقة ﴿**وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ**﴾ المعنى سواء عند الله المستخفي بالليل وهو في غاية الاختفاء مع السارب بالنهار وهو في غاية الظهور ومعنى السارب المتصرّف في سربه بالفتح: أي في طريقه ووجهه، والسارب والمستخفي اثنان قصد التسوية بينهما في اطّلاع الله عليهما مع تباين حالهما، وقيل إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار: صفتان لموصوف واحد يستخفي بالليل ويظهر بالنهار، ويعضد هذا كونه قال وسارب، فعطفه عطف الصفات ولم يقل ومَن هو سارب بتكرار من كما قال، مَن أسرّ القول ومَن جهر به، إلاّ أن جعلهما اثنين أرجح ليقابل من أسرّ القول ومَن جهر به، فيكمل التقسيم إلى أربعة على هذا، ويكون قوله وسارب عطف على الجملة وهو قوله ومن هو مستخفٍ لا على مستخفٍ وحده ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ**﴾ المعقبات هنا جماعة الملائكة، وسمّيت معقّبات لأن بعضهم يعقب بعضًا، والضمير في له يعود على من المتقدّمة، كأنه قال لمَن أسرّ ومَن جهر، ولمَن استخفى ومَن ظهر له معقّبات، وقيل يعود على الله وهو قول ضعيف لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق ﴿**يَحْفَظُونَهُ**﴾ صفة للمعقّبات، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به حفظ أعماله أو حفظه وحراسته من الآفات ﴿**مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ صفة للمعقّبات أي معقّبات من أجل أمر الله أي أمرهم بحفظه، وقرىء بأمر الله، وهذه القراءة تعضد ذلك، ولا يتعلق من أمر الله على هذا ليحفظونه، وقيل يتعلّق به على أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ**﴾ من العافية والنِّعَم ﴿**حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ بالمعاصي فيقتضي ذلك أن الله لا يسلب النِّعَم ولا يترك النقم إلاّ بالذنوب ﴿**يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾ الخوف يكون مع البرق من الصواعق والأمور الهائلة، والطمع في المطر الذي يكون معه ﴿**السَّحَابَ الثِّقَالَ**﴾ وصفها بالثقل، لأنها تحمل الماء ﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ**﴾ الرعد اسم ملك وصوته المسموع

ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟

تسبيح، وقد جاء في الأثر أن صوته زجر للسحاب، فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك **﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾** قيل إنه إشارة إلى الصاعقة التي نزلت على أربد الكافر وقتلته حين همّ بقتل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هو وأخوه عامر بن الطفيل واللفظ أعمّ من ذلك **﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾** يعني الكفّار، والواو للاستئناف أو للحال **﴿شَدِيدُ الْمُحَالِ﴾** أي شديد القوّة، والمُحال مشتق من الحيلة، فالميم زائدة، ووزنه مفعل، وقيل معناه شديد المكر من قولك: محل بالرجل إذا مكر به، فالميم على هذا أصلية ووزنه فعال وتأويل المكر على هذا القول كتأويله في المواضع التي وردت في القرآن **﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾** قيل هي لا إله إلاّ الله، والمعنى أن دعوة العباد بالحق لله ودعوتهم بالباطل لغيره **﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾** يعني بالذين: ما عبدوا من دون الله من الأصنام وغيرها، والضمير في يدعون للكفّار، والمعنى أن المعبودين لا يستجيبون لمَن عبدهم **﴿إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾** شبّه إجابة الأصنام لمَن عبدهم بإجابة الماء لمَن بسط إليه كفّيه وأشار إليه بالإقبال إلى فِيه ولا يبلغ فمه على هذا أبدًا لأن الماء جماد لا يعقل المراد، فكذلك الأصنام، والضمير في قوله وما هو للماء، وفي ببالغه للفم **﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾** مَن لا تقع إلاّ على مَن يعقل فهي هنا يراد بها الملائكة والإنس والجنّ فإذا جعلنا السجود بمعنى الانقياد لأمر الله وقضائه فهو عامّ في الجميع: مَن شاء منهم ومن أبىء ويكون طوعًا لِمَن أسلم وكرهًا لمَن كره وسخط، وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد، فيكون لسجود الملائكة والمؤمنين من الإنس والجنّ طوعًا، وأما الكره فهو سجود المنافق وسجود ظلّ الكافر **﴿وَظِلالُهُم﴾** معطوف على من والمعنى أن الظلال تسجد غدوة وعشية وسجودها انقيادها للتصرّف بمشيئة الله سبحانه وتعالى **﴿قُلِ اللَّهُ﴾** جواب عن السؤال المتقدّم، وهو من ربّ السمٰوات والأرض، وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة، لأنه أمر واضح لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه، ولذلك أقام به الحجة على المشركين بقوله: **﴿أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ﴾** **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾**

كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ

الأعمى تمثيل للكافر والبصير تمثيل للمؤمن ﴿**الظُّلُمَات**﴾ الكفر ﴿**وَالنُّورُ**﴾ الإيمان، وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل ﴿**أَم جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِم**﴾ أم هنا بمعنى بل والهمزة، وخلقوا صفة لشركاء، والمعنى أن الله وقفهم هل خلق شركاؤهم خلقًا كخلق الله فحملهم ذلك واشتباهه بما خلق الله على أن جعلوا إلهًا غير الله، ثم أبطل ذلك بقوله: ﴿**قُلِ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ فحصل الردّ عليهم ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**﴾ الآية: هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه، فمثّل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية، وينتفع به أهل الأرض، وبالذهب والفضة والحديد والصفر وغيرها من المعادن التي ينتفع بها الناس، وشبّه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بالزبد الذي يرى به السيل ويريد تلك المعادن التي يطفو فوقها إذا أُذيبت، وليس في الزبد منفعة، وليس له دوام ﴿**بِقَدَرِهَا**﴾ يحتمل أن يريد ما قدر لها من الماء، ويحتمل أن يريد بقدر ما تحتمله على قدر صغرها وكبرها ﴿**زَبَدًا رَّابِيًا**﴾ الزبد ما يحمله السيل من غثاء ونحوه والرابي المنتفخ الذي ربي ومنه الربوة ﴿**وَمِمَّا يُوقِدُونَ**﴾ المجرور في موضع خبر المقدّم، والمبتدأ زبد مثله: أي ينشأ من الأشياء التي يوقد عليها زبد مثل زبد السيل ﴿**ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ**﴾ الذي يوقد عليه ابتغاء الحليّ: هو الذهب والفضة، والذي يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والرصاص والنحاس والصفر وشبّه ذلك، والمتاع ما يستمتع الناس به في مرافقهم وحوائجهم ﴿**يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ**﴾ أي يضرب أمثال الحق والباطل ﴿**جُفَاءً**﴾ يجفاه السيل أي يرمي به ﴿**وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾ يريد الخالص من الماء ومن تلك الأحجار ﴿**لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى**﴾ الذين استجابوا هم المؤمنون، وهذا استئناف كلام، والحسنى الجنة، وإعرابها مبتدأ وخبرها للذين استجابوا، وللذين استجابوا مبتدأ وخبره لو أن لهم ما في الأرض الآية فيوقف على الأمثال، وعلى الحسنى، وقيل للذين استجابوا يتعلق بيضرب، والحسنى مصدر من معنى استجابوا: أي استجابوا الاستجابة الحسنى، والذين لم يستجيبوا معطوف على الذين استجابوا، والمعنى: يضرب الله الأمثال للطائفتين، وعلى هذا إنما يوقف على والذين لم يستجيبوا له ﴿**سُوءُ الْحِسَابِ**﴾

جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ

أي المناقشة والاستقصاء ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾ تقرير. والمعنى أسواء مَن آمن ومَن لم يؤمن، والأعمى هنا مَن لم يؤمن بالنبي ﷺ وقيل إنها نزلت في حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه، وأبي جهل لعنه الله ﴿يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ القرابات وغيرها ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قيل يدفعون الشرك بقول لا إله إلاّ الله، وقيل يدفعون مَن أساء إليهم بالتي هي أحسن، والأظهر يفعلون الحسنات يدرؤون بها السيئات كقوله إن الحسنات يُذهبن السيئات، وقيل إن هذه الآية نزلت في الأنصار، ثم هي عامّة في كل مؤمن اتّصف بهذه الصفات ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ يعني الجنة، ويحتمل أن يريد بالدار: الآخرة وأضاف العقبى إليها لأنها فيها، ويحتمل أن يريد بالدار الدنيا، وأضاف العقبى إليها لأنها عاقبتها ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من عقبى الدار أو خبر ابتداء مضمر تفسير العقبى الدار ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ أي مَن كان صالحًا ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ أي يقولون لهم سلام عليكم ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ يتعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم ويجوز أن يتعلق بسلام أي ليسلم عليكم بما صبرتم ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية أوصاف مضافة كما تقدّم وقيل إنها في الخوارج، والأظهر أنها في الكفّار ﴿سُوءَ الدَّارِ﴾ يحتمل أن يراد بها الدنيا والآخرة ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يوسع على مَن يشاء ويضيق على مَن يشاء وهذا تفسيره حيث وقع ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إخبار في ضمنه ذمّ وتسفيه لمَن فرح بالدنيا لذلك حقّرها بقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾، أي قليل بالنظر إلى الآخرة ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ خرج به مخرج التعجّب منهم لما طلبوا آية أي قد جاءكم محمد ﷺ بالقرآن وآيات كثيرة فعميتم

ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ

عنها، وطلبتم غيرها وتماديتم على الكفر لأنّ الله يضلّ مَن يشاء مع ظهور الآيات وقد يهدي مَن يشاء دون ذلك **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾** بدل من **﴿مَنْ أَنَابَ﴾**، أو خبر ابتداء مضمر والذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل ثانٍ، أو مبتدأ **﴿طُوبَى﴾** مصدر من طاب كبشرى ومعناها أصابت خيرًا وطيبًا، وقيل هي شجرة في الجنة، وإعرابها مبتدأ **﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾** الكاف تتعلق بالمعنى الذي في قوله يضلّ مَن يشاء ويهدي من يشاء **﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾** قيل إنها نزلت في أبي جهل وقيل نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية، فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال قائلهم نحن لا نعرف الرحمن، وهذا ضعيف، لأن الآية نزلت قبل ذلك ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط، ومعنى الآية أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم **﴿مَتَابِ﴾** مفعل من التوبة وهو اسم مصدر **﴿وَلَوْ أَن قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾** الآية: جواب لو محذوف تقديره لو أن قرآنًا على هذه الصفة من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض وتكليم الموتى لم يؤمنوا به، فالمعنى كقوله لا يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية، وقيل تقديره: ولو أن قرآنًا على هذه الصفة لكان هذا القرآن الذي هو غاية في التذكير ونهاية في الإنذار كقوله: **﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْته خَاشِعًا مُتصدّعًا﴾**، وقيل هو متعلق بما قبله والمعنى، وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنًا سُيِّرت به الجبال **﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ﴾** معناه أفلم يعلم وهي لغة هوازن **﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** يعني كفّار قريش **﴿قَارِعَةٌ﴾** يعني مصيبة في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، أو غزوات المسلمين اليهم **﴿أَوْ تَحُلُّ﴾** الفاعل ضمير القارعة. والمعنى إمّا أن تصيبهم، وإما أن تقرب منهم، وقيل التاء للخطاب، والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي ﷺ، والأول أظهر **﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾** هو فتح مكة، وقيل تمام الساعة **﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ﴾** الآية

لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم

مقصدها تأنيس وتسلية النبي ﷺ وهكذا حيث وقع **﴿فَأَمْلَيْتُ﴾** أي أمهلتهم **﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾** هو الله تعالى أي حفيظ رقيب على عمل كل أحد، والخبر محذوف تقديره: أفَمَن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحقّ أن يعبد أم غيره، ويدلّ على ذلك قوله أم جعلوا لله شركاء **﴿قُلْ سَمُّوهُم﴾** أي اذكروا أسماءهم **﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ﴾** المعنى أن الله لا يعلم لنفسه شركاء وإذا لم يعلمهم هو فليسوا بشيء، فكيف تفترون الكذب في عبادتهم، وتعبدون الباطل، وذلك كقولك: قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف فهو كالعدم **﴿أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾** المعنى أتسمّونهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله إن هي إلاّ أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم **﴿لَهُم عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** يعني بالقتل والأسر والخوف وغير ذلك.

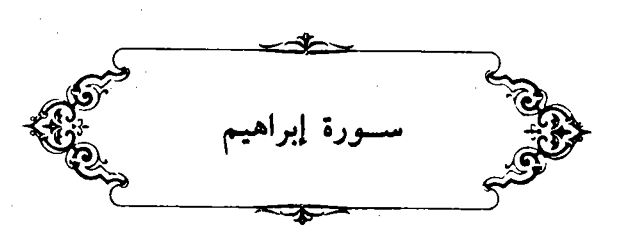
﴿مَثَلُ الجَنَّةِ﴾ هنا وفي القتال صفتها وليس بضرب مثل لها والخبر عند سيبويه محذوف مقدّم تقديره فيما يتلى عليكم صفة الجنة، وقال الفرّاء الخبر مؤخر وهو تجري من تحتها الأنهار **﴿أُكُلُها دَائِمٌ﴾** يعني ما يؤكل فيها من الثمرات وغيرها والأكل بضم الهمزة المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها، والأكل بفتح الهمزة المصدر **﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾** يعني مَن أسلم من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام والنجاشي وأصحابه وقيل يعني المؤمنين والكتاب على هذا القرآن **﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ﴾** قيل هم بنو أميّة، وبنو المغيرة من قريش والأظهر أنها في سائر كفّار العرب، وقيل هم اليهود والنصارى لأنهم لا ينكروا القصاص والأشياء التي في كتبهم، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو حرّفوه **﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾** وجه اتصاله بما قبله أنه جواب المنكرين، وردّ عليهم كأنه قال إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده فكيف تنكرون هذا **﴿مَآبِ﴾** مفعل من

بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴿٣٨﴾ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ

الأوب وهو الرجوع، أي مرجعي في الآخرة أو مرجعي بالتوبة **﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾** ردّ على مَن أنكر أن يكون الرسول من البشر أو يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من النساء والذرّيّة، فالمعنى لست ببدع في ذلك، بل أنت كمَن تقدّم من الرسل **﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** ردّ على الذين اقترحوا الآيات **﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾** قال الفرّاء لكل كتاب أجل بالعكس وهذا لا يلزم بل المعنى صحيح من غير عكس أي لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ **﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾** قيل يعني ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام، ويثبت منها ما يشاء، وقيل هي في آجال بني آدم، وذلك أن الله تعالى قدّر في ليلة القدر وقيل في ليلة النصف من شعبان بكتب أجل مَن يموت في ذلك العام فيمحوه من ديوان الأحياء، ويثبت مَن لا يَموت في ذلك العام، وقيل إن المحو والإثبات على العموم في جميع الأشياء، وهذا تردّه القاعدة المتقرّرة أن القضاء لا يبدل، وأن علم الله لا يتغيّر، فقال بعضهم المحو والإثبات في كل شيء إلاّ في السعادة والشقاوة الأُخروية، والآجال **﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾** أصل كل كتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها **﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾** إن شرط دخلت عليها ما المؤكدة وجوابها، فإنما، **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِن أَطْرَافِهَا﴾** الإتيان هنا بالمقدرة والأمر، والأرض أرض الكفّار ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين منها والمعنى أو لم يروا ذلك فيخافوا أن نمكّنك منهم، وقيل الأرض جنس، ونقصها بموت الناس، وهلاك الثمرات وخراب البلاد وشبه ذلك **﴿لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾** المعقّب الذي يكرّ على الشيء فيبطله **﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾** تسمية للعقوبة باسم الذنب **﴿وَسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ﴾** تهديد، والمراد بالكافر الجنس بدليل قراءة الكفّار بالجمع، وعقبى الدار الدنيا والآخرة **﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾** أمره الله أن يستشهد الله على صحة نبوّته وشهادة الله له هي علمه بذلك وإظهاره

بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

الآيات الدّالّة على ذلك ﴿**وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾ معطوف على اسم الله على وجه الاستشهاد به، وقيل المراد عبد الله بن سلام ومَن أسلم من اليهود والنصارى الذين يعلمون صفته ﷺ من التوراة والإنجيل، وقيل المراد المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن ودلالته على النبوّة، وقيل المراد الله تعالى فهو الذي عنده علم الكتاب، ويضعف هذا، لأنه عطف صفة على موصوف، ويقوّيه قراءة وَمِن عنده بمن الجارّة وخفض عنده.



سورة إبراهيم

مكية إلا آيتي ٢٨ و٢٩ فمدنيتان
وآياتها ٥٢ نزلت بعد سورة نوح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿**لِتُخْرِجَ النَاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والظلمات الكفر والجهل، والنور الإيمان والعلم ﴿**بِإِذْنِ رَبِّهِمْ**﴾ أي بأمره وهو إرساله ﴿**إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ بدل من إلى النور ﴿**اللَّهِ**﴾ قرىء بالرفع وهو مبتدأ أو خبر مبتدأ مضمر، وبالخفض بدل ﴿**يَسْتَحِبُّونَ**﴾ أي يؤثرون ﴿**وَيَبْغُونَهَا**﴾ قد ذكر ﴿**بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾ أي بلغتهم وكلامهم ﴿**أَنْ أَخْرِج**﴾ أن مفسّرة أو مصدرية على تقدير بأن ﴿**وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ**﴾ أي عقوباته للأمم المتقدمة، وقيل إنعامه على بني إسرائيل، واللفظ يعمّ النّعَم والنقَم، وعبّر عنها بالأيام لأنها كانت في أيام، وفي ذلك تعظيم لها كقولهم يوم كذا ويوم كذا ﴿**وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ**﴾ ذكر هنا بالواو، ليدلّ على أن سوء العذاب غير الذبح أو أعمّ من ذلك ثم جرّ الذبح كقوله وملائكته وجبريل وميكال ذكر في البقرة بغير واو تفسير للعذاب ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ**﴾ من كلام موسى، وتأذن بمعنى أذن أي أعلم كقولك توعّد وأوعد وإعلام الله مقترن بإنفاذ ما أعلم به

عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُم﴾ هذا معمول تأذن لأنه يتضمن معنى قال، ويحتمل أن تكون الزيادة من خير الدنيا أو من الثواب في الآخرة أو منهما **﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾** يحتمل أن يريد كفر النِّعَم أو الكفر بالإيمان والأول أرجح لمقابلته بالكشر **﴿لاَ يَعْلَمُهُمْ إلاَّ اللَّهُ﴾** عبارة عن كثرتهم كقوله، وقرونًا بين ذلك كثيرًا **﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾** فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن الضمائر لقوم الرسل، والمعنى أنهم ردّوا أيديهم في أفواه أنفسهم غيظًا من الرُّسُل كقوله: ﴿عضوا عَلَيكم الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، أو استهزاءً وضحكًا: كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه، والثاني أن الضمائر لهم، والمعنى أنهم ردّوا أيديهم في أفواه أنفسهم إشارة على الأنبياء بالسكوت، والثالث أنهم ردّوا أيديهم في أفواه الأنبياء تسكيتًا لهم، وردًّا لقولهم **﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾** المعنى أفي وجود الله شك أو أفي إلهيّته شك، وقيل في وحدانيته، والهمزة للتقرير والتوبيخ لأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلّة، ولذلك وصفه بعد بقوله: **﴿فَاطِرِ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** **﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾** قيل إن من زائدة، ومنع سيبويه زيادتها في الواجب وهي عنده للتبعيض، ومعناه أن يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدّم من ذنبه قبل الإسلام، ويبقى ما يذنب بعده في المشيئة فوقعت المغفرة في التبعض ولم يأتِ في

وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ

القرآن غفران بعض الذنوب إلاّ للكافر كهذا الموضع، والذي في الأحقاف وسورة نوح وجاء للمؤمنين بغير من كالذي في الصف ﴿**وَيُؤَخِّرَكُم إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ قال الزمخشري وأهل مذهبه من المعتزلة: معناه يؤخركم إن آمنتم إلى آجالكم، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت، وهذا بناء على قولهم بالأجلين، وأهل السُّنّة يأبون هذا، فإن الأجل عندهم واحد محتوم، ﴿**قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا**﴾ يحتمل أن يكون قولهم استبعادًا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوّة أو يكون إحالة لنبوّة البشر، والأول أظهر لطلبهم البرهان في قولهم فأتونا بسلطان مبين ولقول الرّسل، ولكن الله يمنّ على مَن يشاء من عباده أي بالتفضيل بالنبوّة ﴿**وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ**﴾ والمعنى أيّ شيء يمنعنا من التوكّل على الله ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُون**﴾ إن قيل لِمَ كَرّر الأمر؟ فالجواب عندي أن قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون راجع إلى ما تقدّم من طلب الكفّار بسلطان مبين أي حجة ظاهرة، فتوكّل الرُسُل في ورودها على الله، وأما قوله: ﴿**فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾: فهو راجع إلى قولهم: ﴿**وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا**﴾ أي نتوكّل على الله في دفع أذاكم وقال الزمخشري إن هذا الثاني في معنى الثبوت، على التوكّل ﴿**أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ أو هنا بمعنى إلا أن، أو على أصلها، لوقوع أحد الشيئين، والعود هنا بمعنى الصيرورة، وهو كثير في كلام العرب ولا يقتضي أن الرسل، كانوا في ملّة الكفّار قبل ذلك ﴿**خَافَ مَقَامِي**﴾ فيه ثلاثة أوجه هنا وفي ولمن خاف مقام ربّه في الرحمن فالأول أن معناه مقام الحساب في القيامة والثاني: أن معناه قيام الله على عباده بأعمالهم والثالث أن معناه خافني وخاف ربّه، على إقحام المقام أو على التعبير به عن الذات ﴿**واسْتَفْتَحُوا**﴾ الضمير للرُسل أي استنصروا بالله وأصله طلب الفتح وهو الحكم ﴿**جَبَّارٍ**﴾ أي قاهر أو متكبّر ﴿**عَنِيدٍ**﴾ مخالف للانقياد ﴿**مِن وَرَائِهِ**﴾ في

عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ

الموضعين والوراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان، وقيل معناه هنا أمامه وهو بعيد **﴿وَيُسْقَىٰ﴾** معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى، وإنما ذكر هذا السقي تجريدًا بعد ذكر جهنم، لأنه من أشدّ عذابها **﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾** أي يتكلّف جرعه وتصعب عليه إساغته ونفي كاد يقتضي وقوع الإساغة بعد جهد، ومعنى يسيغه يبتلعه **﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾** أي يجد الماء مثل ألم الموت وكربته من جميع الجهات **﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾** أي لا يُراح بالموت **﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** مذهب سيبويه والفرّاء فيه كقولهما في مثل الجنة التي في الرعد والقتال والخبر عند سيبويه محذوف تقديره فيما يتلى عليكم والخبر عند الفرّاء الجملة التي بعده، والمثل هنا بمعنى الشبيه **﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾** تشبيهًا بالرماد في ذهابها وتلاشيها **﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾** أي شديد الريح والعصوف في الحقيقة من صفة الريح **﴿لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ﴾** أي لا يرون له منفعة **﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾** أي ظهروا ومعنى الظهور هنا خروجهم من القبور، وقيل معناه صاروا بالبراز، وهي الأرض المتّسعة **﴿تَبَعًا﴾** جمع تابع أو مصدر وصف به مبالغة، أو على حذف مضاف **﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾** من الأولى للبيان، والثانية للتبعيض، ويجوز أن يكونا للتبعيض معًا قاله الزمخشري، والأظهر أن الأولى للبيان، والثانية زائدة والمعنى هل أنتم دافعون أو متحمّلون عنّا شيئًا من عذاب الله **﴿مَّحِيصٍ﴾** أي مهرب حيث وقع، ويحتمل أن يكون مصدرًا أو اسم مكان **﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾** يعني إبليس الأقدم، رُوِيَ أنه يقوم خطيبًا بهذا الكلام يوم القيامة أو في النار يقوله لأهلها **﴿لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾** إن كان كلام إبليس في القيامة بمعنى قضي الأمر تعين قوم للنار وقوم للجنة وإن كان في النار فمعنى قضي الأمر حصل

أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا

أهل النار في النار وأهل الجنّة في الجنّة **﴿إلاّ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾** استثناء منقطع **﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾** أي ما أنا بمغيثكم وما أنتم فمغيثين لي **﴿بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾** ما مصدرية: أي بإشراككم لي مع الله في الطاعة **﴿مِن قَبْلُ﴾** يتعلق بأشركتمون ويحتمل أن يتعلق بكفرتم، والأول أظهر وأرجح **﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾** استئناف من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون حكاية عن إبليس **﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾** يتعلق بأدخل أو بخالدين، والأول أحسن **﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾** ابن عباس وغيره هي لا إله إلاّ الله وقيل كل حسنة **﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾** هي النخلة في قول الجمهور، واختار ابن عطية أنها شجرة غير معينة إلاّ أنها كل ما اتصف بتلك الصفات **﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾** أي في الهواء، وذلك عبارة عن طولها **﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾** الحين في اللغة وقت غير محدود وقد تقترن به قرينة تحدّه، وقيل في كل حين كل سنة لأن النخلة تطعم في كل سنة، وقيل غير ذلك **﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾** هي كلمة الكفر، وقيل كل كلمة قبيحة **﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾** هي الحنظلة عند الجمهور، واختار ابن عطية أنها غير معينة **﴿اجْتُثَّتْ﴾** أي اقتلعت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة، وهذا في مقابلة قوله أصلها ثابت **﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾** هو لا إلهَ إلاّ الله، والإقرار بالنبوّة **﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** أي إذا فتنوا لم يزالوا **﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾** هو عند السؤال في القبر عند الجمهور **﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾** نعمة الله هنا هو محمد صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم ودينه: أنعم الله به على قريش فكفروا النعمة ولم يقبلوها، والتقدير بدّلوا شكر نعمة الله كفرًا **﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾** أي مَن أطاعهم واتّبعهم **﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾** فسّرها بقوله جهنم.

لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ

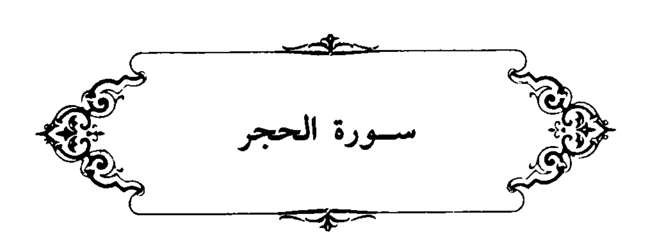
﴿**يُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُنْفِقُوا**﴾ هي جواب شرط فقد يتضمنه قوله قل تقديره إن تقل لهم أقيموا يقيموا، ومعمول القول على هذا محذوف، وقيل جزم بإضمار لام الأمر تقديره ليقيموا ﴿**وَلاَ خِلاَلٌ**﴾ من الخلّة وهي المودّة ﴿**إِنَّ الإِنْسَانَ**﴾ يريد الجنس ﴿**الْبَلَدَ آمِنًا**﴾ ذكر في البقرة ﴿**وَاجْنُبْنِي**﴾ أي امنعني، والماضي منه جنب، يقال جنب وجنب بالتشديد، وأجنب بمعنى واحد ﴿**وَبَنِيَّ**﴾ يعني بني من صلبي وفيهم أجيبت دعوته وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام ﴿**وَمَن عَصَانِي**﴾ يعني مَن عصاه بغير الكفر وبالكفر ثم تاب منه، فهو الذي يصحّ أن يُدعى له بالمغفرة ولكنه ذكر اللفظ بالعموم لما كان عليه السلام من الرحمة للخلق وحُسْن الخلق ﴿**أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي**﴾ يعني ابنه إسماعيل عليه السلام لما ولدته أُمّه هاجر غارت منها سارة زوجة إبراهيم فحمله مع أُمه من الشام إلى مكة ﴿**بِوَادٍ**﴾ يعني مكة، والوادي ما بين جبلين وإن لم يكن فيه ماء ﴿**عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾ يعني الكعبة فإما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم على ما جاء في بعض الروايات، وإما أن يكون إبراهيم قد علم أنه سيبني هناك بيتًا ﴿**لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ**﴾ اللام يحتمل أن تكون لام الأمر بمعنى الدعاء أو لام كي وتتعلق بأسكنت وجمع الضمير يدلّ على أنه قد كان علم أن ابنه يعقوب هناك نسلاً ﴿**تَهْوِي إِلَيْهِم**﴾ أي تسير بجدّ وإسراع ولهذه الدعوة حبّب الله حجّ البيت إلى الناس على أنّه قال من الناس بالتبغيض، قال بعضهم: لو قال أفئدة الناس لحجّته فارس والروم ﴿**وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ**﴾ أي ارزقهم في ذلك الوادي مع أنّه غير ذي زرع وأجاب الله دعوته فجعل مكة

يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ

يجبي إليها ثمرات كل شيء **﴿وَمَا يَخفَى عَلَى اللَّهِ﴾** الآية: يحتمل أن تكون من كلام الله تعالى، أو حكاية عن إبراهيم **﴿وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إسْمَاعِيلَ وإسْحَٰق﴾** رُوِيَ أنه ولد له إسماعيل وهو ابن مائة وسبع عشرة عامًا، ورُوِيَ أقلّ من هذا، وإسماعيل أسنّ من إسحٰق **﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾** إن أراد بالدعاء الطلب والرغبة فمعنى القبول: الاستجابة، وإن أراد بالدعاء العبادة، فالقبول على حقيقته **﴿رَبَّنَا اغفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾** قيل إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما، والصحيح أنه دعا لهما قبل أن يتبيّن له أن أباه عدوّ لله حسبما ورد في براءة **﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا﴾** هذا وعيد للظالمين وهم الكفّار على الأظهر، فإن قيل لمَن هذا الخطاب هنا وفي قوله ولا تحسبنّ الله مخلف وعده رسله، فالجواب أنه يحتمل أن يكون خطابًا للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أو لغيره، فإن كان لغيره فلا إشكال وإن كان له فهو مشكل لأن النبي ﷺ لا يحسب أن الله غافلاً، وتأويل ذلك بوجهين: أحدهما أن المراد الثبوت على علمه بأن الله غير غافل وغير مخلف وعده، والآخر آن المراد إعلامه بعقوبة الظالمين فمقصد الكلام الوعيد لهم **﴿تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾** أي تحدّ النظر من الخوف **﴿مُهْطِعِينَ﴾** قيل الإهطاع الإسراع، وقيل شدّة النظر من غير أن يطرف **﴿مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ﴾** قيل الإقناع هو رفع الرأس، وقيل خفضه من الذلّة **﴿لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾** أي لا يطرفون بعيونهم من الحذر والجزع **﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾** أي منحرفة لا تَعِي شيئًا من شدّة الجزع فشبّهها بالهواء في تعريفه من الأشياء، ويحتمل أن يريد مضطربة في صدورهم **﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾** يعني يوم القيامة، وانتصاب يوم على أنه مفعول ثانٍ لأنذر، ولا يجوز أن يكون ظرفًا **﴿أَوَ لَمْ تَكُونُوا﴾** تقديره يقال لهم أوَ لم تكونوا الآية **﴿مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ﴾** هو المقسم عليه، ومعنى من زوال أي من الأرض بعد الموت أي حلفتم

فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

أنكم لا تبعثون ﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي جزاء مكرهم ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ إن هنا نافية، واللام لام الجحود، والجبال يراد بها الشرائع والنبوّات شُبّهت بالجبال في ثبوتها، والمعنى تحقير مكرهم لأنه لا تزول منه تلك الجبال الثابتة الراسخة؛ وقرأ الكسائي لتزول بفتح اللام ورفع تزول، وإن على هذه القراءة مخفّفة من الثقيلة، واللام للتأكيد، والمعنى تعظيم مكرهم أي أن مكرهم من شدّته تزول منه الجبال، ولكن الله عصم ووقى منه ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ يعني وعد النصر على الكفّار، فإن قيل هلاّ قال مخلف رسله وعده، ولِمَ قَدّم المفعول الثاني على الأول؟ فالجواب أنه قدّم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً على الإطلاق، ثم قال رسله ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس، فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه فقدّم الوعد أولاً بقصد الإطلاق، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ العامل في الظرف ذوا انتقام أو محذوف، وتبديل الأرض بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي هكذا ورد في الحديث الصحيح ﴿وَالسَّمَٰوَاتُ﴾ تبديلها بانشقاقها وانتشار كواكبها، وخسوف شمسها وقمرها وقيل تبدل أرضًا من فضة، وسماء من ذهب وهذا ضعيف ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني الكفّار ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أي مربوطين في الأغلال ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ أي قمصهم والسربال القميص ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ متعلق بمحذوف أي جعل الله فيه ذلك وهو الذي تهيأ به الإبل وللنار فيه اشتعال شديد، فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه ﴿لِيَجْزِيَ﴾ يتعلق بمحذوف أي فعل الله ذلك ليجزي ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ﴾ إشارة إلى القرآن أو إلى ما تضمنته هذه السورة ﴿وَلِيُنذَرُوا﴾ معطوف على محذوف تقديره لينصحوا به ولينذروا ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي هذا الذكر لأولي العقول وهم أهل العلم رضي الله عنهم.



سورة الحجر

مكية إلاّ آية ٨٧ فمدنية
وآياتها ٩٩ نزلت بعد سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ**﴾ يحتمل أن يريد بالكتاب الكتب المتقدمة، وعطف القرآن عليها، والظاهر أنه القرآن وعطفه عطف الصفات ﴿**رُبَمَا**﴾ قرى بالتخفيف والتشديد وهما لغتان، وما حرف كافّة لربّ، ومعنى رب التقليل، وقد تكون للتكثير، وقيل إن هذه منه، وقيل إنما عبّر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكّم كقوله: قد نرى تقلّب وجهك في السماء، وقد يعلم ما أنتم عليه، وقيل إن معنى التقليل في هذه أنهم لو كانوا يودّون الإسلام مرة واحدة لوجب أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودّونه مرارًا كثيرة ولا تدخل إلاّ على الماضي ﴿**يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ قيل إن ذلك عند الموت، وقيل في القيامة، وقيل إذا خرج عصاة المسلمين من النار، وهذا هو الأرجح لحديث رُوِيَ في ذلك ﴿**ذَرْهُمْ**﴾ وما بعده تهديد ﴿**كِتَابٌ مَّعْلُومٌ**﴾ أي وقت محدود ﴿**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾ الضمير في قالوا لكفّار قريش، وقولهم نزل عليه الذكر يعنون على

كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ

وجه الاستخفاف، أي بزعمك ودعواك ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ لو ما عرض وتحضيض، والمعنى أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بالملائكة معه ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ ردّ عليهم فيما اقترحوا، والمعنى أن الملائكة لا تنزل إلاّ بالحق من الوحي والمصالح، التي يريدها الله، لا باقتراح مقترح واختيار كافر، وقيل الحق هنا العذاب ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ﴾ إذًا حرف جواب وجزاء، والمعنى لو أنزل الملائكة لم يؤخّر عذاب هؤلاء الكفّار، الذين اقترحوا نزولهم، لأن من عادة الله أن مَن اقترح آية فرآها ولم يؤمن أنه يعجّل له العذاب، وقد علم الله، أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم، ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الذكر هنا هو القرآن وفي قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ ردًا لإنكارهم واستخفافهم في قولهم: يا أيها الذي نزل عليه الذكر ولذلك أكّده بنحن واحتجّ عليه بحفظه، ومعنى حفظه حراسته عن التبديل والتغيير كما جرى في غيره من الكتب، فتولّى الله حفظ القرآن فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه ولا تبديله بخلاف غيره من الكتب، فإن حفظها موكول إلى أهلها لقوله: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ﴾ الشيع جمع شيعة وهي الطائفة التي تتشيّع لمذهب أو رجل ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معنى نسلكه ندخله، والضمير في نسلكه يحتمل أن يكون للاستهزاء الذي دلّ عليه قوله به يستهزؤون أو يكون للقرآن أي نسلكه في قلوبهم فيستهزؤوا به، ويكون قوله كذلك تشبيهًا للاستهزاء المتقدّم، ولا يؤمنون به تفسيراً لوجه إدخاله في قلوبهم، والضمير في به للقرآن ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ أي تقدمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء حتى هلكوا بذلك، ففي الكلام تهديد لقريش ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ الضمائر لكفار قريش المعاندين المختوم عليهم بالكفر وقيل الضمير في ظلّوا وفي

بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ

يعرجون للملائكة وفي قالوا للكفّار، ومعنى يعرجون يصعدون، والمعنى أن هؤلاء الكفّار لو رأوا أعظم آية لقالوا إنها تخييل أو سحر، وقرىء سكرت بالتشديد والتخفيف، ويحتمل أن يكون مشتقًا من السكر، فيكون معناه أجبرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته أو من السكر وهو السد فيكون معناه منعت أبصارنا من النظر **﴿بُرُوجًا﴾** يعني المنازل الاثني عشر **﴿إلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾** استثناء من حفظ السموٰات فهو في موضع نصب **﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾** أي مقدّر بقدر، فالوزن على هذا استعارة وقيل المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والأطعمة، والأول أعمّ وأحسن **﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾** يعني البهائم والحيوانات ومن معطوف على معايش وقيل على الضمير في لكم، وهذا ضعيف في النحو لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض وهو قوي في المعنى أي جعلنا في الأرض معايش لكم وللحيوانات **﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾** قيل يعني المطر، واللفظ أعمّ من ذلك، والخزائن المواضع الخازنة، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت، وقيل ذلك تمثيل، والمعنى وإن من شيء إلاّ نحن قادرون على إيجاده وتكوينه **﴿بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾** أي بمقدار محدود **﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾** يقال لقحت الناقة والشجرة إذا حملت فهي لاقحة وألقحت الريح الشجر فهي ملقحة ولواقح جمع لاقحة، لأنها تحمل الماء أو جمع ملحقة على حذف الميم الزائدة **﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾** الآية: يعني الأوّلين والآخرين من الناس، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذي ذكر بعد ذلك في قوله: **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾** لأنه إذا أحاط بهم علمًا لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم، وقيل يعني مَن استقدم ولادةً وموتًا ومَن تأخّر، وقيل مَن تقدّم إلى الإسلام ومَن تأخر عنه **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِن صَلْصَالٍ﴾** الإنسان هنا هو آدم عليه السلام، والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل أي يصوّت وهو غير مطبوخ فإذا طبخ فهو فخار **﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾**

مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ

الحمأ الطين الأسود، والمسنون المتغيّر المنتن، وقيل إنه من أسنّ الماء إذا تغيّر، والتصريف يردّ هذا القول، وموضع من حمأ صفة لصلصال: أي صلصال كائن من حمأ **﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ﴾** يراد به جنس الشياطين، وقيل إبليس الأول، وهذا أرجح لقوله من قبل وتناسلت الجنّ من إبليس وهو للجنّ كآدم للناس **﴿السَّمُوم﴾** شدّة الحرّ **﴿خَالِقٌ بَشَرًا﴾** يعني آدم عليه السلام **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾** يعني الروح التي في الجسد، وأضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافة ملك إلى مالك أي من الروح الذي هو لي وخلق من خلقي، وتقدّم الكلام على سجود الملائكة في البقرة **﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾** أي من الجنّة أو من السماء **﴿قَالَ رَبِّ﴾** يقتضي إقراره بالربوبية وأن كفره كان بوجه غير الجحود، وهو اعتراضه على الله في أمره بالسجود لآدم **﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾** اليوم الذي طلب إبليس أن ينظر إليه هو يوم القيامة، وقيل الوقت المعلوم الذي أنظر إليه هو يوم النفخ في الصور النفخة الأولى حين يموت مَن في السموٰات ومَن في الأرض وكان سؤال إبليس الانتظار إلى يوم القيامة جهلاً منه ومغالطة إذ سأل ما لا سبيل إليه لأنه لو أُعطِيَ ما سأل لم يمت أبدًا لأنه لا يموت أحد بعد البعث فلما سأل ما لا سبيل إليه: أعرض الله عنه، وأعطاه الانتظار إلى النفخة الأولى **﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾** الباء للسببية أي لأغوينّهم بسبب إغوائك لي، وقيل للقسم كأنه قال بقدرتك على إغوائي لأغوينّهم، والضمير لذرّيّة آدم **﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾** القائل لهذا هو الله تعالى، والإشارة بهذا إلى نجاة المخلصين من إبليس وأنه لا يقدر عليهم أو إلى تقسيم الناس إلى غوى ومخلص **﴿إِلاَّ عِبَادَكَ﴾** يحتمل أن يريد بالعباد جميع الناس، فيكون قوله إلاّ مَن اتبعك استثناء متصل أو يريد بالعباد المخلصين فيكون الاستثناء منقطعًا **﴿وَإِنَّ**

لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ

جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير للغاوين **﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَاب﴾** رُوِيَ أنها سبعة أطباق في كل طبقة باب، فأعلاها للمذنبين من المسلمين والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصابئين والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين **﴿ادْخُلُوهَا﴾** تقديره يقال لهم ادخلوها والسلام يحتمل أن يكون التحية أو السلامة **﴿إِخْوَانًا﴾** يعني أخوّة المودّة والإيمان **﴿مُتَقَابِلِينَ﴾** أي يقابل بعضهم بعضًا على الأسرة **﴿نَصَبٌ﴾** أي تعب **﴿نَبِّىءْ عِبَادِيَ﴾** الآية: أعلمهم والآية آية ترجية وتخويف **﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾** ضيف هنا واقع على جماعة وهم الملائكة الذين جاؤوا إلى إبراهيم بالبشرى **﴿وَجِلُونَ﴾** أي خائفون، والوجل الخوف **﴿لاَ تَوْجَلْ﴾** أي لا تخف **﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ﴾** هو إسحٰق **﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾** المعنى أبشرتموني بالولد مع أنني قد كبر سنّي، وكان حينئذ ابن مائة سنة، وقيل أكثر **﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾** قال ذلك على وجه التعجّب من ولادته في كبره أو على وجه الاستبعاد، ولذلك قرىء تبشّرون، بتشديد النون وكسرها على إدغام نون الجمع في نون الوقاية وبالكسر والتخفيف على حذف إحدى النونين وبالفتح وهي نون الجمع **﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾** أي باليقين الثابت فلا تستبعده ولا تشك فيه **﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إلاَّ الضَّالُّونَ﴾** دليل على تحريم القنوط، وقرىء يقنط بفتح النون وكسرها وهما لغتان **﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾** أي ما شأنكم، وبأيّ شيء جئتم.

﴿إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط **﴿إلاَّ آلَ لُوطٍ﴾** يحتمل أن يكون استثناء من قوم لوط فيكون منقطعًا لوصف القوم بالإجرام، ولم يكن آل لوط مجرمين ويحتمل أن يكون

ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا

استثناء من الضمير في المجرمين، فيكون متصلاً كأنه قال إلى قوم قد أجرموا كلهم إلاّ آل لوط فلم يجرموا ﴿**إلاّ امْرَأَتَهُ**﴾ استثناء من آل لوط، فهو استثناء من استثناء وقال الزمخشري إنما هو استثناء من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم، وذلك هو الذي يقتضيه المعنى ﴿**قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ**﴾ الغابر يقال بمعنى الباقي، وبمعنى الذاهب وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم، وهو لله وحده لما لهم من القرب والاختصاص بالله، لا سيما في هذه القضية، كما تقول خاصّة الملك للملك دبرنا كذا ويحتمل أن يكون حكاية عن الله ﴿**قَوْمٌ مُنكَرُونَ**﴾ أي لا نعرفهم ﴿**قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ**﴾ أي جئناك بالعذاب لقومك ومعنى يمترون يشكّون فيه ﴿**واتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ**﴾ أي كن خلفهم أي في ساقتهم حتى لا يبقى منهم أحد وليكونوا قدّامه، فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا وراءه لخوفه عليهم ﴿**وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ**﴾ تقدّم في هود ﴿**وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ**﴾ قيل هي مصر وقيل حيث هنا للزمان إذ لم يذكر مكان ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَيهِ ذَلِكَ الأمْرَ**﴾ هو من القضاء والقدر، وإنما تعدّى بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا وقيل معناه أعلمناه بذلك الأمر ﴿**أَنَّ دَابِرَ هَؤلاَءِ مَقْطُوعٌ**﴾ هذا تفسير لذلك الأمر، ودابر القوم أصلهم، والإشارة إلى قوم لوط ﴿**مُصْبِحِينَ**﴾ في الموضعين أي إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح ﴿**وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ المدينة هي سدوم واستبشار أهلها بالأضياف طمعًا أن ينالوا منهم الفاحشة ﴿**قَالُوا أَوَ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ كانوا قد نهوه أن يضيف أحدًا ﴿**قَالَ هَؤلاَءِ بَنَاتِي**﴾ دعاهم إلى تزويج بناته ليَقِي بذلك أضيافه ﴿**لَعَمْرُكَ**﴾ قسم والعمر الحياة، ففي ذلك كرامة للنبي ﷺ، لأن الله أقسم بحياته، أو قيل هو من قول الملائكة للوط وارتفاعه بالابتداء وخبره محذوف تقديره لعمرك قسمي واللام للتوطئة ﴿**إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾الضمير لقوم لوط، وسكرتهم ضلالهم وجهلهم، ويعمهون أي يتحيرون ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ**﴾ أي صيحة جبريل وهي أخذة لهم ﴿**مُشْرِقِينَ**﴾

سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي

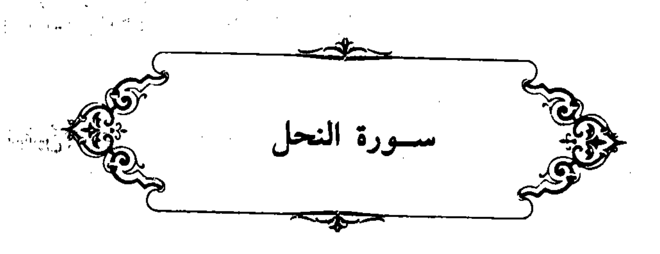
أي داخلين في الشروق وهو وقت بزوغ الشمس، وقد تقدّم تفسير ما بعد هذا من قصتهم في هود **﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾** أي للمتفرسين، ومنه فراسة المؤمن، وقيل للمعتبرين، وحقيقة التوسّم النظر إلى السيمة **﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾** أي بطريق ثابت يراه الناس والضمير للمدينة المهلكة **﴿وإن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾** أصحاب الأيكة قوم شعيب والأيكة الغيضة من الشجر لما كفروا أضرمها الله عليهم نارًا **﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾** الضمير في إنهما قيل إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب، فالإمام على هذا الطريق: أي إنهما بطريق واضح يراه الناس، وقيل الضمير للوط وشعيب أي إنهما على طريق من الشرع واضح والأول أظهر **﴿أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾** هم ثمود قوم صالح، والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام **﴿الْمُرْسَلِينَ﴾** ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحدًا منهم وفي ذلك تأويلان أحدهما أن مَن كذب واحدًا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع لأنهم جاؤوا بأمر متّفق من التوحيد، والثاني أنه أراد الجنس كقولك فلانًا يركب الخيل، وإن لم يركب إلاّ فرسًا واحدًا **﴿وآتيناهُمْ آيَاتِنَا﴾** يعني الناقة، وما كان فيها من العجائب **﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾** النحت النقر بالمعاويل وشبّهها في الحجر والعود وشبّه ذلك وكانوا ينقرون بيوتهم في الجبال **﴿آمِنِينَ﴾** يعني آمنين من تهدّم بيوتهم لوثاقتها، وقيل آمنين من عذاب الله **﴿إلاّ بِالْحَقِّ﴾** يعني أنها لم تخلق عبثًا **﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾** قيل إن الصفح الجميل هو الذي ليس معه عقاب ولا عتاب، وفي الآية مهادنة للكفّار منسوخة بالسيف **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾** يعني أُم القرآن لأنها سبع آيات، وقيل يعني السور السبع الطوال، وهي البقرة وآل عمران، والنساء والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع براءة، والأول أرجح لوروده في الحديث، والمثاني مشتق من التثنية وهي التكرير، لأن الفاتحة تكرر قراءتها في الصلاة، ولأن غيرها من السور تكرّر فيها القصص وغيرها، وقيل هي مشتقة من الثناء، لأن فيها ثناء على الله،

وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ

ومَن يحتمل أن تكون للتبعيض أو لبيان الجنس، وعطف القرآن على السبع المثاني لأنه يعني ما سواها من القرآن فهو عموم بعد الخصوص ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي لا تنظر إلى ما متّعناهم به في الدنيا كأنه يقول قد آتيناك السبع، المثاني والقرآن العظيم، فلا تنظر إلى الدنيا، فإن الذي أعطيناك أعظم منها ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ يعني أصنافًا من الكفار ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا تتأسف لكفرهم ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي تواضع ولن ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ والجناح هنا استعارة ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ الكاف من كما متعلقة بقوله أنا النذير أي أنذر قريشًا عذابًا مثل العذاب الذي أنزل على المقتسمين، وقيل متعلّق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك كتابًا كما أنزلنا على المقتسمين، واختلف في المقتسمين فقيل هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه، فاقتسموا إلى قسمين، وقيل هم قريش اقتسموا أبواب مكة في الموسم، فوقف كل واحد منهم على باب، يقول أحدهم هو شاعر، ويقول الآخر هو ساحر، وغير ذلك ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أي أجزاء، وقالوا فيه أقوالاً مختلفة وواحد عضين عضة وقيل هو من العضه وهو السحر، والعاضه الساحر، والمعنى على هذا أنه سحر، والكلمة محذوفة اللام ولامها على القول الأول واو وعلى الثاني هاء ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إن قيل: كيف يجمع بين هذا وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جانّ؟ فالجواب أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ، وأن السؤال المنفي هو على وجه الاستفهام المحض لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي صرّح به وأنفذه ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ يعني قومًا من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعي النبي ﷺ، وكانوا خمسة: الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل، والأسود بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وعديّ بن قيس، وقصة هلاكهم مذكورة في السير، وقيل الذين قتلوا ببدر كأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأميّة بن خلف وعقبة بن معيط أبي وغيرهم، والأول أرجح، لأن الله كفاهم إياهم بمكة قبل الهجرة ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تسلية للنبي ﷺ وتأنيس

ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي الموت.



سورة النحل

مكيّة إلاّ الآيات الثلاث الأخيرة
فمدنيّة وآياتها ١٢٨ نزلت بعد الكهف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ قيل يعني القيامة، وقيل النصر على الكفّار، وقيل عذاب الكفّار في الدنيا، ووضع الماضي مواضع المستقبل لتحقّق وقوع الأمر ولقربه، ورُوِيَ أنها لمّا نزلت وثب رسول الله ﷺ قائمًا فلما قال فلا تستعجلوه سكن **﴿يُنَزِّلَ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾** أي بالنبوّة وقيل بالوحي **﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾** أي من نطفة المني، والمراد جنس الإنسان **﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾** فيه وجهان أحدهما أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه والثاني يخاصم في ربّه ودينه، وهذا في الكفّار والأول أعمّ **﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾** أي ما يتدفأ به، يعني ما يتخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب، ويحتمل أن يكون قوله لكم متعلقًا بما قبله أو بما بعده ويختلف الوقوف باختلاف ذلك **﴿وَمَنَافِعُ﴾** يعني شرب ألبانها والحرث بها وغير ذلك **﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾** يحتمل أن يريد بالمنافع ما عدا الأكل فيكون الأكل أمرًا زائدًا عليها أو يريد بالمنافع الأكل وغيره ثم جرّد ذكر الأكل لأنه أعظم المنافع **﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ**

تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ

﴿تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ الجمال حُسْن المنظر وحين تريحون يعني حين تردّونها بالعشيّ إلى المنازل، وحين تسرحون حين تردّونها بالغداة إلى الرعي، وإنما قدّم تريحون على تسرحون لأن جمال الأنعام بالعشي أكثر لأنها ترجع وبطونها ملأى وضروعها حافلة **﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾** يعني الأمتعة وغيرها وقيل أجساد بني آدم **﴿إِلَى بَلَدٍ﴾** أي إلى أيّ بلد توجّهتم، وقيل يعني مكة **﴿بِشِقِّ الأَنْفُسِ﴾** أي بمشقّة **﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾** استدلّ بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير، لكونه علّل خلقتها بالركوب والزينة دون الأكل ونصب زينة على أنه مفعول من أجله، وهو معطوف على موضع لتركبوها **﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾** عبارة على العموم أي أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها، وكل ما ذكر في هذه الآية شيئًا مخصوصًا فهو على وجه المثال **﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾** أي على الله تقويم طريق الهدى بنصب الأدلّة وبعث الرسل والمراد بالسبيل هنا الجنس، ومعنى القصد القاصد الموصل، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة إلى الموصوف **﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾** الضمير في منها يعود على السبيل إذ المراد به الجنس ومعنى الجائر: الخارج عن الصواب: أي ومن الطريق جائر كطريق اليهود والنصارى وغيرهم **﴿مَاءً لَّكُمْ﴾** يحتمل أن يتعلق لكم بأنزل أو يكون في موضع خبر لشراب، أو صفة لسماء **﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾** يعني ما ينبت بالمطر من الشجر **﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾** أي ترعون أنعامكم **﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾** يعني الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك **﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾** أي أصنافه وأشكاله **﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾** يعني

يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾

الحوت **﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾** يعني الجواهر والمرجان **﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾** جمع ماخرة يقال مخرت السفينة، والمخر شقّ الماء، وقيل صوت جرى الفُلْك بالرياح **﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾** يعني في التجارة وهو معطوف على لتأكلوا **﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾** الرواسي الجبال، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت، وأن تميد في موضع مفعول من أجله، والمعنى أنه ألقى الجبال في الأرض لئلا تميد الأرض ورُوِيَ أنه لما خلق الله الأرض جعلت تميد فقالت الملائكة لا يستقر على ظهر هذه أحد فأصبحت وقد أرست بالجبال **﴿وَأَنْهَارًا﴾** قال ابن عطية أنهارًا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل أو خلق أنهارًا قال وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على أن ألقى أخصّ من جعل وخلق: ولو كانت ألقى بمعنى خلق: لم يحتج إلى هذا الإضمار **﴿وَسُبلاً﴾** يعني الطرق **﴿وَعَلامَاتٍ﴾** يعني ما يستدلّ به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك، وهو معطوف على أنهاراً وسُبُلاً قال ابن عطية هو نصب على المصدر أي لعلكم تعتبرون، وعلامات أي عبرة وأعلامًا **﴿وبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾** يعني الاهتداء بالليل في الطرق، والنجم هنا جنس، وقيل المراد الثريا والفرقدان، فإن قيل: قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب وقدّم فيه النجم كأنه يقول وبالنجم خصوصًا هؤلاء خصوصًا يهتدون فَمَن المراد بهم؟ فالجواب أنه أراد قريشًا لأنهم كان لهم في الاهتداء بالنجم في سيرهم علم لم يكن لغيرهم، وكان الاعتبار ألزم لهم فخصّصوا، قال ذلك الزمخشري **﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَ يَخْلُقُ﴾** تقرير يقتضي الردّ على مَن عبد غير الله، وإنما عبّر عنهم بمن لأن فيهم مَن يعقل ومَن لا يعقل، أو مشاكلة لقوله أفمن يخلق **﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾** ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعًا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته، ولذلك أعقبها بقوله: **﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾**، وفيها أيضًا تعداد لنعمه على خلقه ولذلك أعقبها بقوله: **﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهُ لاَ تُحْصُوهَا﴾** ثم أعقب ذلك بقوله: **﴿إن الله لغفور رحيم﴾**: أي يغفر لكم التقصير في شكر نعمه

وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخلَقُونَ﴾ نفى عن الأصنام صفات الربوبية، وأثبت لهم أضدادها، وهي أنهم مخلوقون غير خالقين، وغير أحياء وغير عالمين بوقت البعث، فلما قام البرهان، على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده، فقال: **﴿إلهُكُمْ إلهٌ وَاحِدٌ﴾** **﴿أَموَاتٌ غَيرُ أَحيَاءٍ﴾** أي لم تكن لهم حياة قطّ ولا تكون، وذلك أغرق في موتها ممّن تقدّمت له حياة ثم مات، ثم يعقب موته حياة **﴿وَمَا يَشعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾** الضمير في يشعرون للأصنام وفي يبعثون للكفّار الذين عبدوهم، وقيل إن الضميرين للكفّار **﴿قُلُوبُهُم مُنكِرَةٌ﴾** أي تنكر وحدانية الله عزّ وجلّ **﴿لاَ جَرَمَ﴾** أي لا بدّ ولا شك، وقيل إن لا نفي لما تقدّم، وجرم معناه وجب، أو حق، وأن فاعلة بجرم **﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾** أي ما سطّره الأوّلون، وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتاب تواريخ، وكان يقول إنما يحدّث محمد بأساطير الأوّلين، وحديثي أجمل من حديثه، وماذا يجوز أن يكون اسمًا واحدًا مركباً من ما وذا، ويكون منصوبًا بأنزل أو أن تكون ما استفهامية في موضع رفع بالابتداء، وذا بمعنى الذي، وفي أنزل ضمير محذوف **﴿لِيَحمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾** اللام لام العاقبة والصيرورة: أي قالوا أساطير الأوّلين، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم، ويحتمل أن تكون للأمر **﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** حال من المفعول في يضلّونهم، أو من الفاعل **﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾** الآية: قيل المراد بالذين من قبلهم نمروذ، فإنه بنى صرحًا ليصعد فيه إلى السماء بزعمه، فلما علا فيه فرسخين هدمه الله وخرّ سقفه عليه، وقيل المراد بالذين من قبلهم كلّ مَن كفر من الأمم المتقدمة، ونزلت به عقوبة الله فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل **﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾** توبيخ للمشركين وأضاف الشركاء إلى نفسه أي على زعمكم ودعواكم، وفيه تهكّم به **﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾** أي تعادون من أجلهم فمَن

ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ

قرأ بكسر النون فالمفعول ضمير المتكلم وهو الله عزّ وجلّ، ومَن قرأ بفتحها فالمفعول محذوف تقديره تُعادون المؤمنين من أجلهم **﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾** هم الأنبياء والعلماء من كل أمة، وقيل يعني الملائكة، واللفظ أعمّ من ذلك **﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾** حال من الضمير المفعول في تتوفّاهم **﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾** أي استسلموا للموت **﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾** أي قالوا ذلك، ويحتمل قولهم لذلك أن يكونوا قصدوا الكذب اعتصامًا به كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أو يكونوا أخبروا على حسب اعتقادهم في أنفسهم فلم يقصدوا الكذب، ولكنه كذب في نفس الأمر **﴿بَلَى﴾** من قول الملائكة للكفّار: أي قد كنتم تعلمون السوء.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ لما وصف مقالة الكفّار الذين قالوا أساطير الأوّلين: قابل ذلك بمقالة المؤمنين، فإن قيل: لِمَ نصب جواب المؤمنين وهو قولهم خيرًا، ورفع جواب الكافرين وهو أساطير الأوّلين؟ فالجواب: أن قولهم خيرًا منصوب بفعل مضمر تقديره أنزل خيرًا، ففي ذلك اعتراف بأن الله أنزله، وأما أساطير الأوّلين فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هو أساطير الأوّلين فلم يعترفوا بأن الله أنزله فلا وجه لنصبه، ولو كان منصوبًا لكان الكلام متناقضًا لأن قولهم أساطير الأوّلين يقتضي التكذيب بأن الله أنزله، والنصب بفعل مضمر يقتضي التصديق بأن الله أنزله، لأن تقديره أنزل، فإن قيل: يلزم مثل هذا في الرفع، لأن تقديره هو أساطير الأوّلين فإنه غير مطابق للسؤال الذي هو ماذا أنزل ربكم، فالجواب: أنهم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأوّلين، ولم ينزله الله **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾** ارتفع حسنة بالابتداء وللذين خبره، والجملة بدل من خيرًا، وتفسير للخير الذي قالوا، وقيل هي استئناف كلام الله تعالى، لا من كلام الذين قالوا خيرًا **﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾** يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بنعم، فيكون مبتدأ وخبره فيما قبله أو خبر ابتداء مضمر، ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره يدخلونها أو

تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

مضمر تقديره لهم جنّات عدن **﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾** أي ينتظرون، والضمير للكفّار وإلا أن تأتيهم الملائكة يعني لقبض أرواحهم **﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾** يعني قيام الساعة أو العذاب في الدنيا **﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾** أي أصابهم جزاء سيئات ما عملوا **﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾** أي أحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزؤون، وهذا تفسيره حيث وقع **﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾** قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم أي أن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه، والردّ عليهم بأن الله نهى عن الشرك ولكنه قضى على مَن يشاء من عباده، ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك في الآخرة على وجه التمنّي فإن **﴿لَوْ﴾** تكون للتمنّي والمعنى على هذا أنهم لمّا رأوا العذاب تمنّوا أن يكونوا لم يعبدوا غيره ولم يحرّموا ما أحلّ الله من البحيرة وغيرها **﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾** قرىء بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول أي لا يهدي غير الله مَن يضلّه الله وقرىء يهدي بفتح الياء وكسر الدال، والمعنى على هذا لا يهدي الله مَن قضى بإضلاله **﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾** الضمير عائد على مَن يضلّ، لأنه في معنى الجمع **﴿بَلَى﴾** ردّ على الذين أقسموا لا يبعث الله مَن يموت أي أنه يبعثه **﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾** اللام تتعلق بما دلّ عليه بلى أي يبعثهم ليبيّن لهم، وهذا برهان أيضًا على البعث، فإن الناس مختلفون في أديانهم ومذاهبهم فيبعثهم الله ليبيّن لهم الحق فيما اختلفوا فيه **﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾** الآية: برهان أيضًا على البعث لأنه داخل

﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ۝٣٩ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٤٢ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٤٥ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝٤٦ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٤٧ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ﴾

تحت قدرة الله تعالى **﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾** يعني الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة، لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعدها، وقيل نزلت في أبي جندل بن سهيل وخبره مذكور في السير في قصة الحديبية، وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل ذلك **﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾** وعد أن ينزلهم بقعة حسنة وهي المدينة التي استقروا بها، وقيل إن حسنة صفة لمصدر: أي نبوّئنهم تبوئة حسنة وقرىء لنثوبنهم بالثاء من الثواب **﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾** وصف للذين هاجروا، ويحتمل إعرابه أن يكون نعتًا أو على تقدير هم الذين أو مدح الذين **﴿إلاَّ رِجالاً﴾** ردّ على مَن استبعد أن يكون الرسول من البشر **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾** يعني أحبار اليهود والنصارى أي لأن جميعهم يشهدون أن الرسول من البشر **﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾** يتعلق بأرسلنا الذي في أول الآية على التقديم والتأخير في الكلام، أو بأرسلنا مضمرًا وبيوحي أو بتعلمون **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾** يعني القرآن **﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾** يحتمل أن يريد لتبيّن القرآن بسردك نصه وتعليمه للناس، أو لتبيّن معانيه بتفسير مشكله، فيدخل في هذا ما بيّنته السُّنّة من الشريعة **﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾** يعني كفّار قريش عند جمهور المفسّرين، والسيئات تحتمل وجهين: أحدهما أن يريد به الأعمال السيئات: أي المعاصي فيكون مكروا يتضمن معنى عملوا، والآخر أن يريد بالمكرات السيئات مكرهم بالنبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم فيكون المكر على بابه **﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾** يعني في أسفارهم **﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾** أي بمفلتين حيث وقع **﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾** فيه وجهان أحدهما أن معناه على تنقص أي ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئًا بعد شيء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة، ولهذا أشار بقوله: **﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**، لأن الأخذ هكذا أخفّ من غيره، وقد كان عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التخوّف في

ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ

الآية حتى قال له رجل من هذيل التخوّف التنقّص في لغتنا، والوجه الثاني أنه من الخوف أي يهلك قومًا قبلهم فيتخوّفوا هم ذلك، فيأخذهم بعد أن توقعوا العذاب وخافوه ذلك خلاف قوله وهم لا يشعرون **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ﴾** معنى الآية اعتبار بانتقال الظل، ويعني بقوله ما خلق الله من شيء: الأجرام التي لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان وغير ذلك، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلّها إلى جهة، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى، ثم يمتدّ الظلّ ويعمّ بالليل إلى طلوع الشمس، وقوله يتفيؤ من الفيء وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غدوة، وقال رؤبة بن العجاج يقال بعد الزوال ظلّ وفيء، ولا يقال قبله إلاّ ظلّ، ففي لفظة يتفيؤ هنا تجوز ما لوقوع الخصوص في موضع العموم لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره، فوضع يتفيؤ موضع ينتقل أو يميل والضمير في ظلاله يعود على ما أو على شيء **﴿عَنِ الْيَمِينِ والشَّمَائِلِ﴾** يعني عن الجانبين أي يرجع الظل من جانب إلى جانب، واليمين بمعنى الأيمان، واستعار هنا الأيمان والشمائل للأجرام، فإن اليمين والشمائل إنما هما في الحقيقة للإنسان **﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾** حال من الظلال، وقال الزمخشري حال من الضمير في ظلاله إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله من شيء، فعلى الأول يكون السجود من صفة الظلال، وعلى الثاني يكون من صفة الأجرام واختلف في معنى هذا السجود، فقيل عبّر به عن الخضوع والانقياد، وقيل هو سجود حقيقة **﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾** أي صاغرون وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء **﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾** يحتمل أن يكون من دابّة بيان لما في السمٰوات وما في الأرض معًا لأن كل حيوان يصحّ أن يوصف بأنه يدبّ، ويحتمل أن يكون بيانًا لما في الأرض خاصّة وإنما قال ما في السمٰوات وما في الأرض ليعمّ العقلاء وغيرهم، ولو قال مَن في السمٰوات لم يدخل في ذلك غير العقلاء قاله الزمخشري **﴿وَالْمَلاَئِكَةُ﴾** إن كان قوله من دابّة بيانًا لما في السمٰوات والأرض، فقد دخل الملائكة في ذلك، وكرّر ذكرهم تخصيصًا لهم بالذكر وتشريفًا وإن كان من دابّة لما في الأرض خاصّة فلم تدخل الملائكة في ذلك فعطفهم على ما قبلهم **﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾** هذا إخبار عن الملائكة وهو بيان نفي الاستكبار، ويحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها، وقيل معناه

لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ

يخافون أن يرسل عليهم عذابًا من فوقهم ﴿لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ وصف الإلهين باثنين تأكيدًا وبيانًا للمعنى وقيل إن اثنين مفعول أول وإلهين مفعول ثانٍ، فلا يكون في الكلام تأكيد ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ خرج من الغيبة إلى التكلم، لأن الغائب هو المتكلم، وإيّاي مفعول بفعل مضمر، ولا يعمل فيه فارهبون لأنه قد أخذ معموله ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي واجبًا وثابتًا، وقيل دائمًا، وانتصابه على الحال من الدين ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن تكون الواو للاستئناف أو للحال فيكون الكلام متصلاً بما قبله: أي كيف تتقون غير الله، وما بكم من نعمة فمنه وحده ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرّع ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ اللام لام الأمر على وجه التهديد لقوله بعده: فتمتعوا فسوف تعلمون، فعلى هذا يبتدىء بها، وقيل هي لام العاقبة، فعلى هذا توصل بما قبلها لأنها في الأصل لام كي، وذلك بعيد في المعنى، والكفر هنا يحتمل أن يريد به كفر النِّعَم لقوله بما آتيناهم، أو كفر الجحود والشرك لقوله بربّهم يشركون ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ يريد التمتّع في الدنيا، وذلك أمر على وجه التهديد ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ الضمير في يجعلون لكفّار العرب فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبًا من ذبائحهم وغيرها، والمراد بقوله لما لا يعلمون للأصنام، والضمير في لا يعلمون للكفّار أي لا يعلمون ربوبيتهم ببرهان ولا بحجّة، وقيل الضمير في لا يعلمون للأصنام أي الأشياء غير عالمة وهذا بعيد ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ إشارة إلى قول الكفّار إن الملائكة بنات الله، ثم نزّه تعالى نفسه عن ذلك بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ المعنى أنهم يجعلون لأنفسهم ما يشتهون يعني بذلك الذكور من الأولاد، وأما الإعراب فيجوز أن يكون ما يشتهون مبتدأ وخبره المجرور قبله، وأن يكون مفعولاً بفعل مضمر تقديره ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون، وأن يكون معطوفًا على البنات على أن هذا يمنعه البصريون، لأنه من باب ضربتني وكان يلزم عندهم أن يقال لأنفسهم ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ إخبار عن حال العرب في كراهتهم البنات، وظلّ هنا يحتمل أن تكون على بابها، أو بمعنى صار، والسواد

كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا

عبارة عن العبوس والغمّ، وقد يكون معه سواد حقيقة، وكظيم قد ذكر في يوسف **﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ﴾** أي يستخفي من أجل سوء ما بُشِّر به **﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾** المعنى يدبر وينظر هل يمسك الأنثى التي بُشِّر بها على هوانٍ وَذُلٍّ لها، أو يدفنها في التراب حيّة، وهي الموءُودة، وهذا معنى يدسّه في التراب **﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾** أي صفة السوء من الحاجة إلى الأولاد وغير ذلك من صفة الافتقار والنقص **﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾** أي الوصف الأعلى من الغنى عن كل شيء والنزاهة عن صفات المخلوقين **﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ﴾** يعني لو يعاقبهم في الدنيا **﴿بِظُلْمِهِم﴾** أي بكفرهم ومعاصيهم **﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾** الضمير للأرض **﴿مِن دَابَّةٍ﴾** يعمّ بني آدم وغيرهم وهذا يقتضي أن تهلك الحيوانات بذنوب بني آدم، وقد ورد ذلك في الأثر، وقيل يعني بني آدم خاصّة **﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾** يعني البنات **﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾** أن بدل من الكذب، والحسنى هنا قيل هي الجنة، وقيل ذكور الأولاد **﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾** بكسر الراء والتخفيف من الإفراط: أي متجاوزون الحدّ في المعاصي، أو بفتح الراء والتخفيف من الفرط أي معجلون إلى النار، وبكسر الراء والتشديد من التفريط **﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾** يحتمل أن يريد باليوم وقت نزول الآية أو يوم القيامة **﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾** معطوفان على موضع لتبيّن، وانتصبا على أنهما مفعول من أجله: أي لأجل البيان والهدى والرحمة **﴿نُّسْقِيكُم﴾** بفتح النون وضمّها لغتان، يقال سقى وأسقى **﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾** الضمير للأنعام، وإنما ذكر لأنه مفرد بمعنى الجمع كقولهم ثوب أخلاق لأنه اسم جنس، وإذا أنّث فهو جمع نعم **﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾** الفرث هي ما في الكرش من الغدد، والمعنى أن الله

﴿وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٦٧ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٦٩ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم﴾

يخلق اللبن متوسطًا بين الفرث والدم يكتنفانه، ومع ذلك فلا يغيّران له لونًا ولا طعمًا ولا رائحةً، ومن في قوله مما في بطونه للتبعيض قوله من بين فرث لابتداء الغاية ﴿**سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ**﴾ يعني سهلاً للشرب حتى قيل لم يغصّ أحد قطّ باللبن ﴿**وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ**﴾ المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرها، ويدلّ عليه نسقيكم الأول أو يكون من ثمرات معطوف على مما في بطونها أو يتعلق من ثمرات بتتخذون، وكرّر منه توكيدًا أو يكون تتخذون صفة لمحذوف تقديره شيئًا تتخذون ﴿**سَكَرًا**﴾ يعني الخمر، ونزل ذلك قبل تحريمها فهي منسوخة بالتحريم، وقيل إن هذا على وجه المنّة بالمنفعة التي في الخمر، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم، فلا نسخ، وقيل السكر المائع من هاتين الشجرتين كالخل والربّ والرزق الحَسَن: العنب والتمر والزبيب.

﴿**وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾ الوحي هنا بمعنى الإلهام، فإن الوحي على ثلاثة أنواع: وحي كلام، ووحي منام، ووحي إلهام ﴿**أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾ أن مفسّرة للوحي الذي أُوحي إلى النحل، وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع إما في الجبال وكواها، وإما في متجوّف الأشجار وإما فيما يعرش بنو آدم من الأجباح والحيطان ونحوها ومن في المواضع الثلاثة للتبعيض لأن النحل إنما تتخذ بيوتًا في بعض الجبال، وبعض الشجر، وبعض الأماكن وعرّش معناه هيّأ أو بنى، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب ﴿**ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾ عطف كلي على اتخذي، ومن للتبعيض، وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار، وقيل المعنى من كل الثمرات التي تشتهيها ﴿**فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ**﴾ يعني الطرق في الطيران، وأضافها إلى الربّ لأنها ملكه وخلقه ﴿**ذُلُلًا**﴾ أي مطيعة منقادة ويحتمل أن يكون حالاً من السبل، قال مجاهد لم يتعوّص قطّ على النحل طريق أو حالاً من النحل أي منقادة لما أمرها الله به ﴿**يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ**﴾ يعني العسل ﴿**مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ**﴾ أي منه أبيض وأصفر وأحمر ﴿**فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ**﴾ الضمير للعسل، لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل كالمعاجين والأشربة النافعة من الأمراض وكان ابن عمر يتداوى به من كل شيء، فكأنه أخذه على العموم وعلى ذلك

مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

الحديث عن النبي ﷺ أن رجلاً جاء إليه، فقال إن أخي يشتكي بطنه، فقال اسقه عسلاً، فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع، قال فاذهب فاسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فشفاه الله عزّ وجلّ ﴿**إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**﴾ أي إلى أخسّه وأحقره، وهو الهرم وقيل حدّه خمسة وسبعين عامًا، وقيل ثمانون، والصحيح أنه لا يحصر إلى مدة معينة، وأنه يختلف بحسب الناس ﴿**لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا**﴾ اللام لام الصيرورة أي يصير إذا هرم لا يعلم شيئًا بعد أن كان يعلم قبل الهرم، وليس المراد نفي العلم بالكليّة، بل ذلك عبارة عن قلّة العلم لغلبة النسيان، وقيل المعنى لئلاً يعلم زيادة على علمه شيئًا ﴿**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**﴾ الآية في معناها قولان: أحدهما أنها احتجاج على الوحدانية كأنه يقول أنتم لا تسوّون بين أنفسكم وبين مماليككم في الرزق، ولا تجعلونهم شركاء لكم، فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي، والآخر أنها عتاب وذمّ لمَن لا يُحسِن إلى مملوكه حتى يردّ ما رزقه الله عليه كما جاء في الحديث: أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون، والأول أرجح ﴿**أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ الجحد هنا على المعنى الأول إشارة إلى الإشراك بالله، وعبادة غيره، وعلى المعنى الثاني إشارة إلى جنس المماليك فيما يجب لهم من الإنفاق ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾ يعني الزوجات، ومن أنفسكم يحتمل أن يريد من نوعكم وعلى خلقتكم، أو يريد أن حوّاء خلقت من ضلع آدم، وأسند ذلك إلى بني آدم لأنهم من ذرّيّته ﴿**وحَفَدَةً**﴾ جمع حافد قال ابن عباس: هم أولاد البنين، وقيل الأصهار، وقيل الخدم، وقيل البنات إلاّ أن لفظ المذكور لا يدلّ عليهم، والحَفَدَة في اللغة الخدمة ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ الآية: توبيخ للكفّار، وردّ عليهم في عبادتهم للأصنام، وهي لا تملك لهم رزقًا، وانتصب رزقًا لأنه مفعول بيملك، ويحتمل أن يكونَ مصدراً أو اسمًا لما يرزق، فإن كان مصدرًا فإعراب شيئًا مفعول به، لأن المصدر نصيب المفعول، وإن كان اسمًا فإعراب شيئًا بدل منه ﴿**وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ**﴾ الضمير عائد على ما لأن المراد به

يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ

الإلهية، ونفي الاستطاعة بعد نفي المُلْك، لأن نفيها أبلغ في الذمّ **﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾** الآية: مثل لله تعالى وللأصنام، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك، وبيده الرزق ويتصرّف فيه كيف يشاء، فكيف يسوّي بينه وبين الأصنام، وإنما قال لا يقدر على شيء لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور كالمكاتب والمأذون له **﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ﴾** من هنا نكرة موصوفة، والمراد بها مَن هو حرّ قادر كأنه قال وحرًّا رزقناه ليطلق عبدًا، ويحتمل أن تكون موصولة **﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾** أي هل يستوي العبيد والأحرار الذين ضرب لهم المثل **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** شكرًا لِلَّهِ على بيان هذا المثال ووضوح الحق **﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾** يعني الكفّار **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾** الآية: مثل لله تعالى وللأصنام كالذي قبله، والمقصود منهما إبطال مذاهب المشركين، وإثبات الوحدانية لله تعالى، وقيل إن الرجل الأبكم أبو جهل، والذي يأمر بالعدل عمّار بن ياسر، والأظهر عدم التعيين **﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ﴾** الكلّ الثقيل يعني أنه عيال على وليّه أو سيّده، وهو مثل للأصنام والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى **﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَو هُوَ أَقْرَبُ﴾** بيان لقدرة الله على إقامتها، وأن ذلك يسير عليه كقوله: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقيل المراد سرعة إتيانها **﴿واللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾** الأمهات جمع أم زيدت فيه الهاء فرقًا بين مَن يعقل ومَن لا يعقل، وقرئ بضم الهمزة وبكسرها إتباعًا للكسرة قبلها **﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾** أي في الهواء البعيد من الأرض **﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾** السكن مصدر يوصف به،

إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟

وقيل هو فعل بمعنى مفعول ومعناه ما يسكن فيه كالبيوت أو يسكن إليه **﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾** يعني الأدم من القباب وغيرها **﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾** أي تجدونها خفيفة **﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾** يعني في السفر والحضر، واليوم هنا بمعنى الوقت ويقال ظعن الرجل إذا رحل، وقرىء ظعنكم بفتح العين، وإسكانها تخفيفًا **﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾** الأصواف للغنم، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز والبقر **﴿أَثَاثًا﴾** الأثاث متاع البيت من البسط وغيرها، وانتصابه على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره جعل **﴿وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾** أي إلى وقت غير معين، ويحتمل أن يريد إلى أن تُبلى وتفنى أو إلى أن تموت **﴿واللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً﴾** أي نعمة عدّدها الله عليهم بالظلّ، لأن الظل مطلوب في بلادهم محبوب لشدّة حرّها، ويعني بما خلق من الشجر وغيرها **﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾** الأكنان جمع كن، وهو ما بقي من المطر والريح وغير ذلك، ويعني بذلك الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال **﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾** السرابيل هي الثياب من القمص وغيرها، وذكر وقاية الحرّ ولم يذكر وقاية البرد، لأن وقاية الحرّ أهم عندهم لحرارة بلادهم، وقيل لأن ذكر أحدهما يُغني عن ذكر الآخر **﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾** يعني دروع الحديد **﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾** إشارة إلى ما ذكر من النِّعَم من أول السورة إلى هنا والضمير في يعرفون للكفّار، وإنكارهم لنِعَم الله إشراكهم به وعبادة غيره، وقيل نعمة الله هنا نبوّة محمد ﷺ **﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾** أي يشهد عليهم بإيمانهم وكفرهم **﴿ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي لا يؤذن لهم في الاعتذار **﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾** أي لا يسترضون، وهو من العتبى بمعنى الرضى **﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾** يحتمل أن يكون بمعنى التأخير أو بمعنى النظر: أي لا ينظر الله إليهم **﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾** الضمير في القول

إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ

للمعبودين والمعنى أنهم كذّبوهم في قولهم أنهم كانوا يعبدونهم، كقولهم ما كنتم إيّانا تعبدون، فإن قيل: كيف كذّبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟ فالجواب أنهم لمّا كانوا غير راضين بعبادتهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركاء لله، لا في العبادة **﴿وَأَلْقَوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾** أي استسلموا له وانقادوا **﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾** رُوِيَ أن الزيادة في العذاب هي حيّات وعقارب كالبغال تلسعهم **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسَانِ﴾** يعني بالعدل: فعل الواجبات، وبالإحسان: المندوبات، وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين، قال ابن مسعود: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى **﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾** الإيتاء مصدر آتي بمعنى أعطي، وقد دخل ذلك في العدل والإحسان، ولكنه جرّده بالذكر اهتمامًا به **﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾** قيل يعني الزنا، واللفظ أعمّ من ذلك **﴿وَالْمُنْكَرِ﴾** هو أعمّ من الفحشاء، لأنه يعمّ جميع المعاصي **﴿وَالْبَغْيِ﴾** يعني الظلم **﴿وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ﴾** هذا في الأيمان التي في الوفاء بها خير، وأما ما كان تركه أولى، فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير منه، كما جاء في الحديث، أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان في حق غيره، أو معاهدة لغيره **﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾** أي رقيبًا ومتكفلاً بوفائكم بالعهد، وقيل إن هذه الآية نزلت في بيعة النبي ﷺ، وقيل فيما كان بين العرب من حلف في الجاهلية **﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾** شبّه الله مَن يحلف ولم يَفِ بيمينه بالمرأة التي تغزل غزلاً قويًا ثم تنقضه، ورُوِيَ أنه كان بمكة امرأة حمقاء تسمى ريطة بنت سعد، كانت تفعل ذلك وبها وقع التشبيه، وقيل إنما شبّه بامرأة غير معيّنة **﴿أَنكَاثًا﴾** جمع نكث وهو ما ينكث أي ينقض، وانتصابه على الحال **﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ**

هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ

﴿دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ الدخل الدغل، وهو قصد الخديعة **﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هي أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾** أن في موضع المفعول من أجله: أي بسبب أن تكون أمة، ومعنى أربى: أكثر عددًا أو أقوى، ونزلت الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية، وقيل الإشارة بالأربى هنا إلى كفّار قريش إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين **﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾** الضمير للأمر بالوفاء، أو لكون أمة هي أربى من أمة، فإن بذلك يظهر مَن يحافظ على الوفاء أولاً **﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾** استعارة في الرجوع عن الخير إلى الشر، وإنما أفرد القدم ونكرها: لاستعظام الزلل في قدم واحدة فكيف في أقدام كثيرة **﴿وَتَذُوقُوا السُوءَ﴾** يعني في الدنيا **﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾** يدلّ على أن الآية فيمن بايع النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم **﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** يعني في الآخرة **﴿وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾** الثمن القليل عرض الدنيا، وهذا نهي لمَن بايع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أن ينكث لأجل ضعف الإسلام حينئذ وقوّة الكفّار ورجاء الانتفاع في الدنيا إن رجع عن البيعة **﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾** أي يفنى **﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾** يعني في الدنيا، قال ابن عباس هي الرزق الحلال، وقيل هي القناعة، وقيل هي حياة الآخرة **﴿فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾** ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة، لأن الفاء تقتضي الترتيب، وقد شذّ قوم فأخذوا بذلك، وجمهور الأمة على الاستعاذة قبل القراءة، وتأويل الآية: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله **﴿إِنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾** أي ليس له عليهم سبيل ولا يقدر على إضلالهم **﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾** أي يتّخذونه

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٠١ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٠٢ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ۝١٠٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٠٤ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ۝١٠٥ مَن﴾

وَليًا ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشرِكُونَ﴾ الضمير لإبليس، والباء سببية ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ التبديل هنا النسخ، كان الكفّار إذا نسخت آية يقولون هذا افتراء ولو كان من عند الله لم يبدل ﴿واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ جملة اعتراض بين الشرط وجوابه وفيها ردّ على الكفار أي الله أعلم بما يصلح للعباد في وقت ثم ما يصلح لهم بعد ذلك ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني جبريل ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي مع الحق في أوامره ونواهيه وأخباره، ويحتمل أن يكون قوله بالحق بمعنى حقًا، أو بمعنى أنه واجب النزول ﴿أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ كان بمكة غلام أعجمي اسمه يعيش، وقيل كانا غلامين اسم أحدهما جبر والآخر يسار، فكان النبي ﷺ يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام، فقالت قريش هذان يعلّمان محمدًا، ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ اللسان هنا بمعنى اللغة والكلام، ويلحدون من ألحد إذا مالَ، وقرىء بفتح الياء من لحد، وهما بمعنى واحد، وهذا ردّ عليهم فإن الشخص الذي أشاروا إليه أنه يعلّمه أعجمي اللسان؛ وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة، فلا يمكن أن يأتي به أعجمي ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ هذا في حق مَن علم الله منه أنه لا يؤمن كقوله: ﴿إن الَّذِينَ حَقت عَلَيْهِم كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]، فاللفظ عام يراد به الخصوص، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِم أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] الآية، وقال ابن عطيّة: المعنى إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله ولكنه قدّم في هذا الترتيب وأخر تهكّمًا بتقبيح أفعالهم.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ردّ على قولهم إنما أنت مُفْتَرٍ: يعني إنما يليق الكذب بمَن لا يؤمن لأنه لا يخاف الله وأما مَن يؤمن بالله فلا يكذب عليه ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله: أي هم الذين عادتهم الكذب لأنهم لا يبالون بالوقوع في المعاصي، ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم إنما أنت مُفْتَرٍ ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ الآية: مَن شرطية في موضع رفع بالابتداء، وكذلك من في قوله

كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ

مَن شرح، لأنه تخصيص من الأول، وقوله فعليهم غضب: جواب عن الأولى والثانية، لأنهما بمعنًى واحد، أو يكون جوابًا للثانية، وجواب الأولى محذوف يدلّ عليه جواب الثانية، وقيل مَن كفر بدل من الذين لا يؤمنون أو من المبتدأ في قوله أولئك هم الكاذبون، أو من الخبر **﴿إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾** استثنى من قوله من كفر، وذلك أن قومًا ارتدّوا عن الإسلام، فنزلت فيهم الآية، وكان فيهم مَن أُكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر، وهو يعتقد الإيمان منهم عمّار بن ياسر، وصهيب، وبلال فَعَذَرَهم الله، رُوِيَ أن عمّار بن ياسر شكى إلى رسول الله ﷺ ما صنع به من العذاب وما تسامح به من القول، فقال له رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم: «كيف تجد قلبك»؟ قال: أجده مطمئنًا بالإيمان، قال: «فأَجِبْهم بلسانك، فإنه لا يضرّك»، وهذا الحكم في مَن أُكرِه بالنطق على الكفر، وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا؟ فأجازه الجمهور، ومنعه قوم وكذلك قال مالك: لا يلزم المكره يمين ولا طلاق ولا عتق ولا شيء فيما بينه وبين الله، ويلزمه ما كان من حقوق الناس، ولا تجوز الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أو أخذ ماله **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنيَا﴾** الإشارة إلى العذاب، والباء للتعليل، فعلّل عذابهم بعلّتين: أحدهما إيثارهم الحياة الدنيا، والأخرى أن الله لا يهديهم **﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾** قرأه الجمهور فتنوا بضم الفاء: أي عُذّبوا فالآية على هذا في عمّار وشبهه من المعذّبين على الإسلام، وقرأ ابن عامر بفتح الفاء: أي عذاب المسلمين، فالآية على هذا فيمَن عذّب المسلمين، ثم هاجر وجاهد كالحضرمي وأشباهه **﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** كرّر إن ربّك توكيدًا، والضمير في بعدها يعود على الأفعال المذكورة وهي الهجرة والجهاد والصبر **﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾** يحتمل أن يتعلق بغفور رحيم أو بمحذوف تقديره اذكروا هذا أظهر **﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾** النفس هنا بمعنى الجملة كقولك إنسان، والنفس في قوله عن نفسها بمعنى الذات المعينة التي نقيضها الغير أي تجادل عن

تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ

ذاتها لا عن غيرها كقولك جاء زيد نفسه وعينه ﴿تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ أي تحتجّ وتعتذر، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون؟ فالجواب أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ الآية، قيل إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التي ذكرها الله ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ يعني بنبوّة محمد ﷺ، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم، وقيل إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلاً لمكة، وهذا أظهر، لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم، والضمير في قوله فكفرت وأذاقها: يراد بها أهل القرية بدليل قوله بما كانوا يصنعون ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ الإذاقة هنا واللباس مستعاران، أما الإذاقة فقد كثر استعمالها في البلايا، حتى صارت كالحقيقة، وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتمالهما على اللباس ومباشرتهما له كمباشرة الثوب ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ إن كان المراد بالقرية مكة، فالرسول هنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم والعذاب الذي أخذهم القحط وغيره وإن كانت القرية غير معينة، فالرسول من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما، والعذاب ما أصابهم من الهلاك ﴿فَكُلُوا﴾ وما بعده مذكور في البقرة ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ هذه الآية مخاطبة للعرب الذين أحلّوا أشياء وحرّموا أشياء كالبحيرة وغيرها مما ذكر في سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل فيها كلّ مَن قال هذا حلال أو حرام بغير علم، وانتصب الكذب بلا تقولوا أو يكون قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب وما في قوله بما تصف موصولة ويجوز أن ينتصب الكذب بقوله تصف وتكون ما على هذا مصدرية ويكون قوله هذا حلال وهذا حرام معمول لا تقولوا ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ يعني عيشهم في الدنيا أو

عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

انتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم **﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾** يعني قوله في الأنعام حرّمنا كل ذي ظفر إلى آخر الآية، فذكر ما حرّم على المسلمين وما حرّم على اليهود، ليعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراء على الله كما فعلت العرب **﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾** هذه الآية تأنيس لجميع الناس وفتح باب التوبة **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾** فيه وجهان: أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم بكماله وجمعه لصفات الخير كقول الشاعر:

فليس على اللّهِ بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

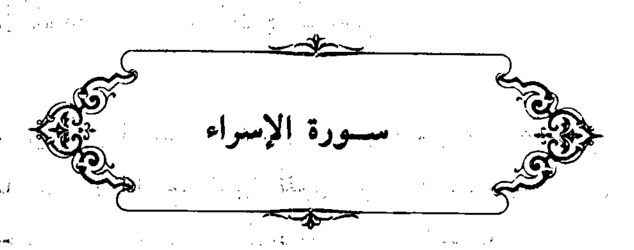
والآخر أن يكون أمة بمعنى إمام كقوله: **﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾** [البقرة: ١٢٤]، قال ابن مسعود والأمة معلم الناس الخير، وقد ذكر معنى القانت والحنيف **﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾** يعني لسان الصدق، وأن جميع الأمم متفقون عليه، وقيل يعني المال والأولاد **﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾** أي من أهل الجنة **﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** نفى عنه الشرك لقصد الردّ على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون إليه **﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾** أمر موسى بني إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصًا للعبادة فرضي بعضهم بذلك، وقال أكثرهم بل يكون يوم السبت، فألزمهم الله يوم السبت، فاختلافهم فيه هو ما ذكر والسبت على هذا هو اليوم، وقيل اختلافهم فيه: هو أن منهم مَن حرّم الصيد فيه، ومنهم مَن أحلّه، فعاقبهم الله بالمسخ قردة، فالمعنى: إنما جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه، والسبت على هذا مصدر من سبت إذا عظم يوم السبت، قاله الزمخشري، وتقتضي الآية أن السبت لم يكن من ملّة إبراهيم عليه السلام **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ**

بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ المراد بالسبيل هنا الإسلام، والحكمة هي الكلام الذي يظهر صوابه، والموعظة هي الترغيب والترهيب، والجدال هو الردّ على المخالف، وهذه الأشياء الثلاثة يسمّيها أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدال، وهذه الآية تقتضي مهادنة نسخت بالسيف، وقيل إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطّف والرفق غير منسوخ، وإنما السيف لمَن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفّار وأما العُصاة فهي في حقهم مُحكَمَة إلى يوم القيامة باتفاق **﴿وَإِنْ عَاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾** المعنى إن صنع بكم صنع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية، وسمّيت الأولى عقوبة لمُشَاكَلَة اللفظ، ويحتمل أن يكون عاقبتم بمعنى أصبتم عقبى: كقوله في الممتحنة فعاقبتم بمعنى غنمتم فيكون في الكلام تجنيس، وقال الجمهور: إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطّلب لمّا بَقَرَ المشركون بطنه يوم أُحد، قال النبي ﷺ: «والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلنّ بسبعين منهم»، فنزلت الآية فكفّر النبي ﷺ عن يمينه وترك ما أراد من المثلة؛ ولا خلاف أن المثلة حرام، وقد وردت الأحاديث بذلك؛ ويقتضي ذلك أنها مدنية، ويحتمل أن تكون الآية عامّة، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال، وتكون على هذا مكيّة كسائر السورة؛ واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه، فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية، ومنعه مالك لقوله ﷺ: «أدّ الأمانة إلى مَن ائتمنك، ولا تخن مَن خانك» **﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾** هذا ندب إلى الصبر وترك عقوبة مَن أساء إليك فإن العقوبة مُباحة، وتركها أفضل، والضمير راجع للصبر، ويحتمل أن يريد بالصابرين هنا العموم، أو يُراد به المخاطبون كأنه قال خير لكم **﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾** هذا عزم على النبي ﷺ في خاصّته على الصبر، ويُروَى أنه قال لأصحابه أما أنا فأصبر كما أمرت، فماذا تصنعون؟ قالوا: نصبر كما ندبنا ثم أخبره أنه لا يصبر إلاّ بمعونة الله؛ وقد قيل إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال، وأما إن كان الصبر يُراد به ترك المثلة التي فعل مثلها بحمزة فذلك غير منسوخ **﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾** أي لا تتأسّف لكفرهم **﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾** أي لا يضيق صدرك بمكرهم، والضيق

يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

بفتح الضاد تخفيف من ضيق كميت وميت، وقرىء بالكسر وهو مصدر، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدران **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾** يريد أنه معهم بمعونته ونصره **﴿وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾** الإحسان هنا يحتمل أن يُراد به فعل الحسنات، والمعنى الذي أشار له النبي ﷺ بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» وهذا هو الأظهر، لأنه رتبة فوق التقوى.



سورة الإسراء

مكيّة إلاّ الآيات ٢٦ و٣٢ و٣٣ و٥٧ ومن آية ٧٣
إلى غاية آية ٨٠ فمدنيّة وآياتها ١١١ نزلت بعد القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

بِسْــم اللَّهِ الرَّحمٰن الرَّحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ معنى سبحان تنزّه، وهو مصدر غير منصرف، وأسرى وسرى لغتان، وهو فعل غير متعدٍّ، واختار ابن عطيّة أن يكون أسرى هنا متعدّيًا أي أسرى الملائكة بعبده وهو بعيد، والعبد هنا هو نبيّنا محمد ﷺ، وإنما وصفه بالعبودية تشريفًا له وتقريبًا ﴿لَيلاً﴾ إن قيل: ما فائدة قوله ليلاً مع أن السرى هو السير بالليل؟ فالجواب: أنه أراد بقوله ليلاً بلفظ التنكير تقليل مدّة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل مسيرة أربعين ليلة، وذلك أبلغ في الأعجوبة ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ يعني بالمسجد الحرام مسجد مكة المحيط بالكعبة، وقد رُوِيَ في الحديث أنه ﷺ قال: «بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل»، وقيل كان النبي ﷺ ليلة الإسراء في بيته، فالمسجد الحرام على هذا مكة أي بلد المسجد الحرام؛ وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس الذي بإيلياء، وسمّي الأقصى لأنه لم يكن وراءه حينئذ مسجد، ويحتمل أن يريد بالأقصى الأبعد؛ فيكون

أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ

المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة، واختلف العلماء في كيفية الإسراء، فقال الجمهور: كان بجسد النبي ﷺ وروحه، وقال قوم كان بروحه خاصّة وكانت رؤيا نوم حقّ، فحجّة الجمهور أنه لو كان منامًا لم تنكره قريش ولم يكن في ذلك ما يكذب به الكفّار، ألا ترى قول أم هانىء له لا تخبر بذلك فيكذبك قومك، وحجة مَن قال إن الإسراء كان منامًا قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرّؤيَا التي أرَيْنَاكَ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وإنما يقال الرؤيا في المنام، ويقال فيما يرى بالعين رؤية، وفي الحديث أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «بينما أنا بين النائم واليقظان» وذكر الإسراء، وقال في آخر الحديث: «فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام» وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال: الإسراء كان مرتين: أحدهما بالجسد والآخر بالروح، وإن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس، وهو الذي أنكرته قريش، وأن الإسراء بالروح كان إلى السموٰات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس ولَقِيَ الأنبياء في السموٰات **﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾** صفة للمسجد الأقصى، والبركة حوله بوجهين: أحدهما ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء، والآخر: كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خصّ الله بها الشام **﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾** أي لنُرِي محمدًا ﷺ تلك الليلة من العجائب، فإنه رأى السموٰات والجنة والنار وسُدرة المنتهى والملائكة والأنبياء وكلمة الله تعالى حسبما ورد في أحاديث الإسراء، وهي في مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا **﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾** يحتمل أن يكون الضمير على الكتاب أو على موسى **﴿أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾** أي ربًّا تَكِلُون إليه أمركم، وأن يحتمل أن تكون مصدرية أو مفسّرة **﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾** نداء، وفي ندائهم بذلك تلطّف وتذكير بنعمة الله، وقيل هي مفعول تتخذوا، ويتعيّن معنى ذلك على قراءة مَن قرأ يتخذ بالياء ويعني بمَن حملنا مع نوح أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث، ونساؤهم ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان **﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾** أي كثير الشكر كان يحمد الله على كل حال، وهذا تعليل لما تقدّم أي كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح **﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾** قيل إن قضينا هنا بمعنى علمنا وأخبرنا، كما قيل في وقضينا إليه ذلك الأمر، والكتاب على هذا التوراة، وقيل قضينا إليه من القضاء والقدر، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه مقادير الأشياء وإلى بمعنىٍ على **﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾** هذه

وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ

الجملة بيان للمقضي، وهي في موضع جواب قضينا إذا كان من القضاء والقدر لأنه جرى مجرى القسم، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره والله لتفسدن، والجملة في موضع معمول قضينا، والمرتان المشار إليهما إحداهما قتل زكريا والأخرى قتل يحيى عليهما السلام ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ من العلوّ وهو الكبر والتخيّل ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ معناه أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولى بعث الله عليهم عبادًا له لينتقم منهم على أيديهم، واختلف في هؤلاء العبيد فقيل جالوت وجنوده وقيل بختنصّر ملك بابل ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ أي تردّدوا بينهما بالفساد، ورُوِيَ أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة، وخرّبوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألفًا ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم، ويعني رجوع الملك إلى بني إسرائيل واستنقاذ أسراهم، وقتل بختنصّر، وقيل قتل داود لجالوت ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي أكثر عددًا، وهو مصدر من قولك نفر الرجل إذا خرج مسرعًا، أو جمع نفر.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أحسنتم الأول بمعنى الحسنات، والثاني بمعنى الإحسان كقولك أحسنت إلى فلان، ففيه تجنيس، واللام فيه بمعنى إلى، وكذلك اللام في قوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ﴾ يعني إذا أفسدوا في المرة الأخيرة بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم فالآخرة صفة للمرة، ومعنى يسوؤوا يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء كقوله: ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٧] واللام لام كي وهي تتعلق ببعثنا المحذوف لدلالة الأول عليه، وقيل هي لام الأمر ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يعني بيت المقدس ﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾ من التبار، وهو الإهلاك وشدّة الفساد ﴿مَا عَلَوْا﴾ ما مفعول ليتبّروا: أي يهلكوا ما غلبوا عليه من البلاد، وقيل إن ما ظرفية: أي يفسدوا مدة علوّهم ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ خطاب لبني إسرائيل ومعناه ترجية لهم بالرحمة إن تابوا بعد الرحمة الثانية ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ خطاب لبني إسرائيل: أي إن عدتم

أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ

إلى الفساد عدنا إلى عقابكم، وقد عادوا فبعث الله عليهم محمدًا صلّى الله تعالى عليه وسلّم وأمته يقتلونهم ويذلّونهم إلى يوم القيامة ﴿**حَصِيرًا**﴾ أي سجنًا وهو من الحصر، وقيل أراد به ما يفرش ويبسط كالحصير المعروف ﴿**يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ أي الطريقة والحالة التي هي أقوم، وقيل يعني لا إلهَ إلاّ الله، واللفظ أعمّ من ذلك. ﴿**يَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ**﴾ المعنى ذمّ، وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأنهم يدعون بالشرّ في ذلك الوقت كما يدعون بالخير في وقت التثبّت، وقيل إن الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللّهمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك الآية، وقد تقدّم أن الصحيح في قائلها إنه أبو جهل ﴿**وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً**﴾ الإنسان هنا وفي الذي قبله اسم جنس، وقيل يعني هنا آدم وهو بعيد ﴿**فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ**﴾ فيه وجهان: أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار كقولك مسجد الجامع أي الآية التي هي الليل، والآية التي هي النهار ومحو آية الليل على هذا كونه مظلمًا، والوجه الثاني أن يراد بآية الليل القمر وآية النهار الشمس، ومحو آية الليل على هذا كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس ﴿**وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ يحتمل أن يريد النهار بنفسه أو الشمس ومعنى مبصرة تبصر فيها الأشياء ﴿**لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ أي لتتوصلوا بضوء النهار إلى التصرّف في معايشكم ﴿**وَلِتَعْلَمُوا**﴾ باختلاف الليل والنهار أو بمسير الشمس والقمر ﴿**عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**﴾ الأشهر والأيام ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً**﴾ انتصب كل بفعل مضمر، والتفصيل البيان ﴿**وَكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾ انتصب كل بفعل مضمر، والطائر هنا العمل، والمعنى أن عمله لازم له، وقيل إن طائره ما قدر عليه، وله من خير وشر، والمعنى على هذا أن كل ما يلقى الإنسان قد سبق به القضاء، وإنما عبّر عن ذلك بالطائر، لأن العرب كانت عادتها التيمّن والتشاؤم بالطير، وقوله في عنقه أي هو كالقلادة أو الغلّ لا ينفكّ عنه ﴿**كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا**﴾ يعني صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ**﴾ تقديره يقال له اقرأ ﴿**حَسِيبًا**﴾ أي محاسبًا أو من

ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ

الحساب بمعنى العدد ﴿**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ معناه حيث وقع لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، والوزر في اللغة الثقل والحمل، ويراد به هنا الذنوب، ومعنى تزر تحمل وزر أخرى: أي وزر نفس أخرى ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ قيل إن هذا في حكم الدنيا أي أن الله لا يهلك أمة إلاّ بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم، وقيل هو عامّ في الدنيا والآخرة وأن الله لا يعذّب قومًا في الآخرة إلاّ وقد أرسل إليهم رسولاً فكفروا به وعصوه، ويدلّ على هذا قوله: ﴿كُلَّما أُلْقِيَ فِيهَا فَوجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِير قَالُوا بَلَى﴾ [الملك: ٨و٩] ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات، واستدلّ أهل السُّنّة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلاّ من الشرع لا من مجرد العقل ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا**﴾ في تأويل أمرنا هنا ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون في الكلام حذف تقديره أمرنا مترفيها بالخير والطاعة فعصوا وفسقوا، والثاني أن يكون أمرنا عبارة عن القضاء عليهم بالفسق أي قضينا عليهم بالفسق ففسقوا، والثالث أن يكون أمرنا بمعنى كثرنا واختاره أبو علي الفارسي، وأما على قراءة آمرنا بمدّ الهمزة فهو بمعنى كثرنا، وأما على قراءة أمّرنا بتشديد الميم، فهو من الإمارة أي جعلناهم أمراء ففسقوا، والمترف الغني المنعم في الدنيا ﴿**فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ**﴾ أي القضاء الذي قضاه الله ﴿**وَكَم أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ**﴾ القرن مائة سنة، وقيل أربعون ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ**﴾ الآية: في الكفّار الذين يريدون الدنيا ولا يؤمنون بالآخرة على أن لفظها أعمّ من ذلك، والمعنى أنهم يعجّل الله لهم حظًّا من الدنيا بقيدين أحدهما تقييد المقدار المعجّل بمشيئة الله، والآخر تقييد الشخص المعجّل له بإرادة الله، ولِمَن نريد بدل من له وهو بدل بعض من كل ﴿**مَّدْحُورًا**﴾ أي مبعدًا أو مُهانًا ﴿**وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا**﴾ أي عمل لها عملها ﴿**كُلاًّ نُّمِدُّ**﴾ انتصب كلاً بنمدّ وهو من المدد ومعناه نزيدهم من عطائنا ﴿**هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ**﴾ بدل من كلاً، والإشارة إلى الفريقين المتقدمين ﴿**مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ**﴾

بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ

يعني رزق الدنيا، وقيل من الطاعات لمَن أراد الآخرة ومن المعاصي لمَن أراد الدنيا، والأول أظهر ﴿**مَحْظُورًا**﴾ أي ممنوعًا ﴿**فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ يعني في رزق الدنيا ﴿**لاَ تَجْعَلْ**﴾ خطاب لواحد، والمراد به جميع الخلق، لأن المخاطب غير معين ﴿**مَذْمُومًا**﴾ أي يذمّه الله وخيار عباده ﴿**مَّخْذُولاً**﴾ أي غير منصور ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ**﴾ أي حكم والزم وأوجب أو أمر، ويدلّ على ذلك ما في مصحف ابن مسعود ووصّى ربك ﴿**أَلاَّ تَعْبُدُوا**﴾ أن مفسّرة أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ**﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما المؤكدة وجوابها فلا تقل لهما أفّ والمعنى الوصية ببرّ الوالدين إذا كبرا أو كبر أحدهما وإنما خصّ حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البرّ والقيام بحقوقهما لضعفهما ومعنى عندك: أي في بيتك وتحت كنفك ﴿**أُفٍّ**﴾ حيث وقعت اسم فعل معناها قول مكروه، يقال عند الضجر ونحوه وإنما المراد بها أقلّ كلمة مكروهة تصدر من الإنسان، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، فأولى وأحرى ألاّ يقال لهما ما فوق ذلك، ويجوز في أُفّ الكسر والفتح والضم، وهي حركات بناء، وأما تنوينها فهو للتنكير ﴿**وَلاَ تَنْهَرْهُمَا**﴾ من الانتهار وهو الإغلاظ في القول ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ استعارة في معنى التواضع لهما والرفق بهما، فهو كقوله: ﴿اخفض جناحك للمؤمنين﴾ [الحجر: ٨٨]، وأضافه إلى الذلّ مبالغة في المعنى كأنه قال الجناح الذليل، ومن في قوله من الرحمة للتعليل أي من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما ﴿**لِلأَوَّابِينَ**﴾ قيل معناه الصالحين، وقيل المسبّحين، وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع، فحقيقته الراجعين إلى الله ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ خطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم، وقيل هو خطاب خاصّ بالنبي ﷺ أن يؤتي قرابته حقّهم من بيت المال، والأول أرجح ﴿**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ**﴾ الآية: معناه

وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

إن أعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيهم، فقل لهم كلامًا حسنًا وكان النبيّ ﷺ إذا سأله أحد فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه، حياء منه، فأمر بحُسْن القول مع ذلك وهو أن يقول رزقكم الله وأعطاكم الله وشبه ذلك، والميسور مشتق من اليسر ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ مفعول من أجله يحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ والمعنى على هذا: أنه يعرض عنهم انتظارًا لرزق يأتيه، فيعطيه إياهم، فالرحمة على هذا هو ما يرتجيه من الرزق أو يتعلق بقوله: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾ أي ابتغ رحمة ربك بقول ميسور والرحمة على هذا هي الأجر والثواب ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ استعارة في معنى غاية البخل كأن البخيل حبست يداه عن الإعطاء وشدّت إلى عنقه ﴿وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ استعارة في معنى غاية الجود فنهى الله عن الطرفين: وأمر بالتوسّط بينهما: كقوله: ﴿إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ ﴿مَلُومًا﴾ أي يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك، أو يلومك مَن يستحق العطاء لأنك لم تترك ما تعطيه، أو يلومك سائر الناس على التبذير في العطاء ﴿مَّحْسُورًا﴾ أي منقطعًا بك لا شيء عندك وهو من قولهم حسر السفر البعير إذا أتعبه حتى لم تبقَ له قوة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يوسع على مَن يشاء ويضيق على مَن يشاء فلا تهتم بما تراه من ذلك، فإن الله أعلم بمصالح عباده ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ﴾ ذكر في الأنعام ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ الحق الموجب لقتل النفس هو ما ورد في الحديث من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا يحلّ دم امرىء مسلم إلاّ بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس أخرى»، وتتصل بهذه الأشياء أشياء أُخر لأنها في معناها كالحرابة وترك الصلاة ومنع الزكاة ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ المظلوم هنا من قتل بغير حق، والوليّ هو وليّ المقتول وسائر العصبة، وليس النساء من الأولياء عند مالك، والسلطان الذي جعل الله له: هو القصاص، أو تخييره بين العفو والقصاص ﴿فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾ نهى عن أن يسرف وليّ المقتول بأن يقتل غير قاتل وليّه أو يقتل اثنين بواحد وغير ذلك من وجوه التعدّي، وقرىء فلا تسرف بالتاء خطابًا للقاتل، أو لوليّ

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

المقتول ﴿**إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا**﴾ الضمير للمقتول أو لوليّه، ونصره هو القصاص ﴿**وَلاَ تَقرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ**﴾ ذكر في الأنعام قال بعضهم لا تقربوا ولا تقتلوا معطوفان على ألاّ تعبدوا، والظاهر أنهما مجزومان بالنهي بدليل قوله بعدها: ﴿**وَلاَ تَقْفُ**﴾ ﴿**وَلاَ تَمْشِ**﴾، ويصحّ أن تكون معطوفات إذا جعلنا ألاّ تعبدوا مجزومًا على النهي وأن مفسّرة ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ**﴾ عامّ في العهود مع الله ومع الناس ﴿**إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً**﴾ يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون في معنى الطلب: أي يطلب الوفاء به، والثاني أن يكون المعنى يسأل عنه يوم القيامة، هل وفى به أم لا ﴿**وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ**﴾ قيل القسطاس الميزان، وقيل العدل وقرىء بكسر القاف وهي لغة ﴿**وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ أي أحسن عاقبةً ومآلاً، وهو من آل إذا رجع ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ المعنى لا تقل ما لا تعلم من ذمّ الناس وشبه ذلك، واللفظ مشتق من قفوته إذا اتبعته ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد وإنما عاملها معاملة العقلاء في الإشارة بأولئك، لأنها حواس لها إدراك والضمير في عنه يعود على كل ويتعلق عنه بمسؤولاً، والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده، وقيل الضمير يعود على ما ليس لك به علم والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هي التي تسأل عمّا ليس لها به علم وهذا بعيد ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا**﴾ المرح الخيلاء والكبر في المشية، وقيل هو إفراط السرور بالدنيا وإعرابه مصدر في موضع الحال ﴿**إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ**﴾ أي لن تجعل فيها خرقًا بمشيك عليها، والخرق هو القطع، وقيل معناه لا تقدر أن تستوفي جميعها بالمشي، والمراد بذلك تعليل النهي عن الكبر والخيلاء أي إذا كنت أيّها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض، ولا على مطاولة الجبال، فكيف تتكبّر وتختال في مشيك، وإنما الواجب عليك التواضع ﴿**كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا**﴾ الإشارة إلى ما تقدّم من المنهيّات والمكروه هنا بمعنى الحرام، لا على اصطلاح الفقهاء في أن المكروه دون الحرام وإعراب مكروهًا نعت لسيئة أو بدل منها،

أَفَأَصْفَٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟

أو خبر ثانٍ لكان ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، والمعنى: كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات ومعنى أصفاكم: خصّكم ﴿قَوْلاً عَظِيمًا﴾أي عظيم النكر والشناعة ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ هذا احتجاج على الوحدانية، وفي معناه قولان: أحدهما أن المعنى لو كان مع الله آلهة لابتغوا سبيلاً إلى التقرّب إليه بعبادته وطاعته، فيكون من جملة عباده، والآخر لابتغوا سبيلاً إلى إفساد ملكه ومعاندته في قدرته، ومعلوم أن ذلك لم يكن فلا إله إلاّ هو.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ﴾ الآية: اختلف في كيفية هذا التسبيح فقيل هو تسبيح بلسان الحال أي بما تدلّ عليه صنعتها من قدرة وحكمة، وقيل إنه تسبيح حقيقة وهذا أرجح لقوله لا تفقهون تسبيحهم ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ في معناه قولان: أحدهما أن الله أخبر نبيّه ﷺ أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شرًّا، ويحجبه منهم والآخر أنه يحجب الكفّار عن فهم القرآن، وهذا أرجح لما بعده، والمستور هنا قيل معناه مستور عن أعين الخلق لأنه من لطف الله وكفايته فهو من المغيبات، وقيل معناه ساتر ﴿أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ جمع كنان وهو الغطاء، وأن يفقهوه مفعول من أجله تقديره كراهة أن يفقهوه، وهذه استعارات في إضلالهم ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ معناه إذا ذكرت في القرآن وحدانية الله تعالى فرّ المشركون من ذلك، لما فيه من رفض آلهتهم وذمّها ونفورًا مصدر في موضع الحال ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء، والضمير في به عائد على ما: أي نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ جماعة يتناجون أو ذو نجوى، والنجوى كلام السرّ

لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ

﴿رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ قيل معناه جنّ فسحر وقيل معناه ساحر، وقيل هو من السحر بفتح السين وهي الرئة: أي بشر إذا سحر مثلكم وهذا بعيد **﴿انظُرْ كَيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾** أي مثلوك بالساحر، والشاعر، والمجنون **﴿فَضَلُّوا﴾** عن الحق **﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾** إلى الهدى؛ ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة، وأصحابه من الكفّار **﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾** الآية معناها إنكار للبعث، واستبعادهم أن يخلقهم الله خلقًا جديدًا بعد فنائهم، والرفات الذي بلي حتى صار غبارًا أو فتاتًا، وقد ذكر في الرعد اختلاف القرّاء في الاستفهامين **﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾** المعنى لو كنتم حجارةً أو حديدًا لقدرنا على بعثكم وإحيائكم مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التي في الحياة، فأولى وأحرى أن يبعث أجسادكم ويُحيي عظامكم البالية فذكر الحجارة والحديد تنبيهًا بهما على ما هو أسهل في الحياة منهما، ومعنى قوله كونوا أي كونوا في الوهم والتقدير، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم في ذلك **﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾** قيل يعني السمٰوات والأرض والجبال، وقيل بل أحالَ على فكرتهم عمومًا في كل ما هو كبير عندهم: أي لو كنتم حجارةً أو حديدًا أو شيئًا أكبر عندكم من ذلك وأبعد عن الحياة لقدرنا على بعثكم **﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيكَ رُؤُوسَهُمْ﴾** أي يحرّكونها تحريك المستبعد للشيء والمستهزىء **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾** أي متى يكون البعث **﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾** الدعاء هنا عبارة عن البعث بالنفخ في الصور والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين وبحمده في موضع الحال أي حامدين له، وقيل معنى بحمده بأمره **﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾** يعني لبثتم في الدنيا أو في القبور **﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** العباد هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلامًا ليّنًا عجيبًا، وقيل أن يقولوه للمشركين، ثم

زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ

نسخ بالسيف وإعراب يقولوا كقوله يقيموا الصلاة في إبراهيم، وقد ذكر ذلك ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ قيل يعني الملائكة، وقيل عيسى وأمه وعزيرًا، وقيل نفر من الجن كان العرب يعبدونهم، والمعنى أنهم لا يقدرون على كشف الضر عنكم، فكيف تعبدونهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ المعنى أن أولئك الآلهة الذين تدعون من دون الله يبتغون القربة إلى الله، ويرجونه، ويخافونه، فكيف تعبدونهم معه، وإعراب أولئك مبتدأ والذين تدعون صفة له ويبتغون خبره، والفاعل في يدعون ضمير للكفار، وفي يبتغون للآلهة المعبودين وقيل إن الضمير في يدعون ويبتغون للأنبياء المذكورين قبل في قوله: ﴿ولقد فضّلنا بعض النبيّين على بعض﴾ [الإسراء: ٥٥]، والوسيلة هي ما يتوسل به ويتقرب ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدل من الضمير في يبتغون أي يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم، فكيف بغيره؟ أو ضمن يبتغون معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله بالاجتهاد في طاعته، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يتوسلون بأيهم أقرب إلى الله ﴿مَحْذُورًا﴾ من الحذر وهو الخوف ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يحتمل هذا الهلاك وجهين: أحدهما أن يكون بالموت والفناء الذي لا بدّ منه، والآخر أن يكون بأمر من الله يأخذ المدينة دفعة فيهلكها، وهذا أظهر، لأن الأول معلوم لا يفتقر إلى الإخبار به، والهلاك والتعذيب المذكوران في الآية هما في الحقيقة لأهل القرى أو مهلكو أهلها أو معذّبوهم، ورُوِيَ أن هلاك مكة بالحبشة، والمدينة بالجوع، والكوفة بالترك، والأندلس بالخيل، وسُئِلَ الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة، فقال أصابها العذاب يوم قتل الموحدين بها في ثورة ابن هود، وأما هلاك قرطبة وأشبيلية وطيطلة وغيرها بأخذ الروم لها ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ الآيات يراد بها هنا التي يقترحها الكفار فإذا رأوها ولم يؤمنوا أهلكهم الله وسبب الآية أن قريشًا اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا فيهلكوا، وعبّر بالمنع عن ترك ذلك، وأن نرسل في موضع نصب وأن كذب في موضع رفع ثم ذكر ناقة ثمود تنبيهًا على ذلك لأنهم اقترحوها وكانت سبب

مُبۡصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ

هلاكهم، ومعنى مبصرة: بيّنة واضحة الدلالة **﴿وَمَا نُرسِلُ بِالآيَاتِ إلاّ تَخوِيفًا﴾** إن أراد بالآيات هنا المقترحة فالمعنى أن يرسل بها تخويفًا من العذاب العاجل وهو الإهلاك وإن أراد المعجزات غير المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفًا من عذاب الآخرة ليراها الكافر فيؤمن، وقيل المراد بالآيات هنا الرعد والزلازل والكسوف، وغير ذلك من المخاوف **﴿وَإِذْ قُلنَا لَكَ إن ربّك أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾** المعنى اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعني بشّرناك بقتلهم يوم بدر وذلك قوله سيهزم الجمع ويولّون الدبر، وإنما قال أحاط بلفظ الماضي وهو لم يقع لتحقيقه وصحّة وقوعه بعد، وقيل المعنى أحاط بالناس في منعك وحمايتك منهم كقوله: ﴿والله يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] **﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتي أَرَينَاكَ إلاّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾** اختلف في هذه الرؤيا فقيل إنها الإسراء، فمَن قال إنه كان في اليقظة، فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين، ومَن قال إنه كان في المنام فالرّؤيا منامية، والفتنة على هذا تكذيب الكفّار بذلك وارتداد بعض المسلمين حينئذ، وقيل إنها رؤيا النبي ﷺ في منامه هزيمة الكفّار وقتلهم ببدر، والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك، وقيل إنه رأى أنه يدخل مكة فعجّل في سنة الحديبية فردّ عنها فافتتن بعض المسلمين بذلك؛ وقيل رأى في المنام أن بني أُميّة يصعدون على منبره فاغتمّ بذلك **﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾** يعني شجرة الزقّوم، وهي معطوفة على الرؤيا أي جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس، وذلك أن قريشًا لمّا سمعوا أن جهنم شجرة زقّوم سخروا من ذلك وقالوا كيف تكون شجرة في النار والنار تحرق الشجر، وقال أبو جهل ما أعرف الزقّوم إلاّ التمر بالزبد، فإن قيل: لِمَ لعنت شجرة الزقّوم في القرآن؟ فالجواب أن المراد لعنة آكلها، وقيل اللعنة بمعنى الإبعاد لأنها في أصل الجحيم **﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾** الضمير لكفّار قريش **﴿طِينًا﴾** تمييز أو حال مِنْ «مَنْ» أو من مفعول خلقت **﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾** الكاف من أرأيتك للخطاب لا موضع لها من الإعراب، وهذا مفعول بأرأيت، والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرّمته عليّ أي فضّلته وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك، وقال ابن عطية أرأيتك هذا بمعنى أتأملت ونحوه لا بمعنى أخبرني **﴿لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾** معناه لأستولينّ عليهم ولأقودنّهم وهو مأخوذ من تحنيك

ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ

الدابّة، وهو أن يشدّ على حنكها بحبل فتنقاد ﴿قَالَ اذْهَبْ﴾ قال ابن عطيّة اذهب وما بعده من الأوامر: صيغة أمر على وجه التهديد، وقال الزمخشري ليس المراد الذهاب الذي هو ضدّ المجيء، وإنما معناه امضِ لشأنك الذي اخترته خذلانًا له وتخلية، ويحتمل عندي أن يكون معناه للطّرد والإبعاد ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ كان الأصل أن يقال جزاؤهم بضمير الغيبة، ليرجع إلى مَن اتّبعك، ولكنه ذكره بلفظ المخاطب تغليبًا للمخاطب على الغائب، وليدخل إبليس معهم ﴿جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ مصدر في موضع الحال والموفور المكمل ﴿واسْتَفْزِزْ﴾ أي اخدع واستخف ﴿بِصَوْتِكَ﴾ قيل يعني الغناء والمزامير، وقيل الدعاء إلى المعاصي ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ أي هول، وهو من الجلبة وهي الصياح ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ الخيل هنا يراد بها الفرسان الراكبون على الخيل، والرجل جمع راجل وهو الذي يمشي على رجليه فقيل هو مجاز واستعاره بمعنى افعل جهدك، وقيل إن له من الشيطان خيلاً ورجلاً، وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون في الشرّ ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ﴾ مشاركته في الأموال بكسبها من الربا وإنفاقها في المعاصي وغير ذلك، ومشاركته في الأولاد هي بالاستيلاد بالزنا وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك ﴿وَعِدْهُمْ﴾ يعني المواعدة الكاذبة من شفاعة الأصنام وشبه ذلك ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يعني المؤمنين الذين يتوكّلون على الله بدليل قوله بعد ذلك: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ ونحوه: إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون ﴿يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ أي يجريها ويسيّرها والفُلْك هنا جمع وابتغاء الفضل في التجارة وغيرها ﴿الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ يعني خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إلاّ إِيَّاهُ﴾ ضلّ هنا بمعنى تلف وفقد: أي تلف عن أوهامكم وخواطركم كل مَن تدعونه إلاّ الله وحده فلجأتم إليه حينئذ دون غيره. فكيف تعبدون غيره وأنتم لا تجدون في تلك الشدّة إلاّ إيّاه ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا﴾ أي كفورًا بالنِّعم، والإنسان

لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟

هنا جنس ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ الهمزة للتوبيخ والفاء للعطف أي أنجوتم من البحر فأمنتم الخسف في البرّ ﴿حَاصِبًا﴾ يعني حجارة أو ريحًا شديدة ترمي بالحصباء ﴿وَكِيلاً﴾ أي قائمًا بأموركم وناصرًا لكم ﴿قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ يعني الذي يقصف ما يلقى أي يكسره ﴿تَبِيعًا﴾ أي مطالبًا يطالبنا بما فعلنا بكم: أي لا تجدون مَن ينصركم منّا كقوله: ﴿وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٥] ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ يعني فضلهم على الجنّ وعلى سائر الحيوان، ولم يفضّلهم على الملائكة، ولذلك قال: ﴿عَلَى كَثِيرٍ﴾ وأنواع التفضيل كثيرة لا تُحصى: وقد ذكر المفسّرون منها كون الإنسان يأكل بيده، وكونه منتصب القامة، وهذه أمثلة ﴿بِإِمَامِهِمْ﴾ قيل يعني بنبيّهم، يقال يا أمة فلان، وقيل يعني كتابهم الذي أُنزل عليهم، وقيل كتابهم الذي فيه أعمالهم ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ الفتيل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، والمعنى أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلاً ولا كثيرًا، فعبّر بأقلّ الأشياء تنبيهًا على الأكثر ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾ الإشارة بهذه إلى الدنيا، والعمى يراد به عمى القلب: أي مَن كان في الدنيا أعمى عن الهدى، والصواب فهو في يوم القيامة أعمى: أي حيران يائس من الخير، ويحتمل أن يريد بالعمى في الآخرة عمى البصر: كقوله ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ٢٠]، وإنما جعل الأعمى في الآخرة أضلّ سبيلاً، لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء، ويجوز في أعمى الثاني: أن يكون صفة للأول، وأن يكون من الأفعال التي للتفضيل، وهذا أقوى لقوله وأضلّ سبيلاً فعطف أضلّ الذي هو من أفعل من كذا على ما هو شبهه، قال سيبويه. لا يجوز أن يقال هو أعمى من كذا ولكن إنما يمتنع ذلك في عمى البصر، لا في عمى القلب ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية: سببها أن قريشًا قالوا للنبي ﷺ اقبل بعض أمرنا ونقبل بعض أمرك، وقيل إن ثقيفًا طلبوا من النبي ﷺ أنْ يؤخّرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللاّت والعُزّى، والآية على هذا القول مدنية ﴿لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ الافتراء هنا يراد به المخالفة لما أُوحي إليه من

لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ

القرآن وغيره ﴿**وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً**﴾ أي لو فعلت ما أرادوا منك لاتخذوك خليلاً ﴿**وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً**﴾ لولا تدل على امتناع شيء لوجود غيره، فدلت هنا على امتناع مقاربة النبي ﷺ الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته، وكدت تقتضي نفي الركون، لأن معنى كان فلان يفعل كذا أي أنه لم يفعله فانتفى الركون إليهم ومقاربته، فليس في ذلك نقص من جانب النبي ﷺ لأن التثبيت منعه من مقاربة الركون، ولو لم يثبته الله لكانت مقاربته للركون إليهم شيئًا قليلاً، وأما منع التثبيت فلم يركن قليلاً ولا كثيرًا، ولا قارب ذلك ﴿**إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ**﴾ أي ضعف عذابهما لو فعل ذلك ﴿**وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ**﴾ الضمير لقريش كانوا قد همّوا أن يخرجوا النبي ﷺ من مكة، وذلك قبل الهجرة، فالأرض هنا يراد بها مكة لأنها بلده ﴿**وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ أي لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك بمكة إلاّ قليلاً فلما خرج النبي ﷺ مهاجرًا من مكة إلى المدينة لأجل إذاية قريش له ولأصحابه لم يبقوا بعد ذلك إلاّ قليلاً، وقتلوا يوم بدر ﴿**سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا**﴾ انتصب سنة على المصدر، ومعناه العادة أي هذه عادة الله مع رسله.

﴿**أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ**﴾ هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة، فدلوك الشمس زوالها، والإشارة إلى الظهر والعصر، وغسق الليل ظلمته وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء، وقرآن الفجر صلاة الصبح، وانتصب قرآن الفجر بالعطف على موضع اللام في قوله لدلوك الشمس، فإن اللام فيه ظرفية بمعنى علم، وقيل هو عطف على الصلاة، وقيل مفعول بفعل مضمر تقديره اقرأ قرآن الفجر، وإنما عبّر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر لأن القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها لأنها تُصلّى بسورتين طويلتين ﴿**إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**﴾ أي تشهده ملائكة الليل والنهار فيجتمعون فيه إذ تصعد

أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ

ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهاه ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ**﴾ لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل، ومن للتبعيض، والضمير في به للقرآن والتهجّد السهر وهو ترك الهجود، ومعنى الهجود: النوم فالتفعّل هنا للخروج عن الشيء كالتحرّج والتأثم: في الخروج عن الإثم والحرج ﴿**عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ يعني الشفاعة يوم القيامة، وانتصب مقامًا على الظرف ﴿**وَقُلْ رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ**﴾ الآية: المدخل: دخوله إلى المدينة والمخرج خروجه من مكة، وقيل المدخل في القبر، والمخرج إلى البعث، واختار ابن عطية أن يكون على العموم في جميع الأمور ﴿**سُلْطَانًا نَّصِيرًا**﴾ قيل معناه حجة تنصرني بها وتظهر بها صدقي، وقيل قوة ورياسة تنصرني بها على الأعداء وهذا أظهر ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ**﴾ الحق بالإيمان والباطل الكفر ﴿**وَتُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ**﴾ من للتبعيض، أو لبيان الجنس، والمراد بالشفاء أنه يشفي القلوب من الريبة والجهل، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقيا به والتعويذ ﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ**﴾ الآية: المراد بالإنسان هنا الجنس، لأن ذلك من سجية الإنسان، وقيل إنما يراد الكافر لأنه هو الذي يعرض عن الله ﴿**وَنَأَى بِجَانِبِهِ**﴾ أي بعد وذلك تأكيد وبيان للإعراض، وقرىء ناء وهو بمعنى واحد ﴿**كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾ أي مذهبه وطريقته التي تشاكله ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ**﴾ السائلون اليهود، وقيل قريش بإشارة اليهود، والروح هنا عند الجمهور هو الذي في الجسم، وقد يقال فيه النفس وقيل الروح هنا جبريل وقيل القرآن والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ أي من الأمور التي استأثر الله بها ولم يطلع عليها خلقه، وكانت اليهود قد قالت لقريش اسألوه عن الروح، فإن لم يجبكم فيه بشيء فهو نبيّ وذلك أنه كان عندهم في التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه، وقال ابن بريدة: لقد مضى النبي ﷺ وما يعرف الروح، ولقد كثر اختلاف الناس في النفس والروح، وليس في أقوالهم في ذلك ما يعول عليه ﴿**وما أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً**﴾ خطاب عامّ لجميع الناس، لأن

لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ

علمهم قليل بالنظر إلى علم الله وقيل خطاب لليهود خاصّة والأول أظهر لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي إن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحوناه من الصدور والمصاحف وهذه الآية متصلة المعنى بقوله: ﴿وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]: أي في قدرتنا أن نذهب بالذي أوحينا إليك فلا يبقى عندك شيء من العلم ﴿وَكِيلاً﴾ أي مَن يتوكّل بإعادته وردّه بعد ذهابه ﴿إلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون استثناءً متصلاً فمعنى أنّ رحمة ربك تردّ القرآن بعد ذهابه لو ذهب أو استثناءً منقطعًا بمعنى أن رحمة ربك تمسكه عن الذهاب ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ عجز الخلق عن الإتيان بمثله لما تضمنه من العلوم الإلهية والبراهين الواضحة والمعاني العجيبة التي لم يمكن الناس يعلمونها، ولا يصلون إليها، ثم جاءت فيه على الكمال، وقال أكثر الناس إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحُسْن نظمه ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجهًا ﴿ظَهِيرًا﴾ أي معينًا ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا للناس في هذا القرآن من كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي بيّنّا لهم كل شيء من العلوم النافعة، والبراهين القائمة، والحجج الواضحة، وهذا يدلّ على أن إعجاز القرآن بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إلاَّ كُفُورًا﴾ الكفور الجحود، وانتصب بقوله أبى لأنه في معنى النفي ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لنا من الأرض يَنبُوعًا﴾ الذين قالوا هذا القول هم أشراف قريش طلبوا من النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أنواعًا من خوارق العادات، وهي التي ذكرها الله في هذه الآية، وقيل إن الذي قاله عبد الله بن أبي أُميّة بن المغيرة، وكان ابن عمّة النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم، ثم أسلم بعد ذلك والينبوع العين، قالوا له إن مكة قليلة الماء ففجّر لنا فيها عينًا من الماء ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشأ نَخْسِف بهم الأرضَ أو نُسقِط عَلَيهم كَسفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [سبأ: ٩] وكسفًا بفتح السين جمع كسفة وهي القطعة، وقرىء بالإسكان: أي قطعًا واحدًا ﴿قَبِيلاً﴾ قيل معناه مقابلة ومعاينة وقيل ضامنًا شاهدًا

قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا

بصدقك، والقبالة في اللغة الضمان **﴿بَيْت مِّن زُخْرُفٍ﴾** أي من ذهب **﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾** تعجب من اقتراحاتهم، أو تنزيه لله عن قولهم تأتي بالله، وعن أن يطلب منه هذه الأشياء التي طلبها الكفّار، لأن ذلك سوء أدب **﴿هَلْ كُنتُ إلاّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾** أي إنما أنا بشر، فليس في قدرتي شيء مما طلبتم، وأنا رسول فليس عليّ إلاّ التبليغ **﴿إلاّ أن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾** المعنى أن الذي منع الناس من الإيمان إنكارهم لبعث الرسول من البشر **﴿قُلْ لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ﴾** الآية: معناها أنه لو كان أهل الأرض ملائكة لكان الرسول إليهم ملكًا، ولكنهم بشر، فالرسول إليهم بشر من جنسهم ومعنى مطمئنين ساكنين في الأرض **﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾** ذكر في الأنعام **﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾** قيل هي استعارة بمعنى أنهم يوم القيامة حيارى، وقيل هي حقيقة وأنهم يكونون عميًا وبكمًا وصُمًّا حين قيامهم من قبورهم **﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾** معناه في اللغة سكن لهبها، والمراد هنا كلما أكلت لحومهم فسكن لهبها بدّلوا أجسادًا أُخر، ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت **﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا﴾** استبعاد للحشر وقد تقدّم معنى الرفات والكلام في الاستفهامين **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ﴾** الآية احتجاج على الحشر، فإن السّمٰوات والأرض أكبر من الإنسان فكما قدّر الله على خلقها فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فنائه، والرؤية في الآية، رؤية قلب **﴿أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾** القيامة أو أجل الموت **﴿قُلْ لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾** لو حرف امتناع ولا يليها الفعل إلا ظاهراً أو مضمرًا فلا بدّ من فعل يقدّر هنا بعدها تقديره تملكون ثم فسّره بتملكون الظاهر،

لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن

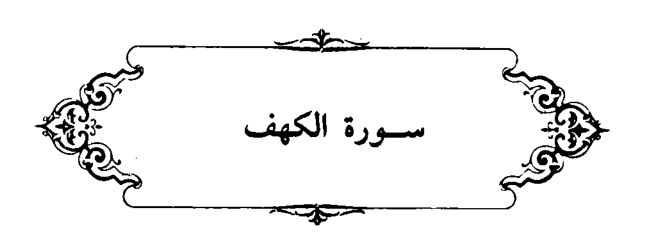
وأنتم تأكيد للضمير الذي في تملكون المضمر ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ أي الأموال والأرزاق، ﴿إذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإنفاقِ﴾ أي لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن الإعطاء خشية الفقر، فالمراد بالإنفاق عاقبة الإنفاق وهو الفقر، ومفعول أمسكتم محذوف، وقال الزمخشري لا مفعول له لأن معناه بخلتم من قولهم للبخيل ممسك، ومعنى الآية وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر، بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى ﴿تِسْعَ آيَاتٍ﴾ بيّنات الخمس منها الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، والأربع انقلاب العصا حيّة، وإخراج يده بيضاء، وحلّ العقدة من لسانه، وفلق البحر وقد عمد فيها رفع الطور فوقه، وانفجار الماء من الحجر على أن يسقط اثنان من الأُخَر، وقد عدّ فيها أيضًا السنون، والنقص من الثمرات، رُوِيَ أن بعض اليهود سألوا النبي ﷺ عنها فقال: «ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، ولا تمشي ببريء إلى السلطان ليقتله، ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنات، ولا تفرّوا يوم الزحف وعليكم خاصّة اليهود ألاّ تعدّوا في السبت» ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عمّا ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقينًا، والآية على هذا خطاب لمحمد ﷺ، وقال الزمخشري إن المعنى قلنا لموسى اسأل بني إسرائيل من فرعون أي اطلب منه أن يرسلهم معك، فهو كقوله: أن أرسل معنا بني إسرائيل، فلا يردّ قوله اسأل لموسى على إضمار القول، وقال أيضًا: يحتمل أن يكون المعنى: اسأل بني إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك، وهذا أيضًا على أن يكون الخطاب لموسى، والأول أظهر ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل، والمراد آباؤهم الأقدمون والعامل في إذ على القول الأول آتيناه موسى أو فعل مضمر، والعامل فيه على قول الزمخشري القول المحذوف ﴿مَسْحُورًا﴾ هنا وفي الفرقان: أي سحرت واختلط عقلك، وقيل ساحر ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بفتح التاء خطاب لفرعون، والمعنى أنه علم أن الله أنزل الآيات، ولكنه كفر بها عنادًا كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والإشارة بهؤلاء إلى الآيات مثبورًا أي مهلوكًا، وقيل مغلوبًا، وقيل مصروفًا عن الخير، قابل موسى قول فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورًا بقوله: ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ أي أرض مصر ﴿اسْكُنُوا الأَرْضَ﴾ يعني

يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا

أرض الشام **﴿لَفِيفًا﴾** أي جميعًا مختلطين **﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾** الضمير للقرآن وبالحق معناه في الموضعين بالواجب من المصلحة والسّداد وقيل معنى الأول كذلك: ومعنى الثاني ضدّ الباطل. أي بالحق في إخباره وأوامره ونواهيه **﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾** انتصب بفعل مضمر يدلّ عليه فرقناه، ومعناه بيّناه وأوضحناه **﴿عَلَى مُكْثٍ﴾** قيل معناه على تمهل وترتيل في قراءته، وقيل على طول مدة نزوله شيئًا شيئًا من حين بعث النبي ﷺ إلى وفاته، وذلك عشرون سنة، وقيل ثلاث وعشرون **﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا﴾** أمر باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم، كأنه يقول سواء آمنتم أو لم تؤمنوا لكونكم لستم بحجة، وإنما الحجة أهل العلم من قبله، وهم المؤمنون من أهل الكتاب **﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾** يعني المؤمنين من أهل الكتاب وقيل الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة: كزيد بن عمرو بن نوفل، وورقة بن نوفل، والأول أظهر، وهذه الجملة تعليل لما تقدّم، والمعنى: إن لم تؤمنوا به أنتم، فقد آمن به مَن هو أعلم منكم **﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾** أي لناحية الأذقان كقولهم خرّ لليدين وللفم، والأذقان جمع ذقن، وهو أسفل الوجه حيث اللحية، وإنما كرّر يخرّون للأذقان، لأن الأول للسجود، والآخر للبكاء **﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾** سببها أن الكفّار سمعوا النبي ﷺ يدعو يا الله يا رحمن، فقالوا إن كان محمد ليأمرنا بدعاء إله واحد وها هو يدعو إلهين، فنزلت الآية مبيّنة أن قوله الله أو الرحمن اسمًا لمسمى واحد، وأنه مخيّر في الدعاء بأيّ الاسمين شاء، والدعاء في الآية بمعنى التسمية كقولك دعوت ولدي زيدًا لا بمعنى النداء **﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾** أيًّا اسم شرط منصوب بتدعوا، والتنوين فيه عوض من المضاف إليه، وما زائدة للتأكيد والضمير في به لله تعالى، وهو المسمى لا الاسم، والمعنى أيّ هذين الاسمين تدعو فحسن، لأن الله له الأسماء الحسنى فموضع قوله لله الأسماء الحسنى موضع الحال، وهو في المعنى تعليل للجواب، لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان **﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾** المخافتة

تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

هي الإسرار، وسبب الآية أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة فسمعه المشركون، فسبّوا القرآن ومَن أنزله، فأمر رسول الله ﷺ بالتوسّط بين الإسرار والجهر ليسمع أصحابه الذين يصلّون معه ولا يسمع المشركون، وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها، واجعل منها سرًّا وجهرًا حسبما أحكمته السُّنّة، وقيل الصلاة هنا الدعاء **﴿وَلَم يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّن الذُّلِّ﴾** أي ليس له ناصر يمنعه من الذلّ لأنه تعالى عزيز لا يفتقر إلى وليّ يحميه، فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غنيّ عنها، ولم ينفِ الولاية على وجه المحبة والكرامة لمَن شاء من عباده، وحكى الطبري أن قوله لم يتّخذ ولدًا ردّ على النصارى واليهود والذين نسبوا لله ولدًا، وقوله ولم يكن له شريك: ردّ على المشركين، وقوله ولم يكن له وليّ من الذلّ ردّ على الصابئين في قولهم لولا أولياء الله لذلّ الله «تعالى الله عن قولهم» علوًّا كبيرًا **﴿وَكَبِّرْهُ﴾** معطوف على قل، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم، أو باللسان وهو قوله أن يقول الله أكبر مع قوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا الآية.



سورة الكهف

مكيّة إلاّ آية ٣٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية
آية ١٠١ فمدنيّة وآياتها ١١٠ نزلت بعد الغاشية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾

بِسْـمِ اللَّهِ الرَّحمٰـنِ الرّحيم

﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾ العبد هنا هو النبي ﷺ، ووصفه بالعبودية تشريفًا له وإعلامًا باختصاصه وقربه، والكتاب القرآن ﴿**وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجًا**﴾ العوج بكسر العين في المعاني التي لا تحسن وبالفتح في الأشخاص كالعصا ونحوها، ومعناه عدم الاستقامة، وقيل فيه هنا معناه لا تناقض فيه ولا خلل، وقيل لم يجعله مخلوقًا، واللفظ أعمّ من ذلك ﴿**قَيِّمًا**﴾ أي مستقيمًا، وقيل قيّمًا على الخلق بأمر الله تعالى، وقيل قيّمًا على سائر الكتب بتصديقها، وانتصابه على الحال من الكتاب، والعامل فيه أنزل، ومنع الزمخشري ذلك للفصل بين الحال وذي الحال، واختار أن العامل فيه فعل مضمر تقديره جعله قيّمًا ﴿**لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا**﴾ متعلق بأنزل أو بقيّمًا، والفاعل به ضمير الكتاب أو النبي ﷺ، والبأس العذاب، وحذف المفعول الثاني وهو الناس كما حذف المفعول الآخر من قوله وينذر الذين لدلالة المعنى على المحذوف ﴿**مِن لَدُنْهُ**﴾ أي من عنده، والضمير

وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا

عائد على الله تعالى ﴿**أَجْرًا حَسَنًا**﴾ يعني الجنة ﴿**مَاكِثِينَ فِيهِ**﴾ أي دائمين، وانتصابه على الحال من الضمير في لهم ﴿**وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾ هم النصارى لقولهم في عيسى واليهود لقولهم في عزير وبعض العرب لقولهم في الملائكة ﴿**مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ**﴾ الضمير عائد على قولهم، أو على الولد ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً**﴾ انتصب على التمييز على الحال ويعني بالكلمة قولهم اتخذ الله ولدًا: وعلى هذا يعود الضمير في كبرت ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ**﴾ أي قاتلها بالحزن والأسف، والمعنى تسلية النبي ﷺ من عدم إيمانهم ﴿**عَلَىٰ آثَارِهِمْ**﴾ استعارة فصيحة: كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسّفًا عليهم، وانتصب أسفًا على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه باخع نفسك ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا**﴾ يعني ما يصلح للتزيّن كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك ﴿**لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ أي لنختبرهم أيهم أزهد في زينة الدنيا ﴿**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**﴾ المعنى إخبار بفناء الدنيا وزينتها، والصعيد هو التراب، والجرز: الأرض التي لا نبات فيها: أي سيفنى ما على الأرض من الزينة وتبقى كالأرض التي لا نبات فيها، بعد أن كانت خضراء بهجة ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾ أم هنا استفهام، والمعنى أحسبت أنهم عجب بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب، والكهف الغار الواسع، والرقيم: اسم كلبهم، وقيل هو لوح رُقمت فيه أسماؤهم على باب الكهف، وقيل كتاب فيه شرعهم ودينهم، وقيل هو القرية التي كانت بإزاء الكهف، وقيل الجبل الذي فيه الكهف، وقال ابن عباس لا أدري ما الرقيم ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ**﴾ نذكر من قصتهم على وجه الاختصار ما لا غنًى عنه، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلّة الصحة في كثيرٍ مما نقلوا، وذلك أنهم كانوا قومًا مؤمنين، وكان ملك بلادهم كافر يقتل كل مؤمن، ففرّوا بدينهم، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه ويستخفوا من الملك وقومه، فأمر الملك باتّباعهم، فانتهى المتّبعون لهم إلى الغار فوجدوهم وعرفوا الملك بذلك فوقف عليه في جنده وأمر بالدخول إليهم، فهاب الرجال ذلك وقالوا له دعهم يموتوا جوعًا

رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم

وعطشًا، وكان الله قد ألقى عليهم قبل ذلك نومًا ثقيلاً، فبقوا على ذلك مدّة طويلة ثم أيقظهم الله، وظنوا أنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعامًا بدراهم كانت لهم فعجب لها البائع وقال هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان من أين جاءتك، وشاع الكلام بذلك في الناس، وقال الرجل إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس فأوينا إلى الكهف، فقال هؤلاء الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم فمشوا إليهم فوجدوهم موتى، وأما موضع كهفهم، فقيل إنه بمقربة من فلسطين وقال: قوم إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لوشة من جهة غرناطة، وفيه موتى ومعهم كلب، وقد ذكر ابن عطية ذلك، وقال إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء يقال له الرقيم قد بقي بعض جدرانه، ورُوِيَ أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها مدينة دقيوس والله أعلم، ومما يبعد ذلك ما رُوِيَ أن معاوية مرّ عليهم وأراد الدخول إليهم، ولم يدخل معاوية بالأندلس قطّ، وأيضًا فإن الموتى التي في غار لوشة يراهم الناس، ولم يدرك أحد منهم الرعب، الذي ذكر الله في أصحاب الكهف **﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ﴾** عبارة عن إلقاء النوم عليهم، وقال الزمخشري: المعنى ضربنا على آذانهم حجابًا ثم حذف هذا المفعول **﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾** أي كثيرة **﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾** أي أيقظناهم من نومهم **﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾** أي لنعلم علمًا يظهر في الوجود لأن الله قد كان علم ذلك، والمراد بالحزبين الذين اختلفوا في مدّة لبثهم، فالحزب الواحد: أصحاب الكهف والحزب الآخر القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف في مدتهم وقيل إن الحزبين معًا أصحاب الكهف إذ كان بعضهم قال لبثنا يومًا أو بعض يوم، وقال بعضهم ربكم أعلم بما لبثتم، وأحصى فعل ماضٍ وأمدًا مفعول به، وقيل أحصى اسم للتفضيل، وأمدًا تمييز، وهذا ضعيف، لأن أفعل من التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي إلاّ في الشاذّ **﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** أي قوّينا عزمهم وألهمناهم الصبر **﴿إِذْ قَامُوا﴾** يحتمل أن يريد قيامهم من النوم أو قيامهم بين يدي الملك الكافر لمّا آمنوا ولم يبالوا به **﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾** أي لو دعونا من دونه إلهًا لقلنا قولاً شططًا، والشطط الجور والتعدّي **﴿لَوْلاَ يَأْتُونَ**

بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ

عَلَيهم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ تحضيض بمعنى التعجيز أنهم لا يأتون بحجة بيّنة على عبادة غير الله ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطاب من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم ﴿وَمَا يَعْبُدُون﴾ عطف على المفعول في اعتزلتموهم: أي تركتموهم وتركتم ما يعبدون ﴿إلاَّ اللَّه﴾ أي ما يعبدون من دون الله، وإلاّ هنا بمعنى غير، وهذا استثناء متصل إن كان قومهم يعبدن الله ويعبدون معه غيره، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله وفي مصحف ابن مسعود «وما يعبدون من دون الله» ﴿فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ﴾ هذا الفعل هو العامل في إذ اعتزلتموهم، والمعنى أن بعضهم قال لبعض إذا فارقنا الكفّار فلنجعل الكهف لنا مأوى ونتّكل على الله فهو يرحمنا ويرفق بنا ﴿مِّرْفَقًا﴾ بفتح الميم وكسرها ما يرتفق به وينتفع ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إذا طَلَعَت تزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَإذا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قيل هنا كلام محذوف تقديره فأوى القوم إلى الكهف ومكثوا فيه، وضرب الله على آذانهم، ومعنى تزاور تميل وتزوغ، ومعنى تقرضهم تقطعهم: أي تبعد عنهم، وهو بمعنى القطع، وذات اليمين والشمال أي جهته، ومعنى الآية أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرّها، فقيل إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة، وقيل كان باب الكهف شماليًا يستقبل بنات نعش، فلذلك لا تصيبهم الشمس، والأول أظهر لقوله: ﴿ذَلِكَ مِن آيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي في موضع واسع، وذلك مفتح لإصابة الشمس، ومع ذلك حجبها الله عنهم ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة، وإن كان لكون بابهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بجملته ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أيقاظًا جمع يقظ وهو المنتبه كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون فيحسبهم من يراهم أيقاظًا وفي قوله أيقاظًا ورقود مطابقة، وهي من أدوات البيان ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي نقلبهم من جانب إلى جانب، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض وكان هذا التقليب من فعل الله وملائكته، وهم لا ينتبهون من نومهم، ورُوِيَ أنهم كانوا يقلبون مرتين في

بِٱلْوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ

السنة، وقيل من سبع سنين إلى مثلها **﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾** قيل إنه كان كلبًا لأحدهم يصيد به، وقيل كان كلبًا لراعٍ فمرّوا عليه فصحبهم وتبعه كلبه وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضيّ لأنه حكاية حال **﴿بِالْوَصِيدِ﴾** أي بباب الكهف، وقيل عتبته وقيل البناء **﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾** ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم، وعن معاوية أنه غزا الروم فمرّ بالكهف، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس لا تستطيع ذلك؛ قد قال الله لمَن هو خير منك: لو اطّلعت عليهم لولّيت منهم فرارًا، فبعث ناسًا إليهم، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحًا فأحرقتهم **﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾** أي كما أنمناهم كذلك بعثناهم ليسأل بعضهم بعضًا، واللام في ليتساءلوا لام الصيرورة **﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾** هذا قول مَن استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة، فأنكر على مَن قال يومًا أو بعض يوم، ولكنه لم يعلم مقدارها فأسند علمها إلى الله **﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُم﴾** الورق الفضة، وكانت دراهم تزودوها حين خروجهم إلى الكهف، ويستدلّ بذلك على أن التزوّد للمسافر أفضل من تركه، ويستدلّ ببعث أحدهم على جواز الوكالة، فإن قيل: كيف اتصل بعث أحدهم بتذكّر مدّة لبثهم؟ فالجواب أنهم كانوا قالوا ربكم أعلم بما لبثتم، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم فابعثوا أحدكم **﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾** قيل إنها طرسوس **﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾** قيل أكثر، وقيل أحلّ، وقيل إنه أراد شراء زبيب، وقيل تمر **﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾** في اختفائه وتحيّله **﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾** أي إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة، وقيل المعنى يرجموكم بالقول، والأول أظهر **﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾** أي كما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم **﴿لِيَعْلَمُوا﴾** الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف: أي أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة ليستدلّوا بذلك على صحة البعث من

بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ

القبور ﴿**إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ**﴾ العامل في إذ أعثرنا أو مضمر تقديره اذكر والمتنازعون هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء، وقيل تنازعوا هل تحشر الأجساد أو الأرواح بالأجساد، فأراهم الله حال أصحاب الكهف ليعلموا أن الأجساد تُحشَر ﴿**فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيهِم بُنْيَانًا**﴾ أي على باب كهفهم إما ليطمس آثارهم أو ليحفظهم ويمنعهم ممّن يريد أخذهم أو أخذ تربتهم تبرّكًا، وإما ليكون علماً على كهفهم ليُعرَف به ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ**﴾ قيل يعني الولاة وقيل يعني المسلمين لأنهم كانوا أحقّ بهم من الكفّار فبنوا على باب الكهف مسجدًا لعبادة الله ﴿**سَيَقُولُونَ**﴾ الضمير لمَن كان في زمان النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم من اليهود أو غيرهم ممّن تكلم في أصحاب الكهف ﴿**رَجْمًا بِالْغَيْبِ**﴾ أي ظنًّا وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي ﴿**سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ قال قوم إن الواو واو الثمانية لدخولها هنا وفي قوله: ﴿سَبع ليالٍ وثَمَانِيَة أيامٍ﴾ [الحاقة: ٧]، وفي قوله في أهل الجنة: ﴿وَفُتِحَت أبوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وفي قوله في براءة: ﴿والنَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] وقال البصريّون لا تثبت واو الثمانية وإنما الواو هنا كقوله: جاء زيد وفي يده سيف قال الزمخشري وفائدتها التوكيد والدلالة على أن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم صدقوا وأخبَروا بحق، بخلاف الذين قالوا ثلاثة ورابعهم كلبهم، والذين قالوا خمسة وسادسهم كلبهم، وقال ابن عطيّة دخلت الواو في آخر إخبار عن عددهم لتدلّ على أن هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصحّ الكلام، وكذلك دخلت السين في قوله سيقولون الأول، ولم تدخل في الثاني والثالث استغناء بدخولها في الأول ﴿**مَّا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ**﴾ أي لا يعلم عدّتهم إلاّ قليل من الناس، وهم من أهل الكتاب، قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم، لأنه قال في الثلاثة والخمسة رجمًا بالغيب، ولم يقل ذلك في سبعة وثامنهم كلبهم ﴿**فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَآءً ظَاهِرًا**﴾ لا تمارِ: من المراء وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج، والمعنى لا تُمارِ أهل الكتاب في عدّة أصحاب الكهف إلاّ مراءً ظاهرًا أي غير متعمّق فيه من غير مبالغة ولا تعنيف في الردّ عليهم ﴿**وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا**﴾ أي لا تسأل أحدًا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف، لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يُغنيك عن السؤال

أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا

﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ سببها أن قريشًا سألوا اليهود عن أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالوا لهم اسألوه عن فتية ذهبوا في الزمان الأول وهم أصحاب الكهف، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو ذو القرنين، وعن الروح، فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبيّ فسألوه فقال غدًا أُخبركم ولم يقل إن شاء الله فأمسك عنه الله الوحي خمسة عشر يومًا فأوجف به كفّار قريش وتكلموا في ذلك، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف فقصّ عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذي القرنين، وأنزل الله عليه هذه الآية تأديبًا لهم وتعليمًا، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل، وقوله غدًا يريد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي بعد يومه خاصّة، وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى وتقديره: ولا تقولنّ لشيءٍ إني فاعل ذلك غدًا إلاّ أن تقول إن شاء الله أو تقول إلاّ أن يشاء الله، والمعنى أن يعلّق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوّته ويبرأ هو من الحول والقوة، وقيل إن قوله إلاّ أن يشاء الله بقوله لا تقولنّ. والمعنى لا تقولنّ ذلك القول إلاّ أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه، فالمشيئة على هذا راجعة إلى القول لا إلى الفعل، ومعناها إباحة القول بالإذن فيه، حكى ذلك الزمخشري، وحكاه ابن عطية، وقال إنه من الفساد بحيث كان الواجب ألاّ يحكى ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن عباس الإشارة بذلك إلى الاستثناء أي استثنَ بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولاً، وذلك على مذهبه، فإن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة، وأما مذهب مالك والشافعي فإنه لا ينفع إلاّ إن كان متصلاً باليمين، وقيل معنى الآية اذكر ربك إذا غضبت، وقيل اذكر إذا نسيت شيئًا ليذكرك ما نسيت، والظاهر أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت ذكره أي ارجع إلى الذكر إذا غفلت عنه واذكره في كل حال، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم يذكر الله على كل أحيانه ﴿وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ هذا كلام أمر النبي ﷺ أن يقوله، والإشارة بهذا إلى خبر أصحاب الكهف أي عسى الله أن يؤتيني من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة على نبوّتي من خبر أصحاب الكهف واللفظ يقتضي أن المعنى: عيني أن يوفّقني الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خير أصحاب أهل الكهف وأقرب إلى الله، وقيل إن الإشارة بهذا إلى المنسي أي إذا نسيت شيئًا فقل عسى أن يهديني الله إلى شيء آخر هو أرشد من المنسيّ.

نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ في هذا قولان أحدهما أنه حكاية عن أهل الكتاب يدلّ على ذلك ما في قراءة ابن مسعود: وقالوا لبثوا في كهفهم. وهو معطوف على سيقولون ثلاثة فقوله **﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾** ردّ عليهم في هذا العدد المحكي عنهم، والقول الثاني أنه من كلام الله تعالى، وأنه بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددًا، ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا على هذا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم، وقد أخبر بمدة لبثهم، فإخباره هو الحق لأنه أعلم من الناس، وكان قوله قل الله أعلم احتجاجًا على صحة ذلك الإخبار، وانتصب سنين على البدل من ثلاثمائة أو عطف بيان، أو على التمييز وذلك على قراءة التنوين في ثلاثمائة وقرىء بغير تنوين على الإضافة ووضع الجمع موضع المفرد **﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾** أي ما أبصره وما أسمعه، لأن الله يدرك الخفيّات كما يدرك الجليّات **﴿مَا لَهُم﴾** الضمير لجميع الخلق أو للمعاصرين للنبي ﷺ **﴿وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾** هو خبر عن القراءة بالياء والرفع وقرىء بالتاء والجزم على النهي **﴿لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾** يحتمل أن يراد بالكلمات هنا القرآن، فالمعنى لا يبدّل أحد القرآن ولا يغيّره، ويحتمل أن يريد بالكلمات القضاء والقدر **﴿مُلْتَحَدًا﴾** أي ملجأ تميل إليه **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾** أي احبسها صابرًا **﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾** هم فقراء المسلمين: كبلال وخباب وصهيب وكان الكفّار قد قالوا له اطرد هؤلاء نجالسك نحن، فنزلت الآية **﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾** قيل المراد الصلوات الخمس، وقيل الدعاء على الإطلاق **﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾** أي لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا، وقال الزمخشري يقال عداه إذا جاوزه، فهذا الفعل يتعدّى بنفسه دون حرف، وإنما تعدّى هنا بعن لأنه تضمن معنى نبت عينه عن الرجل إذا احتقره **﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** جملة في موضع الحال فهي متصلة بما قبلها، وهي في معنى تعليل الفعل المنهي عنه في قوله ولا تعد عيناك عنهم: أي لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا **﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾** أي جعلناه غافلاً أو وجدناه غافلاً، وقيل يعني أمية بن

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾

ابن حصين الفزاري، والأظهر أنها مطلقة من غير تقييد ﴿**فُرُطًا**﴾ من التفريط والتضييع، أو من الإفراط والإسراف ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ**﴾ أي هذا هو الحق ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِن**﴾ لفظه أمر وتخيير: ومعناه أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه: إما الحق الذي يُنجيه، أو الباطل الذي يهلكه، ففي ضمن ذلك تهديد ﴿**سُرَادِقُهَا**﴾ السرادق في اللغة ما أحاط بالشيء كالسور والجدار، وأما سرادق جهنم فقيل حائط من نار، وقيل دخان ﴿**كَالْمُهْلِ**﴾ وهو دردي الزيت إذا انتهى حرّه رُوِيَ ذلك عن النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم وقيل ما أُذيب من الرصاص وشبهه ﴿**مُرْتَفَقًا**﴾ أي شيء يرتفق به، فهو من الرفق، وقيل يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتّكاء ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ**﴾ خبر إن، وإنا لا نضيع: اعتراض، ويجوز أن يكونا خبرين أو يكون إنّا لا نضيع الخبر، وأولئك استئناف، ويقوم العموم في قوله من أحسن مقام الضمير الرابط، أو يقدّر مَن أحسن عملاً منه، ورُوِيَ أن النبي ﷺ قال إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم ﴿**أَسَاوِرَ**﴾ جمع أسوار وسوار، وهو ما يجعل في اليد، وقيل أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار ﴿**مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ**﴾ السندس: رقيق الديباج، والإستبرق الغليظ منه ﴿**الأَرَائِكِ**﴾ الأسرة والفرش ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم**﴾ الضمير للكفّار الذين قالوا اطرد فقراء المسلمين وللفقراء الذين أرادوا طردهم: أي مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين، وهما أخون من بني إسرائيل: أحدهما مؤمن، والآخر كافر: ورثا مالاً عن أبيهما، فاشترى الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر فعيّر الكافر بفقره فأهلك الله مال الكافر، ورُوِيَ أن اسم المؤمن تمليخا، واسم الكافر فطروس، وقيل كانا شريكين اقتسما المال فاشترى أحدهما بماله جنتين وتصدّق الآخر بماله ﴿**أُكُلَهَا**﴾ بضم الهمزة اسم لما يؤكل، ويجوز ضمّ الكاف

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن﴾

وإسكانها ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي لم تنقص ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمُرٌ﴾ بضم الثاء والميم أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، قاله ابن عباس وقتادة، وقيل هو الذهب والفضة خاصة، وهو من ثمر ماله إذا أكثره ويجوز إسكان الميم تخفيفًا، وأما بفتح الثاء والميم، فهو المأكول من الشجر، ويحتمل المعنى الآخر ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي يراجعه في الكلام ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني الأنصار والخدم ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ أفرد الجنة هنا، لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن دخول الجنتين دفعة واحدة ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ إما بكفره وإما بمقابلته لأخيه، فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى السموٰات والأرض وسائر المخلوقات، فيكون قائلاً ببقاء هذا الوجود كافرًا بالآخرة أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطًا في الاغترار وقلّة التحصيل ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي﴾ إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخي: لأجدنّ في الآخرة خيرًا من جنتي في الدنيا، وقرىء خيرًا منهما بضمير الاثنين للجنتين، وبضمير الواحد للجنة ﴿مُنقَلَبًا﴾ أي مرجعًا ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافرًا لشكّه في البعث ﴿سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ كما تقول سوّاك إنسانًا، ويحتمل أن يقصد الرجولية على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أُنثى ﴿لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ الجمهور بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل، والأصل على هذا لكن أنا، ثم ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها، وحذفت ثم أدغمت النون في النون، وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقف، ويتوجّه ذلك بأن تكون لحقتها نون الجماعة التي في خرجنا وضربنا، ثم أدغمت النون في النون ﴿وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية: وصيّة من المؤمن للكافر، ولولا تحضيض ﴿فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ يحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة ﴿حُسْبَانًا﴾ أي أمرًا مهلكًا كالحرّ والبرد ونحو ذلك

تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ

﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الصعيد وجه الأرض والزلق الذي لا يثبت فيه قدم يعني أنه تذهب أشجاره ونباته **﴿غَوْرًا﴾** أي غائرًا ذاهبًا وهو مصدر وصف به **﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾** عبارة عن هلاكها **﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾** عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه **﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾** يريد أن السقف وقعت وهي العروش ثم تهدمت الحيطان عليها والحيطان على العروش وقيل إن كرومها المعروشة سقطت على عروشها، ثم سقطت الكروم عليها **﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ﴾** قال ذلك على وجه التمنّي لما هلك بستانه، أو على وجه التوبة من الشرك **﴿هُنَالِكَ﴾** ظرف يحتمل أن يكون العامل فيه منتصرًا، أو يكون في موضع خبر **﴿الوِلاَيَةُ لِلَّهِ﴾** بكسر الواو بمعنى الرياسة والملك، وبفتحها من الموالاة والمودّة **﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾** أي عاقبة **﴿فَاخْتَلَطَ﴾** الباء سببية، والمعنى: صار به النبات مختلطًا: أي ملتفًا بعضه ببعض من شدّة تكاثفه **﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾** أي متفتتًا، وأصبح هنا بمعنى صار **﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾** أي تفرّقه ومعنى المثل تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فنائه بعد خضرته **﴿المَالُ وَالْبَنُونُ﴾** الآية: هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد، وذلك من أدوات البيان، وقرىء زينتا بالتثنية لأنه خبر عن اثنين، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة لأنها مصدر **﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾** هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر هذا قول الجمهور، وقد رُوِيَ ذلك عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقيل الصلوات الخمس، وقيل الأعمال الصالحات على الإطلاق **﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾** أي نحملها، ومنه قوله: وهي تمرّ مرّ السحاب، وبعد ذلك تصير هباء **﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾** أي ظاهرة لزوال الجبال عنها **﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾** قال الزمخشري إنما جاء حشرناهم بلفظ الماضي بعد قوله نسير للدلالة على أن حشرناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا تلك الأهوال **﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾** أي لم نترك **﴿صَفًّا﴾** أي صفوفًا فهو إفراد تنزل منزلة الجمع، وقد جاء في الحديث إن أهل الجنة مائة وعشرون صفًا أنتم منها ثمانون صفًّا **﴿لَقَدْ**

جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ

﴿جِئْتُمُونَا﴾ يقال هذا للكفّار على وجه التوبيخ ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي حفاة عُراة غُرلاً ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ﴾ يعني صحائف الأعمال، فالكتاب اسم جنس ﴿كَانَ مِنَ الجِنِّ﴾ كلام مستأنف جرى مجرى التعليل لا بآية إبليس عن السجود، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع، فإن الجن صنف غير الملائكة، وقد يجيب عن ذلك مَن قال إنه كان من الملائكة بأن كان هنا بمعنى صار: أي خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن، أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من نار ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: أي خرج عن ما أمر به، والفسق في اللغة الخروج ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾: هذا توبيخ ووعظ، وذرّية إبليس هم الشياطين، واتخاذهم أولياء بطاعتهم في عصيان الله والكفر به ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ الضمير للشياطين على وجه التحقير بهم أو للكفّار أو لجميع الخلق، فيكون فيه ردّ على المنجّمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرّصة ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي معينًا ومعنى المُضلّين الذين يضلّون العباد وذلك يقوى أن المراد الشياطين ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ يقول هذا للكفّار على وجه التوبيخ لهم، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم، وقد بيّن هذا بقوله الذين زعمتم ﴿مَّوْبِقًا﴾ أي مهلكًا، وهو اسم موضع أو مصدر من وبق الرجل إذا هلك وقد قيل إنه وادٍ من أودية جهنم والضمير في بينهم للمشركين وشركائهم ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا﴾ الظن هنا بمعنى اليقين ﴿مَصْرِفًا﴾ أي معدلاً ينصرفون إليه ﴿جَدَلاً﴾ أي مخاصمة ومدافعة بالقول ويقتضي سياق الكلام ذمّ الجدل وسببها فيما قيل مجادلة النضر بن الحارث، على أن الإنسان هنا يراد به الجنس ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا﴾ الآية: معناها أن المانع للناس من

ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ

الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سُنّة الأمم المتقدمة، وهي الإهلاك في الدنيا أو يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة ومعنى قبلاً معاينةً وقرىء بضمتين وهو جمع قبيل: أي أنواعًا من العذاب ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي ليبطلوا ﴿وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ يعني العذاب وما موصولة، والضمير محذوف تقديره أنذروه أو مصدرية ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ هذه عقوبة على الإعراض المحكي عنهم أو تعليل لهم والأكنّة جمع كنان وهو الغطاء والوقر الصمم وهما على وجه الاستعارة في قلّة فهمهم للقرآن وعدم استجابتهم للإيمان ﴿فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ يريد به مَن قضى الله أنه لا يؤمن ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ الضمير لكفّار قريش أو لسائر الناس لقوله ولو يؤاخذ الله الناس والجملة خبر المبتدأ والغفور ذو الرحمة صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة، ويحتمل أن يكون الغفور هو الخبر، ويؤاخذهم بيان لمغفرته ورحمته، والأول أظهر ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ قيل هو الموت وقيل عذاب الآخرة وقيل يوم بدر ﴿مَوْئِلًا﴾ أي ملجأ يقال وئل الرجل إذا لجأ ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ يعني عادًا وثمود وغيرهم من المتقدمين، والمراد هنا أهل القرى ولذلك قال أهلكناهم وفي ضمن هذا الإخبار تهديد لكفّار قريش ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ أي وقتًا معلومًا، والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر من أهلك، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول لأن الفعل متعدّي، وقرىء بفتح الميم من هلك، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاه﴾ هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر، وهو موسى ابن عمران نبيّ الله وقال قوم هو موسى آخر وذلك باطل ردّه ابن عباس وغيره ويدلّ الحديث على بطلانه وفتاه هو يوشع بن نون وهو ابن أُخت موسى وهو من ذرّيّة يوسف عليه السلام والفتى هنا بمعنى الخديم وسبب القصة فيما رُوِيَ عن النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم

﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾

في الحديث الصحيح أن موسى عليه السلام خطب يومًا في بني إسرائيل فقيل له هل تعلم أحدًا أعلم منك فقال لا فأوحى الله إليه أن بل عبدنا الخضر أعلم منك فقال يا رب دلني على السبيل إلى لقائه فأوحى الله إليه أن يحمل حوتًا في مكتل ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك ففعل موسى ذلك حتى لقيه ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ قال موسى هذا الكلام وهو سائر أي لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين فحذف خبر لا أبرح اختصارًا لدلالة المعنى عليه ومعنى لا أبرح هنا لا أزال لأن حقيقة لا أبرح تقتضي الإقامة في الموضع وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة ومجمع البحرين عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه وهو بحر الأندلس وقيل هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي زمانًا طويلاً، والحقب بضم القاف وإسكانها ثمانون سنة وقيل زمان غير محدود وقيل هي جمع حقبة وهي السنة ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ الضمير في بلغا لموسى وفتاه والضمير في بينهما للبحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسب النسيان إليهما وإنما كان النسيان من الفتى وحده كما تقول فعل بنو فلان كذا إذا فعله واحد منهم وقيل نسي الفتى أن يقدّمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ فاعل اتخذ الحوت، والمعنى أنه سار في البحر فقيل إن الحوت كان ميتًا مملوحًا ثم صار حيًا بإذن الله ووقع في الماء فسار فيه وقال ابن عباس إنما حيي الحوت لأنه مسّه ماء عين يقال لها عين الحياة ما مسّت قط شيئًا إلاّ حيي وفي الحديث أن الله أمسك جرية الماء عن الحوت فصار مثل السراب وهو المسلك في جوف الأرض وذلك معجزة لموسى عليه السلام وقيل اتخذ الحوت سبيله في البحر سربًا حتى وصل إلى البحر فعامَ على العادة ويردّ هذا ما ورد في الحديث ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي جاوزا الموضع الذي وصف له وهو الصخرة التي نام عندها فسار الحوت في البحر بينما كان موسى نائمًا وكان ذهاب الحوت أمارة لقائه للخضر فلما استيقظ موسى أصابه الجوع فقال لفتاه آتنا غداءنا ﴿نَصَبًا﴾ أي تعبًا.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ قال الزمخشري أرأيت هنا بمعنى أخبرني ثم قال، فإن قلت ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وفإني نسيت الحوت لا متعلق له؟ فالجواب أنه لمّا طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من

فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا

نسيانه فدهش ففلق يسأل موسى عن سبب ذلك فكأنه قال أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف بعض الكلام **﴿نَسِيتُ الحُوتَ﴾** أي نسيت أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه في البحر وتقديره نسيت ذكر الحوت **﴿أَن أَذْكُرَهُ﴾** بدل من الهاء في أنسانيه وهو بدل اشتمال **﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾** يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع أي اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبًا أي تعجب هو منه وإعراب عجبًا مفعول ثانٍ لاتخذ مثل سربًا وقيل إن الكلام تمّ عند قوله في البحر ثم ابتدأ التعجّب فقال عجبًا وذلك بعيد **﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾** أي فقد الحوت هو ما كنّا نطلب لأنه أمارة على وجدان الرجل **﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾** أي رجعا في طريقهما يقصّان أثرهما الأول لئلا يخرجا عن الطريق **﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾** هو الخضر **﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾** يعني النبوّة على قول مَن قال إن الخضر نبيّ وقيل إنه ليس بنبيّ ولكنه وليّ وتظهر نبوّته من هذه القصة. أنه فعل أشياء لا يعملها إلاّ بوحي واختلف أيضًا هل مات أو هو حيّ إلى الآن ويذكر كثيرًا من الصلحاء أنهم يرونه ويكلمهم **﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾** في الحديث أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه فقال له السلام عليك فرفع رأسه وقال وإنى بأرضك السلام قال له مَن أنت؟ قال: أنا موسى، قال موسى: بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أَوَ لم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا قال بلى ولكني أحببت لقاءك وأن أتعلم منك قال إني على علم من علم الله علّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علّمكه لا أعلمه أنا **﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾** الآية: مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع مَن يريد أن يتعلم منه **﴿رُشْدًا﴾** قرىء بضم الراء وإسكان الشين وبفتحها والمعنى واحد، وانتصب على أنه مفعول ثانٍ بتعلّمني أو حال من الضمير في أتبعك **﴿فَانْطَلَقَا﴾** الضمير لموسى والخضر وفي الحديث أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرّت بهما سفينة فعرفها الخضر فحمل فيها بغير نوال أي بغير

حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِيۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ

أجرة ﴿خَرَقَهَا﴾ رُوِيَ أن الخضر أزال لوحين من ألواحها ﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي عظيمًا وقيل منكرًا ﴿فَانطَلَقَا﴾ يعني بعد نزولهما من السفينة فمرّا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضيء الصورة فاقتلع الخضر رأسه، وقيل ذبحه، وقيل أخذ صخرة فضرب بها رأسه والأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح ورُوِيَ أن اسم الغلام جيسورًا بالجيم، وقيل بالحاء المهملة قال الزمخشري إن قلت لِمَ قال خرقها بغير فاء، وقال فقتله بالفاء؛ والجواب أن خرقها جواب الشرط وقتله من جملة الشرط معطوف عليه والخبر قال أقتلت نفسًا، فإن قيل لِمَ خُولِفَ بينهما؟ فالجواب: أن خرق السفينة لم يتعقّب الركوب وقد تعقّب القتل لقاء الغلام ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ قيل إنه كان لم يبلغ فمعنى زكية ليس له ذنب وقيل إنه كان بالغًا ولكنه لم يرَ له الخضر ذنبًا ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان قد قتل نفسًا لم يكن بقتله بأس على وجه القصاص، وهذا يدلّ على أن الغلام كان بالغًا فإن غير البالغ لا يقتل وإن قتل نفسًا ﴿شَيْئًا نُكْرًا﴾ أي منكرًا وهو أبلغ من قوله إمْرًا ويجوز ضمّ الكاف وإسكانها ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ بزيادة لك فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس في قوله أولا ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا ﴿بَعْدَهَا﴾ الضمير للقصة وإن لم يتقدّم لها ذكر ولكن سياق الكلام يدلّ عليها ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي قد أعذرت إليّ فأنت معذور عندي وفي الحديث كانت الأولى من موسى نسيانًا ﴿أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قيل هي أنطاكية، وقيل برقة وقال أبو هريرة وغيره هي بالأندلس ويذكر أنها الجزيرة الخضراء وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ أي طلبا منهم طعامًا ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أن يسقط وإسناده الإرادة إلى الجدار مجاز ومثل ذلك كثير في كلام العرب وحقيقته أنه قارب أن ينقضّ ووزن ينقضّ ينفعلْ وقيل يفعل بالتشديد كيحمرّ ﴿فَأَقَامَهُ﴾ قيل إنه هدمه ثم بناه وقيل مسحه بيده وأقامه فقام ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي قال موسى للخضر لو شئت لاتخذت عليه أجرًا أي

بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ

طعامًا نأكله ﴿**قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾ إنما قال له هذا لأجل شرطه في قوله: ﴿**إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي**﴾ على أن قوله: ﴿**لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ ليس بسؤال ولكن في ضمنه أمر بأخذ الأُجرة عليه لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام والبين هنا ليس بظرف وإنما معناه الوصلة والقُرْب، وقال الزمخشري الأصل هذا فراق بيني وبينك بتنوين فراق ونصب بيني على الظرفية ثم أُضيف المصدر إلى الظرف والإشارة بقوله هذا إلى السؤال الثالث، الذي أوجب الفراق، ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ**﴾ قيل إنهم تجّار ولكنه قال فيهم مساكين على وجه الإشفاق عليهم، لأنهم كانوا يغصبون سفينتهم أو لكونهم في لجج البحر، وقيل كانوا إخوة عشرة منهم خمسة عالِمون بالسفينة، وخمسة ذو عاهات لا قُدرة لهم وقرىء مساكين بتشديد السين، أي يمسكون السفينة ﴿**وَكَانَ وَرَاءَهُم**﴾ قيل معناه قدّامهم، وقرأ ابن عباس أمامهم، وقال ابن عطيّة إن وراءهم على بابه ولكن رُوعِيَ به الزمان فالوراء هو المستقبل والأمام هو الماضي ﴿**كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾ عموم معناه الخصوص في الجياد والصحاح من السفن، ولذلك قرأ ابن مسعود يأخذ كل سفينة صالحة، وقيل: إن اسم هذا الملك هدد بن يدد وهذا يفتقر إلى نقل صحيح، وفي الكلام تقديم وتأخير، لأن قوله ﴿**فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا**﴾ مؤخر في المعنى عن ذكر غصبها لأن خوف الغصب سبب في أنه عابها وإنما قدّم للعناية به ﴿**وَأَمَّا الْغُلامُ**﴾ رُوِيَ أنه كان كافرًا، ورُوِيَ أنه كان يفسد في الأرض، ﴿**فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا**﴾ المتكلم بذلك الخضر وقيل إنه من كلام الله وتأويله على هذا فكرهنا، وقال ابن عطية إنه من نحو ما وقع في القرن من عسى ولعلّ، وإنما هو في حق المخاطبين ومعنى يرهقهما طغيانًا وكفرًا، يكلّفهما ذلك والمعنى أن يحملهما حبّه على اتّباعها أو يضرّ بهما لمخالطته مع مخالفته لهما ﴿**خَيْرًا مِّنْهُ**﴾ أي غلامًا آخر خيرًا من الغلام المذكور المقتول ﴿**زَكَاةً**﴾ أي طهارة وفضيلة في دينه ﴿**وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾ أي رحمة وشفقة، فقيل المعنى أن يرحمهما، وقيل: يرحمانه ﴿**لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ**﴾ اليتيم مَن فقد أبويه قبل البلوغ، ورُوِيَ أن اسم الغلامين أصرم وصريم، واسم أبيهما كاشح وهذا يحتاج إلى صحة نقل ﴿**كَنزَهُمَا**﴾ قيل مال عظيم، وقيل كان علمًا في صحف مدفونة، والأول أظهر ﴿**وَكَانَ**

﴿أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن﴾

أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قيل إنه الأب السابع، وظاهر اللفظ أنه الأقرب **﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾** أسند الإرادة هنا إلى الله لأنها في أمر مغيب مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله، وأسند الخضر إلى نفسه في قوله فأردت أن أعيبها لأنها لفظة عيب، فتأدّب بأن لا يسندها إلى الله وذلك كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] فأسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تأدّبًا، واختلف في قوله فأردنا أن يبدلهما هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله، **﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾** هذا دليل على نبوّة الخضر، لأن المعنى أنه فعل بأمر الله أو بوحي.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ السائلون اليهود، أو قريش بإشارة اليهود، وذو القرنين هو الإسكندر الملك، وهو يوناني وقيل رومي وكان رجلاً صالحًا، وقيل كان نبيًّا، وقيل كان ملكًا بفتح اللام والصحيح أنه ملك بكسر اللام واختلف لِمَ سُمِّيَ ذو القرنين فقيل كان له ضفيرتان من شعر هما قرناه، فسمّي بذلك وقيل لأنه بلغ المشرق والمغرب وكأنه حاز قرني الدنيا **﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾** التمكين له أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم **﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾** أي علمًا وفهمًا، يتوصل به إلى معرفة الأشياء والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك **﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾** أي طريقًا يوصله **﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾** قرىء بالهمز على وزن فعلة أي ذات حمأة وقرىء بالياء على وزن فاعلة وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس فقال ابن عباس حمئة وقال معاوية حامية فبعثا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر فقال أما العربية فأنتما أعلما بها مني، ولكني أجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين فوافق ذلك قراءة ابن عباس ومعنى حامية حارّة، ويحتمل أن يكون بمعنى حمية ولكن سهلت همزته ويتفق معنى القراءتين وقد قيل يمكن أن يكون فيها حمئة وتكون حارّة لحرارة الشمس فتكون جامعة للموضعين، ويجتمع معنى القراءتين **﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾** استدلّ بهذا مَن قال إن ذا القرنين نبيّ لأن هذا القول وحي ويحتمل أن يكون بإلهام فلا يكون فيه دليل على نبوّته **﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ

ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟

حُسْنًا﴾ كانوا كفّارًا فخيّره الله بين أن يعذّبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام، فيحسن إليهم وقيل الحسن هنا هو الأسر وجعله حسنًا بالنظر إلى القتل **﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾** اختار أن يدعوهم إلى الإسلام فمَن تمادى على الكفر قتله ومَن أسلم أحسن إليه والظلم هنا الكفر والعذاب القتل وأراد بقوله عذابًا نكرًا عذاب الآخرة **﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾** المراد بالحسنى الجنة أو الأعمال الحسنة **﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾** وعدهم بأن ييسّر عليهم **﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾** هؤلاء القوم هم الزنج وهم أهل الهند ومَن وراءهم ومعنى ألم نجعل الآية أنهم ليس لهم بنيان إذ لا تحمل أرضهم البناء وإنما يدخلون من حرّ الشمس في أسراب تحت الأرض وقال ابن عطية الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم وقيل الستر اللباس فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب **﴿كَذَلِكَ﴾** أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيمًا لأمره وقيل إن كذلك راجع لما قبله أي لم نجعل له سترًا كما جعلنا لكم من المباني والثياب، وقيل المعنى وجد عندها قومًا كذلك أي مثل القوم الذين وجدوا عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله **﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾** أي الجبلين وهما جبلان في طرف الأرض وقرىء بالفتح والضم وهما بمعنى واحد، وقيل ما كان من خلقة الله فهو مضموم وما كان من فعل الناس فهو مفتوح **﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾** قيل هم الترك **﴿لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾** عبارة عن بُعد لسانهم عن ألسنة الناس فهم لا يفقهون القول إلاّ بالإشارة أو نحوها **﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾** قبيلتان من بني آدم في خلقهم تشويه منهم مفرط الطول ومفرط القصر **﴿مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾** لفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشرّ، وقيل كانوا يأكلون بني آدم **﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾** هذا استفهام في ضمنه عرض ورغبة، والخرج الجباية ويقال فيه خراج وقد قرىء بهما، فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالاً ليقيم بها السد **﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فيه رَبِّي خَيْرٌ﴾**

حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ

أي ما بسط الله لي من الملك خير من خرجكم فلا حاجة لي به ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي ﴿رَدْمًا﴾ أي حاجزًا حصينًا والردم أعظم من السدّ ﴿سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ أي بين الجبلين ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ يريد نفخ الكير أي أوقدوا النار على الحديد ﴿قِطْرًا﴾ أي نحاسًا مُذابًا وقيل هو الرصاص، ورُوي أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل البنيان من زبر الحديد حتى ملأ به ما بين الجبلين ثم أفرغ عليه النحاس المُذاب ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أصل اسطاعوا استطاعوا حذفت التاء تخفيفًا والضمير في يظهروه للسدّ، ومعنى يظهروه يعلوه ويصعدوا على ظهره فالمعنى أن يأجوج ومأجوج لا يقدرون أن يصعدوا على السدّ لارتفاعه ولا ينقبوه لقوّته. ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ القائل ذو القرنين وأشار إلى الردم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني القيامة جعله دكًّا أي مبسوطًا مسوّى بالأرض ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ الضمير في تركنا لله عزّ وجلّ، ويومئذ يحتمل أن يريد به يوم القيامة لأنه قد تقدّم ذكره فالضمير في قوله بعضهم على هذا لجميع الناس، أو يريد بقوله يومئذ يوم كمال السدّ والضمير في قوله بعضهم على هذا ليأجوج ومأجوج، والأوّل أرجح لقوله بعد ذلك ونفخ في الصور فيتصل الكلام ويموج عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الصور هو القرن الذي ينفخ فيه يوم القيامة حسبما جاء في الحديث ينفخ فيه إسرافيل نفختين إحداهما للصعق والأخرى للقيام من القبور ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي أظهرناها ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾ عبارة عن عمى بصائرهم وقلوبهم وكذلك لا يستطيعون سمعًا ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حُكِيَ عنهم أنهم يقولون أنت وليّنا من دونهم، والعباد هنا من عبد مع الله ممّن لا يريد ذلك كالملائكة وعيسى ابن مريم ﴿أَعْتَدْنَا﴾ أي يسّرنا ﴿نُزُلًا﴾ ما ييسّر للضيف والقادم عند نزوله والمعنى أن جهنم لهم بدل النزل كما أن الجنة نزل في قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفردوس نزلاً﴾ [الكهف: ١٠٧] ويحتمل أن يكون النزل موضع النزول

سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ الآية في كفّار العرب كقوله: **﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم﴾** ولقائه وقيل في الرهبان لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم وهي لا تقبل منهم وفي قوله يحسبون أنهم يحسنون تجنيس وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف **﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾** أي ليس لهم حسنة توزن لأن أعمالهم قد حَبِطَت **﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾** هي أعلا الجنة حسبما ورد في الحديث ولفظ الفردوس أعجمي معرب **﴿حِوَلاً﴾** أي تحوّلاً وانتقالاً **﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾** الآية إخبار عن اتّساع علم الله تعالى والكلمات هي المعاني القائمة بالنفس وهي المعلومات فمعنى الآية لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفد علم الله وكذلك لو جيء ببحر آخر مثله وذلك لأن البحر متناهٍ وعلم الله غير متناهٍ **﴿بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾** أي زيادة والمدد هو ما يمدّ به الشيء أي يكثر **﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾** إن كان الرجاء هنا على بابه فالمعنى يرجو حُسْن لقاء ربّه وأن يلقاه لقاء رضًا وقبول، وإن كان الرجاء بمعنى الخوف فالمعنى يخاف سوء لقاء ربّه **﴿وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** يحتمل أن يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره فيكون راجعًا إلى قوله يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد أو يريد الرياء لأنه الشرك الأصغر واللفظ يحتمل الوجهين ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين والله أعلم.

تمّ الجزء الأول، ويليه الجزءالثاني

وأوّله سورة مريم

فهرس الجزء الأول

مـــــن

كتاب التسهيل لعلوم التنزيل



فهرس الجزء الأول
من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

تفسير سورة آل عمران

تفسير سورة النساء

تفسير سورة المائدة

تفسير سورة الأنعام

تفسير سورة الأعراف

تفسير سورة الأنفال

تفسير سورة التوبة

تفسير سورة يونس

تفسير سورة هود عليه السلام

تفسير سورة يوسف

تفسير سورة الرعد

تفسير سورة إبراهيم

تفسير سورة الحج

تفسير سورة النحل

تفسير سورة الإسراء

تفسير سورة الكهف